

١٧١

الجزء السابع

من
الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتل على مجانب بدائع الكوّنات وغرائب

الآيات الباهرات

(تأليف)

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

للدّرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بمطبعة

مُصطَفَى السَّابِى الحِمْيَلِى وَأَوْلَادُهُ بِمِصْرَ

(حقوق الطبع محفوظة)

ربيع ثانى سنة ١٣٤٦ هـ -

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سورة يوسف هي مكية بالاجماع وهي مائة واحدى عشرة آية ﴾

وقبل الشروع في تفسيرها أقول

إني أجد الله عز وجل أن حقق رجائي وأبقاني في هذه الدنيا حتى وصلت الى هذه السورة فلقد كتبت في سورة البقرة عند قوله تعالى - ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم الجبل من بعده وأتم ظالمون - مانسه . اعلم أي كنت كتبت هذا التفسير كما قدمت في أول الكتاب وأنا مدرس بدار العلوم في نحو سنة ١٩١١ م . ومن عجيب صنع الله عز وجل أي في تلك السنوات كتبت في مجلة (الملائجى العباسية) التي كانت تنشر هذا التفسير مقالا مطولا في اجمال تفسير سورة يوسف قلت فيها أن القرائة كانوا أغزر علما من المصريين الحاليين وحكامهم ومن علماء أوروبا الذين يحكم رجالهم بلادنا فشرحت من رؤيا الملك مسألة سبع البقرات السبان وسبع السبلات واهتمامه بالزراعة . وعطفت على مسألة الطيور ونهبت الحكومة والأمة فصدر الأمر عقبها سنة ١٩١٢ ميلادية بمنع صيد الطيور النافعة . ومن أهمها (أبو قردان) وهأنذا أكتب تمام التفسير الآن سنة ١٩٢٢ الطبع وقد رأيت بعيني رأسي أن الحكومة قدرت (أبو قردان) وانتشر في البلاد المصرية انتشارا كما كان سابقا فأجد الله عز وجل على هذه النعمة وعلى حفظ الطيور ببركة الآيات القرآنية وآثارها في النفوس وحرم على من عنده نصيحة أن يمكها جينا عن الجمهور فانها لابد نافعة عاجلا أو آجلا وان شاء الله لذا طال الأجل ووصلت الى سورة يوسف أثبت تلك المقالات اه

أقول وهأنذا الآن في يوم الاثنين الثالث عشر من شهر اكتوبر سنة ١٩٢٤ وأجد الله إذ وصلت الى هذه السورة وان خير سعادة لي في هذه الحياة أتمام هذا التفسير فإذا تم على اللئوال الذي أريده كان هذا خيرا مما أتمناه في هذه الحياة . والآن ابتدئ بذكر ذلك للمخلص لتطلع عليه . ثم أتبعه بما كتبه الحكومة المصرية لمنع الفلاحين من صيد (أبي قردان) ثم اتبعه بتفسير السورة تفسيراً تفصيلياً بعد الاجال في هذا المقال

(كيف تخمد مصر اذا فهمت هذه السورة)

هذا الوجود أسباب ومسببات وتناجح ومقدمات سواء في ذلك العناصر والمركبات والعلوم والديانات ومنها القرآن فلقد أنزل للاعتبار وقرئ للادكار وأكثر المسلمين لا يقرؤنه إلا وهم غافلون ولا يسمعونه إلا وهم لاهون لا يعلمون إلا ظاهرا من الأمر والهي والوند والوعيد والعظة والمثل وهم عن عجائب القصص معرضون . في القرآن قصص تسرد وقائع الأنبياء وفضائل الأولياء وعجائب أعمالهم وغرائب أحوالهم لتقيس المشاهد المنظور على الغائب المستور والحاضر الظاهر على الغائب الغائب

غفل الناس عن ذلك كله أيما غفلة وتاموا على وساد الراحة ومهاد الغفلة حتى أصبح للمسلمون في أنحاء المعمورة يمتازون بأنهم مسبقون في المدينة والعمران . جاهلون بالنافع المادية والمعنوية . خاضعون للظالمين مقلدون . والمقلد جاهل والجاهل غافل والغافلون هم المالكون

ما عذب المسلمين ولا أزاحمهم عن مكائهم السامى الذى خوله الله لهم من الشرف العيم والفضل العظيم إلا القصاصون المحرمون وأدعياء العلم وما أكثرهم وهم ضالون مضلون بما يقترونه على الله عز وجل باسم الدين والدين يرى مما يقولون . فعلى قادة الأمة الإسلامية أن يدخلوا البيت من بابه ويدعوا المسلمين للعلم بطريق الدين كما أخرجوا منه بطريق الدين فبالدين (ادعاء) أخرجوا وبالدين (تحقيقا) يدخلون

ولما كان القصص مهجور المعاني عند الناس وكان أحسنها قصة سيدنا يوسف عليه السلام أردت أن أذكر نبذة صالحة هنا فوق ما أوصفت في كتاب (النظام والاسلام) وما أودعته فيه من عجائب التنزيل ويدافع القرآن فأقول . إن لهذه السورة لمزية خاصة بالمصريين فلذلك يقرؤها في ما معهم وأفرحهم ولن تجلس مجلس قرآن إلا وتسمع القارئ يترجم بآياتها ويترجم بكلماتها والناس له سامعون وبصوته طربون أن كان من المحسنين . ألا انما يترطب الانسان لما يهواه ويفرح بما يوافق هواه . فبإعجاب كيف يفرحون بها ويطربون لها ألكلماتها البديعة أم لمعانها العجيبة . إن فيها لحسكا وعبرا وعلوما لو كشف عنها الغطا وأدرك المصريون سرها لكانوا أرقى العالمين في الدنيا والدين . إن فيها السياسة المنزل وسياسة الشخص وسياسة المدينة . سياسات (ثلاث) انتظمها سورة يوسف . ففيها نصف علم الحكمة وهي الحكمة العملية الداعية لسعادة الأشخاص ولسعادة للنزل ولسعادة المدن فهل لهذا طرب السامعون . كلا وانما يطربون لجواهر الألفاظ ولبعيص من المعاني العالية . ولوأنهم أدركوا ما سنوهم من العجائب الیوسفية ما أغمضوا الجفون ولنأت جنوبهم عن مضاجع الكسل ولربوا بأنفسهم أن ترى مع العمل وما استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير . لسوف يعلمون المعنى فيما تقول ولينظرون الله ماذا يفعلون

ألا انما مثاهم اليوم في ترجمهم بها وإقبالهم عليها وغرامهم بها كمثل أولئك الذين يدعون أنهم يعلمون الغيب بالخط في الرمل وما لهم بالغيب من علم وانما هي القطرة الانسانية والحكمة الربانية أكتبهم عليه وإن كانوا لا يشعرون كأن الحكمة الالهية تقول لأولئك الجاهلين . يا أيها الناس إن في الرمل لعلوما ستدركونها وأسرارا ستعلمونها ثم صنع منه المنظار العظيم والمقرب فكشف أدق الدقائق في الحيوان والنبات وظهرت للعين بمض النجوم الثوابت وسائر السيارات . فهكذا في سورة يوسف الاشارة لعلوم الأخلق ولنظام المدن فأغرم الناس بها وأكثرهم لا يعلمون من مقاصدها إلا ما يعلم السجالون من عجائب الرمل ومثل الناس أيضا في غرامهم بها كمثل ذلك الذى يدعى أنه يعلم علم جابر ويستخرج الذهب والفضة بالكيمياء وماله بذلك من علم إن يتبع إلا الظن ولكن الله أودع ذلك في قلوب طائفة من عباده توارثوه أجيالا حتى أتاه الله للناس من فهم الرمز وقام بالأمر وشرحوا علم الكيمياء ونقلوه من الظلمة الى النور ورفع المدينة ورقى الزراعة والصناعة والتجارة ودخل في سائر أبواب الحياة فأصبحت الأرض كلها تثبت ما هو أرفع من الذهب وسائر

المعادن . كل هذا بالكيمياء . فهكذا فلتكن هذه القصة الشريفة التي يسمعونها الناس وأكثرونها ليعلمون
إلا حديث الحب والود فأشبهوا ذلك الرمال ومدعى الكيمياء وهما لا يعلمان كما انهما لغيرهما مقدمتان
لكل قول مالنا نراك تضرب الأمثال بالكيمياء والرمال وانعري السجال فاشرع الآن في المعنى المقصود
وأرنا ذلك السر المصون حتى تقف على تلك الجائبات وتفهيم سر تلك الغرائب . أقول خذ مني القول سؤالاً
وجواباً على ما ألفت فيه أسمعناك واضح لما أقول سمعاً . سأنتي سائل يقول

(س) ما بالكَ تعاد التذكير بسورة يوسف وقد سبق القول والتفسير منك لها في كتاب (النظام
والاسلام) وما هذا التكرار والسور في نفس اللدار

(ج) لكل مقام مقال فهناك تعميم وهنا تخصيص وذلك مبادئ وهذه نهايات وتلك اشارات وهذه
عبارات وتلك مقدمات وهذه نتائج ولاخبر في علم بلاتناج ولا في شجر بلانمر ولا في قراءة بلافكرة ولا في
فكرة بلاعبرة ولا في عبارة بلاعمل ولا في عمل بلاخلاص

(س) ما أنواع العبرة في هذه السورة وما علاقتها بالصيغة الوطنية المصرية وما فائدتها للجمع الاسلامي
عموماً والمصري خصوصاً

(ج) في هذه السورة خمس عبر (١) رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام (٢) وأذى اخوته (٣) قصته
في بيت العزيز (٤) وقضيته في السجن (٥) وتنظيمه للخزائن المصرية

(١) (الرؤيا)

إذا كان الحب والنوى يبتنان نجما وشجرا فالنتيجة حب ونوى وما كان فكراً أولاً فهو عمل آخر .
هكذا كان أول حياته عليه السلام أن رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين وعليها أقيمت حياته
وتنوعت أطوارها وبالسجود له والاعظام ختم تاريخ حياته - ونزوا له سجداً وقال يابأت هذا تأويل رؤياي
من قبل قد جعلها ربى حقاً - فأول الفكر آخر العمل . إن النفوس الانسانية خصائص تبدو علاماتها
لنوى الفراسخ وتخرج فيها من إبان الصبا ما يخص له استعدادها ويزر في أفعالها وأقوالها وتعلمها وتقليدها
وأحلامها وإن امتاز عليه السلام بالنبوة والرسالة والفضيلة وصورت له الأجسام الأرضية بصورة الأجرام السماوية
والمركبات العنصرية للفلذات الأتقى الشريفة بالكواكب المضيئة صوراً بديعة وآيات عجيبه إلا أن لكل
رؤيا تناسبه وأحلاماً توافقه وطالما دلت الرؤيا ذوى الفراسة على أخلاق الرائي وأفادت السامعين أبناء عقول
القائلين فلشكل امرئ منا هاج يسلكها ومطالب يرصدها وقاصد يؤمها لذلك رأى النبي النجوم وجالها
والسجود والخضوع ورأى الملك المصري سبع بقرات سمان تأكلهن سبع بقرات مهنولات وضعيفات وسبع
سبلات خضرا التفت عليهن سبع سبلات يابسات فامتصت ما بهن وتركتهن يابسات ولم يبد على البقرات
الأكالات سبات السمن ولا على السبلات اليابسات آيات النضرة ومظاهر الحياة . رؤيا النبي جمال النجوم
وسجود الساجدين . ورؤيا الملك سبلات وبقرات . ذلك عجب عجائب . بعث الأنبياء للعبادة والتفكير
في الجبال وخلق الملوك لنظام الممالك وحفظ البلاد والعباد من الخراب والفساد . فالسجود من جنس العبادة
وإن لم يكن في هذا من عبادة ولكنه تكريم والنجوم جمال والجبال السماوية والبهاء الكوني مصدر التفكير
والتعلم إلا أن في اشراق الكواكب والشمس والقمر في نفس سيدنا الصديق في صباه لهجبا عجيبا ودلالة على
عفته عند الحرمات وتعليا لطبقات المصريين وحفظ المال أن يضع الناس أن يموتوا . كل ذلك مقتضى
النفوس الجلية التي ذرأها الله سبحانه مطرا وشما تضيء . وقرا ذا سنه

ألا إن الشمس لتشرق والناس لا يشكرونها . والقمر ليطلع وإن كفر به الناس . والله خالق ورازق
وإن كفر نعمته العالون . هكذا الصديق التي تجل للناس وتجلت له تلك الصور الجلية فبرز بعد ذلك منه

للناس آثار واضحة من العفة والصبر والتعطف على المصريين وتعليمهم وتنظيم ثروتهم وحرث نيلهم ولأهله وعشيرته صفح جليل وبر وصلة وعطف وإن كانوا له حاسدين . فكان الاحسان لنفسه سجة والجليل بقلبه طريقة فأحسن السنين من أهل والمصريين فكلهما آذاه وكلهما نال الخير منه بعد آذاه . فهذا أوله وهذا منتهاه فاما للملوك فما أحراهم أن يمكنوا على نظام الجمهور وحفظ الثغور والسهر على المصالح العامة . وأهم المطالب الاجتماعية في الأمم للتدنية ﴿ أربع ﴾ الامارة . والزراعة . والتجارة . والصناعة

ولما كانت الزراعة من أهمها وضعاً وأهمها نقلاً وأشرفها صنفاً لاسيما عند المصريين الذين هم بها مغمرون وعلى ترتيبها ونظامها يحرمون روع قلب الملك المصري يابس سنبلاتها ومخفاف بقراتها مما دل على اهتمام الملك بالرعية وحبه للائمة المصرية . وليست تصور النفس في اللام إلا ما اهتمت به في الغالب أجل اهتمام ﴿ تصور الحقول المصرية وتأمل وتجب ﴾

يظن الفلاح أنه زرع وحصد ولا يعلم أن هناك له شركاء في الزرع هي أجل منه نقلاً وأحسن صنفاً (س) مباشره الانسان في زرع الأرض المصرية

(ج) شركاؤه الطيور الليلية والطيور النهارية كالبوم والغربان وأبى قردان وبعض العاصير والخطاطيف يزرع الانسان الأرض ويحرقها بالأعنام من البقر والجاموس ويعينه غيرهما من اللاشية ويدرك الأذى عن الحب والقائمة الطيور من الغربان والبوم وأبى قردان وغيرها

الانسان والنواب زارعان والطيور دافعات للأذى طارداً للآعداء آكلات البود ميديات القيران . الانسان والأعنام تتعاون على الحرث والسقي وتبذر وتسمد الأرض بأبوالها وأروائها وغائطها وأجسامها فهي مصانع للسداد حارثات للحقول آكلات الحشائش والحبوب . والطيور ميديات المهلكات قاتلات الحشرات جل الله . جل الله خلق فسوى وقدر فهدى نظم الحقول كما نظم للملك وأزل للانسان والأعنام للزرع منزلة علماء الطبيعيات والرياضيات في الأمم العالية وأزل الطيور من أبى قردان والغراب والبوم منزلة الشرطة في المدن والقرى والقضاة للدارين للحوادث الداخلية وأعوانهم للحامين ورجال الحرب الدافعين عن البلاد والضارين بالقنا والسيف والمدفع والبارود

لا ريب أن القضاة والشرطة وقواد الجنود مدافعون وعلماء الطبيعيات والرياضيات وغيرهما الخبير جالبون وما للدافع إلا لحفظ النافع فالقصد على الحقيقة هم العلماء الجالبون للنافع وماعداهم قائما هم حصون لهم اليها يلجئون وفي أكنافها يحرمون . فثبت أن الأعنام والانسان أهم للزرع من البوم والغربان وأبى قردان وإن كان الفلاح لا يفلح بغير ما يصف أو يدف بالجنح ولا فلاح لأئمة بلا جنود وقواد ولا حياة لها إلا بالعلوم الطبيعية كما لا حقل في البلاد المصرية إلا بالطيور السورية وغير السورية والفلاح الزارع والنواب الحارث الساقية ومن العجب أن ترى الأئمة المصرية اليوم تجهل فوائد الطيور وتقل منفعة القضاء والحماة مع انهم اصنوان وأخوان يتساوقان وخلان لا يفترقان . ترك المصري العلوم الطبيعية وعقلها الفلاح وهو يعمل بما ورث عن أبويه . جهل المصري فوائد الطير وهو المدافع عن المزراع وعقل الحماة والقضاء

جهل عظيم وموت تام وطلقة كبرى جهل المصري المصري عظيم . عقل التحلية في المزراع وجهل تخليتها وأدرك التحلية في نظام المدينة وجهل التحلية

﴿ ماذا فعل قدماء المصريين . بماذا أفادوا البلاد في هذا المقام ﴾

أوصى علماءهم الفلاحين أن اعبدوا الجبول ولا تهنئوها قائما هي حارثة لأرضكم ذات تقع عظيم ثم أمرهم أن اعبدوا المارة وتقسوا أبى قردان ولم يذكروا لهم الأسباب وإنما قالوا هذا سر من ربه الأرباب لأن الجاهل لا يعلم ما يعرفه المتعلمون وما يفعلها إلا العالمون . هذا مفشا عبادة البقر وبعض الطيور حيلة

دبرها الرؤساء ولكن أكثر الناس ما كانوا يعلمون . لذلك كثر ذكر الجبول في قصص بني اسرائيل
فقرى السامري - أخرج لم بجلا جسدا له خوار - وترى بني اسرائيل لما أرادوا اظهار القتلين أسهموا بذبح
بقرة . وعما هنا أيضا كون الأرض على قرن الثور إلا لتعجب من هذا كيف كانت رؤيا الملك في سبع فقرات
وكيف كانت رؤياه تجمع المقصود وهو الزرع وجلب النفع وأهمه البقر ولم يرد في الرؤيا الطيور فانهن كالحمامين
والقضاة . والألم اذا خلت من الأخلاق الشاذة والنفوس الناقصة لم تحتاج الى القضاء كما أن الحل اذا خلا
فرضا من الحشرات لم يحتاج الى الطير الصافات ولاغير الصافات

الانسان والأنعام والطيور جمهورية منظمة على كل قسمة من العمل ولكل حظه من ثمرات الأرض
ومنافع الحرث . لقد فقدت الأمة المصرية أوّل قائد لجنودها وأكبر عامل لنصرها وركنا من أساطين حرمها
ذلك هو (أبو قردان) فلقد اتصل نسله منذ آلاف من السنين وهو يحكى النصارى ويقود الجند المسلحة
الهوائية فيهبهم على الهوام والنود فيبيدها فيسلم الحرث والنسل . عرف المصرى القديم جبله فأواه وأيده
بل عبده وجعل المصرى الجديد فضله فقتله وأباه . هل هذا ثمرة التعليم والمدنية . هل هذا هوالذى اليه
وصلنا من الحكمة . أيجعل في شرع للمدينة وناموس العمران أن يمشى (أبو قردان) أكثر من عشرة
آلاف سنة ثم لا يبيد إلا في أوائل القرن التتم عشرين . لتندب مصر حظها . لتبك علومها . ولأبك
على بلادى . هل تقب حكومة البلاد ويحتج عن سبب ضياع هذه النعمة وزوال هذه الجنود المجندة .
أيجبنا يا أبناء البلاد أن نجعل موارد رزقنا وعناصر حياتنا . تبا للجهل وبعدا لنا اذا عشنا غافلين .
ويا ليت شعرى أأنا في يقظة أم في منام ولعل ما أقول اليوم أضغاث أحلام وربما أجبت بقولهم وماتعن
بتأويل الأحلام بعالمين

﴿ حكاية وأمنية ﴾

انطلقت الى شاطئ النيل الفرعى لأتفرّج على الأشجار والأزهار فصادفت مسجدا يسمى ﴿ مسجد
الجزيرة ﴾ شمال قطرة قصر النيل فدخات للصلاة ورأيت النمل تغدو وتروح فوق الحصيرات المنسوجات وهي
طالعات هابطات فوق الأعواد وينهق لابنتين لنعمر ولا يخفن من غدر وكأنا أراجل المصلين فوق الأعواد
جبال وكأن الأعواد تلال والفجوات للتخيلات أغوار ووهاى بالنسبة للتملات فأطلت النظر اليها والتأمل في
حركاتها وسكناتها والتعجب من شجاعتها واقدامها حتى ان راحة يدي والنراع والأنامل الاثني تخيل لها جبالا
شامخات وشعابا واسعات لم تثبط عزيمتها ولم تكسر من همتها ولم تهلع لها قلوبها . ولوأنا تصورنا جبلا
يمشى على الأرض وكاد يصادم الانسان ليطحنه طلع اذا رآه ومات قبل أن يراه فشاهدنى إذ ذاك فلاح مغمم
بعمامة سوداء فكنت موضع تعجبه واستغرابه وكان النمل موضع نظرى ومسرح فكرى فكان النمل لى
عجبا وكنت عند الفلاح لموا ولما فرغت طرفى اليه وقلت يا أيها الانسان أنتدى لم نظرت في الفلات .
قال لا . قلت إنهم لأشجع من أكثر الناس قلبا لائنتين الربوب عن مطلب الرغبات ولا تهولون
لحوادث الزيجات والكوارث الدهمات إنهم لأربط منك جأشا وأشجع من الفلاح والشيخ والباشا لائتنى
عن الرغبات ولا تنتهى إلا الى الغايات ولسان حالها يقول ﴿ اما هلك ولما ملك ﴾ . قال الفلاح لقد قلت
حقا ونظقت صدقا فما أيقظنى إلا لسع نملة في جيبى فهى التى أقامتى للصلاة الآن فكان ذلك الاتفاق من
عجائب الزمان كيف كنت منها في عجب والفلاح منها في حرب . فقات انها رأتك غاصبا لمسكنها حالا في
دارها فلم تهين لضعفها وقوتك ولم تضعف لمخولها وسلطوتك قالت لألسنة أو يفارق الليلر وموتى في الجهاد
خير من الحياة فى اللئلة ولهلوان فشاركنى الفلاح في تفكيرى وعلمت أنه من جهة (قم البحر) وتناول بنا
الحديث الى (أبى قردان) قل لقد فقدناه في هذه السنوات وذلك قلة قوتنا وضعف إيماننا . نحن عن

الصلاة معرضون وما نحن للزكاة فاعلون وأكلنا التراث أكلنا وأحبنا للمال حبا جما وفسدت منا القلوب غفلت الجيوب . فقلت ما للصلاة ولأبي قردان ولكن الفلاح الجاهل صاد (أبا قردان) لجهله بمنافه وبعده عن العلم الصحيح والعمل الشريف . فقال لم يصده أحد من الناس وإنما صاده الاورويون وطلما رأيت يخلق ويرفرق بجانبه حول الماء وينفذ منقاره في الطين ليبحث عن الدود والحشرات الكاملة فيعيلتقطها ويزيدها . لقد كنت اذا زلت الماء على الأرض جلل هو وجهها ولقد طلبناه في هذه الأيام فما وجدناه وكان قدده في هذه السنين وذلك منذ عشرة سنين . فقلت هذا الخبر يحتمل الشك وبذلك الليلة مشغول القواد حزين القلب يائس النفس كئيبا لما حلّ بالبلاد من الخراب والسمار وذهاب الثروة وضياح المال وقلة العلم وكثرة الجهل . فلما أن غت خيل لي في نومي أن صبيانا يركبون على شجيرات ثابتة على ضفاف نهر أبي الأخضر بالشرقية وأنهم ينغرون الطيور من أعشاشها ولا يقرضونها في وكنتها فهمت بهم كي يتركوها ونصفت بهم كي يقروها فرجوا مهرولين وولوا هارين . فلما أن استيقظت وتذكرت ما رأيت قارنت رؤياي برؤيا ملك مصر في الأزمان الغابرة والأيام الخالية إذ رأى البقرات السمان والسبلات الخضراء واليابسات . ورأيت الطيور مذعورة وصيوان الأتمة لجهلهم يعمهون لقد صدقت رؤيا الملك وصدقت رؤياي

(مقابلة الاستاذ الشيخ محمد عسكر الكبير)

ذلك أني إذ طلع النهار اتفق أن أرسل إلى الشيخ محمد أبو عسكر ذلك الشيخ الوقور وكنت له مشتاقا فلما استقر بنا الجلوس وتناجت فيما بيننا النفوس أريته ما قد كتبت وقصصت عليه ما رأيت وقلت لقد تبرا الفلاحون من صيد (أبي قردان) واتهموا بذلك الاورويين وقالوا إنا والله براء بما يقولون . فقال الشيخ طلما وردت لي الأخبار أن الاورويين هم القاتلون لأبي قردان . فقلت له أليس من العار والجهل والشار أن يعيش أبو قردان قرونا وقرونا ويحميه قداماء المصريين من الفراعنة ومالوك الرعاة ويعيش مع مالوك اليونانيين والطلاسة والفارسيين وبعده الأثيوبيون والرومانيون ونحو في أزمان العرب الاسلاميين ولا ينقص عدده في أيام الأمويين ولا يؤذيه العباسيون ويحمي من العدوان أيام الاخشيديين ويحفظ حياته الفاطميون ولا يمس به الاثريون ويزداد عدده ونحو كثرة أيام الممالك البترية والبحرية ولا يبيده الترك ولا يعدو عليه العربيون ولا ينقص عدده أزمان أسرة محمد علي باشا بل ظلّ جمّ العدد كثير للمدد الى الثورة العربية ثم أخذ في التناقص وأخذ السود ينجو بالزباد حتى فني عن آخره

عار والله وأتى عار . أهذه هي المدينة والعلوم العصرية . أهكذا يكون تمدن الأمم . أفبهذا أتنا المدينة . أيشتل هذا الطائر شريك الفلاح صديق المصري والناس غافلون . أفبهذا ارتقت مصر . ربة اليك المشتكى . يارجل الأتمة يا علماءها وعظماؤها ويا وزراءها أهكذا يكون العمران . أبو قردان أخو الفلاح كان معبودا عنده قداماء المصريين . لماذا . لأن كبراءهم أوصوهم به خيرا فلاح الزرع بإبادة السودة والحشرات فاستوصوا به خيرا وتمادوا في ذلك ازديادا حتى عبيده . هكذا كان الملوك السابقون والعلماء الفايرون فورئنا أرضهم وجهلنا علمهم ما أعظم قداماء المصريين وما أجهلنا نحن الحاليين جهل عظيم وموت عميق وطلقة كبرى ودمار وأتى دمار

أخبرني الشيخ محمد أبو عسكر قال قد قرأت في بعض الأسفار أن قداماء المصريين شكوا الى فرعونهم يقولون (قد طفت علينا الحيات واغتالت الأبناء والبنات) وأكثر ما يكون اذا أقبل النيل وعم البلاد وساق جنودها أمله واكتسحها من البور الى العمران فأوعز الملك الى العلماء والحكام أن بدلوا هذا الداء ويلمسوا له الدواء فلما أن جاءهم أمره ساحوا في الأرض ينتقون طيرا يلتقط الحيات ليربوه في البلاد فدلهم علمهم وأراهم اختبارهم ووقفهم بمنهم الى (اللتلق) فربوه تربية حسنة فبها عدده وكثر ولده وصارت

أفراخه آلافا مؤلفة فتجي الناس من شر الحيات وفرحوا بما عندهم من العلم والحكمة والهمة والدين
فصلى قادة الأئمة وأولياء أمورهم أن يصنعوا ما صنع القديس ويحبوا (أبا قردان) ويربوه حتى يكفر
عدده ويهزم جيشه جيوش السديان والاحت كفة العذاب على المصريين

عاريا رجال مصر • عاريا أمراء البلاد • عاريا عظماءنا • هذا الطائر نصير الفلاح • قاتل السود
مبيد الخشرات • منى الغلات • كنت أراه يعنى يجلل الأرض ويغطي وجهها إذا أنزل الفلاح عليها الماء
حتى قتله الجهلة الأغنياء من أوباش الناس ليزينوا به (القبعات) للسيدات وأباهه أولئك الطغاة قبادت البلاد
وهلك الزرع وقل الضرع وأصبحت البلاد في شقاء عظيم • أبطل هذا نهان الأمم وتدلح الحرم • هذا
ولفه جهد البلاد وعصال الداء ونهاية الشقاء • ولقد أنذرت وحذرت ونصحت - ولا تنفعكم نصحي إن
أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإلى ترجعون -

(الفصل الثاني • إلهاء أخوة يوسف)

لا أحد من المصريين أبناء يجهل ما فعله أخوة يوسف من كيد وما دبوا من حيلة وكيف نصبوا
له الحبال - وجاؤا على قيمه بدم كذب - وسوّلت لهم أنفسهم أمرا وصبر يعقوب صبرا جيلا ودلوه في
الثرثم باعوه - بمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين - • أجمعوا أمرهم بينهم وأسرّوا
التجوى وأوتقوه في هاوية فما كان عاقبته إلا أن تربى في مصر وترعرع وبلغ أشده وكان لهم من المحسنين
هذه كانت قصة يوسف عليه السلام وذلك خبر أخوته فكان منهم الاساءة ومنه الاحسان ومنهم الشر
ومنهم الخير وأول أمره شقاء وآخره هناء ومبدؤة ذل ونهايته عز وسعاد • ذلك عبرة للمسلمين وتذكرة
للمصريين ونعمة على العاملين • تنبئك قصة يوسف بما يلاقه المصلحون فيها من الجاهلين • ما في الأرض
من مصلح إلا وكان أول أمره مطاردة منبؤا تقاتبه الأعداء ويسطو عليه الأقرباء ويحطّ من قدره الأصدقاء
ويهينه الأولياء استغرابا لقوله استبعادا لعمله وحط من شأنه وحدا على ما آتاه الله من فضله واجبا لما
لعمله وتنشعا عليه فان صبر فاز وإن جزع وعجل هلك وباد • فتعجب كيف كانت عاقبة النبي يوسف
الصديق أن بيع للمصريين وترعرع في بيت العزيز وحاق به الفتنة وصبر على الظلم والسجن ولم يدر أخوته
الزاهدون ولا حاشية العزيز وهم له ساجنون ولان كانوا معه مسجونين أن السعد سيؤمهم وأن العزيز يبريه
وأنه سيقبض على ناصية البلاد ويدين له الهرمان ويساعده الزمان وينسج على ما قاساه عناكب النسيان
ذلك مثل الصادقين القائمين بالأعمال الشريفة والفضائل العالية للنيقة • فليشر أولئك الذين صدقت
نياتهم وحسنت أعمالهم وأخلصوا لأنهم وأرادوا اتقاد البلاد من الجهل والفساد فسوف يبذل شقاؤهم
راحة وذلم عز وسعادة وتغنى الأغصان عند هبات الريح بمدحهم ويعتق الجوب أربع ذكركم وعاطرتناهم
وهذا ناموس الوجود لم يشتمه نبي مرسل ولا عالم مصلح وكانت العاقبة للثتين ولم يدر من رجال الإصلاح من
أحد حتى أخذ حظيه من النصب والراحة وسار على خطته وحلب الدهر شطريه • ولقد كان لنا في رسول
الله ﷺ أسوة حسنة فقد أودى كما أودى الصديق يوسف عليه السلام ما آذاه إلا أثرأؤه الأذنون وتألبت
عليه قرابة ثم نصره الله كما نصر يوسف وآوى إليه من كان يؤذيه كآبى سفيان وهند زوجته وغيرها من عليه
القوم وسراهم وعظماهم فأصبحوا له محبين كما خرّ أخوة يوسف - له سجدا وقال يا أبت هذا تاويل رؤياي
من قبل قد جملها ربى حقا وقد أحسن في - ربّ انى أيقنت بناموسك العالى وكتابتك الكريم
يا أيها الناس • يا أبناء البلاد لا يجرمكم شتان قوم من بلادكم أن يمتدحكم عن اصلاحها فعل بمقدار
فضل الرجل يكون أعداؤه وكما يكون النصب تكون الثمرات • فاعملوا لبلادكم كما عمل الصديق وتجاوزوا
عن خطوات الشياطين مع اخوانكم المبشرين للباطنين الحاسدين - وقل اعملوا فيسرى الله علمكم ورسوله

﴿ الفصل الثالث . قضية النبي الصديق في بيت العزيز ﴾

تتوالى التكبكات اثر التكبات على المصلحين المجاهدين والأنبياء المرسلين . ساقى القوة العنصرية اخوة الصديق فهجروه بل نبذوه وباعوه وسلطت الشهوة البهيمية امرأة العزيز فراودته ويوسف باقى على كماله صابر على عفته مع جملة القاتن فقالت له تسجن وتكون من الصغارين فقال انما الصغار لمن لاعقه له ولاشرف وقس المرء أوسع من السموات والأرض

إذا لم تملك النفس فالكون كله * وأفاقه للره أضيق من قبر

وفي الفكر نيران وفي الفكر جنة * وما أكثر الآفات إلا من الفكر

فإذا خنت سيدى ودنت عرضى كنت من الجاهلين . أو يجعل في دين المروءة أن يحسن إلى وأسى . ويصدق وأكون من السكاذبين . إن العزيز سيدى أحسن إلى وعطف بالبر والاحسان على فهل جزاء الاحسان إلا الاحسان والثلثم يجزى المحسن بالكفران . ألا بعدا للجاهلين . أنا من بيت النبوة بيت ابراهيم واسرائيل ولن يلقى في أن أكون شر خاف غير سلف حتى يقال في - تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا -

أنا أنولشرف عظيم ومجد كبير ومن لم يحفظ النفس في إبان حياتها فعلت به همة عند كبرها . ومن أراد الإصلاح فليبدأ بالإصلاح نفسه وليكرمها فانها بالاكرام أولى . ومن لم يحكم أمر البداية حرم الفضل في النهاية

﴿ عبرة ﴾

فعل من يريد الإصلاح أن يني بالبعد ولا ينقض للثبات ولا يخون اخوانه في العرض ولا في المال ولا يفتنى لهم سرًا . ذلك هو مبدأ الشرف الأسمى والحيز الأعم والفضل الأدنى وقد قال الله لنبيه - فهذهام اقتده - فنحن أولى بالاعتداء وأحق بالاتباع . وإذا اقتدى المصومون فغيرهم أولى بالاتباع وأحق بالاعتبار

﴿ الفصل الرابع . سجن النبي يوسف الصديق عليه السلام ﴾

ما أشبه قصة النبي يوسف عليه السلام بعلم تهذيب الأخلاق إذ يقسمونه ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ سياسة النفس بالعفة والصيانة كما كان الصديق في بيت العزيز وسياسة أمر للنزل أشبه بما اتفق له في السجن وإصلاح أمر المدينة كما حصل له إذ قال له لذلك - إئتوني به أستخاصه لنفسى فلما كلف قال إنك اليوم لدينا مكين أمين - حلقات ﴿ ثلاث ﴾ لا يسلح أخوها إلا بإصلاح أولائها . عفة في أول منازلها ففتنى ظلم الحاشية على حسن سيرته واتهموه وهو برىء وسجنوه وهو محسن فكان السجن ثاني المنازل فنصح للسجونين وقال لهم - يا صاحبي السجن أرى باب متفرقون خير أم الله الواحد القهار - درس لهم التوحيد بالبرهان ثم ذكر شرف قومه وأهلهم فقال - واتبعت ملة آبائي ابراهيم الخ - نصح النبي الصديق للصريين وهو غريب حفظا للجميل وقيلما بحق الإنسانية والنبوة . ذلك ارشاد من الله وتعليم أن كونوا أيها المصلحون شموسا تضيء سناها على العالمين ولاندعوا أيها العلماء الفضلايين للصريين غافلين بل أيقظوهم وعمموا التعليم . إن المصرى لشكور على النعماء مجاز لرحمة الرجاء . فاعمر كماله الملك على الصديق إلا ذلك الخادم الساقى على بساط الملك لما سمع منه الحكم القوالى والبررائمة فامر عنده الاحسان وقال للملك أرسلون الى يوسف ليؤتى الرؤيا ففعلوا . لقد نصح النبي في السجن ولم يقه ضيقة السجن ولا زور القول عن أن يقشع سحب الضلال ويقل قلوب العامة بمقال العلم ويجلبها بجملة الحكمة فكان من المحسنين . فليقم المصرى باتشغال أمته من وهدة الجهل ويرفعها إلى سماء الفضيلة وليعمم العلم بين أفراد أمته المصريين

﴿ الفصل الخامس ﴾

أما ثلاثة الأنبياء وختمة الفصول الخمسة فذلك أن نبوأ عرش مصر ودبر الخزان ونظم أمر البلاد فأحسن للأمة المصرية وقد أسأوه فسجنوه . أكرم أبويه الشفيقين وعفا عن أخوته بعد أن طرحوه ونبذوه وابعاده ودبر الحيلة لأخيه بنيامين بعد أن جعل بضاعتهم في رحلهم فصرفوها . أكرم الصديق أبويه وأحسن إلى عشرينه الآخرين وقال - لا تريب عليكم اليوم يضر الله لكم وهو أرحم الراحمين - وقد قالها بلغظها رسول الله ﷺ لأبي سفيان يوم فتح مكة فقال - لا تريب عليكم اليوم يضر الله لكم وهو أرحم الراحمين - وعد الله الرسل بالنجاة والفوز والسعادة ولن يخلف الله وعده

يقول الله - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله مع المحسنين - يحسنوا الأواخر حنو الأوائل ويتبع الآخرون سبل الأولين سلام على المرسلين وسلام على الصالحين وسلام على المخلصين

يقول الله - لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى - سورة يوسف أحسن القصص لقد خلت ٤٤ ينتهي عنه أولوا العزم من المرسلين كالحيلة التي ابتلى بها ذوالنون إذ قال الله لنبيه ﷺ - ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم - يأمر بالصبر والثبات والتؤدة حتى يأتي أمر الله وقد كان وصلى الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده . ولم تجمع قصة موسى وفرعون وعاد ونمود وقوم لوط وأصحاب مدين وأهل الكهف وأصحاب السبب من المواعظ والمجائب والقصص والتأنيص ما تضمنته قصة يوسف لتلك كانت أحسن القصص وسار عليها ﷺ حتى نال أعلى الدرجات والهايات . انتهى هذا هو الذي كتبته في مجلة ﴿ الملايحي العباسية ﴾ في ذلك التاريخ . فهناك ما جاء في المجلة المذكورة في العدد التالي لتلك وهذا نصه

﴿ باب لزراعة . حياية الطيور النافعة ﴾

ما كاد يظهر العددان الأول والثاني من هذه السنة وفيهما تفسير سورة يوسف عليه السلام للاستاذ الشيخ طنطاوي جوهرى وأفاضته في التكلم على الطيور النافعة للزراعة بالنقاط الحشرات الضارة بها وتنبيه ولاية الأمور إلى المحافظة عليها وحمايتها من القناصين والصيديين حتى أسرعت مصلحة الزراعة بإصدار هذا المنشور لحياية الطير المسمى بأبي قردان الشهير بكونه صديقاً للفلاح وهما هو المنشور بنصه

﴿ حياية الطير المسمى (أبو قردان) صديق الفلاح ﴾

معروف من قديم الزمان أنه يوجد نوع من الطيور تنفذى كلية من الحشرات المضرّة بالزراعة وأن هذه الطيور إذا تركت بدون ازعاج في الحلات التي نشأت فيها كانت سبباً في نجاة الغيطان القرية منها من اصابة الحشرات . وقد كانوا ينظرون سابقاً إلى (أبي قردان) كصديق للفلاح المصري وكان يراه الإنسان في كل غيط وهو يلقط اللود الذي يخرج من بطن الأرض وقت تغليظها بالمحراث

أما في السنين الحديثة فقد أصبحوا اصطياد هذا الطير الذي هو في الحقيقة مساعد نافع للزراع بدرجة عظيمة حتى انه لم يبق سوى بعض جهات قليلة في الوجه البحري يمكن أن يعيش فيها بأمان فالغرض من هذا المنشور الآن هو تكليف جيع عمد البلاد باخطار مربياتهم عما اذا كانوا يعلمون بوجود طوائف من الطير المذكور ببلادهم وكل عدد كل طائفة منه والتوصية بتركه بدون اذى حتى يأخذ عدده في الزيادة . هذا والحكومة لاتألو جهداً في تقديم أية مساعدة ممكنة لحياية جميع الطيور النافعة للفلاح والمعروفة بأنها من أعداء دودة القطن وملاش كلها من الحشرات اه

هذا هو الذي نشرته الحكومة المصرية في ذلك التاريخ . ثم ان طير (أبي قردان) الآن قد ملاأ الأقطار المصرية بما فعلته الحكومة من تربيته وحفظه والنقل في ذلك راجع لمحمد باشا سعيد لأنه كان هو

السبب في نشر القسبر في تلك المجلة والحكومة هي التي تصرف عليها من خزنتها وهو إذ ذاك رئيس الوزارة أيام (اللورد كينغز) الانجليزى قد نشرت الحكومة بعد ذلك بنحو ست سنين منشورا للأمانة أبانت فيه أن الأمر الصادر من قبل لحفظ الطيور قد أثر تأثيرا حسنا في (أبي قردان) الذي أصبح يرى في كثير من أنحاء الوجه البحري بعد أن كان عدده حين صدور القانون قد قص حتى لم يبق منه هناك إلا سرب واحد في مديرية الدقهلية . أما بقية الطيور التي سيأتى ذكرها فاتها لم تكثر الكثرة المطلوبة لعدم العناية بتنفيذ القانون وجا، فيه ما يفيد أن في الطبيعة من المحافظة على الزرع بخلق الله هذه الطيور الآكلة للدود مالا نظير له في الوسائل التي يتخذها الناس . انتهى المقصود منه واني أجد الله عز وجل إذ أراى في حياتى أن طير (أبي قردان) قد كثر حتى ملأ البلاد وهم يطاردونه ولكن لا يقدمون على قتله من الحكومة وقد عملت الحكومة بما كتبت في المقالة من ريتة وهلى ذه تحمى الطيور الأخرى الآتية ولكن فاتها ذكر الغراب ولعلها تركت لأنه غير مرغوب فيه

ولقد ألف بعض رجال الحكومة المصرية بوزارة الزراعة كتابا في وصف أنواع الطيور المحرم صيدها على صورها فلنذكر ملخصه هنا لثم الفائدة فلقد جاء فيه بيان أشهر أنواع الطيور التي يحميها القانون في مصر وهو يشمل أسماها بالعربية والانجليزية والفرنسية واللاتينية مع وصف أحوالها المحلية وحجمها التقريبي وألوانها لتمييزها وذلك بقلم الماجور (س . فلور) مدير مصلحة وقاية الحيوانات والمستر (م . ج نيكول) مساعد مدير مصلحة وقاية الحيوانات . وهذا بيان أشهر الطيور التي يحميها القانون وسنرم هنا بعض صور الطيور الدالة على باقيها

(عصفور سقيكولا شكل ١)



يمر منه جوع كثيرة بمصر في كلتا الرحلتين - طوله ٦ بوصات تقريبا أى ١٥٢ ملميترا . ذكره في الربيع رماءى الأعلى . أبيض طفلى الأسفل . أجنحته سوداء وكذا ريش أذنه وخط عرضى على طرف ذيله . أما باقى الذيل فأبيض وذكره في الخريف أسمر الأعلى لارمادى وكذا أثناء وفراخه في كل وقت

(سقيكولا أبوذيل أبيض)

يكثر فيما بين أغسطس وأبريل - طوله ٦ بوصات تقريبا أى ١٥٢ ملميترا . أجزاؤه العليا رمادية

طفلية خفيفة اللون والسفلى سمراء طفلية وخوافى الأجنحة بيضاء وكذا قاعدة الذيل والذكر والأنثى سواء

(عصفور أبوذيل أحر)

يكثر أثناء الرحلتين ولاسيما في الربيع - طوله ٥ بوصات تقريبا أى ١٢٧ ملميترا . الذكر بهت ييضاء وأجزاؤه العليا رمادية اردوازية وريش ذيله أحر كله ماعدا الريشتين الوسطيين فانهما أشد سمرة وذقنه وزوره وأعلى صدره أسود . ولون بقية الأجزاء السفلى كسنى محمر . والأنثى أبهت لونا ولكنها مفقودة السواد في ازور

(عصفور أبورقة زرقاء)

يكثر في الشتاء وفي أوائل الربيع - طوله ٥ بوصات تقريبا أى ١٢٧ ملميترا . الذكر أجزاؤه العليا

سمراء وذيله أحر القاعدة مقمع بسمرة وذقنه وزوره وأعلى صدره ذات زرقعة معدنية بجوانبها من أدنى أسطره
حراء وبيضاء وسوداء وفي وسط الزور بقعة حراء كستنية أو بيضاء والبطن أبيض طفلي . والأنتى كالأكر
ولكنها مقلوبة الألوان الزاهية التي تكسو الزور

(عصفور أبو صدر أحر)

يكثر في الشتاء - طوله ٥ بوصات ونصف تقريبا أي ١٤٠ ملليمتر . الذكر أجزأؤه العليا سمراء وذقنه
وزوره وصدره حراء برتقانية وبلنه أبيض والأنتى كالذكر ولكنها أبهى ولونا وأقل إحترارا على الصدر

(المنفى الأسمر)

كثير جدا أثناء رحلة الربيع ولكنه في الخريف أقل عددا - طوله ٦ بوصات ونصف تقريبا أي ١٦٥
ملليمتر . والذكر والأنتى متشابهان . أجزأؤه العليا وذيله سمراء محمرة وأجزأؤه السفلى بيضاء مشربة رمادي
في الصدر وبلون طفلي في البطن

(عصفور أبو رقة بيضاء)

يكثر في كلتا الرحلتين - طوله ٦ بوصات تقريبا أي ١٥٢ ملليمتر . وذكره تاج رأسه ضارب إلى
للون الرمادي وظهره أسمر وأجزأؤه السفلى بيضاء تخالطها طفلية وأشاء أكبي لونا

(عصفور أبو رقة بيضاء الصغير)

يكثر في الربيع والخريف ويبقى منه قليل في مصر أثناء الشتاء - طوله ٥ بوصات تقريبا أي ١٢٧
ملليمتر . والذكر والأنتى متشابهان . أجزأؤه العليا سمراء رمادية ويمتد بالعرض . في عينه خط قائم
وأجزأؤه السفلى بيضاء تقريبا

(المنفى الأخضر)

كثير جدا من نوفمبر إلى مارس - طوله ٤ بوصات تقريبا أي ١٠٢ ملليمتر . والذكر والأنتى متشابهان
وأجزأؤه العليا سمراء مخضرة وأجزأؤه السفلى بيضاء مخضرة

(عصفور الصفصاف المنفى شكل ٢)

يكثر أثناء رحلة الخريف - طوله ٤ بوصات
ونصف تقريبا أي ١١٥ ملليمتر . والذكر والأنتى
متشابهان وأجزأؤه العليا سمراء تخالطها خضرة أجزأؤه
السفلى بيضاء مصفرة



(المنفى الأسمر)

يكثر في رحلة الربيع - طوله ٤ بوصات ونصف
تقريبا أي ١١٥ ملليمتر . الذكر والأنتى
متشابهان أجزأؤه العليا خضراء ولون زوره وصدره أصفر ليموني وبلنه أبيض حريري

(شكل ٢)

(المنفى الأحمر)

يكثر من إبريل إلى سبتمبر - طوله ٦ بوصات ونصف تقريبا أي ١٦٥ ملليمتر . الذكر والأنتى
متشابهان . أجزأؤه سمراء محمرة وذيله بين الحرة وكل ريشة منه مقمعة بسواد وبياض ماعدا الريشتين
الوسطيتين فكل منهما حراء برمتها والأجزاء السفلى بيضاء طفلية

(عصفور صوف المنفى)

يكثر جدا من مارس إلى أكتوبر - طوله ٤ بوصات ونصف تقريبا أي ١١٥ ملليمتر . والذكر

والأشئ متشابهان • عاليه أسمر ترابي باهت وسفليه أبيض طفلي

(عصفور البوص للمغنى)

يكثر في كلتا الرحلتين • ويبقى منه قليل في القطر المصري أثناء الشتاء - طوله ٥ بوصات وربع
تقريبا أى ١٣٣ مليمترًا والذكر والأشئ متشابهان. أجزاءه العليا سمراء والسفلى طفلية كبريئة وطفالية محمرة

(عصفور البرسيم للمغنى)

يكثر في مصر ويعيش في المزروعات - طوله ٣ بوصات تقريباً أى ٧٦ مليمترًا • ذكره وأنثاه
متشابهان • أجزاءه العليا سمراء ضاربة الى الصفرة ومخططة بسواد • وأجزاءه السفلى طفلية وذيله مغمم
بسواد وياض

(المغنى أبو ذيل طويل)

يكثر في مصر ويعيش في المزروعات - طوله ٤ بوصات ونصف تقريباً أى ١١٥ مليمترًا • والذكر
والأشئ متشابهان • أجزاءه العليا سمراء مخططة بسواد وأطراف ريش الذيل مخططة بخطوط عرضية سوداء
وبياض والسفلى بياض تقريباً

(أبوفصادة شكل ٣)



(شكل ٣)

يكثر جدًا في مصر فما بين أكتوبر ومارس ويبقى بعضه الى ابريل - طوله ٦ بوصات ونصف تقريباً
أى ١٦٥ مليمترًا • والذكر والأشئ متشابهان تقريباً • وجهته بياض • تاج رأسه أسود والأجزاء العليا
رمادية والسفلى بياض بها رقعة سوداء على الزور

(أبوفصادة الأصغر)

يكثر جدًا في الربيع والخريف ويبقى بعضه في القطر طول السنة - طوله ٦ بوصات تقريباً أى ١٥٢
مليمترًا • الذكر رأسه زرقاء رمادية والأجزاء العليا سمراء مخضرة والأجزاء السفلى جميعها صفراء زاهية
والأشئ أجزاءها العليا سمراء والسفلى بياض. تخالطها على الطن صفرة

﴿ عصفور البيت أبو زور أحمر شكل ٤ ﴾



يكثر جدًّا من أكتوبر إلى إبريل - طوله ٥ بوصات
وصف تقريباً أي ١٤٠ ملليمتراً • الذكر أجزاءه العليا
سمرراء مخططة بخطوط سوداء وطفلية • لون زوره وأعلى صدره
أحمر وباقي الأجزاء السفلى بيضاء مخططة ومبقعة بسوداء • والأنثى
شبيهة بالذكر سوى أن زورها فقط هو الأحمر وفراخ هذا العصفور
ليس بها حرة أصالة

﴿ عصفور البيت ﴾

(شكل ٤)

يكثر جدًّا في الربيع والخريف طوله ٦ بوصات ونصف
تقريباً أي ١٦٥ ملليمتراً • الذكر والأنثى متشابهان • أجزاءه العليا سمرراء رمالية والسفلى طفلية صفراء

﴿ عصفور بيت الماء ﴾

يكثر أثناء أشهر الشتاء ويبقى بضه إلى إبريل - طوله ٦ بوصات تقريباً أي ١٥٢ ملليمتراً والذكر
والأنثى متشابهان • أسمر الأعلى • أبيض كالب من الأسفل • معلم على الصدر بخطوط سمرراء والأجزاء
السفلى في الربيع مشربة بلون طفلي محمر زاهٍ

﴿ الصغير ﴾

تمرّ بالقطر منه جوع كثيرة أثناء الرحلتين - طوله ١٠ بوصات تقريباً أي ٢٥٤ ملليمتراً • الذكر
أصفر ذهبي إلا ريش أذنيه وأجنحته ومعظم الذيل فاتها سوداء جميعاً • والأنثى وفراخه خضراء الأجزاء
العليا بيضاء رمادية الأجزاء السفلى مخططة بخطوط سوداء كناية

﴿ عصفور آكل النباب شكل ٥ ﴾



(شكل ٥)

يكثر أثناء الرحلتين - طوله ٦ بوصات
تقريباً أي ١٥٢ ملليمتراً • والذكر والأنثى
متشابهان • الأجزاء العليا رمادية سوداء تاج
رأسه مخطط بخطوط سمرراء والأجزاء السفلى
بيضاء مخططة بسمررة على الصدر

﴿ عصفور آكل النباب أبوطوق أبيض ﴾

يكثر أثناء رحلات الربيع - طوله ٥ بوصات
تقريباً أي ١٢٧ ملليمتراً • الذكر جهته وطوقه
أبيضان وبقية أجزائه العليا سوداء والأجنحة
مسودة تقطعها خطوط بيضاء • والأجزاء السفلى
بيضاء • والأنثى كالمذكر سوى أن السواد في الذكر
يقابله سمررة في الأنثى

﴿ القنبرة الافرنجية شكل ٦ ﴾



(شكل ٦)

نكثرت بالقطر أثناء أشهر الشتاء -
طولها ٧ بوصات ونصف تقريبا أى
١٩١ ملمترا. والذكر والأنثى متشابهان
• الأجزاء العليا سمراء رمادية مبهمة
بسمرة قاتمة • وأجزاءها السفلى مبيضة
• زورها ورقبتها مخططان بسمرة والذيل
أسمر وأبيض

﴿ القنبرة أم الشوشة ﴾

كثيرة مستوطنة - طولها ٦ بوصات
ونصف تقريبا أى ١٦٥ ملمترا •
والذكر والأنثى متشابهان الأجزاء العليا

سمراء ومبهمة بسواد والسفلى بيضاء كاية مخططة بسواد وتختلف شدة اللون تبعاً للأماكن التي تسأها هذه
القنبرة فأغقمها يوجد في أراضي الدلتا القنية وأفتحها يوجد في الأرض الرملية مثل جهات وادى التطرون

﴿ القنبرة الصغيرة ﴾

كثيرة كثرة هائلة أثناء الرحلتين وترى أحيانا في الشتاء ويبقى قليل منها يتوالد في مصر أثناء أشهر الصيف
طولها ٥ بوصات تقريبا أى ١٢٧ • للمتما • والذكر والأنثى متشابهان • الأجزاء العليا سمراء رملية
مبهمة بسواد • تاج رأسها أشد حرة • والأجزاء السفلى بيضاء تقريبا • وتوجد رقعة سوداء صغيرة على
جانبي الرقبة • والذيل أسمر وأبيض

﴿ الوروار الافرنجى شكل ٧ ﴾



(شكل ٧)

تمر بمصر منه جوع كثيرة أثناء الرحلتين - طوله ١١ بوصة ونصف تقريبا أى ٢٩١ ملليمترًا والذكر والأنثى متشابهان والأجزاء العليا صفراء مسمرة والدقن أصفر . بحافته السفلى شريط أسود وباقي الأجزاء السفلى خضراء مزرقّة والرشتان الوسطيان من الذيل أطول قليلا

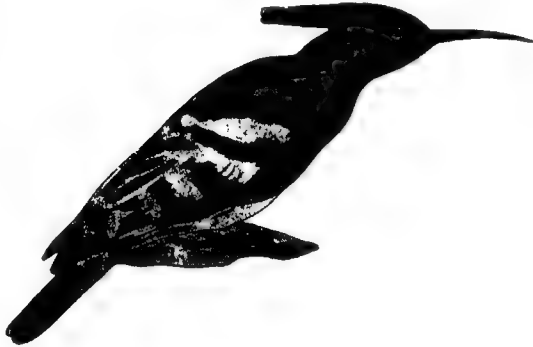
(الوروار المصرى)

يكثر في مصر من الصف الثاني من مارس الى سبتمبر - طوله ١١ بوصة ونصف تقريبا أى ٢٩١ ملليمترًا . والذكر والأنثى متشابهان ورشّه جيهه أخضر زرعى ماعدا زوره فانه أصفر محمّره خط أسود قاطع عرض العين وتوجد على جانبي وجهه رقع بيضاء وزرقاء والرشتان الوسطيان من الذيل أطول قليلا

(الوروار الصغير)

كثير مستوطن في القاهرة ومايلها جنوبا - طوله ٩ بوصات ونصف تقريبا أى ٢٤٢ ملليمترًا . والذكر والأنثى متشابهان ورشّه جيهه أخضر زرعى ماعدا خط أسود قاطع عرض العين وتوجد رقعة حمراء كابية في الجناح عند نشره والريش الأوسط لذيله أطول كثيرا

(المهدد الأفرنجى شكل ٨)



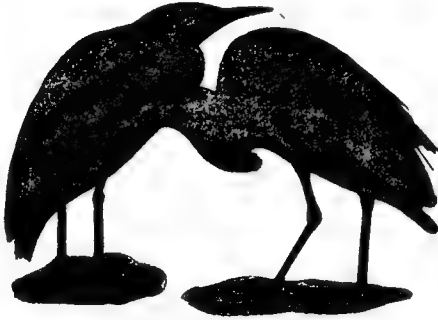
(شكل ٨)

كثير جدا أثناء رحلتى الربيع والحريف - طوله ١٢ بوصة تقريبا أى ٣٠٥ ملليمترات . والذكر والأنثى متشابهان إلا أن الذكر أكبر منقارا . الرأس والرقبة كايا الاحمر . والعرف كبير معتدل أحر مقع بسواد وبياض . والזור والصدر أحمران قرنفليان . والبطن مبيض . والظهر أسمر . والذيل والجناحان سود مخططة بخطوط عرضية عريضة بيضاء وطفلة

(المهدد المصرى)

كثير ومستوطن - طوله ١٢ بوصة تقريبا أى ٣٠٥ ملليمترات . يخالف المهدد الأفرنجى الرحلة في كون مقاره أطول وأكثر نحافة ولونه أكي قليلا

(أبو قردان شكل ٩)



(شكل ٩)

مستوطن في مصر . كان فيما مضى كثير جدًا - طوله ٢٠ بوصة تقريباً أي ٥٠٨ . مليمترا .
الذكر والأنثى متشابهان . الريش كله أبيض إلا في موسم الرقاد حيث يرى أن قبة الرأس والرقبة
تكون مخلاة بريش طفلي اللون شعري القوام

(المنز)

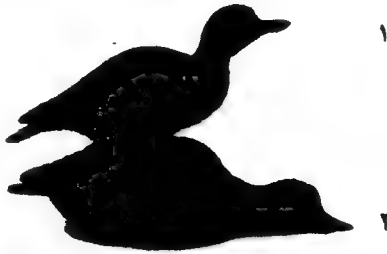
في أثناء رحلة الربيع يمر عدد عظيم بالقطر للمصري ويبقى عدد قليل منه طول الصيف غير أن هذه
الفصيلة لا يعرف عنها أنها ترقد في هذا القطر . أما العودة أثناء الخريف فانها أقل وضوحاً من رحلة القدوم
في الربيع . الطول نحو ٤٢ بوصة أي ١٠٦٧ مليمترا . الذكر والأنثى متشابهان . الريش كله
أبيض إلا ريش الجناح فانه أسود مرصع بألوان رمادي . للنقار والرجلان حمر

(الكروان الجبل (شكل نمرة ١))

كثير مستوطن يعيش في الصحراء - طوله ١٧ بوصة تقريباً أي ٤٣٢ مليمترا . الذكر والأنثى
متشابهان . الأجزاء العليا سمراء رميلة مخططة بسواد . ويرى في الجناح في حالة انقباضه خط عرضي ضيق
مبيض . الزور أبيض وكذلك خط تحت العين . الصدر طفلي مخطط بسواد . البطن مبيض والعين
واسعة صفراء

(الكروان البني (شكل نمرة ٢))

كثير مستوطن يعيش غالباً في المدن ويعيش عادة على أعلى المباني - الطول ١٧ بوصة تقريباً أي
٤٣٢ مليمترا . الذكر والأنثى متشابهان يخاف الجبل في كون لونه أبيض وأشد رمادية وفي كون جناحه
يكون خالياً في حالة انقباضه من الخط العرضي الأبيض الواضح



(شكل ١٠)

﴿ الزقراق الملقوق ﴾

يكثر في البقاع الرطبة والأراضي المغمورة بالمياه طول الحريف والشتاء ويبقى قليل منه في القطر ويمش ويروح في أماكن مناسبة - طوله ٦ بوصات ونصف تقريبا أي ١٦٥ ملمترا . الذكر والأنثى متشابهان أجزاؤه العليا سمراء باهت وجهته سوداء في وسطها غرة بيضاء وريش أذنه أسود وله طوق أسود وعلى قفاه شريط أبيض وأجزاء السفلى بيضاء

﴿ الزقراق الشامي ﴾

يكثر في أشهر الشتاء - طوله ١٢ بوصة ونصف تقريبا أي ٣١٨ ملمترا . الذكر والأنثى متشابهان تلج الرأس والعرف أسودان غضفران والأجزاء الدنيا خضراء معدنية ذات انعكاسات أرجوانية ومعدة قليلا بلون لؤلؤ . والتدليل أبيض به شريط أسود عريض . والبطن أبيض وخرقاني للذنب كستنية باهتة

(الزرقاق البلدى (شكل ١١))



(شكل ١١)

كثير مستوطن في الأماكن الماسة له في معظم مديريات القطر - طوله ١٢ بوصة تقريبا أي ٣٠.٥
مليمترات . الذكر والأنثى متشابهان . لون قبة الرأس والقفا والزرور والصدر أسود . ولون جانبي الرأس
والرقبة والبطن أبيض والأجزاء العليا سمراء وريش الأجنحة معلم بسواد وبياض واضحين والذنب أسود
ذوقاعدة بيضاء وحديقة العين قرمزية انتهى الاجال فهناك تفصيل التفسير لهذا السورة

(أقسام هذه السورة ست)

- (القسم الأول) رؤيا الى يوسف عليه السلام من أول السورة الى قوله - آيات للسائلين -
- (القسم الثاني) أذى اخوته من قوله - إذ قالوا ليوسف وأخوه - الى قوله - وكانوا فيه من الزاهدين -
- (القسم الثالث) قصته في بيت العزيز من قوله - وقال الذي اشتراه من مصر - الى قوله - وليكونن
من الصاغرين -
- (القسم الرابع) قضيته في السجن من قوله - قال رب السجن أحب الي - الى قوله تعالى - إن
ربي غفور رحيم -
- (القسم الخامس) تنظيمه للخزائن المصرية من قوله - وقال الملك اتوني به - الى قوله - ادخلوا
مصر إن شاء الله آمنين -
- (القسم السادس) خاتمة السورة وحكمها ومعانيها من قوله - ورفع أبويه على العرش - الى آخر السورة

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الر • تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ • إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ • نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ • إِذْ قَالَ يُسُوفُ لِأَيِّهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ • قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ • وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّ عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • لَقَدْ كَانَ فِي يُسُوفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ •

(التفسير اللفظي)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(الر) تقدم الكلام عليه في أول آل عمران • يقول الله (تبارك) أي الآيات التي أنزلت عليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في الحجاز العرب وفي لجة السائلين منهم بارشاد اليهود قائلين لم اتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وماضى يوسف (إنا أنزلناه) هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف عليه السلام حال كونه (قرآنا عربيا) وبعض القرآن يسمى قرآنا لأنه اسم جنس يقع على البعض وعلى الكل - ولو كان أمجيا لقالوا لولا فصل آياته - أأنجمي وعربي (لعلكم تعقلون) أي فهمون أيها العرب وقد نزل بلسانكم (نحن نقص عليك أحسن القصص) والقصص إما مصدر بمعنى الاقتصاص وإما بمعنى للفعول فيراد به المقصود كالسلب بمعنى السلوب فيقال نبين لك أحسن البيان لأنه جاء على أبداع الأساليب أو أحسن الذي يقص لما فيه من الجانب والحكم والآيات والقوائد النافعة في الدنيا والدين كبير الملوك والممالك وحسن السياسة وتدير الملك وإقامة العدل ونظام الدولة ومكر النساء والاصطبار على الأذى والعفو والتجاوز عن هفوات الأقارب واشتقاقه من قص - أثره إذا تصفان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يتبع القاص الأثر شيئا فشيئا وقوله (بما أوحينا إليك هذا القرآن) أي بإحساننا إليك هذه السورة (وان كنت من قبله لمن الغافلين) أي انه أي الشأن أو الحديث كنت من قبل إيماننا إليك من الجاهلين به لأن هذه القصة لم تقرأ سمعت ولم تخبر بك وإن عطفة من التثنية واللام فارقة (إذ قال) بدل اثنال من أحسن القصص إذا كان مفعولا به وهو بمعنى المقصود فأما إذا كان بمعنى الاقتصاص وهو المصدر فيكون إذ منصوبا بإخبارنا ذكر • يقول الله قال (يوسف) بتخيل السين (لأبيه) يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (يا أبت) بثلاث التاء فانضم لاجرائها مجرى الأسماء المؤنثة بالثاء وفتحها لأنها أصلها - يا أبتا - وكسرهما لأنها عوض عن حرف يناسب الكسرة (إني رأيت) في المنام فهمون الرؤيا لامن الرؤية (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) نزلن من أمانكنهن وسجدن لي سجدة التحية والنجوم في التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستأن بهم كما يستأن بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه وإميل وقوله (رأيتهم لي ساجدين) استئناف لبيان الحال التي

رأيهم عليها وأجريت مجرى العقلاء لوصفها بالسجود وهو من صفاتهم . ولقد كان يعقوب شديد الحب
 ليوسف لأن الجمال والفكاه مما يضلحف الحب في البنين والبنات كما يحب الناس جمال زهر الورد ويقل
 الثقاتهم زهر السنط والصفاف . ولقد قال علماء الحكمة (إن جمال الظاهر بانتظام العين والأذن
 والشم والذوق . وحسن اتسافها دالة على جمال الباطن بالغة والحكمة والشجاعة والعدالة) فالإنسان
 شغوف بالجمال فأبناؤه لأن نفوس الناس تشتهي بحمال بواطن من حسنت ظواهرهم ولتلك حسده اخوته
 وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها أن اخوته وأبويه يخضعون له (قال) يعقوب
 (يا بني) تصغير ابن الشفقة ولعمر السبع وكان ابن اثني عشرة سنة (لا تخلص رؤياك على اخوتك فيكيدوا
 لك كيذا) فيحتالوا لاهلاكك حيلة واللام في لك صلة كما قول نصحتك ونصحت لك تخاف عليه حسدهم
 وبنيهم والرؤيا في المنام كالرؤية بالبصر وسيأتي إيضاح الكلام عليها قريبا (إن الشيطان للإنسان عدو
 مبین) ظاهر العدواة كما فعل بآدم وحواء . وفي صحيح البخاري قال عليه السلام (إذا رأى أحدكم الرؤيا يحياها
 فاما من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها وإذا رأى غير ذلك مما يكره فاما ما من الشيطان فليستعد
 بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها لأحد فانها لن تضره) ومعنى انها من الشيطان أنه يحضرها أو
 أنها تسره ففى من الله خلفا ولكن نسب للشيطان مجاز لأن كلاما من عند الله . ويقال الرؤيا اسم
 للحبوب والحلم اسم للأسكروه . وقد أخذ العلماء من مجموع الأحاديث أن الإنسان لا يحدث بالحلم وليتوذي الله
 من الشيطان الرجيم من شرها ويقل ثلاثا وليتحوّل الى جنبه الآخر فانها لا تضره وهذه تكون سببا لعدم
 ضرره كما جعلت الصدقة لوقاية المال وغيره من البلاد (وكذلك يجتنبك ربك) يقول الله تعالى وكأرفع الله
 منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يصطفيك ربك ويخلك بفيض إلهي فتكون نبيا وملكا
 وتكون لك أنواع الكرامات بلاسى منك وتلهم الخير إلهاما . ثم ابتداء كلاما خارجا عن التشبيه السابق
 فقال تعالى (ويعلمك من تأويل الأحاديث) أى تأويل الرؤيا فان كانت من أحاديث الملك كانت صادقة أو
 من أحاديث النفس أو للشيطان كانت كاذبة كما سأوضحه قريبا وتأويل كتب الله تعالى وسنن الأنبياء وكلام
 الحكماء . والأحاديث اسم جمع للحديث وهوليس بجمع لأحدوته . وسعى تعبيرا للرؤيا تأويلا لأنه يقول أمره
 الى ما رأى في منامه وكان يوسف عليه السلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقوله (ويتم نعمتي عليك) أى بالنبوة
 (وعلى آل يعقوب) وذلك بأن وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة فهم أنبياء في الدنيا وملوك في الآخرة في
 أعلى درجات الجنة وآل معناه أهل ولكن الأول يستعمل فيمن له خطر كآل النبي فلا يقال آل الجاهل وآل
 العصاة وإنما يقال أهل وآل يعقوب سائر بنيهم ولقد دلّ على شرفهم بضمه الكواكب (كما أتمها على أيوبك
 من قبل ابراهيم واسحق) فجعلها نبين (إن ربك عليم) بمن هو أهل للاجتماع (حكيم) يصنع الأشياء
 مواضعها (لقد كان في يوسف واخوته) أى في قصتهم وحديثهم (آيات) دلائل على قدرة الله وحكمته وعلى
 نبؤتك (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم واخوة يوسف هم أولاده العشرة (يهوذا . روبيل . شمعون .
 لاوى . زابلون . يشجر) وأتهم ليا بنت ليان وهى ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من سريتين أربعة
 أولاد وهم (دان . نفتالى . جاد . آش) ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف
 وبنيامين فهؤلاء هم الأسباط بنو يعقوب وعددهم اثنا عشر فسته من ليا وأربعة من سريتين اسم احداها
 زلفة والأخرى بلهة واثنتان من راحيل أخت ليا بنت ليان بسموت أختها أوكات معها على رأى ولقد دهش
 اليهود الذين قالوا للعرب ساهو عن سبب انتقال ولد يعقوب من أرض كنعان وعجبوا كيف يذكرها القصص
 الموافق لما في التوراة ولا علم بالكتب ولم يجالس الأخبار ولا العلماء . وأيضا في هذا عبرة وعظة في عجائب
 هذه القصة من صبر وحلم وحزن وعفة وسجن وملك وصفح . فكل هذه آيات للسائلين ودلائل للمكرين

وفي هذا المقام لطائف

(الطيفة الأولى) في قوله تعالى - نحن قصص عليك أحسن القصص الخ -

(الطيفة الثانية) في استطلاع البشر الى معرفة الغيب وغرلهم به وأن منه العرافة ومنه الرؤيا وأن فيهما الصادق والكاذب

(الطيفة الثالثة) في الحسد وأسبابه

(الطيفة الأولى في قوله تعالى - نحن قصص عليك أحسن القصص -)

اعلم أن الله عز وجل لما ذكر في سورة هود عجائب صنعه وبدائع حكمته في خلقه وجعل مناط التفكير فيها النظر في الدواب وسعة علم الله ثم أن ملكه ثابت على مقتضى العلم والحكمة وإذا كان ملك الله ودوامه إنما كان لثبته على العلم هكذا لا دول ملك الأمم إلا بالعلم الذي يتألوه . وكل ملك لم يؤسس على العلم آيل للزوال السريع . ولما كان علم الله لانهاية له كان ملكه لانهاية له معروفة وعلم الناس محدود . ولذلك كان ملكهم محدودا . هذا بعض ما يؤخذ من سورة هود وقد فاني أن أذكر هنا هناك ثم أقول فسورة هود مدار الأمر فيها على النظام في الحيوان وعلى سعة علم الله وحكمته وقدرته ورحمته وأنه أخذ بناصية كل دابة . فأما في هذه السورة فقد فتح باب العكر الانساني والعقل الآدي كأنه يقول أيها الناس اقرؤا علوم الطبيعة والفلكيات وكل ما في الأرض والسماوات ولا يشغلكم ذلك عن القصص والخطات (وبعبارة أخرى) ليقرأ الناس علوم الطبيعة وعلوم الأدب

اعلم أيها الذكر أن هذا المقام يحتاج لشرح وإيضاح . لقد جاء في كتاب أميل القرن التاسع عشر ما يفيد أن التعليم في الأمة الفرنسية التي منها مؤلف الكتاب المذكور ناقص لأنها قصرت في تعليم الفنون الروايات والخرافات والاحاديث المستصلحة الغربية وعلى ذلك بأن الاطفال ومن يحاكيهم لا يقبلون إلا على ما يوسع الخيال ويفتح باب التصور وسعة القوة الخيالية ولن يكون ذلك إلا بالروايات للدهشة الموسمة للخيالية المخالفة للحقائق المعروفة . وأيد ذلك بما يصنع الانجليز في بلادهم وأن الاطفال والشيوخ الذين لم يتعلموا يحضرون مجالس خاصة في محال تفتح لهم وفيها تكون تلك الخرافات وضرب أمثالا لتلك مثل الفتاة التي طلب أبوها أن يتزوجها واقترحت عليه ثوبا يكون الشمس وثوبا يكون القمر وفي آخر الامر اقترحت عليه أن يذبح حماره ففعل كل ذلك وليست جلد الحمار هذا الجلد يخفيها عن الأنظار والذي أرشدنا لهذا الاقتراح جنية . وأمال في ذلك بأمثال لا عمل لذكرها هنا . وإنما أقول ان هذه الخرافات قد وضعت بين عقلة الجهال من البشر لحكمة من الله دبرها . يقول وأن هذه الخيالات الكاذبة توسع القوة الخيالية حتى إذا مارعع الشاب اقتنحت بصرته للعلوم الطبيعية والفلكية فتصل ذهنه فتذهب تلك الخرافات من عقله ويتم له الكمال . هنا رأيه

ولقد اطلعت على خرافات منقولة عن البابان وقد ذكروا مع كل واحدة منها للأطفال أن هذه خرافة أما هذا الفرنسي فانه يقول يجب أن لا تنقص على الصبي بأن هذه لاحقيقة لها ولندعه يفرح بها حتى إذا كبر الصبي عرف الحقيقة

هذا ما وصل اليه من علم الأمم حولنا في هذا المقام . فلنرجع الى ما نحن فيه ولننظر في القصص وأحسن القصص . يقول الله - نحن قصص عليك أحسن القصص - وهذا يفيد أن القصص فيه حسن وأحسن والله قصص الأحسن . ولا جرم أن الناس يقصون الحسن والريء وهذا فتح باب للحكايات والروايات والقصص ما بين صادة وخيالية . ولقد كانت أمة بني اسرائيل مغرمة بالقصص والحكايات ومنها ما هو ضرب أمثال . وكان يروي بحديث أصحابه عقلة الليل . ومن ذلك حديث أم زرع الطويل الذي اعتنى كبار العلماء

والمحدثين بشرح معناه وألفاظه الثغوية الأنيقة وكان **يقول** حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ولعل القصد أن يكون الحديث خاصا بما يقيد علما وحكمة وماعدا ذلك فهو لعل الحديث . وقد وجدنا أثنا الاسلامية قد خلفت لنا آثارا من الروايات كألف لية وليلة وكتاب (كليية ودمنة) وروايات كثيرة فيها ما هي عاتية ومنها ما هي بالغة العربية . ولقد نجد قصة عنتره وغير عنتره وكل ذلك شهادة بأن أثنا نهضت نهضة واسعة النطاق . ولقد نجد في كتاب (كليية ودمنة) من المأثورات الجارية على لسان البهائم ما يملك الحكمة والسياسة والأخلاق والمواعظ والعبر وكل ما فيه جمل على لسان ما لا يقل

فأما كتاب ألف لية وليلة فإنه جار على ألسنة الناس وفيه المبالغات وحديث العفاريات والجن والشياطين وما أشبه ذلك من الخرافات ومع ذلك نجد فيه ما يوسع الخيال كما ترى في قصة السندباد البحري وحديثه مع السندباد البري وكيف يقص عليه من أبناء سياحاته السبع وكيف كان في كل سفرة منها يلاقى من الأهوال والمصائب ما لا يطيقه إلا الأبطال . وكيف يقص عليه نأ تلك البضعة التي هي كفة كبيرة جدا وقد جاء الرخ وجثم عليها وكيف ربط نفسه في رحله وهو لا يحسن به كأنه يرغوث على جسم انسان وهكذا كيف رمته المقادير فوق الجبال وفي الأودية وكيف ربط نفسه في قطعة اللحم التي التصق بها الانكاس فرفعه الطير إلى أعلى الجبل وكيف وصل إلى أشجار الصندل فأتخذ منها سفينة وجرت به في البحر ونحت الجبل في الماء وكيف كانت هذه السفينة تجارة وهو لا يدري وهكذا من شياطين يطرون به وما أشبه ذلك مما دونه أسلافنا في كتبهم وتركوه إلى خلفهم ليطالعوا عليه وينفثوه ويفكروا فيه . فاما الأئمة الاسلامية فانها على مذاهب شتى

فاما الفقهاء وأهل الدين فاتهم كانوا منذ قرون كما هو مشاهد الآن ينعون التلذذ أن يقرأ إلا كتب الدين وعلوم النحو والصرف وما أشبهها والطالب يحقر كل ما عدا ذلك لأن أستاذه يحقره . فاما تلك الكتب فقد بقيت عند العامة والجهلاء . ثم إن علماء أوروبا قد اعتنوا بها وبحوثها وفسروا فيها ووجدوا أن كتاب (ألف لية وليلة) نافع لهم فترجموه وقد اطلعت عليه باللغة الانجليزية وأقوا كتب أخرى يسمونها (الليالي العربية والليالي العربية الجديدة) وقال بعض كتابهم الذين نبغوا في قومهم اننا لم نصل لهذه القوة إلا من قراءة كتاب (ألف لية وليلة) ومعنى هذا أنه قرأه في صفه وقرأ العلوم الطبيعية في كبره

فاما الاقتصار على أمثال هذه الكتب فإنه يجعل المرء كثيرا الخرافات مصدقا بالترهات . وهذا وعلى ذلك جاءت هذه السورة عقب سورة هود التي أعلنت شأن علوم الطبيعة ليبين الله أن القصص شأنها عظيم ولعمري لادين ولائمة تقوم لها قائمة إلا بضرب الأمثال والروايات والحكايات المنصتات للنفوس للرقيات للخيال

(كيف كانت قصة يوسف أحسن القصص)

وانما كانت قصة يوسف أحسن القصص لأنها جمعت بين ما يوسع الخيال من اللهاجج العجيبة وما يوضح الحقيقة (وبعبارة أخرى) ان العلماء أباحوا الخرافات لترقية الأمم بل جعلوها من الأمور اللازمة وذلك لتوسيع الخيال . فهذه القصة مع ما فيها من توسيع الخيال جاءت مطابقة للحقيقة لأنها تذكر أمورا جرت فليس يعقوب ويوسف وأخواته ووجودهم في مصر أمرا خياليا بل هو حقيقة تلزجعية معروفة . وليس ككليية ودمنة التي هو حسن حقا ولكنه ليس أحسن لأنه يأتي بمحادثات الحيوان مما لا ينطبق إلا على الانسان كحكاية السمكات الثلاث اللاتي اختلفن في الرأي لما حبل بينهن وبين ماء النهر فأما الأخرم فيمن فاتها فترت بسرعة من مكانها إلى النهر وأما الحازمة فاتها لما أحاط بها الخطر تماوتت وعلمت على وجه الماء كليية فرماها الصيادون وأما الفية فاتها لم تفكر حتى أخذها الصيادون فان هذه الحكاية وأمثالها قد استحسناها العقلاء ودرسها جميع الأمم . ولكن قصة يوسف أحسن لأن أشخاصا حقيقيين ووقائعها صحيحة وفيها الحكم والمواعظ التي لا يراها الانسان في قصة أخرى حتى ان قصة يوسف في التوراة ليس فيها من الطلاوة والأخذ بالألباب

والطاعات والخشعة على مكارم الاخلاق مثل ما في القرآن . فهذا معنى كون هذا أحسن القصص

(كيف تربى أوروبا أبناء الشرق)

لقد علمت أيها النكبي آراء علماء أوروبا في الروايات وعرفت أن للتأخرين من أممنا الاسلامية ستوا الباب في وجوه الطلبة فوقفت العقول وستت الطرق . فلما دخل الانجليز بلادنا زادوا الطين بلة فقالوا لا تقرأوا الروايات فلنفسنا خرافات وقد علمت أن هذه تليق للأطفال ولصغار العقول ثم هم قتلوا علوم الطبيعة بحيث لا يعرف الطالب ما جاء في سورة هود من النظر في الحيوان وأنواعه ولا في عجائب صنع الله تعالى . فهذا الباب أقفل إلا قليلا وذلك على الكبار وهكذا الأطفال منعوهم عما يرقى الخيال ثم جاؤا بروايات (شكسبير) ليقرأها الكبار بدل الصغار وكذلك بعض روايات عربية مترجمة الى لغتهم من ألف ليلة وليلة وجملوها للكبار ليشتغلوا بها مما يجب أن يكون للأطفال وذلك لاضعاف العقول وموت النفوس . هذا ما أردت ذكره في هذا المقام ليقف عليه العلماء بعدنا فيبحثوا فيما يصلح للأمة وما يصلح فينظموا التعليم على ما ينفع العباد واتى قبل أن أغادر هذا المقام أن أرى أحد الفضلاء أخبرني أنه كان يخاف من خياله فلما قرأ قصة عنتر أصبح شجاعا وصار لا يخشى من أعظم الاشياء وأهولها . ولما حضر الى مصر الاستاذ (ادوارد براون) الانجليزى وسمع قصة عنتر تأسف وقال ان العوام عندكم خير منهم عندنا فانهم يسمعون مكارم الاخلاق والشجاعة في هذه القصة وهم يفهمونها فترى أخلاقهم وعقولهم ثم أخذ قصيدة منها بالقونوغراف وأسعنى صوته فكان عجبا جدا وهي التي فيها هذا البيت

إياك والفتشاء لا تنطق بها • مادمت في هزل الكلام وجدته

هذا ما أردت ذكره في هذا المقام

(اللطيفة الثانية)

اعلم أن الناس مفلطرون على الاستطلاع والتشوق لمستقبل أمورهم وقد يعرفون بعض المستقبل برؤيا يرونها أو بعرفان يجيهم أو بزجر أو بحال أو بشراب الحمى أو بالنظر في الاكتاف أو في الماء أو بالتنويم المغناطيسى أو بتحضير الارواح

(تحقيق هذا المقام)

اعلم أن الله عز وجل أقفل أبواب معرفة الغيب عن البشر ولم يرد ذلك إلا راحة بهم واسعادهم . ولوعلم الناس الغيب لتزلوا الى الخيض ولكانوا أحسن المخلقين . ذلك أن للره لو أطلع على الغيب وأنه بعد عشرين سنة سيكون وزيراً أو غنيا أو علما كبيرا لم يفكر يوما ما في علم السياسة ولا في جلب لئال ولا في قراءة العلم ولاذن تضع الحكمة وتذهب الحياة سدى ويجهل الناس بالمستقبل هو الذي تكفل باسعادهم لأنهم يحسبون وهم جاحلون وذلك داع حيث الى اتقان العمل والنتيجة إلا بمقمة وللمقدمة لاوجود لها مع العلم بالمستقبل فلم الناس للغيب أكبر ضرر عليهم وهم لا يشعرون . ناهيك بما يكون من اطلاع الناس بعضهم على ما في قلوب بعض من الحسد والبغض والكراهة فكيف يعيش الناس في صفاء وهم مطلعون على ذلك الخفاء والعداء والاستياء . لهذا منع الله الغيب . ولكن لما كان اقفل باب الغيب مرة واحدة يوجب اليأس من عالم أرقى من هذا العالم ويوقع في النفوس أنه لا روح ولا حياة بعد هذه الحياة أغاث الناس ببعض الرؤيا الصادقة وخصص أناسا بالاطلاع على بعض الحقائق واضحة كالأنبياء وغير واضحة مزجزة بالأبطال كالعرافين والرامالين والناظرين في الكف وفي الحمى والحاسبين في علم الزايرة . فهؤلاء كما تحققتا يأتون بحقائق وأكاذيب وهكذا الرؤيا فيها الكاذب وهو الأكثر ومنها الصادق وهو أندر من الدور كما في رؤيا يوسف عليه السلام

﴿ هل تصدق الأرواح في أخبارها عند استحضارها ﴾

هذه القاعدة لا يشذ عنها شيء فاعلم أن الأرواح التي يحضرها الناس في الشرق وفي الغرب تأتي بالصادق والكاذب . ويانه أن الذي يستحضر الروح لأجله إذا كان طالبا مالا أوجها أو عرضا دينيا أو عرضا عنه الأرواح العالية واقتربت منه الأرواح الناقصة لما كانت لها طبعه قد كرت له ما يناسب ذوقه و بشرته بمستقبل سعيد وعمر مديد ومنزل جديد وبالأبناء والعبيد . وإن كان الطالب يريد الحكمة والعلم والحقائق ولم يكن محكوما عليه بالحرمات لاذن أصابه أقبلت عليه الأرواح العالية وعلمته تعليما يناسبه . ولعمري لا فرق بين عالم الأرواح وعالم الدنيا . فالعالم يضيق بعله على من لا يبقه والناس أشكال فكل شكل يحسن إلى شكله ويألف قرينه ويهوى أمثاله . هذا ولأفضل الكلام إلى ﴿ مقامين ﴾ المرافقين في التوراة وحقيقة الرؤيا

﴿ المرافقون في التوراة ﴾

لقد كان بنو اسرائيل مغربين بالعرفاء موصوفين بمحادثة الأرواح ألا وإن أهل أمريكا وأوروبا الآن يشبهون اليهود قديما في غرامهم بمحادثة الأرواح وما كان ليخطر ببال أن بنى اسرائيل هكذا أولا ما رأيته في الاصحاح الثاني والعشرين من الملوك الاول من التوراة

ذلك أن (يهوشافاط) ملك يهوذا نزل عند ملك اسرائيل . فقال الثاني لهيئله ألا تعلمون أن (أرض راموت جلعاد) هي أرضنا ونحن عنها ساهون لاهون فلنحارب لترجمها لنا ثانيا وناخذها من ملك (أرام) ثم التفت إلى (يهوشافاط) قائلا أذهب معي للحرب فقال (يهوشافاط) شعي كشعبك وخيلي خيلك فقال أنا معكم ثم قال ملك اسرائيل أسأل اليوم عن كلام الرب لجمع ملك اسرائيل الأنبياء (المرافقين) يحوّر بعائته رجل واستشارهم فأشاروا عليه جميعا بالتوجه للحرب لاسبيا (صدقا بن كنعنة) فإنه صنع لنفسه قرنين من حديد وقال هكذا قال الرب بهذه تنطح الأريالين حتى يغنوا قال (يهوشافاط) أما بقي من هؤلاء الكهنة أحد بعد فقال ملك اسرائيل لم يبق إلا واحد وهو وحده لا يتنبأ في غير وهو (ميشا بن بمله) فأمر باحضاره فسأله فقال رأيت كل بنى اسرائيل مشتتين على الجبال تكرا في لارامي لما فقال الرب ليس هؤلاء أصحاب فليرجعوا كل واحد إلى بيته سلام ولقد رأيت الرب جالسا على كرسيه وكل جند السماء وقوف لبيه عن يمينه وعن يساره فقال الرب من يغوي (أنا ب) فيصعد ويسقط في راموت جلعاد يخرج الروح ووقف هكذا أمام الرب وقال أنا أغويه قال له الرب بماذا قال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه (ككهنته) فقال إنك تقويه وتقتدر فأخرج وأفعل هكذا والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشر فعارضه (صدقا) للثقتم ذكره فقال له (ميشا) ستري في ذلك اليوم الذي تدخل فيه من مخدع إلى مخدع لتختفي له

فحينئذ حسوه وضيقوا عليه وصعد ملك اسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا إلى راموت جلعاد فاتفق أن رجلا نزع في قوسه غير متعمد وضرب ملك اسرائيل بين أوصال الفرج فقال لمدير مركبته ردة يدك وأخرجني من الجيش لأنني قد جرحت واشتد القتال وأوقف الملك في مركبته مقابل (أرام) ومات عند المساء وجري دم الجرح إلى حوض المركبة ودقوا للملك في السامرة اه
هذه هي القصة التي لحقتها من الملوك الاول ومنها تعلم أيها التقي أن بنى اسرائيل قد شاع عندهم علم الكهانة والعرافة وكذلك تصوير الرؤيا

﴿ حكمة وتبيان لجبل سورة يوسف بعد يونس وهود في الترتيب ﴾

اعلم أن العالم الروحي والعالم الجسمي كل منهما فيه عوالم لا تنتهي بحسب نظرنا فبينما الإنسان الواحد منا نراه واحدا مفردا نجد أن له مالا يحصى من الكرات السماوية البيضاء والجرأة لا حصر بجات ملايين الملايين

وهكذا أعضاؤه ومجانيها ثم اتنا ترى النبات والحيوان لاتعتمد عجائبيهما ولاخصى وكلها خادمة للإنسان . فلتنظر نظرة في العالم الروسى فان آراءنا وأفكارنا متصلة بعوالم أكثر من العوالم للمشاهدة ولعل أرواحنا تتصل بعوالم تناسبها ومن تلك العوالم ما تراه في المنام ومنها ما جاء على ألسنة الأنبياء ومنها ما يجى على ألسنة العرافين والكهنة وغيرهم وهؤلاء الذين ذكرناهم بعد الأنبياء يصدقون ويكذبون كما أنا ترى للعوالم المخصوصة منها الضار ومنه النافع ونحن بين هذه العوالم نرى ونختبر ونميز ونرتقى في تلك التجارب

وبإعجاب لقصة يوسف التى أنزلها الله لفتح هذه الأبواب العلمية وتبين لنا كيف تكون البشارة للمؤمن في هذه الحياة الدنيا فيما مر في سورة يونس إذ قال تعالى - لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة - وورد في الحديث (ان البشرى في الحياة الدنيا هي الرؤيا الصالحة يراها الرئيل أو ترى له) فهذه السورة أرتنا أن من الناس من يفتح لهم باب السعادة بحسب استعدادهم ويظهر ذلك أوريونه في المنام وهذه الرؤيا تكون جبرى كما بشر يوسف بما هو معلوم فقال لمراه . وكل من الرؤيا وكلام الكهنة فيه الصادق والكاذب وقد ترى في كلام (مينا) للفتنم ما يوههم خلاف جلال الله وجهه فاعلم أن هذا ليس أمرا مقتسا وإنما ذكرناه لنعلم على كل حال أن القوم كان لهم المنام بالكهانة وان لم يكن هذا الكلام موزونا بميزان الشرع في التعبير

(الرؤيا الصادقة والرؤيا الكاذبة وتحقيق الكلام في هذا المقام)

اعلم أن الرؤى على أقسام (القسم الأول) ما نشأ من غلبة الدم الناجم من الاكثار من الأغذية الدموية الحارة الرطبة كالطباخ الدسمه والحلواء فتبهج الطبيعة فتبخر في السماغ بخارا حارا رطبا فيكون الصداق العظيم وفترة الحواس وقد يزداد فتحمر العين ويكون وجع الحلق وذات الجنب وورم الكبد والطحال والأمعاء والناثين ويرى في منامه الرعاف والاحتجام والدم والعاين والرقاصين (القسم الثاني) ما نشأ من غلبة الصفراء الناجمة من الاكثار من الأغذية اليابسة كالصل ولحم الكبش الحولى ونحو ذلك فتحترق الطبيعة من الجوف الى السماغ ببخار صفراوى غير معتدل فيكون صدام في الرأس وشقيقة وقلة نوم وسحارة اللس وقد يصفى اللون والعين ويكون القم مرا ويرى في منامه السيران والشمس المحرقة والصواعق والحروب ولا يزال مفتتا مهتا (القسم الثالث) للرؤيا الناشئة من البلم الناجم من الاكثار من الأغذية الباردة الرطبة للملثة بخارا رطبا يوقع فترة في الجسم ورخاوة في المفاصل وكثرة الرقي ولزوجيته ويرد الجسم وقلة شهوة الطعام أول النهار وقلة العطش وضف للمعدة وبياض البول وكثرة النوم والكسل والنسيان وأن يرى صاحبه في نومه الأمطار والمياه والأودية والاعغال والسباحة (القسم الرابع) الرؤى الناجمة من غلبة السوداء الناشئة من الاكثار من الأغذية السوداوية كالمنس والدهن ولحم البقر والباذنجان فيبتدى المرض السوداوى بفترة في البدن وشدة عطش وقلة نوم وقد يطنى المرض اذا لم يتدارك فيكون الجنام والجرب والحكة والفالج والسكنة وخفة الرأس والرعاف والتأليل والباسور والصرع والماليخوليا والقوبا والبهقة والسعال اليابس الخ ويرى في منامه الأهوال والخوف والخيالات والظلمة والأشياء السوداء المحرقة ويهرب من كل أحد ويرى الأموات ونحو ذلك وأكثر ما يقع ذلك من أكل للوحمة والجوضة والقول والمنس (القسم الخامس) أن تكون القوة الخفية في السماغ مشغولة بصور واردة عليها من الحواس مخزونة فيها . ومن خصائص هذه القوة الجيبة أنها تحلل تلك الصور وتركبها كأن تتخيل

أعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد

وكان تصور اناسنا مقطوع الرأس وهو لا يزال حيا (القسم السادس) أن تحاكي القوة المتخيلة للمذكورة ما غلب على النفس من منازعها الشهوة الطبيعية كشهوة الطعام وشهوة التزاوج والتناسل فان تلك القوة تفتزع

الأعاجيب في المنام فتقدم للنائم الطعام والشراب والأنس والأحباب والأواني والغادات مضادة ومحاكاة لما يحصل في اليان (القسم السابع) أن نحاكي تلك القوة مانغب على النفس قبل من القوة الضمنية والحجة والصبي فتخترعه تلك القوة آلات القتال ودروع الغزال وسيوفاً وحرباً ملاقات الأبطال ومدافع لكفاح الأعداء فتجسداً كان في النهار قوة كسنة في النفس ظاهراً في النوم عند تلك القوة فتفتك بأقربائهم وتجندل أعداءه وهو منصور في المنام (القسم الثامن) أن يكون البدن هادئاً كما نكلم قلب عليه الصفراء ولا السوداء ولا البلم ولا البلم ولا الشهوة البهيمية ولا القوة الضمنية ولم تزدحم معدته بالطعام فإن هذا ربما يرى في منامه وارادات من عالم العقل فترسم تلك المعاني العالية الواردة عليه وتصور بصور المحسوسات وقد تكون بديعة جداً بهيمة للنظر وقد تكون تلك الواردة عليه أقوالاً لطيفة ورموزاً لها معانٍ اجالية تخبر بامر في الحال أو الاستقبال . فهذه هي الأقسام الثمانية التي لا غلو منها أومن بعضها أصحاب الرؤى من الناس

واعلم أيها الذكر أن هذا القول ملخص مذكروه الفارابي في علم النفس وملخص ملجاء في علم الطب في هذا المقام . فهذا للمقام أصوله في فلسفة الفارابي وفي علم الطب قد فصلت لك تفصيلاً ومزجته مزجاً جيلاً وأبنته أيما تبيان . وعلى ذلك تكون الأقسام السبعة وهي حال الصفراء والدم والبلم والسوداء والصور الواردة من الحواس وغلبة القوة الضمنية والقوة الشهوية الرؤى فيها أضغاث أحلام لاتأويل لها وإنما هي نتيجة ما فاجم بالجسم من الأمزجة والأحوال . فأما القسم الثامن فإن له ضروباً شتى وأحوالاً مختلفة . فنها ما يكون واضحاً للدلالة . ومنها ما يحتاج إلى تأويل . وهذا هو الذي تكون منه الرؤيا الصادقة وهي نادرة في النوع الإنساني فأما أكثر الرؤى فانيها أضغاث أحلام وهي تلك السبع والله يعلم ولكي أكثر الناس لا يصلحون وهذا خير ما اطلمت عليه مما ذكره أهل الصل في الرؤى والأحلام والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . هذا ملجاء في الحكمة الموروث

(الأحلام في العلم الحديث)

واعلم أن أهل العلم في البلاد الشرقية كأبناء العرب بمصر ومالورها قد نسوا علوم آبائهم وضرب بينهم وبين الماضي بسور لا ياب له ولذلك تراهم يتبعون الأوروبيين اثباتاً وبقياً فلعلك تحب أن تقف على ما وصلوا إليه . أقول لك قد جاء في بعض المجلات العلمية بمصر أثناء طبع هذا الكتاب هذه النبذة التي سأذكرها وأنا موقن أنك ستعجب من أن ما نقلوه عن الأوروبيين هو نفسه ما قاله الفارابي وعلماء الاسلام الذين علوه بقدر امكانهم أما هؤلاء فانهم ينتظرون سبباً للرؤى من كلام الأوروبيين ولم يعلوه أنهم قالوا في كتب كثيرة مثل قول الفارابي والله في خلقه شؤون . وقد آن أن أسعك هذه النبذة وهي

(هل من علاقة بين الأحلام والحوادث)

نشرت إحدى المجلات العلمية فصلاً حاولت أن تشرح به مسألة الاحلام وأن تثبت أن بينها وبين الحوادث التي تقع حولنا علاقة لا يمكن انكارها وقد رأينا أن نورد فيها على خلاصة كلامها . قالت ينهل العلماء متبهي الجهد للوقوف على كنه الاحلام وحل ألغازها . ومع أن جهودهم في هذا السبيل ترجع الى أقدم الأزمنة إلا أنهم لم يكتفوا للأمر أكثرنا جتياً إلا منذ عهد قريب . وفي الواقع أن علماء نصف القرن الماضي لم يكونوا يعتقدون أن الأحلام جدرة بالبحث ولكن علماء هذا الصر ينظرون الى المسألة نظرة أخرى ويجمعون الحقائق التي تعينهم على استجلاء هذا السر الغامض . وهناك أمور ثابتة لا سبيل الى انكارها وفي مقدمتها أن حوادث كثيرة أشير الى وقوعها أو أنبئ بها بواسطة الأحلام . وهناك أيضاً ما يجب أن بعض الأحلام أوجعت في أحبابها قوة النبوة واستجلاء المستقبل مما لا سبيل معه الى امحال تلك الأحلام وعدم الاهتمام بها . فمن أمثلة ذلك ما رواه الدكتور (دى سمرين) وهو أنه حلم ذات ليلة أن

ولده الذي كان يحبه محبة فائقة وقع في نار ملتهبة واحترق وكان الحلم واضحا جدا حتى انزعج الدكتور فنهض من نومه مذعورا وذهب الى حيث كان ولده مستغرقا في سبات هنيء . وفي اليوم التالي ظن تأثير الحلم عائقا به حتى انه اخذ يراقب ولده كمن يحاول أن يرده عنه الشر ثم يضحض جسمه بكل دقة فوجده صحيح البنية لا يشكو علة ولكن الولد أصيب في اليوم الذي بعده بالتهاب الرئة الحاد وتوفي بعد بضعة أيام فهل كان حلم الدكتور (دى سمرين) من قبيل الاتفاق أم كان بينه وبين وفاة الولد علاقة ما

ومن هذا القليل ما وقع لسيدة عجوز من أهالي مدينة (فيلادلفيا) بأمریکا منذ سبع سنوات فانها حلت ذات يوم بأن ابنها (وهو رجل كهل) سقط بين محلات الترامواي وقتل فنهضت السيدة من نومها مذعورة ولما علمت أن ملامته لم يكن سوى حلم عادت فنامت ثانية ولكنها حلت مرة أخرى بأن الترامواي قد قتل ابنها وكان الحلم جليا جدا حتى انها ركبت التطار في صباح اليوم التالي وذهبت الى (نيويورك) حيث كان ابنها يسكن وما كانت تخرج من محلة (نيويورك) ومجتاز أحد الشوارع حتى أبصرت جهورا من الناس مجتمعين حول رجل ميت قد دمه الترامواي وكان ذلك الرجل هو ابنها وهو المسمى (وليم كوبر) من كبار أغنياء الأميركيين وقد شهد الكثيرون بصحة ماروته السيدة أمه إذ أطلعت الكثيرين على حملها قبل أن تسافر من (فيلادلفيا) الى (نيويورك) ومن جهة الذين شهدوا بذلك العلامة (كامليل فلامريون)

وهناك أيضا أحلام تنبيء بوقوع حوادث تافهة . فمن ذلك أن فتاة ارندية حلت ذات ليلة بأنها واقفة في إحدى مركبات السكة الحديدية وحولها أصدقاؤها وما كاد التطار يقوم حتى شعرت بأن يدا قففت إليها برزمة ففتحتها وإذا بها قطعة من المايون وأخرى من البسكويت وأرادت أن ترى ماقى بقية الرزمة ولكن التطار دخل في تلك اللحظة ففقا مظلمة ثم استيقظت . قصت الفتاة هذا الحلم على أمها وجهموم من صديقاتها كن مجتمعات حولها وبعد ثلاثة أشهر كانت مسافرة بأحد القطارات الاسكتلندية فوقع لها مرامته في الحلم تماما ودوى (شوبنهور) الفيلسوف الألماني العظيم أنه قلب ذات يوم دولة الحرب في مكتبه فندق الجرس واستدعى خادمتة لكي تنظف المكان . فلما حضرت قالت له انها كانت قد حلت بذلك الحادث تماما في الليلة الماضية فلم يصدقها الفيلسوف بل ظن أنها تهزأ به فاستدعت الخادمة خادمة أخرى كانت قد قصت عليها حلمها واستشهدت بها على صدق كلامها فصدقها (شوبنهور)

ترى مامنى هذه الأحلام وكيف نحل وقوعها وهل هي من قبيل الاتفاق أو بينها وبين الحوادث التي تقع حولنا علاقة ما . إن الكثيرين من العلماء يعتقدون اليوم أن في الامكان الانباء بالمستقبل بواسطة الأحلام . يروى عن (ادوين ريد) العالم الطبيعي الشهير أنه حلم ذات يوم أنه كان سائرا في أحد الشوارع فأبصر صليبا من الصلبان التي يضمها المسيحيون على قبورهم وينقشون عليها تاريخ أمواتهم ورأى على ذلك الصليب اسمه منقوشا كما يلي (ادوين ريد توفي في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٠)

وقد روى هذا العالم حلمه لجمهور من أصدقائه وهو ضحك وفي ٧ نوفمبر سنة ١٩١٠ توفي فهل كان من قبيل الاتفاق وهل ثمة شك في أنه كان من قبيل الانباء أو التحذير . ثم إن من الاحلام ماهو بمنزلة تحذير من ممية مقبلة . ومن هذا القليل أن ضابطا أميركيا يدعى الكاين (مكجون) قد عزم ذات يوم أن يذهب هو وولده الى مسرح (بروكلين) بنيويورك فطلب من ادارة المسرح أن تعجز له ثلاثة أماكن وفي الليلة السابعة لذهابه الى المسرح حلم أن نارا عظيمة قد شبت واتهمت المسرح فهلك ثلثائة نفس وكان الحلم جليا جدا حتى ان الرجل هب من نومه مذعورا وفراشه ترتعد وفي صباح اليوم التالي أخبر ادارة المسرح بأنه قد عدل عن الذهاب هو وولده وفي تلك الليلة حينها شبت نار هائلة اتهمت للمسرح كله وهلك بالآثار ثلثائة نفس بين رجال ونساء . وقد فحص كثيرون من العلماء حكاية هذا الحلم فشهدوا بصحته وفي مقتسمهم

الاستاذ (السروليم بارات) العالم الانجليزى الشهير

ومن الناس من قد استفاد من الأحلام فرج جوائز اليانصيب أو ألهم على الحيازة الفائزة في ميادين السباق والحوادث التي من هذا القبيل كثيرة متعددة ولكن لا يصعب أرجع معظمها الى مبدا الاتفاق الذى نسميه العلاقة المصادفة إلا اذا حمل المرء أن الرقم الفلانى من أرقام أوراق اليانصيب ربح الجائزة الكبرى وفى الواقع ربح ذلك الرقم الجائزة فان الربح في هذه الحالة لا يمكن لرجله الى ناموس الاتفاق بل يجب تعليله على وجه آخر . إن العلماء براصلون البحث لمعرفة أسرار الأحلام والوصول الى تعليلها تعليلًا علميًا صحيحًا ولا بد أن ينتهوا الى حل يحسن السكوت عليه فيثبتوا أن الأحلام ليست مجرد مشاهد تعرض للناثم بلاسب منطق بل ان بينها وبين الحوادث علاقة لاسيل الى انكارها اه

هذا هو الذى ينتقله المتعلمون في بلادنا وهم أنفسهم يسمعون في منازلهم ومن أمثالهم بمصر وغيرها أمثال هذا كثيرا ولا يعبرونه التفاتا ولا بحثا حتى اذا سمعوه من أهل أوروبا كتبوه . هذا هو الجهل واحتقار النفس وسيأتى يوم يعرف فيه الشرق أن له أحلاما وأن له عقلا وانه يفكر ويفهم ما فى نفسه وما حوله اه

(اللطيفة الثالثة فى الحسد وأسبابه)

اعلم أن الحسد لا يكون إلا بين المتشاركين في حال كالجار والصهر والقريب والمشارك لك في صناعة وتجارة أو زراعة أو إمارة أو علم أو منصب معك في مدرسة أو منزل أو شارع . وكلما ارتفع صيت الانسان حسده من يشترك في ذلك الصيت وترى العالم لا يود أن يشترك في ذلك المجد أحد . ويزداد الحسد كلما ازداد الصيت وحسن الذكر . وهذه الحيلة انما أوجدت في الانسان لطلب المجد والرفعة وعلو الشأن ولإسباق الانسان غيره في الفاضل والفضائل والمجد فترى الأحوال ويكثر العمل ويزداد العمران . وبما من خصلة تخلف في الناس إلا ولها فوائد لمنافعه ومنفعة هذه الفرزة ما ذكرناه فيجارى الرجل غيره ويريد مسابقتها وهذه تسمى (الغبطة) وهي محمودة فلما أن الانسان يسعى لازالة الفضل عن المحسود فهذا هو المنسوم . ويظهر أن هذه الأرض من العوالم المنحطة لأن الذين يسكنونها لا يتناولون الفضائل إلا مقرونة بما يؤذى ويؤلم وهل في العوالم من هو أسمى وأبقى وأرقى . ولعل أهل الأرض يوما ما يصلون الى هذا المقام . وإذا كنا نرى الأغنية فيما تقم لها أثر في أحوال الرقى والصور التي تتخللها في منامنا وهكذا يقول علماء الحيوان أن الحيات السامة لا تكون إلا حيث يكون الشب فاسدا والمستنقعات عفنة . فأما الحيات التي لاسم لها فاتها أكثر من التي لها سم وتبلغ ثلثائة نوع وهي ثلاثة أصناف التي لها سم وما لسم إلا من آثار الغذاء السيئ والأعشاب النابتة في المواضع المستوحشة فالسم إذن نتيجة الأغنية فهكذا نقول إن أرضنا طبعها هو الذى نحن عليه أى ان طبيعتها ومناعها لا يحوى إلا أناسا هذه حالهم تخلق فيهم الفضائل تكتشفها الرذائل كما يكتشف المرض الأغنية فتحدث فينا محة ياتلونها مرض فوت . هذا طبع أرضنا فالحسد فينا وغيره من طبائع هذا العالم والعلم بطبقة ويهذبها فالفيلسوف وجدنا في الأرض ليطبقنا من طباع الناس كما لطفت حرارة الشمس كل ماعلى الأرض وأثرت فيه وغما كل حيوان ونبات فنسبنا العالم والحيوانات الى غرائزنا كمنسبة ضوء الكواكب الى الخفوفات الأرضية هذا هو المقصود من ذكر حسد بنى يعقوب ليوسف عليه السلام في هذه السورة . انتهى الكلام على القسم الأول ولطائفه

(القسم الثاني)

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَيْتَانَا لِنِي ضَالَّتِ مُبِينٌ •

أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَنِيهِ قَوْمًا صَالِحِينَ • قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ • قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ • أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْبَسَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ • قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ • قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا خَلَايَرُونَ • فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ • وَجَاءُوا بِأَتَمِّ عِشَاءٍ يَبْكُونَ • قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ • وَجَاءُوا عَلَى رِجْلَيْهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ • وَجَاءَتِ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ • وَسَرَّوهُ بِسِتْرٍ نَجَسٍ ذَرَّامٍ مَمْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ •

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (إذ قالوا ليوسف وأخوه) واللام لام القسم أى والله ليوسف وأخوه بنيامين وهما من أم واحدة وهى راحيل (أحب إلى أينا منا) انما واحد أفضل لأنه إذا لم يكن فيه أل ولم يكن معناه لا يفرق فيه بين الواحد وغيره ولا بين الذكر والمؤن والحال اننا (عصبة) جماعة أقوىاء فنحن أحق بالحب من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وسموا بذلك لأن الامور تعصب بهم (إن أبانا لفي ضلال مبين) غلط بين في تدبير أمر الدنيا • وكيف يؤثر حب يوسف علينا مع صغره وعدم نفقه ونحن عصبة قوم بمصلحه من أمر دنياه واصلاح مواشيه • وكيف يترك محبة من هم أكبر منا وأكثر عددا وأشد بأسا وقوة ومنفعة وفاتهم ما قاله بعض فصحاء العرب لكسرى لما سأله أى بليك أحب إليك قال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يورث والمرضى حتى يبرأ • ويوسف كان صبغرا وفوق ذلك كانت تظهر عليه علامات النجابة والزكاء وقوى ذلك الرؤيا الهجينة الدالة على مستقبل باهر • ثم ان أفعال اخوة يوسف كانت قبل أن يوحى اليهم فيكونوا أنبياء والصمة للأنبياء بعد النبوة وثبوتها والا فالخسد من الكبار وخطاب الأب يخل ما تقدم عتوق وكل ذلك قبل النبوة التي ثبتت لهم فيها بعد (لاقتلوا يوسف) هذا من جملة ما قالوه كأنهم اتفقوا على ذلك إلا من قال - لاقتلوا يوسف - (أو اطرحوه أرضا) منكورة مهجورة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكبرها ولذلك نصبت كالظروف للمبهمة (يخل لكم وجه أبيكم) يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد بالوجه لثقات فلا يشغل عنكم شاغل في محبة وقوله - يخل - جواب الأمر وعطف عليه قوله (وتكونوا من بعده) من بعد يوسف والفرافغ من أمره أو قتله أو طرحه (قوما صالحين) مع أبيكم يصلح ما بينكم وبينه بعشر تمهيدونه أو صالحين في أمر دنياكم فإنه ينتظم لكم بخلو وجه أبيكم (قال قائل منهم) وهو يهوذا كما قيل وهو أحسنهم رأيا (لاقتلوا يوسف) فما أعظم أمر القتل (والقوة في غيابة الجب) أى قومه

سمى به لتبويته عن العيون • والحب البئر الكيرة التي لم تطل وسمى بذلك لأنه جب أي قطع ولم يطل
وفي موضع هذا البئر خلاف لأفاندة في ذكره (يلتقطه بعض السيارة) يرفعه بعض الذين يسعون في الأرض
(إن كنتم فاعلين) به شيأ أو فاعلين بمشورتى (قالوا) وقد عرفوا أن أباهم أحسن منهم بما أوجب ألا يأمنهم
عليه (يا أبانا مالك لاتأمننا على يوسف) أي لم نخافنا عليه ونحن نريده الخير ونشفيق عليه وهذا قوله (وانا
له لناصون) يريدون بذلك استنزله عن رأيه في حفظه منهم ثم رغبوه بما ضلوه قبولهم (أرسله معنا غدا
يرتج) ينسج في أكل القواكه ونحوها من الرقة وهي الخصب والسمة (ويلعب) بالاستباق والانتقال والعيد
والركض (وانا له لحافظون) من أن يناله أذى (قال إني ليحزني أن تذهبوا به) أي ذهابكم به لشدة
مفارقتهم وقلة صبرى عنه (وأخاف أن يأكله اللدب وأنتم عنه غافلون) لأنه رأى في المنام أن اللدب قد شذ على
يوسف والأرض كانت مذابة (قالوا) والله (لئن أكله اللدب) والحال انما عصبية فرقة مجتمعة مقتترة على الدفع
(إنا إذن لخاسرون) ضفاء وكيف نحفظ مواشينا من اللدب إذا أكل أئانا وأي خسارة أكبر من هدم هذه الجلة
جواب القسم أجزأت عن جواب الشرط • ثم انه أرسله معهم (فلما ذهبوا به وأجسوا أن يجعلوه في غيابة الحب)
أي عزموا على إلقائه في أسفل الحب • وهذه البئر كانت على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما تخوف
تقديره أقسموا على فعلهم وقد اتفقت رواية أكثر للفسرين أنهم لما برزوا البيرة أظهرها له الصدواة
وضربوه وكادوا يقتلوه فنهضهم يهوذا فلما أرادوا إلقاءه في الحب تعلق بياهم فزعرها من يده فتعلق بحائط
البئر فربطوا يديه ونزعوا قيصة ليلطخوه بالسم فيحتملوا به على أيهم وأدلوه في البئر وكان فيها ماء فسقط فيه
ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يكي • وكان يهوذا يأتيه بالطعام والشراب • وقد أطال بعضهم وبعضهم
اختصر • ونحن لاضئق إلا ما جاء به القرآن أو ثبت بالنسبة الصحيحة فإن ثبت بها فلا • ثم انه
لما أوى إلى الصخرة في غيابة الحب بكى لجاءه جبريل عليه السلام بالوحى كما قال تعالى (وأوحينا إليه) أي
الملاء كما في قوله تعالى - وأوحينا إلى أم موسى - (لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) فألم الله يوسف
لتخبرن أخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بأنك أنت يوسف لعل شأنك • والقصد من
هذا الإلهام تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من الهمة ويصير مستوليا عليهم
ويصبرون تحت أمره وقهره • واعلم أنه لولا ما يحسن به عظماء الرجال في نفوسهم من عزيمته صادقة وآمال
قوية وأحاديث نفسية توقع الأمل في قلوبهم ما بلغوا مقاصدهم ولانالوا ما رزقهم • ومستحيل أن يقوم عظيم
بأمر عظيم إلا بآمال نصب عينيه يرى إليها وهو اجس قوم بنفسه تسليه على مصائبه وتشدد عزائمهم وتقوى
رغائبه والا فلا أعمال ولا عظماء وليس ذلك لهم وحيا وانما هو خواطر تسليم والقلب مهبط التجلى الإلهي
- والله من ورائهم محيط - ثم قال تعالى (وجئوا أباهم عشاء يبكون) يقول الله جلأ أباهم آخر النهار بعد ما
طرحوا يوسف في الحب مجترئين على الاعتذار الكاذب • وكان ذلك البكاء حين قربوا من منزل يعقوب
وهم يهزخون فسمع أصواتهم فزعر من ذلك وخرج إليهم فلما رآهم قال بالله سألتكم يائى هل أصابكم شئ
في غنمكم قالوا لا قال فما أصابكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أي نسايق في الصدور وفى
الرمي (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله اللدب وما أنت بمؤمن لنا) وقوله - بمؤمن - أي مصئق لنا
(ولو كنا صادقين) لسوء ظنك بنا وفرط عجبك ليوسف وقوله (بم كذب) وصف بالمصدر مبالغة كأنه
نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه ولزور بذاته • روى أنهم ذهبوا سحفاً ولطخوا
القيصص بدمها وغاب عنهم أن يشقوه فقال يعقوب كيف أكله اللدب ولم يشق قيصة فاتهمهم بذلك (قال)
يعقوب (بل سؤلت) زيفت وأوسلت (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه (فصبر جيل) أي فأمرى
صبر جيل أو صبر جيل أجل وهو بالاشكوى فيه إلى الخلق (والله المستعان) أستعينه (على) احتال

(ماصفون) من هلاك يوسف (وجاءت سيارة) رقة يسرون من مدين الى مصر فترزوا قريبا من الحب بعد ثلاثة أيام من القتل فيه (فأرسلوا واردهم) الذي يتقدم الرقة الى الماء فيبي الارشية واللاء • يقال أدليت السلوا اذا أرسلتها في البئر ودلوها اذا أخرجتها فتعلق يوسف عليه السلام بالحبال وكان أحسن ما يكون من الضمان • وروى أنه أعطى شطر الحسن وهذا قوله (فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام) نادى البشرى أى هذا أوانك فاحضرى كأنه يقول لأصحابه أبشروا • وفي قراءة - يا بشرى - (هذا غلام) صاح بذلك لما دنا من أصحابه يبشرهم به (وأسروه) أى أخفى الولد وأصحابه أمر يوسف عن بقية الرقة وقالوا لهم دفعه الينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وذلك خيفة أن يطلبوا منهم الشراكة فيه بل يختص به الوارد وأصحابه دون بقية السيارة • وقيل ان يهوذا كان يأتى يوسف بالطعام كل يوم فأتاه يومئذ فلم يجد يوسف فأتوا الرقة وقالوا هذا غلامنا أتى منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه وقوله (بضاعة) حال اى أخفوه حال كونه متاعا للتجارة • والبضاعة ما يباع أى قطع من المال للتجارة (والله عليم بما يعملون) أى لم يخف عليه أسرار السيارة أو صنع اخوة يوسف بأيهم فيجعل ذلك سببا لتحقيق رؤياه حتى يسير له مجد في مصر (وشروه) يطلق شرى على البيع والشراء وكلاهما يصح هنا فيقال باع يوسف اخوته (بمن يخلص) يخلص ناقص عن القيمة قصا فاحشا (درهم) بدل من ثمن (معدودة) قليلة تعد عددا ولاوزن وزنا لأنهم كانوا يهتدون مادون الأربعين ويزنون الأربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغبهما في يده فيبيعه بالثمن الطفيف • هذا اذا جعلنا شرى بمعنى باع ويصح أن يقال وشروه أى اشتراه الرقة من اخوته وكانوا غير راغبين فيه لأنهم اعتقدوا أنه أتى • انتهى القسم الثانى من السورة

(القسم الثالث)

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا تَرْأَوْنِي أَكْرَبِي مَثْوَاهُ عَلَى أَنْ يَفْعَسَا أَوْ تَخْذَهُ وَلَكَا
وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا يُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ
وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْحَسَنِينَ • وَرَأَوْنَهُ أَتَى هُوَ فِي يَتِيمَاهَا عَنْ قَفِيهِ وَغُلِقَتِ الْأَبْوَابُ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ
مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ • وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهَ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ
رَأَى بِرُءُوسِهِ رُءُوسَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْخَالَصِينَ • وَأَسْبَقَنَا
الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْسَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْ سَنَةٍ لَقَى الْبَابَ قَالَتْ مَا جَزَاكَ مِنْ أَرْزَاقٍ بِأَهْلِكَ سَوْءًا
إِلَّا أَنْ يُسَجِّنَ أَوْ هَذَابٌ أَلِيمٌ • قَالَ هِيَ رَأَوْنَنِي عَنْ قَفِيهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ
كَانَ قَيْسُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِي فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ • وَإِنْ كَانَ قَيْسُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ
فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ • فَلَمَّا رَأَى قَيْسُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنِ إِنْ
كَيْدُكَ عَظِيمٌ • يُوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ •

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ • قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ •

(التفسير اللفظي)

قال أصحاب الأخبار إن الذي اشترى يوسف من اخوته بعد أن أخرجه من الحب هو مالك بن زعر وأصحابه الذين أخفوا أمره عن بقية السيارة ولما اشتروه انطلقوا به إلى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوتوا منه لا يابى منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قبطير وهو صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز • ويقال إن يوسف كان ابن ثلاث عشرة سنة أو (١٧) سنة ويقول أهل الأخبار إن الملك كان يسمى (الريان بن العماليق) ولبت يوسف في منزل العزيز ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين على الرأي الثاني • وأعطى العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن (١٢٠) سنة • وأما منته قبطير الله بيع بوزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه مسكاً وحريراً وقيل لا بل هو عشرون ديناراً وزوجاً نعل وثوبان أيضاً وهذه أمور لا دليل عليها البتة • قال تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر لاسرائيل) للسعاة زليخا أو راعيل (أكرمي مثواه) اجعلي مقامه عندنا كرمي أي حسناً أي أحسن تعهده (عسى أن ينفعنا) في ضياعنا وأموالنا ونستظهر به في مصالحنا (أوتخذوه ولداً) تبناه وكان حقاً وقد قرئ في الرشد • يقول العلماء (أفرس الناس ثلاثة • عزيز مصر • وابنة شعيب التي قالت يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر) • يقول الله وكما مكنا محبة في قلب العزيز مكانه في المنزل بعد أن أنجبناه من الملاك بكيد اخوته (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) أي أرض مصر وجعلناه ملكاً ليتصرف فيها بالعدل (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) فهذا التمكن لتنجيتين (١) أن يقيم العدل ويدير أمور الناس (٢) وأن يعلم معاني كتب الله وأحكامه وتغيير اللغات المنبهة على الحوادث السائدة ليستعملها ويستغل بتدبيرها قبل أن يحل كما فعل بفلات مصر في السنين السبع الآتي ذكرها وذلك بتأويل الرؤيا واستطلاع الأمور قبل حلولها والاستعداد التام (ولقد غالب على أمره) لا يرده شيء في أمر يوسف وغيره وقد أراد أخوة يوسف أمراً ودير الله غيره فظلمهم ومكروا مكراً ومكروا مكراً وهم لا يشعرون (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لطائف منه وخفايا لطفه وأن الشر الظاهر قد يكمن فيه الخير الكثير كما حصل ليوسف في الحب وأن الخير والنصر الظاهري قد يكون وراءه الندامة والحسرة كما نصر أخوة يوسف عليه السلام ورموه في الحب ثم انتهى الأمر بأن صار سيدهم وأن مافعلاه به كان من أسباب ارتقائه (ولما بلغ أشده) منتهى استعداد قوته وهوس الوقوف مابين الثلاثين والأربعين أو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون أقوالاً لا طائل في تحقيقها فلندعها (آتيناه حكا) حكمة وهو العلم مع العمل أو سكا بين الناس (وعلمنا) أي علم تأويل الأحاديث (وكذلك نجزي المحسنين) أي وكما جزينا يوسف على إحسانه في عمله وقوله في عنفوان شبابه نجزي المحسنين فنقسم لهم أمورهم ونوتهم ما يستحقون من الكمال • ثم أخذ يذكر بعض الإحسان الذي نشأ عنه أنه جوزى بأنه أوفى حكاماً وعلماء فقال (ورلونه التي هوى بيتها عن نفسه) طلبت منه أن يفعل للعصية معها من راد برود إذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد والمرادة مفاعلة وفي ذكر الاسم للوصول

وتبين أن يوسف في بيتها ثم تطلق الأبواب واستعملها له اعلاء لسان يوسف ومقام عظيم في البلاغة في هذه الآية لأن ذكر الاسم فضيحة وكونه في بيتها أدى إلى موافقتها وتطبيق الأبواب كل ذلك دافع إلى اللواقة فإن المستر لاسيا مع من يملك أمره يضع مالا يفعله الذي استبان فعله وظهر أمره وانكشف حاله وقدر اوده من لا يملك له أمرا ولا يملك له قنعا ولا ضرا . فالعفة مع هذه الأحوال أرقى ما وصل إليه الأخيار وهذا هو قوله تعالى (وغلقت الأبواب) السبعة على ما قيل والتشديد مبالغة في الاستيثاق (وقالت هيت لك) أي أقبل وبادر أوتيتك وهي اسم فعل مبني على الفتح أو على الكسر أو على الضم قراءات واللام في - لك - للتبيين كقولك سقياك ومنهم من قرأها - هيت - بالفتح وكسر اللام وحثت لك بكحت من هاء هيء اذا تهيأ ومعاني اسم الفعل للتقدم لا يضرها ضم ولا فتح ولا كسر لأن هذه فتحات البناء فلحنى اما تهيأت واما بادر في جميع تلك اللغات (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذنا (إنه) أي الشأن (رعى أحسن مثواي) سيدي قتليرا أحسن تهدي إذ قال لك - أكرمي مثوه - فما جزؤه أن أخوته في أهله ويصح أن يكون الضمير لله أي انه خالتي واحسن منزلي بأن عطف على قلب العزيز فلا أعصيه تعالى والأول أقرب (إنه لا يفلح الظالمون) المجازون الحسن بالسيء (ولقد همت به) قصدت لمخالطته والهم بالثي قصدته والعزم عليه (وهم) بها لولا أن رأى برهان ربه . حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أي وقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لم يه بها . أقبل وهذا للحنى هو الموافق لمساق الآية . ألا ترى أنه - قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي - وهذا نفسه هو البرهان من ربه وفي التعبير بلفظ الرب نكتة لطيفة وأي برهان أعظم من هذه القضية وهي أن الانسان يجب أن يحفظ نعمة الربى والسيد سواء أكان خالقا أم مخلوقا فهذا هو البرهان وهذه صورته هذا ربي أحسن مثواي وكل من أحسن إلى انسان وجب عليه تكثيره فتكون النتيجة هكذا . هذا العزيز يجب شكر نعمته ولا شكر لمن خان سيده . فهذا برهان منطقي ديني حسن . فالبرهان في الآية مذکور فكيف كثر فيه الاختلاف ولا حاجة إلى الاطالة في هذا المقام كأن يقال إنه رأى صورة يعقوب بنهاه أو أنه رأى معصيا بلا ععضد وعليه مكتوب ما يفيد تحريم الزنا أو أن البرهان هي النبوة فقد علمت أنه لا حاجة إليه بعد وضوح الآيات . وتجب كيف عبر بلفظ - رب - في الأول ثم قال - برهان ربه - وللمرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فالرب الأول سيده والرب الثاني هو عينه كأنه يقول - لولا أن رأى برهان احترام سيده وحفظ حقوقه لم يه بها وهذا التفسير يعضده ما سبق ذكره وما سياتي . وذلك أن كل من له تعلق بهذه الواقعة شهد ليوسف بالبراءة للمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن أيهمن وذلك الحكم قريبها الذي شهد على القميص ولله أيضا شهد ببراءته من اللذنب ويوسف برأ نفسه . أما للمرأة فلها قالت - ولقد راودته عن نفسه فاستصم - وقالت - الآن صحص الحق - إلى قوله - وإنه لمن الصادقين - . وأما زوجها فقال - إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم - إلى قوله - إنك كنت من الخاطئين - . وأما الشاهد فهو ما قال الله - وشهد شاهد من أهلها . . وأما الله فقد قال - كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا الخاضعين - وأي اخلاص لمن هم بالبراءة . وأما هو نفسه فانه قال - هي راودتني عن نفسي - انتهى

ثم قال الله تعالى مثل ذلك التثيت ثبتناه (لنصرف عنه السوء) الخيانة (والفحشاء) الزنا (إنه من عبادنا الخاضعين) الذين أخلصناهم لطاعتنا (واستبقا الباب) أي تسابقا إلى الباب لحذف الجار أو ضمن الفعل معنى الابتدار أي ابتدرا الباب . فأما يوسف فقد فرّ منها ليخرج . وأما هي فأسرعت وراءه لئلا يفرج واجتذبه من وراءه فاعتقه . والقد التفت لطلوها . والتفت التفت عرضا وهذا قوله تعالى (وقد تقيمه من دبر) وقوله (وألبيا سيدها) أي وصادقا زوجها (لدى الباب) قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوا إلا أن

يسجن أو عذاب أليم) ففى ذلك ضرب طيرين بحجر واحد فهى من جهة تبرى نفسها ومن جهة تخيف يوسف حتى يطاوعها فلا تقوى عليه بعد ذلك وما نافية أو استهلامية أى أى شئ جزؤه إلا السجن (قال هـ راودنى عن قسى) طالبنى بالمؤاناة (وشهد شاهد من أهلها) وهو قريب لما كان حكما عاقلا والشهادة على لسان حكيم من أهلها أكرم • والمعنى وحكم حاكم من أهلها فقال (إن كان قيمه قدّم من قبل) أى من قدّم (فصدقت وهو من الكاذبين) لأنه يدل على أنها قتت قيمه من قدّم بالرفع عن نفسها (وإن كان قيمه قدّم من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لأنه يدل على أنها تبعته فاجتذبت نوبه فقتته (فلما رأى) قطيعاً والشاهد (قيمه قدّم من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال إنه من كيدكن) أى من قولك • ما جزاء من أراد باهلك سوء الخ • وكذلك الاحتيال على الرجال (إن كيدكن) معاشر النساء (عظيم) لأنهم أطف حيلة وأعظم كيدا فيقلب الرجال • قال بعض العلماء (إنى أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى قال - إن كيدكن عظيم - وقال - إن كيد الشيطان كان ضعيفا -) • وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد إن هذا الشاهد لم يكن صيبا بل كان رجلا حكما • وحكى أيضا أنه ابن عم للمرأة وهذا الرأى وجهه فهو أولى من ذكر أنه صى (يوسف أعرض عن هذا) أى يابوسف ترك هذا الحديث ولا يذكره لثلاثين ناسي أولئك كثرت بهذا الأمر ثم التفت الى المرأة وقال (واستغفرى لذنبك) ياراعيل (إنك كنت من الخاطئين) من القوم للذنبين من خطئ إذا أذنب متعمدا وفيه تقليد المذكور على المؤنث وخطؤها بخيانة زوجها ورميها يوسف بالتهمة وهو يرى • وفى هذا دليل على أن العزيز حلیم قليل الضيرة إذ لم يزد على ذلك مع امرأته ولذلك كثرت الاشاعة حتى اتهمها نساء المدينة بانها راودته عن نفسه (وقال نسوة) اسم لجمع امرأة ولم يؤث فعله لأنه بهذا الاعتبار تأنيث غير حقيقى أى أشاع جماعة من النساء وكنّ خسا من أشراف مصر فى مدينة (عين شمس) التى كانت عاصمة إذ ذاك (امرأة العزيز) زليخا (تراود فتاها عن نفسه) أى عبدها الكنعانى والفتى معناه الشاب حديث الدرق (قد شغفها) أى شق شغاف قلبها وهو حجابها حتى وصل الى فولدها أو شغفها من شغف البعير بالقطران فأشرقه (إننا نراها فى ضلال مبين) فى خطأ بين ظاهرها (فلما سمعت بمكرهن) وسعى مكرها لأنها أفضت اليهن أمرها واستكتمت سرها فأفشت به عليها (أرسلت اليهن) تدعوهن وقيل كاتوا دعوا رعين (وأعنت لهن متكا) وهى لهن ما يكتنن عليه من تمارق ومساند ويطلق للتكا على نفس الطعام فإن كل من دعوته لطعم عندك فقد أعددت له وسائد يجلس ويتكى عليها فيكون الطعام متكا على سبيل المجاز • وسواء أكان المتكا هو ما يتكا عليه عند الطعام أو الشراب أو نفس الطعام فإن المسال واحد وأن امرأة العزيز أعدت لهن الطعام وفيه اللحم طبعاً والفاكهة (وأتت كل واحدة منهن سكينا) كما هى العادة للمتبعة الآن فى الطبقة العليا فى مصر وفى المدارس تقليد الأوربيين وانتظاما فى سلك التمددين الناقلين لما عن قدامنا المصريين فإن للموائد اليوم عند هؤلاء لا بد فيها من سكين لقطع اللحم وأخرى لقطع الفاكهة • فلما أخذن يأكلن وأمسكت كل واحدة بسكينها انتهزت تلك الفرصة (وقالت اخرج عليهن) يابوسف وهو لا يعصى لها أمراً بعد أن زبته وخبثاته فى مكان آخر (فلما رأينه) أى رأى النسوة يوسف (أكبرته) أعظمته ودعشن عند رؤيته وهبن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وقد أعطى يوسف شطر الحسن • ويقال معنى - أكبرته - حزن يقال أكربت المرأة حاضن ولها لك لافعلول لأن الفعل لازم وإذا صح هذا المعنى يكون ذلك لفزعهن وما حالهن من أمر يوسف • وهذا المعنى هو الذى قاله أبو الطيب

خف الله واستر ذا الجلال يرفع • فإن لحث حاضن فى الخلدور العواقي

واعلم أن أعظم النساء ليوسف وإجلاله لأنهن رأين عليه نور النبوة وسيا الرسالة وآثار الخضوع والاختبات

وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وعدم التفات الى الشهوات من النساء والطعام . فلذا كن الجبال مقرونا بتلك الصفات حتى لم ينه (وقلعن أيديهن) وجعلن يقطعن بالسكاكين التي معهن وهن يظنن أنهم يقطعن الأترج ولم يحسن بالألم لقرط دهشتن فما أحسن إلا بالهم (وقلن) أي النسوة (حاش لله ما هذا بشرا) أي معاذ الله أن يكون هذا بشرا وكيف يكون بشرا والجبال القاني الذي فضل كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء بسجبه عفة ومكلم أخلاق وحفظ شرف وحسن معاشرة ومقابلة الحسنة بمثله وهذه صفات الملائكة للمؤمنين عن شهوات أهل الأرض (إن هذا إلا ملك كريم) وحينئذ وصلت زليخا الى ما كانت تقصده من دعوتهن للطعام فلما رأت ذلك (قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) أي هذا هو العبد الكتماني الذي صورتن في أنفك ثم لمتنني فيه فلما رأيته عرفتني (ولقد رآودته عن نفسه فاستصم) أي امتنع فقال النسوة له ألمع مولاتك فقالت زليخا (ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين) أي ما أمره به ويسجنن بحسن وقوله - من الصاغرين - أي السراق والسفاك والالاق كما سرق قلبي وسفك دمي بالفراق وأبني مني فلاهنا ليوسف طعام ولا شراب كما منعي كل ذلك * يقال صغر كفرح صغرا وصغارا ذل فاما صغر كظم فهو ضد كبر انتهى . وهنا لطيفتان

(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - فلما رأيته أكبرته وقلعن أيديهن الخ)

اعلم أن هذه القصة لم تذكر لتعرف جلال يوسف أولئهم أن نساء مصر قطعن أيديهن لحسب كلا وانما هذه الآيات ترى لعمان أعلى ومرافق أبهى وكالات أتم وعظمت أرقى ترى الى الاعتبال والاعتاظ أخلاقا ועلمنا . إن الجبال محبوب والناس متى غفلوا عن الجبال كانوا جهالا . إن جبال الوجوه وحسن الفتيات وبهجة الفتيان يعرفها العلم والخاص وجبال الرجال والنساء معروف مشهور . إن الناس لا يفقهون من الجبال إلا ما ذكرنا وأضرابه وهو شافع بين العاتة وسائر الخاصة . ولكن هناك جمال أجل وحسن أعلى وبهجة أرقى قد شرحناها فيما مضى في هذا الكتاب وهو جمال هذه الدنيا وبهجتها بل جمال الله الذي تجلى في وجوه السموات والأرضين ذلك الجبال الذي حجب عن الجهال وتتمتع به أكابر الحكماء والخواص وترغبوا به ذلك الجبال البديع في بهجة هذه الدنيا . وإذا كان النساء قد غابت عقولهن وقلعن أيديهن لرؤية يوسف وهو مخلوق في العالم فما بالكم بمن يحلون رموز هذا العالم ويقفون على بعض أسرارها وبهجته ويرون ما تطلع دونه الأعناق وتقف حيرى دونه الأبواب . أفليسوا على حق إذا هم قطعوا أعمالهم في مجانبه وضيعوا ثروتهم في التمتع به وبذلوا راحتهم في سبيل درسه أولئك هم العاشقون حقا . أولئك هم المخلصون صدقا . أولئك هم الذين نظروا الجبال . أولئك هم الذين فازوا بالوصال . أولئك هم الرجال . هم الذين يقطعون قلوبهم ويمزقون أجسامهم بآخرة الفكر والعمل فلا يكتفون بتقطيع الأبدى لأن هذا الحب الأدنى وأين الأدنى من الأعلى . وهل أنبتك بما رأيت الليلة في المنام حين وصلت الى هذا المقام أذكره هنا تذكرة للعقلاء وتبصرة للفضلاء وترويحاً من العناء ومسامرة للأجلاء

تذكرت هذه الليلة ما اتفق في منذ نحو ١٢ سنة إذ زرت صديقا في بحالوان وهو عالم بعلوم النبات مجتهد في تحصيله دائب على جمع كتبه يدرسه للتلاميذ ويعلمه لأبناء النيل فأخذني الى حجرة خاصة فيها آلة لينظر بها أدق الأشياء وأصغر الذرات بطريق التكبير وهي آلة زجاجية على هيئة خاصة بطريق علم المناظر قبل وجهها بالماء بلا ووضعا وضعا خاصا فظرت بركة كبيرة فيها ماء غزير مملوءة حشائش وحيوانات مختلفة عجبية الشكل وبضها يتناول طعامه بهجة يديرها دورات سريعة وفي خلال دوراتها تلتقط له بعض القوت فيفتدي به وهناك أشجار عظيمة لها فروع عجبية . كل ذلك في رطوبة على وجه الزجاجية . هذا ما أحضره الخيال الليلة في منامي وهذه ليست رؤيا وانما هي من الصور التي تحضرها الخيلة من المخزون فيها كما قدتم في

أقسام الرؤيا في أول السورة . ولعل الخيلة لما أحضرت هذه السورة التي شاهدها في حلوان مع ذلك الصديق العالم النباي كانت مفكرة في الجبال وكأنها أحضرتها لتكون درساً لأكتبه في هذا المقام من دروس الجبال الطيبى في هذا العالم الذى خباؤه الله عن الجاهلين وأبرزه اليوم في هذا الكتاب وفي غيره للسلمين ليحفظوا به . وإليك أيها القطن أن قول إن هذا تمحل في القول فانك ترى من نوع الانسان من يرمون يعلمهم الى درجة الجنون . ومنهم من يموتون من جدهم في علمهم . لافرق في ذلك بين العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية والدينية وغيرها . ومستحيل أن يكون ذلك إلا بالمشق والتعلم فهذا غرام وغرام وهيام وأى هيام فليكن غرام للسلمين بالعلوم اليوم وليعلموا أن هذه السورة إنما جاءت لأمثال هذه المعاني التي أعنت لقوم يعلمون وان لم يكن العلم عن حب فليس يعلم

(رأى أفلاطون في العلم)

قال أفلاطون إن رئيس الجمهورية يجب عليه أن يفتح لطبقة الأمراء ورؤساء الأجناد باب اللغة العقلية ولا يدعمهم قاصرين على اللغة الشهوية والنفسية فهاتان اللتان دائماً مع الانسان فهو بطبعه ميل للطعام والشراب وللإختلاط الجنسي ولغلبة الأعداء ولكنه لا يفتح له باب حب العلم والغرام به إلا اذا زينت له طرقه وأطلع على جماله وعرف بهجته فذلك هو الهواء الوحيد لهاء الرشوة . فأما الاقتصار على تينك الشهوتين فانه يوجب أن يكون الأمراء مغرمين بمشاركة الأئمة في أموالها وأعراضها . فأما اذا فتح باب العلم فانهم يجدون لغة جديدة يكتبون بها عن ازدياد لغة الواقع والطعام

(اللطيفة الثانية جمال يوسف في علم الحديث وفي علم الموسيقى والجبال)

قال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم . وروى أبو سعيد الخدري رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (رأيت ليلة أسرى في لى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر) ذكره البخارى بغير سند . وقال اسحق بن أبي فروة كان يوسف اذا سار في أزقة مصر تلاّلاً وجهه على الجدران . هذا ما عرفت عليه من الحديث في حسن يوسف . أقول تفكر أيها الذكي في حسن يوسف ولم ذكر في هذه السورة . إن القرآن لم ينزل لمجرد قراءتها . كلا . ولا لأعرايها ولا لمرفة القصة لحسب وإنما جاء للاعطاء بها . وقد قدمنا في أول تفسيرها بعض مائثير اليه من المعاني . فأما الحسن فهذا وقت فلنشره بعض الاشارة لتكتفي بالقليل عن الكثير فاقول

أنظر كيف ذكر القرآن جمال يوسف ووجهه ﷺ كالقمر ليلة البدر وحسن يوسف ماهو إلا بعض ما في هذا العالم من الجلال الذى يجب النظر فيه والبحث عنه والتفكر فيه . وإذا كان قصص يوسف أحسن القصص وجماله أحسن الجلال قصصه الجلال العام والحسن التام في نظام السموات والأرض أجل قصصاً وأحسن أملاً وخير نوايا وأعظم بهجة . فالنظر في الجلال الجزئى يدعو للنظر في الجلال الكلى إن هذا العالم الذى نعيش فيه عند علماء الملك والموسيقى والطبيعة كله جمال في جمال وليس هذا المقام بمنح لتلك فانك اذا أردت أن تدرس جمال العالم فانك تحتاج الى العلوم الرياضية كلها والطبيعية . ولكن لأذكر لك ما يثلج صدرك فأقول . إن جمال الوجه في تناسب أربعة أشياء وهي القم والأف والمينان والحدان . فهذه ان تناسبت كان الجمال وان تنافرت لم يكن جمال والتناسب والتناظر بحساب دقيق . اعلم أن الشبر هو مقياس لجميع أعضاء الانسان . فقالوا إن طول عينه ثمن شبره وطول أذنه ربع شبره . وكذلك شق فمّه ونشفت كل منهما ربع شبره فان زاد أو قص لم يكن جمال وكان القبح على نسبة التناظر . ويقولون انه اذا فتح يديه كالطائر كان ما بين أصابع يده الى مرفقه يساوى مقدار ما بين مرفقه الى رقبته يساوى مقدار ما بين رقبته الى مرفقه اليسرى يساوى ما بين مرفقه اليسرى وأطراف

أصابها فكل واحد منها شران . وإنما ذكرت لك ذلك لتعرف أن الشبر هو المقياس سواء أكان بأجزائه كما في النجم والألف أو بمضاعفاته كما هنا ولأقتصرك على ذلك في هذا المثال قد كفناك وأعادك واعلم أن الجبال التي رأيت في الأجسام بحسب يوسف التي نحن بصدده التابع للحساب هو بعينه التي يكون في الكلام فإن الشعر واللوسيقى مبنيان على التحركات والسواكن . ولأنك نظرت بحر الطويل لوجدت اللذة في سماعه راجعة إلى حسن النسبة بين متحركاته وسواكنه . وأنت تعلم أن قولن مفاعيلن أربع مرات ٤٨ حرفا إذا كان غير مزحف ٢٨ منها متحركة وعشرون حرفا ساكنة وهي منقسمة (أربعة أقسام)

(١) فتقول ٧ : ٥ : ١٤ : ١٠ : ١٤ : ١٠ : ٢٨ : ٢٠

(٢) فهذه نسبة هندسية نسبنا متحركات ربع البيت إلى سواكنه فكانت ككسبة متحركات نصف البيت إلى سواكنه وهذه منسوبة إلى متحركات وسواكن البيت كله وهذا ظاهر للأذكياء والعلماء بالشعر وبالحساب . فهذا جلال تشهد الأذان لأنها تزن الحركات والسكنات فتفر من غير التناسب وتستلذ بالتناسب كما فعلت العين في الجبال سواء بسواء لافرق بين جبال يوسف ونفحات الأوتار فكما تعرف أعيننا بمقاييس الأعضاء المتقدمة ونحكم ولاعلم لنا بأسباب الحكم هكذا نحكم آذاننا في نفحات الأوتار وعجايبها

(٣) ومثل ذلك نظر العقل التي لا يحصى به الإلهاء الفلك الذين يفكرون في دورات النجوم والشموس والأقمار ويرون أن النسب محفوفة بحيث إنك لو رقيت البسنيين القمرية ولاحظت البسيطة والكسيمة لوجدتها في كل ثلاثين سنة (١٩) سنة بسيطة و١١ سنة كسيمة والصور عندهم ثلاثون في جميع السهور والصور والصور الكبير (٢١٠) أي ٧ في ٣٠ ويمكننا أن نفعل هنا ما فعلناه في بيت الشعر سواء بسواء فبصر هناك انتظام تام وأدور متالية تقاس كما تقاس النفحات وكما يقاس القم والألف والعين بالشبر

(٤) وهكذا نفحات الطير جارية على حساب الحركات . فإذا سمعت الفاختة وهي تترنم ككوه كوه ككو كوكو كعلت أن هذه أوزان بحر الطويل فعولن مفاعيلن . فإذا سمعت أربع مرات فقد أتت بحر الطويل وقد عرفت وزنه وبناء عليه أصبح جمال يوسف وعزة وليلى يشارك نفحات الأوتار ونظم الأشعار وغناء الطيور في أن كلاما مبنيا على نسب وأن الجبال راجع للنسب فلا فرق بين الشمس في مداراتها والطيور في أشجارها والشعراء في أشعارها وجماعة المصنفين في ألحانها والوجود في أبهى أنوارها

إن الجهلاء يسمعون قصة يوسف فيفرحون وهم عن الجبال معرضون وما قصها الله إلا للاعتبار بما فيها ومن أهمه النظر في الجبال في الكواكب والنباتات والأشجار ولأقتصرك على هذا ثلاثا نضع بنا للمقال في ذكر الجبال في الزايع وكيف كانت نسب أوزانها وأزهارها بمقياس كما كان تركيب عناصرها بميزان وهو نفس الجبال فالجبال في جميع العالم علويه وسفليه وليس يدركه إلا العالمون للذين للرياضيات والطبيعات والحكمة دارسون . فإن كنت جاهلا فلا تعدد يوسف وما أعطي من جبال وإن كنت سكيما فأدر نظرك في العالم كله بالتفصيل تارة وتارة بالاجمال . هنالك تعلم ماهو الجبال . إن العالم كله جبال ولكن أكثر الناس لا يدركون ذلك الجبال

(رمز النبوة بحسن يوسف لجبال العالم وإعماؤها إلى ماقرتراه)

لا يعزب عليك أن الأنبياء يريهون العلم والحكمة وشوق الناس إلى الجبال العلم التي مثلنا له بما قدمناه لترقى أمهم وتسدح حلم . فإذا سمعت أن يوسف أعطى عطر الحسن فيألت شرى أين متناه . أما متناه فتجده في أمثال ما قدمناه . فالعالم الأرضي ليس له من الحسن إلا بقدر . ولذلك تقول فأين نولى وجهنا حتى نعرف ذلك الجبال . أقول اقرأ الحديث فانظر كيف ذكر الاسراء والسبا والقمر فضله

على النجوم . وكان هذا التشبيه يرمز به الى المنحى الذى ينحوه الناس فى قصد الجبال أفلاتهجب كيف
 انتقل من حسن الأجسام الزائفة الى الحسن العالية لترقى فى الأسباب ولندخل البيت من بابه وهما اذا قد
 فتحت لك الباب فلج فيه وذلك لا يكون إلا بالعلوم الطبيعية والفلكية . فاذا ذكرت النجوم والقمر فى
 باب التشبيه فى حسن يوسف فذلك ليشتمل الناس ذلك الجبال . ومعلوم أن المشبه أقل من المشبه به فكأن
 النبوة نوحى الى أنه يجب البحث فى الجبال الأكل وهو المشبه به وهو ما أدخلتك فى بابه فان كنت من
 أهلها فيها ونعمت والا قل للمسلمين اقروا العلوم فهى الجبال الذى يرمز له خاتم الأنبياء . واذا أعطى يوسف
 شطر الحسن فى العالم الجبال الأكل والحسن الأوفر والبهجة العليا والجلد لله رب العالمين والعاقبة للتحقين
 وحسبنا الله ونعم الوكيل . انتهى القسم الثالث

(الْقِسْمُ الرَّابِعُ وَالْخَامِسُ)

قَصَّةُ السَّجْنِ

قَالَ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ
 وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ . فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .
 ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَدْمَايَ مَا رَأَوُا آيَاتٍ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ . وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنُ فُتَيَانٍ قَالَ
 أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُعْجِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الْعِلْوُ
 مِنْهُ بِنْتَنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ . قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِ إِلَّا نَبَأُكُمَا
 بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ
 بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ . وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ
 بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ .
 يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَأَيْتَ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرًا أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا
 أَسْمَاءٌ مِمَّنْ شَبَّهُوْهَا أَمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا
 تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا
 أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَنَأْكُلُ الْعِلْوُ مِنْ رَأْسِهِ فَفِي الْأَمْرِ الَّذِي
 فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ
 رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ . وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ
 عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُودَاتٍ خُضَرٍ وَأَخْرَ يَابَسَاتٍ يَأْكُلْنَ اللَّائِي أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا
 تَعْبِرُونَ . قَالُوا أَضْغَاثُ أَخْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِمَالِينَ . وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا

وَأَذْكُرُ بَعْدَ أَمَةٍ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ • يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا: فِي سَبْعِ
بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى
النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ • قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا
قَلِيلًا يَجْمَأُ تَأْكُلُونَ • ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا
يَجْمَأُ مُحْصِنُونَ • ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يُمْصِرُونَ • وَقَالَ الْمَلِكُ
أَتُوتُنِي بِذِهِ قُلُوبًا قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ الَّذِي قَطَعْتَ آيَاتِي
إِنْ رَأَيْتُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ عَظِيمٍ • قَالَ مَا خَطْبُكَ أَنْ اذْهَبْتَ يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَاسِبٌ فِيهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْكَ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ
لَمِنَ الصَّادِقِينَ • ذَلِكَ لَيْسَ لِي أَنْتِي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنْ اللَّهَ لَا يَهْدِيَ كَيْدَ الْخَائِنِينَ • وَمَا
أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَقَالَ الْمَلِكُ
أَتُوتُنِي بِذِهِ اسْتِخْلَافًا لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أُمِينٌ • قَالَ اجْعَلْنِي
عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ • وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا
حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُفِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ • وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ • وَجَاءَ إِخْوَتُهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَمَرَقَهُمْ وَفُؤْمَ لَهُ مُنْكَرُونَ •
وَلَمَّا جَعَلَهُمْ بِحَاظِرِهِ قَالَ أَتُوتُنِي بِأَخْرَاجِكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْأَلَا تَزُونَ أَنِّي أُوْفِي الْكَفِيلَ وَأَنَا
خَيْرُ الْمُتَزَلِّينَ • فَلَمَنْ لَمْ تَأْتُونِي بِذِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ • قَالُوا سَرَّادُ
عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ • وَقَالَ لِقِيَابِهِ اجْعَلُوا يَضَاعَتُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْفِقُونَهَا إِذَا
أُثْقِلُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ • فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَفِيلُ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكُنَّ لَهُ حَافِظُونَ • قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْسَكْتُمْ
عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ • وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا
يَضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْئِي هَذِهِ يَضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
آخَانًا وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ • قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا نِي مَوْثِقًا مِنْ

اللَّهُ لَأَتُنَبِّئَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا تَقُولُ وَكِيلٌ • وَقَالَ
 يَا بَنِي إِدْرِي لَأَتَدْخُلُونَا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ • وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ
 حَيْثُ أَمَرْتُمْ أُولَئِكَ مَا كُنْ يَمْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حُلَّةٌ فِي نَفْسٍ يَمُقُوبٌ فَصَاحَا
 وَإِنَّهُ لَلنَّوْعِ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى
 إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • فَلَمَّا جَزَّئُمْ بِبَحَارِهِمْ جَعَلَ
 السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْمِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ • قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ
 مَاذَا تَفْقِدُونَ • قَالُوا تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلَنْ جَاءَ بِهِ حُلٌّ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ • قَالُوا تَاللَّهِ
 لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ • قَالُوا فَهَذَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ
 كَاذِبِينَ • قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ • فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ
 قَبْلَ وَهْلِهِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَهْلِهِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي
 دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ • قَالُوا إِنْ
 يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلِ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُنْذِرْهُمْ قَالُوا أَلَمْ تَسْرِ
 مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ • قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ
 إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ • قَالَ مَاذَا اللَّهُ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا
 لَفَاطِلُونَ • فَلَمَّا اسْتَبَأَ سَوَامِيَهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ
 عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي
 أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ • ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ
 سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلنَّيْبِ حَافِظِينَ • وَأَسْأَلُ الْقُرْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا
 وَالْبَعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ • قَالَ بَلَى سَوَلَّتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَنْزِلْ فَبِئْسَ جَبِيلٌ
 عَنِ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَبِيمًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ • وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى
 يُوسُفَ وَأَيْسَقَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ هُوَ كَقَلِيمٍ • قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتُولُوا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى

تَكُونُ حَرَمًا أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ • قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ
مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ • يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْسَبُوا مِنْ دُونِ
اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَتَقَسَّ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ • فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ
مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجِلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي
الْمُتَصَدِّقِينَ • قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا قُلْتُمْ • يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ • قَالُوا يَا نَكَ
لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصِيرَ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ • قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَيْنَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ • قَالَ لَا
تُزِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ • أَذْهَبُوا بِقِسْمِي هَذَا
فَالْقَوَى عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَثْنَى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ • وَلَمَّا فَصَلَ الْيُوسُفَ قَالَ أَبُوؤُمُ
إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ • قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالَةٍ قَدِيمٍ • فَلَمَّا أَنْ
جَاءَ الْبَشِيرَ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ •
قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ • قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ
هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ • فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَبَهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ آمِينَ •

(التفسير الغفلى)

قال تعالى (قال رب السجن بالرفع والتمس على المصدر في الثاني) (أحب إلى مما يدعوني إليه) آخر عندي
من مؤامراتها بالنسبة للعاقبة والافهنا أعز مشتهيات النفس • ويقال إن من المؤثرات في دخوله السجن باطنا
هذا القول ولذلك رد رسول الله ﷺ على من كان يسأل الصبر وأمره أن يسأل الله العافية • واعلم أن هذا
القول من علمائنا قد قدره علماء هذا العصر فانهم جزموا بأن تصورات النفس والأقوال التي ينطق بها المرء
في سر ومجهده لها آثار في عواقبه ويقولون إن حصول الصور في العقل من حسنة وسيئة لها أثر في الأفعال
والأحوال الظاهرة وضربوا لذلك مثلا بأن اعتقاد الإنسان بأنه من الملوك أو التجار أو العلماء أو الأشراف
تدعوه إلى أن يتزأ بزيمه ويسير بسيرتهم ويتجمل بملابسهم • فهكذا الأحوال العارضة عليه من الخارج
ومن القضاء والقدر تكون مناسبة لما في عقله موافقة لما ينطق به من الآراء والأحوال والأعمال • وهذا
القول وإن كان خاطيا لا يقينا مناسب لهذا المقام • ثم قال (ولا تصرف عني كيدهن) في تحسين ذلك
(أصب الين) أمل إلى اجابتين • ويصح أن يقال أصب أي أشتاق من الصباة وهو الشوق (وأكن من
الجاهلين) من السفهاء بارتكاب ما يدعوني إليه فان الحكم لا يضل الصبيح (فاستجاب له ربه) أي فأجاب
الله تعالى دعاء يوسف (فصرف عنه كيدهن) إنه هو السميع لنعاء يوسف وغيره (العليم) بأحوالهم وما

يصلحهم (ثم بدا لهم) للعزيز وأصحابه في الرأي (من بعد ما رأوا الآيات) الدلائل الدالة على برأيه كقصة
 القيص وظهور برأيه وشهادة شاهد من أهلها وفعل بدا مضر مفسر قوله (لبيجنه حتى حين) وذلك
 أن المرأة قالت لزوجها إن ذلك البعد العبراني قد فضحنى عند الناس بخبرهم أتى قدرأوده عن نفسه فاما أن
 تاذن لي فأخرج وأعتد إلى الناس ولما أن تحبسه فرأى حبه إلى أن تنقطع مقالة الناس وبسهم قال انها
 سبع سنين وبسهم قال خمس ولا حاجة إلى تحقيق ذلك (ودخل معه السجن فتيان) عبدان لك خبره
 وشرايه بتهمة السم فأدخلا السجن ساعة ادخال يوسف (قال أحدهما) أى شرايه (إني أراي) أى في
 المنام (أعصر خرا) أى عنا سمي السب بما يؤول إليه والخرا اسم السب بلغة عمان فلا حاجة إذن للجواز
 (وقال الآخر) أى خبره (إني أراي أجمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه) تنهش منه (نبتاً بتأويله إنا
 نراك من المحسنين) من الذين يحسنون تأويل الرؤيا ويحسنون إلى أهل السجن فأحسن اليانا بتأويل ما
 رأينا (قال لا يأتينا طعاماً نرزقه إلا نباتاً نأكله قبل أن يأتينا) فأبين لكما نوعه وكيفيته (ذلكما)
 أى التأويل (عما علمي ربي) بالالهام والوحي وليس بطريق الكهانة والوراثة والتنجيم وغيرها وعمل
 ذلك فقال (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) ثم أبان أصل هدايته وعلى أى دين
 هو فقال (واتمت ملة آبائي إبراهيم واسحق ويعقوب) فأنا من بيت النوة فاستمعا إلى • وقد قال العلماء
 (يجوز لحامل العلم أن يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه) ثم قال (ما كان لنا أن نتركك بالله من شيء)
 أى شيء كان (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا) بالوحي (وعلى الناس) وعلى سائر الناس بعثنا
 لارشادهم (ولكن أكثر الناس) للبعوث اليهم (لا يشكرون) هذا الفضل فيشركون بالله ولا يشعرون وانما
 قال هذه الجمل لاستبانتها للدين الصحيح ثم أخذ يشرح ما قصده من هذه المقامات البريئة فقال (يا صاحبي
 السجن) يا صاحبي أو يا صاحبي فيه (أأرباب متفرقون) شتى متعددة يستعبدك هذا ويستعبدك هذا
 (خير) لكما أم يكون لكما رب واحد لا يغالب ولا يشرك في الربوبية وهذا قوله (أم الله الواحد القهار)
 والأرباب المتفرقون هي الأصنام والأوثان ثم خاطبهما ومن كان على دينهما من المصريين لأنهم كانوا
 يقصدون أصناماً كثيرة وتماثيل بعد أن كانوا قديماً يعبدون إلها واحداً (ما تعبدون) يا أهل مصر (من
 دونه) من دون الله (إلا أسماء سميتوها أتم وأبؤكم) أى سميت ما لا يستحق الألوهية آلهة ثم أخذتم
 تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء لاسميات لها وقوله - سميتوها - سميت بها قول سميت زيداً
 وسميت يزيد (ما أنزل الله بها) بسميتها (من سلطان) حجة (إن الحكم) في أمر العباد والدين (إلا لله)
 ثم بين ما حكم به فقال (أمر) على لسان أنبيائه (ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) الثابت لدى قامت
 عليه البراهين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيخطئون في جهالتهم وهذه المقالة تخرج فيها أولاً من
 رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة من طريق الخطابة ثم برهن على أن الآلهة تعبدونهم أسماء لاسميات لها ثم
 بين الدين الحق • ولما فرغ من اللهم هو الدعوة إلى الدين الحق الذي هو مقصوده شرع يعبر الرؤيا التي هي
 مقصودتها بالذات وهو عدتها وسيلة للدين كما رأيت فقال (يا صاحبي السجن أما أحسداً) يريد الشرايين
 (فبسي ربه) سيده (خرا) أى يعود إلى عمله (وأما الآخر) أى الخبز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه)
 وقد كانت رؤيا الشرايين أنه قال إني رأيت كافي في بستان فإذا بأصل شجرة عنب عليها ثلاثة عناقيد قطفتها
 وعصرتها في كأس للملك وسقيته • وقال الخبز رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة فإذا
 سباع الطير تنهش منها • فقال للآول ملأيت من الكرم وحسنا هو الملك وحسن حاله عنده • وأما
 العناقد الثلاثة فانه ثلاثة أيام تحض في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه • وقال للثاني ملأيت من
 السلال فهي ثلاثة أيام ثم تخرج فتصلب • ولما سمع الخبز صلبه قال ما رأيت شيئاً فقال يوسف (فرضي)

الأمم الذي فيه تستقيان) أي قطع وتم ماتستقيان فيه وهو مال أمركا وهو هلاك أحدهما ونجاة الآخر (وقال) يوسف (لأنى ظن أنه ناج منها إذ كرتي عند ربك) لذكر حالى عند الملك كي يخلصنى (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أي فأنسى الشيطان السابق أن يذكر يوسف عند الملك فإن صرف الوسوسة إلى ذلك الرجل السابق حتى نسى ذكر يوسف أولى من صرفها إلى يوسف (فلتبث في السجن سبع سنين) البضع مائتين الثلاث إلى التسع وهي هنا سبع سنين فقم إلى الخمس الأولى فتكون اثنتي عشرة سنة • قال كعب قال جبريل ليوسف عليه السلام (يقول الله عز وجل لك من خلقك قال لله قال فن رزقك قال الله قال فن حبيبك إلى أيك قال الله قال فن نجاك من كرب البئر قال الله قال فن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فن صرف عنك سوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بآدى مثلك) قالوا فلما انقضت سبع السنين رأى ملك مصر ألا كبر رؤيا حالته فانه رأى سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقبين سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم يرمنهن شئ ولم يبين على العجاف منها شئ ورأى سبع سبلات خضرة انقعد حبا وسبع سبلات أخرى يابسات قد استحصنت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علان عليهن ولم يبق من نضرتها شئ يجمع السحرة والكهنة والمعبدين وقصة عليهم رؤياه التي رآها فهذا قوله تعالى (وقال الملك لى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) بقرات هالكات من الهزال (وسبع سبلات خضر وأخرى يابسات) وذلك خطاب للأشراف والأعيان من العلماء والحكام • ثم أخذ يستقيم فقال (يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي) يا أيها الأشراف أخبروني بتأويل رؤياي (إن كنتم للرؤيا تصبرون) أي ان كنتم تحسنون عبارة الرؤيا فتتقانونها من الصور التي صورها الخيال إلى المعاني الحقيقية التي هي مثالا • يقال عبرت الرؤيا عبارة كما يقال عبرتها تعبيرا ومعبر الرؤيا ينتقل من ظاهرها إلى باطنها ليستخرج معناها (قالوا) أي الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبودون عجيبين للملك (أضغاث أحلام) أي أخلط مشبهة ولحدها ضغث والضغث في الأصل الخزمة الحاوية أنواع الحشيش فاستعير للرؤيا الكاذبة وإنما كان الجمع لأجل المبالغة كما قول العرب فلان يركب الخليل (وما نحن بتأويل الأحلام بعلمين) أي التمام الباطلة فانها ليس لها تأويل عندنا وإنما التأويل للتمامات الصحيحة (وقال الذي نجا منهما) وهو الشرايى (ولذكر بعد آتته) وتذكر يوسف بعد جاعة من الزمان مجتمعة أي مدة طويلة • وفي قراءة - بعد أمه - كنعمه وزنا ومعنى أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عن عنده علمه (فارسلون) أي فابشون إلى يوسف لأسأله فأرسلوه إليه فأتاه فقال (يوسف) أي يا يوسف (الصدق) أيها البليغ في الصدق مما جرت به تأويل رؤياي ورؤيا صاحبي (أفتنا في سبع بقرات) إلى قوله (الصل أريج إلى الناس) أي إلى الملك وأنبأه (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانتك فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (قال تزرعون سبع سنين دأبا) على عادتكم للسترة أي دأبين منصوب على الحال أولئذ يؤن دأبا والجهة حال أيضا وهو بوزن سبب ونصر يقال دأب في العمل دأبا (فما حصدتم ففروه في سبله) ثلثا بأسه السوس (إلا قليلا ما تأكلون) في تلك السنين أي ادرسوا قليلا من الخطة لألا كل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الأكث لوقت الحاجة وهو وقت السنين المجيدة (ثم يأتي من بعد ذلك) أي من بعد السنين المنصبة (سبع شداد) سبع سنين مجيدة محملة شديدة على الناس (يا أكلان) يغنين (ما فتنتم لهن) أي يا أكل أهلتهن ما أذخرتم لأجلهن (إلا قليلا مما تحصنون) تحززون لبسور الزراعة (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يفات الناس) يعطرون من الفيت أو يضانون من القحط وهو من الفوت (وفيه يصرون) ما يصصر كالعنب فيكون الخمر والزيوت فيكون الزيت والسمسم فيكون الدهن يراد بذلك كثرة النعم وعموم الخصب في الزرع والثمار (وقال الملك اتوني به) بعد مجاهد الرسول بالتعبير (فلما جاءه الرسول) ليخرجه (قال لرجل إلى ربك)

أى الملك (فأسله ما بال النسوة) أى حال النسوة (اللاتى قطنن أبيهين) فقد ثبت يوسف وثأى في اجابة الملك وقسم سؤال النسوة ل يظهر برأيه حتى لا يرميه الحاسدون بما يضرت سمعت عند الملك ويستدلون بمكته في السجن ستين طويلة • وهذا يفيد أن الانسان يجب عليه اتقاء التهم وقضاها • وقال عليه الصلاة والسلام (لقد عجب من يوسف وكرمه وصبره والله ينفله حين سئل عن البقرات الجفاف والسيان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني) وقد عجب منه حين أنه الرسول فقال - ارجع الى ربك - ولو كنت مكانه ولبت في السجن ما لبثت لأسرعت الاجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذر إنه كان خلفا ذاتاثة

ومن حسن أدبه أنه لم يذكر سيده مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب ولم يذكر إلا - اللاتى قطنن أبيهين - وقال فيهن لافها - إن كيدهن عظيم - لا يعلمه إلا الله وهو يجازيهن عليه فرجع الرسول الى الملك برسالة فدعا الملك النسوة للقطعات أبيهين ودعا امرأة العزيز ثم (قال لمن (ماخطبك) ما شأكن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله) نهجا من قدرته على خلق عفيف مثله (ماخلنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) ظهر واستقر (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) في قوله - هي راودتنى عن نفسى - ثم رجع الرسول الى يوسف وأخبره بكلام النسوة واقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها قال يوسف (ذلك) أى امتناعى من الخروج والتثبت لظهور البراءة (ليعلم) العزيز (أنى لم أخنه بالغبى) يظهر التيب في حرمته وهو حال من الهاء أى لم أخنه وهو غائب عني أولي علم الملك أنى لم أخن العزيز الخ (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) أى وليعلم أن الله الخ تعريض لبراءته في خيانتها أمانة زوجها ويجوز أن يكون هذا من كلام امرأة العزيز أيضا إذ قالت - الآن حصحص الحق - ثم شرعت تقول - ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغبى - أى ليعلم يوسف أنى لم أخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم أكذب عليه فلم أقفل في عييت ما فلت في حضوره وقوله - وأن الله لا يهدى كيد الخائنين - على هذا معنى انى لما أقدمت على هذا الكيد والمكر فدفعت لأن الله لا ينفذه ولا يبدئه • ثم أخذ يتواضع ويهضم نفسه ثلاثا يكون لها مزيكا وليبين أن هذه الأمانة إنما هي من الله فقال (وما أبرئ نفسي) من الزلل ولست أشهد لها بالبراءة الثالثة ولا أزكيها في جميع الأحوال (إن النفس لأثارة بالسوء) أراد به جنس السوء لما فيها من الشهوات (إلا ما رحم ربي) أى إلا البض الذى رحمه ربي بالصمة ويصح أن يكون هذا من كلام المرأة وهو أظهر كأنها قالت ذلك ليعلم أنى لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وبحث بالصدق عند السؤال - وما أبرئ نفسي - مع ذلك من الخيانة فأنى خنته كما هو معروف ثم اعتذرت بان كل نفس أمارة بالسوء إلا تقسارحها الله بالصمة كنفس يوسف (إن ربي غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحت بما ارتكبت لأن الله غفور لذنوب عباده ورحيم بهم • هذه الأخلاق من عفة وصبر وأمانة وعلم غزير واثرة جلت الملك أن يستخلصه لنفسه أى يجعله خالصا له لا يشاركه فيه سواء وهذا قوله تعالى (وقال الملك اتوني به أستخلصه لنفسي) فلما جاء الرسول الى يوسف وقال له أجب الملك أبله وتنظف وليس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك ودخل عليه وتحدث معه (فلما كلف) وشاهد منه الرشد والهداء (قال إنك اليوم لدينا مكين) ذومكانة ومنزلة (أمين) مؤتمن على كل شئ • ويقال إنه كان يحسن العربية والعبرية فكلهما بهما فضلا عن لغات أخرى وقال له العربية لسان عمى اسماعيل والعبرية لسان آبائى وطلب منه الملك أن يسمعه رؤياه فاسمعها له وذكر له البقرات والسنايل وأما كنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض إليه الأمر وتوفى قهقير ففلا له مكانة وزوجه زليخا فوجدتها عفراء وولده منها افرائيم وميشا (قال اجعلنى على خزان الأرض) ولنى أمر أرض مصر (إنى حفيظ) لها من لا يستحقها (عليه) بوجوه التصرف فيها وهذا دليل على أن من قدر على اللطفة العاتة فليتولها وليستظهر بذى الجاه

ولو كان كافرا لأن الخلق عباد لله وأقر بهم إليه أنعمهم له والنافعون للناس أجبه باللائكة القائمين بأمره في تدير خلقه (وكذلك) ومثل ذلك التمكن الظاهر بأن أنجينا من الحب وخلصناه من السجن وزينا في عين الملك (مكننا ليوسف في الأرض) أرض مصر (يتبرأ منها حيث يشاء) أي كل مكان أراد لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخلها تحت سلطانه (نصيب رحتنا من نشاء) في الدنيا (والانصيص أجر المحسنين) الذين يحسنون أعمالهم وأخلاقهم ويحسنون إلى الناس فنجعل للناس يوقه ونهم ويحبونهم ويعلمونهم ونرفعهم على الجميع في الدنيا كما في أمر يوسف وهذا كقوله تعالى - وأتيناه أجره في الدنيا - وكقوله تعالى - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا - أي يلقى المحبة لهم في القلوب فيوسف لم يجعله الملك على خزائن الأرض إلا لعلمه وحكمته وكل من لم يكن أهلا للأعمال العظيمة في الدنيا يحرم منها ولذلك نرى للمسلمين قد غش كثير منهم الطرف عن احسان أعمالهم وصناعاتهم وعلمهم وكتبهم ومطابيحهم وجهلوا أكثر ما ينفع الناس ولم يحسنوا الصناعات إلا قليلا وقاز بها الافرنج فوق لغة بعنه للمسلمين حظه من التأخر والفرجة حظه من انقمت فانه لا ينصيح أجر المحسنين لأعمالهم تعجب . ولما كان المقام مقام دين وحس على الآخرة عطف عليه قوله (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا) أي أفضل من أجر الدنيا (وكانوا يتقون) ما نهى الله عنه من الشرك والذنوب فان الأجر في كل شيء بحسبه ويوسف بنال في الآخرة أفضل مما أوفى في الدنيا . وقد جاء في آية أخرى في حق بعض الأنبياء - وأتيناه أجره في الدنيا واه في الآخرة لمن الصالحين - .

• يقال ان الملك لما استوزره أقام العدل وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدية وعم القحط مصر والشام وتوجه اليه الناس . ولقد تعالى أصحاب القصص فقالوا إنه باع أوزار بالرهام والديانير ثم باخل في الدواب فبالنصاع والعارم برقابهم ثم اعتهم بالاتفاق مع الملك . وكل هذا غير معقول تنافله الناس جيلا عن جيل أكاذيب ما أزل لغة بها من سلطان . وقد كان أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب عليه السلام إليه لإبنايين إلى يوسف ليرة (فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) أي عرفهم هو أما هم فلم يعرفوه لعلو الهند وعظمة الملك (ولما جهزهم بمجهازهم) أصل الجهاز ما يمد من الأمتعة للثقة كمد السفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى ويطلق أيضا على ما ترف به للمرأة إلى زوجها . • يقال إنه أعطى كل واحد حل بعر . والجهاز بكسر الجيم قرى شاذ (قال اتوني بأخ لكم من أيكم) . • يقال انه قال لعمركم جوسيس قالوا كلا وذكروا أنهم (١٧) هلك واحد منهم في البرية ولم أخ عند أبيهم وهم هنا عشرة وسالوه حلا لأجل أخهم الغائب فأعطاهم ذلك ورهن أحدهم وهو شمعون بطريق الاقتراع حتى يحضروا أخاهم الغائب ليحل صدقهم وأخذ يقيم الحجة على أنهم يجب عليهم أن يرجعوا إليه لقضه عليهم مع اظهار الثقة في المعاملة وأخذ أحدهم رهنا وقوله (فان لم تأتوني به الخ) هذا جمع بين اللين والثقة وهي خير سياسة بحيث اذا كان الرجل عن يساقون بالصا فقد نال أو بالحلم والفضل فقد ناله وذلك عند جهل حال الموس كما في هذه الحال فان يوسف عليه السلام وان كان علما بهم قد عاملهم معاملة من لا يعرفهم فقال (ألا ترون أني أوفى الكيل) أمه (وأنا خير للمزينين) أي خير المتبينين لأنه قد أحسن ضيانتهم وأكرم مثواهم (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تحربون) أي ولا تحربوني ولا تدخلوا ديارى (قالوا سئود عنه أيام) سنجهد في طلبه من أبيه (ولما لقاعلون) ذلك ولا تواتى فيه (وقال لفتياه) لغلماه الكياليين (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أوصيتهم وكانت نعالا وادما وورقا وهذه البضاعة كانت غن الطعام ووكل بكل رجل واحدا يجعل فيه بضاعتهم (لعلهم يعرفونها) يعرفون حق ردها وحق التكرم بلرباع غن الطعام مع الطعام (إذا انقلبوا إلى أهلهم) وفرغوا أوصيتهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع (فلا رجعوا إلى أبيهم قالوا بأنا ما نمنع منا الكيل) حكم بمنه بعد هذا ان لم ينهب معنا بنيامين (فأرسل معنا أخانا نكتل) نرفع المنافع من

الكيل (وانا له لحاظون) من أن يناله مكروه (قال) يعقوب (هل آسكم عليه إلا كما آسكم على أخيه من قبل) وقد قلتم هذا القول في يوسف (فالله خير حافظاً) منكم • وقرئ • - حفظاً - فهو على الأول حال وعلى الثاني تمييز • يقول إني أتوكل على الله في حفظه (وهو أرحم الراحمين) فأرجو أن ينم على بحفظه • واعلم أيها الذكر أن قوله هنا - وهو أرحم الراحمين - لا يقبلها إلا ذلك كياء إلا إذا درسوا ما تقدم في سورة هود وفي سورة الأنعام وفي سورة يونس وفي سائر ما تقدم من عبادة الله بالعوالم الحسية ونظره لها نظر رحتوان أكثر الناس إلا يعرفون من الله إلا منها في الجنة ومعذباً في النار ومنزلاً على الناس مرضاً وقراً وموتاً • ولجاهل يحجه ذلك عن التوغل في العلوم فيعيش مرتبكا معترضا على الله في قلبه مظهر الرضا بلسانه مغلواً حقداً على إبليس وعلى كل مخالف لمقيدته من أهل الأرض وهذه حياة الجاهلين في جميع الأمم والأجناس فلا يرون رحمة الله إلا من رحم ربك وعرفه • والطريق الذي سلكناه في هذا التفسيران تعرف رحمة من جمال هذا العالم والتوغل في العلم والوقوف على الحقائق • وأن أمثال سجن يوسف وغر بته وسجنه وضرب عين أبيه وحسد الأخوة واستعباد يوسف • كل ذلك يظهر للجهال أنه قيمة وما هو إلا مقتضات للنعمة وذلك أشبه بدروس للدرسة يعلمها التلميذ صعبة قاسية ثم تكون عاقبتها السعادة • فهكذا سائر أحوالنا فهنا التفسير والسبر على منواله ودراسة العلوم التي أشار إليها ونبه عليها تعرف أيها الذكر أن الله أرحم الراحمين فرجته كرحمة الأب الذي يعلم ابنه ويقهره على تعلم الدروس • ورحمة الجهاد كرحمة الأم • فعلم وكن من المفسرين ثم قال تعالى (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبئ شيأ وراء ما فعل بنا قد أكرمنا وأحسن مثواً وباع منا ورثة علينا متاعنا ثم مضوا فقالوا (هذه بضاعتنا ردت إلينا) فليستظهر بها (وغير أعلنا) بالرجوع إلى الملك أي نجعلهم ميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك (ويعتظ أختاً) عن المخاوف (وزداد كيل بغير) وسق بغير باستصحاب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل عايه متيسر لا يتعاطله (قال لن أرسله معكم - حتى نؤتون موتاً) عهداً (من الله) أي حتى تعطوني ما نؤتي به من عند الله أي عهداً مؤكداً بذكر الله أو الحلف به فكان للمعنى حتى تحلفوا بالله (لأنقني به) هذا جواب القسم أي والله الخ (إلا أن يحاط بكم) أي إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك أو إلا أن تهلكوا جميعاً أي لا تمتنون من الاتيان به إلا للاحاطة بكم كما تقول أقسمت بالله الا فأت كذا أي ما أطلب الا فأت كذا (فلما أتوه موقعهم) عهدهم (قال الله على ما تقول) أي قال يعقوب الله شاهد على ما تقول فكان الشاهد (وكيل) أي موكل إليه هذا العهد أو وكيل حافظ (وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد ودخلوا من أبواب متفرقة) أمرهم بدخول مدينة مصر من أبواب مختلفة أو من طرق مختلفة لأنهم أبناء أب واحد لهم جمال وطول قامه بارعان وقد عرفوا هذه المرة بخلاف التي قبلها بخلاف عليهم العين • ومعلوم في علم ما وراء الطبيعة كما في الاشارات لابن سينا أن للنفس آثاراً تنبعث منها بواسطة العين وغيرها إلى الخارج وهذه الآثار إما ضارة وإما نافعة وفعل العين من عانه يعينه أسبابها من تلك الآثار • ولأنك درست أيها الذكر ما دونه للثاقبون وعلما العصر الحاضر في هذا المقام لذهبت من العلوم للنفسية في أمريكا وفي أوروبا من الآثار المغناطيسية في التنويم وغيره ولعلنا أن الانسان قليل العلم • ففي الأرض اليوم أناس يشقون المرض بمجرد اللس مرة أو مرات كثيرة وذلك يحصل بالغمرين ودروس كثيرة • وقد اشتهر أناس في أصقاع الأرض بهذه الخاصية • وقد ينوم الرجل غيره ويوصي إلى النوم وقت النوم ما يشاء أن يفهمه كالصلاح والتقوى وحب اللرس وترك الخمر والتدخين والكوكابين أو الاحسان أو ترك الضرب أو قتل فلان في وقت كذا • فإذا استيقظ للنوم لم يعرف شيئاً من ذلك وإنما الأثر في نفسه يجعله مستعداً لما أوصى إليه في النوم فيفضل ما أمر به في الوقت والساعة والبدقة والثانية ولا يدري من أين حل به هذا • هذا غيض من فيض من علوم العصر الحاضر • وهكذا

ذكر بعض ذلك المتقشرون فالتفت انسانة لها قدرة مخبوءة تظهر بالعمل والدرس والجد والرياسة تارة
وبطبعها تارة أخرى . فالعين عما يؤثر بدون درس ولا تعليم كن يسون في أوروبا اليوم وسطاء الطبيعة
أى ان هناك أناسا خلقوا ولم قدرة في الوقت الحاضر على مخالطة الأرواح متى أقنوا أنفسهم في السبات المغناطيسى
وهكذا آخرون لهم قدرة أن يروا الأرواح باعينهم ويسى الواحد منهم (الوسط للبصر) فذلك يكلم الأرواح
وهذا يراهم ويكلمهم . فكذلك هنا هؤلاء العاتون خلقوا عجولين على الشريعة القوة كما خلق الأنبياء
عجولين على الخير والشرطين على الشر . فاذا سمعت رواية البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال
﴿ إن العين حق ﴾ فاعلم أن هذا هو العلم الحديث والقديم . واذا سمعت رواية مسلم عن ابن عباس عن
النبي ﷺ إذ قال ﴿ العين حق ﴾ ولو كان شئ ما بقى القدر لسبقته العين واذا استخلصتم فاعلموا . ومعنى
هذا أنه كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يقتل منه المعين . فاذا سمعت هذا فاعلم أن العلم اليوم كشف أصول
هذه العلوم . والظاهر أن هذه المسائل سيزيد وضوحها في المستقبل القريب . واذا سمعت قوله ﷺ
﴿ اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ﴾ فاعلم أنه لم يجد
علاجاً لهذا الوباء الذى يصدر من النفوس إلا بالاتباع خالق النفوس . ثم أخذ يعقوب يذكر بنيه أن هذا
من الأخذ بالأسباب والقدر لا ملجأ ولا منقذ منه اذا حتم على امرئ في هذه الدنيا فقال (وما أغنى عنكم من
الله من شئ) أى ان كان الله أراد بكم شراً فلا دفاع له من التفرق الذى أشرب به ولا غيره وانما علينا الجِدُّ
والله هو الذى يتولى العباد (إن الحكم إلا لله) فهو منفذ أمره متى أراد (عليه توكلت وعليه فليتوكل
المتوكلون) التوكل توقيض الأمر الى الله والاعتداد عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) متفرقين
(ما كان بينهم) أى ما كان يدفع عنهم دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شئ) أى حيا قط فاتهم
مع هذا التفرق في الدخول انهموا بالسرقة وافترضوا بعد ذلك بسرقة صواع الملك وأخذ أخوهم لان
الصواع وجد في رحله وزاد حزن أبيهم بقصد بنيامين (إلا حاجة في نفس يعقوب) استثناء منقطع أى لكن
شفقة يعقوب عليهم واحترازه من أصابتهم بالعين (فصاها) أظهرها ووصى بها (وإنه لتوعل لما علمناه)
بالوحي تارة ونصب الحجج تارة أخرى فصرف ما تنقطع دونه أعناق الحكماء بحثاً ونقياً وهو أن ما هو شائع بين
العامة من تأثير العين حق وأمر بالتمحز منه وعرف أن القضاء غالب فذكر للأميرين التوسية والتسليم للقضاء
(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فلا يعرفون من الأسباب إلا ما تلمسه أيديهم وتراه أعينهم وكذلك لا يعرفون
بقوة فوق هذا العالم تدبر شؤنه وتحيط به فامتلأوا أمر أبيهم وسافروا الى مصر (ولما دخلوا على يوسف أرى
إليه أخاه) ضم إليه بنيامين على الطعام وفي المنزل وذلك انه قال سينزل كل اثنين منكم بيتاً وهذا لثاني له
فيكون مئ فبات معه وقال له أعجب أن أكون أناك بدل أخيك المالك قال بنيامين ومن يبعد أنا ملك
أبنا الملك ولكن لم يملك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعاقبه (قال إني أنا أخوك فلا تبكس بما
كانوا يصمون) أى لا تحزن بما عملوا في حقنا فيما مضى (فلما جهزهم بمبازهم) أى حياً أسباجهم وأوفى
الكيل لهم (جعل السقاية في رحل أخيه) وهى للشربة التى كان للكبش يشرب بها وهى الصواع يقال انها كان
يسقى بها الملك ثم جعلت صاعاً يكال به لمة الطعام وكان يشبه (الطاس) من فضة أو ذهب وقد جعلها في وعاء
طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا فأرسل خفقهم من استوفهم (ثم أذن مؤذن) نادى مناد وأعلم معلم والأذان
الاعلام (أيتها العرب إنكم لساقرتون) العير القافلة وهى اسم الابل التى يحمل عليها الأحبال فسمى بها أصحابها
(قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) أى شئ ضاع منكم (قالوا نفقد صواع لك) وهو الصاع كما قرئ به
وبالصواع كنصر وكقتل وبالعين وبالبين وصواع من الصباغة (ولن جاء به حل بصر) من الطعام (وأما به
زعيم) الزعيم الكفيل بلسان أهل البين . يقول أنا كفيل أؤديه الى من رده وهذا من باب الجمالة وإنه

يجوز زمان الجمل (قالوا والله) قسم فيه معنى التجب (لقد علمت ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) وذلك انهم شقوا أفواه رواحلهم ثلاثا تناول زرعاً أو طعاماً لأحد من أهل السوق في المدينة وكانوا ذوى أمانة ظاهرة عرفها للكل ويطاوعة صاحبته حتى ردّ بضاعتهم اليهم فوجدوها في رحالهم (قالوا فما جزاؤك) أى فما جزاء سرقة الصاع (إن كنتم كاذبين) في جودكم ولذعانكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد في رحله) أى جزاء سرقة أخذ من وجد في رحله وذلك هو الحكم في شريعة يعقوب أن من سرق يكون رقيقاً منه فلما استفتوهم أجابوهم بحسب شرائعهم (فهو جزاؤه) أى فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير (كذلك يحجز الظالمين) أى السراق ففسرهم (فبدأ بأوصيتهم قبل وعاء أخيه) فبدأ بتفتيش أوصيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أطلق هذا أخذ شيئاً فقالوا والله لا نتركه حتى ننظر في رحله فانه أليّيب لنفسك وأنتنا فوجدناها في وعاء طعامه (ثم استخرجها من وعاء أخيه) وأنت هنا باعتبار السقاية والصواع يذكر ويؤث (كذلك) أى مثل ذلك الكيد أى الحيلة (كدنا ليوسف) أى علمناه إياه وأوحينا به إليه ثم فسر الكيد وهى الحيلة المتقدمة فقال (ما كان ليأخذ أخاه في دين للكل) لأن الحكم في دين للكل أى شريعته السارق ان يغم مثل ما أخذ ويضرب لا أن يستعبد ولو أن يوسف جرى على شريعة للكل لم يمكن من أخذ أخيه وقوله (إلا أن يشاء الله) استثناء منقطع أى لكن أخذه بمشيئة الله وادّنه (رفع درجات من نشاء) بالم كما رفضنا درجته (وفوق كل ذى علم عليم) أرفع درجة منه (قالوا ان يسرق) بنيامين (قد سرق أخ له من قبل) وهو يوسف لأنه دخل كنيسة فأخذ ثياباً صغيراً من ذهب كانوا يبدونه فدفنه • وقبل أعلى دجاجة كانت في المنزل لسائل أوان منقطعة لابراهيم عليه السلام يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر أولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شبّ أراد يعقوب أن ينزعه منها فصعدت الى المنطقة فخرمها على يوسف تحت ثيابه وقالت قدت منطقة اسحق فوجدوها محزومة على يوسف وقالت انه لى سلم أفضل به ما أشاء فتركه يعقوب عندها حتى مات • ويقال انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين تكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له نضعثنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاد متى أخذت هذا الصاع قتل بنوراحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاد ذعبت بأخي ما هلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذى وضع البضاعة في رحالك (فأسرّها) أى مقاتلته انه سرق كأن لم يسمعها (يوسف في نفسه ولم يدها لهم قال أمم شرّ مكاناً) مكاناً تميز أى أمم شرّ منزلة في السرقة لأنكم سرقتم أنا كم يوسف من أبيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أو تكذبون (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخاً كبيراً) في السن وفي القدر (نخذ أحدنا مكانه) بله على وجه الاسترها نأول الاستعداد فإن أبا يسلى به عن ابنه المفقود (إنا نراك من المحسنين) الينا قائم احسانك أومن للمتقدين الاحسان فكيف تغير عادتك (قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عندهم) وكيف نأخذ غيره فنأخذ من فترأكم (إنا إنن لظالمون) في مذهبكم هذا (فلما استأسوا منه) السين والتاء اللبالة كما في استصم أى فلما يسأوا من يوسف (خاصوا) انحدوا عن الناس خالصين لاختلاطهم سواهم (تجبا) أى متحابين متشاورين وليس معهم غيرهم وهو مصدر فلذلك أفرد لأن هذه قاعدته فهو يكون مفرداً في كل حال (قال كبيرهم) في السن وهو روبيل أوفى الراى وهو شمعون (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثاقاً من الله) عهداً وثيقاً لأن العهد كان مع الخلف وهو تأكيده من جهة الله (ومن قبل) ومن قبل هذا (ما) مزيدة (فترم في يوسف) قصرتم في شأنه (فلن أبرح الأرض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لي أبى) في الرجوع (أو يحكم الله لي) أو يقضى الله لي بالخروج أو بالولوت (وهو خير لما كبت) لأنه لا يحكم إلا بالعدل (ارجعوا الى أيكم تقولوا يا أباي إن ابنك سرق) أى نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه

بالسرقة (إلا بما علمنا) من سرقة وتيقنا أن الصواع استخرج من وعاءه (وما كنا للقب حافظين) وما علمنا أنه يسرق حين أعطيناك الموتي (واسأل القرية التي كنا فيها) أي مصر أي أرسل إلى أهلها فأسلمهم من كنه القصة (والعبراني أقبلنا فيها) وأصحاب القافلة وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب (وإنا لصادقون) تأكيد (فلما رجعوا إلى أبيهم) وقالوا له ما قال لهم أخوهم (قال) يعقوب (بل سؤلت لكم أنفسكم أمرا) أردتوه فقررتموه والآن فلما ذأفهم الملك أن الدارق يؤخذ بسرقة (فصبر جيل) أي دأمرى صبر جيل أو صبر جيل أجل (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) يوسف وبنيامين وأخيهما الذي توقف بمصر (إنه هو الطيب) بحالي وحالم (الحكيم) في تديره (وتولى عنهم) أي عن بني نى وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به (وقال يا أسفا على يوسف) والآف بدل من الياء أي يا أسنى والأسف أشد الحزن والحسرة والتجانس بين الأسف ويوسف غير متكاف (وابيضت عيناه) لما أكثر البكاء ومحتت العبرة سواد عينه فجعلته بياضا وكان يدرك أدوا كاضيفا (من الحزن فهو كظم) علاؤه من الفيظ على أولاده ممسك له في قلبه لا يظهره أي مكظوم من كظم السقاء شدة على ملته (قالوا تالله) لا (تقتؤ تذكر يوسف) أي لاتزال تذكره فقمعا * ومن هذا فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي ليدك وأوصالي

أي لا أبرح وقوله (حتى تكون حرضا) أي مريضا مشرفا على الهلاك (أو تكون من المهالكين) * قال إنما أشكوى وزحني إلى الله - البت - أصعب ألم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيث إلى الناس أي ينشره فهو لا يشاء إلا إلى الله * روى في باب اللواعظ أن يعقوب اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكى حتى عميت (وأعلم من الله ما لا تعلمون) وأعلم من رجه أنه يأتي بالفرج من حيث لا يحتسب الناس (يأتي) اذهبوا فقصوا من يوسف وأخيه) فقصوا منها وتعلموا خبرهما * والتحسس هو المعرفة (ولأناسوا من روح الله) ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون) لأن من آمن بالله ودرس هذا العالم كما حتم في هذا التفسير يعلم أن رحمة يوسف كل شيء علما يقينا لا تقليدا يفرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز سنأ وأهلنا الضراء) أي الشدة والفقر والجوع * والأهل هم من خلفهم من الميال (وجئنا ببضاعة مزجاة) رديئة قليلة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتعوز من البائع * قيل هي صوف وسمن وحب خضراء وما أشبه ذلك (فاوف لنا الكيل وتصدق علينا) أي فأنم لنا الكيل وتصدق علينا برء أخينا على اعتبار أن حرمة الصدقة خاصة ببنيينا ^{عليهما السلام} أو بالساعة وقبول المزجاة (إن الله يجزي المتصدقين) أي للمتفضلين أحسن الجزاء * يقال إنه أخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه بيده من مالك وفي آخره وكتبه يهوذا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا أيها الملك إنه كان لنا عيب فبعناه منه فضاظ ذلك يوسف وقل انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلهم قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا فكيف إذا أتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا إن كنت فاعلا ذلك فأبث بأمتنا إلى أيننا فانه يمكن كذا وكذا فذلك حين أدركته الرقة عليهم والرجة فبكى و (قال) يوسف لأخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف) أي هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف (وأخيه إذ أتتم جاهلون) لا تعلمون قبحه (قالوا أنتك لأنت يوسف) اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبران (قال أنا يوسف وهذا أخى) من أبي وأخي (قد من الله علينا) بالسلامة والكرامة وهذه الجملة التي تعميها لأجلها ذكر أخاه وإن لم يدخل في سؤالهم (إنه من يتق) الله (ويصبر) على ما يتقلب به وعلى الطاعات وعن للمعصي (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) الذين يجمعون بين التقوى والصبر ولهذا المعنى وضع المظهر موضع المضمهر (قالوا تالله لقد أفرغك الله علينا) اختارك علينا بحسن الصورة وكمال البصرة وجمال العلم والحلم والتقوى والصبر (وإن كنا لخاطئين) وإن شأنا وحالنا - إن كنا خاطئين - متعبدين للام لم تق ولم نصبر * لقد أعزك الله

بالمك وأذلتا بين يديك (قال لاثرب) لاثير ولا تأنب (عليكم اليوم) متعلق بتريب • وإذا لم تؤنبوا اليوم فكيف بما بعده ثم ابتداء فقال (يضفر الله لكم) مفرط منكم • روى أن رسول الله ﷺ أخذ بضادى باب الكعبة يوم الفتح فقال قرىش ما روتنى فاعلا بكم قالوا فظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخى يوسف - لاثرب عليكم اليوم - • وروى أن أباسخيان لما جاء ليسل قال له العباس إذا أتيت رسول الله ﷺ قاتل عليه - قال لاثرب عليكم - فضل قال رسول الله ﷺ غفر الله لك ولبن عمك • ويقال إن أخوة يوسف لما عرفوه أرسلوا إليه (انك تدعونا إلى طعمك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف إن أهل مصر وإن ملكك فيهم فانهم ينظرون إلى بالعين الأولى ويقولون سبعان من بلغ عبدا بمشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أنى من حفدة إبراهيم) اه

واعلم أن هذه الحكاية المنقولة عنهم وأضرابها إنما أذكرها لتقف على المحاورات الحسنة التي تقيد قوة أدبية وإن لم يكن هناك دليل على نبوتها لا بالكتاب ولا السنة ولكن هذا أدب يحسن أن يقال وقوله (وهو أرحم الراحمين) من الولدين وغيرها • ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا عفى من كثرة البكاء عليك قتال (اذهبوا بقميصي هذا) أى القميص الذى كان عليه (فألقوه على وجه أبى يات بصيرا) يصر بصيرا فأنى هنا بمعنى صار كما تقول جاء البناء عمك أى صار • قال يهوذا أنا أجل قميص الشفاء كما ذهبت قميص الجفاء وتوجه به من مصر إلى كنعان (واتنوني بأهلكم أجمعين) لينعموا بأثر ملكي كما اغتصوا وخزوا لأجل (ولما فصلت العير) خرجت القافلة من عريش مصر • يقال فصل من البلد فصلا إذا انفصلت وجوز حيطانه (قال أبوه) لولد ولده ومن حوله من القوم (إني لأجدر بكم يوسف) وذلك قبل وصوله إليه (لولا أن تغفدون) وهو قصان عقل يحصل من هرم أى لولا تغفدكم إياي لست غفونى (قالوا) أى الحاضرون (ثالثه انك لى ضلالتك القديم) أى لى خطئك القديم من حب يوسف وتوقع قتله وكان عندهم أنه مات (فلما أن جاء البشير) أى يهوذا (ألقاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجهه يعقوب (فارتد) فرجع (صيرا) • قال ألم أقل لكم أنى أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف وإزالة القرج (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إننا كنا خاطئين) وقد اعترفنا بذنوبنا فنحن أهل لصفحك عنا وأن تسأل لنا المغفرة (قال سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم) وقد أخوه إلى السحر أوالى صلاة الليل أو غير ذلك ثم إن يوسف وجه إلى أبيه جهازا ورواحل فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف ومعه الجند والمالك فلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه) ضم إليه (أبوه) أباه وأمه واعتنقهما • ومعنى دخولهم عليه دخولهم مصر وكانوا إذ ذاك اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه السلام سبائة ألف وخمسمائة وبنو سبعين رجلا سوى القرية والحريم (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها إلا بجواز • وقد ثبت فى التاريخ أن الأئمة المصرية كانت تحسن على الغرباء بالمستول فى البلاد فلما فتحت أبوابها اقتحمها الأجانب فالمشيئة راجعة إلى الامن عما تقدم ومن المسكاره ومن القمط • انتهى القسم الرابع والخامس

(لطيفة فى قوله تعالى - وفوق كل ذى علم علم -)

اعلم أن هذه الآية نزلت لتخرج المسلمين من جهالتهم العمياء إذ هم اليوم أقل الأمم علما وهذه السورة فيها سر العلوم • ألم تر أنه بعد أن قص قصص يوسف وأخوته قال كما سياتى - وكأين من آية فى السموات والأرض يمدون عليها وهم عنها معرضون - فقوله - وفوق كل ذى علم علم - مقامة لذلك لأن العلم يكون بما فرأى الله فى العوالم فهذه السورة وهذه الآية تعليلان من أمة الاسلام رقىا فى العلوم بلانهاية فإنا كل المسلمون

اليوم أجل الأم فانهم في المستقبل سيأخذون في الارتقاء ومن للمهملات هذا التفسير . ولأذكر لك نبذة من كتاب (الدنيا في أمريكا) لتتظرك كيف ارتقوا في كل شئ وأن المسلمين يقولون انهم أعلم منا وأن هذه آيات الله وهم يتنصروا بها ونحن محرومون

(عجائب الصناعات في أمريكا)

فيها بنات شاشات فولاذية تنطرح السحاب وتضار الشهب فهناك عمارة (ولورث) في نيويورك لها ستون طابقا والصواعد الكهر بائية التي تقل سكانها ثمانون ويسكنها اثنا عشر ألف نفس ولا تعتمد البناات التي لا تتجاوز عشرين طابقا مرتفعة . وتجد في البناية الواحدة ستة طوابق تحت الأرض ولا تشيد المباني إلا من الفولاذ والخجر في المدن وفي كل عمارة ضخمة في الطوابق التي تحت الأرض آلة للتهوية والتدفئة . تحرك هذه الآلة هروحة كبيرة تأتي بالهواء النقي من الخارج وتبعث به الى كل غرفة في البناء . ومعنى أقبل الشتاء مردوا هذا الهواء في تيار ساخن فدغأت جميع الغرف

(طرق المواصلات)

يوجد منها في المدن الكبيرة مما يوصل الى أجزائها المختلفة (ثلاثة أنواع) نوع يسير تحت الأرض كما في باريس ولندن وبرلين . ونوع يسير فوق الأرض كما في مصر وغيرها . ونوع معلق بين الأرض والسما على عمد كبيرة الارتفاع يجري فوقها قضبان تسير عليها تلك القطارات بمحاذاة البنايات الشاهقة ولا نظير لهذا في الممالك الأخرى وهناك قطارات تسير تحت قاع النهر أى داخل أنابيب تحت الأرض التي يعلوها ماء البحر

(تسهيل الأعمال)

في مدينة (نيويورك) تضع قطعة من النقود في قفب هناك فهناك يفتح لك الباب للدخول للقطار بلا مراقب ولا مفتش وتضع في قفب التلفون قطعة من النقود ثم تقع الساعة على أذنك بدون أن ترفع الجرس فتجيبك العاملة على الفور

(تسهيل العمل في المطاعم)

هناك مطاعم فسيحة أتيقة تقوم فيها المحركات مقام العمال فيها آلاف من الثوب النحاسية فوق كل منها مصباح موقد وغن واسم طعام من الأطعمة من لبن وشاي الخ من كل ما يحضر بيبالك من طعام وشراب تضع الثمن في الثقب الذي تريد فيز أمانك رف صغير فوقه طبق الطعام الذي ترغب فيه . وهناك أجهزة لمسح الأحذية من تلقاء نفسها بعد إلقاء قطعة من النقود في قفب فيها . ومثل ذلك آلات لفصل الأطباق والشوك والملاعق وأدوات الطبخ وتجفيفها وهكذا مما لا حصر له وهم يستعملون الكهرباء للإضاءة ولطهي الطعام ولفصل الثياب وغير ذلك . في مدينة نيويورك ١٧ ألف صناعة يتلقى طلبة المدارس ٢٠٢ صناعة فقط منها

(التلفون الذي لا سلك له)

هذا هو الذي اخترعه العالم (ماركوني) الأمريكي وقد بلغ عدد المحطات التي تبث الى السكان ليلا ونهارا ستة ١٩٢٣ م (١٩٢٤) محطة غير ما للحكومة وهو (٢٢٣) محطة وغير المحطات الخلعة وعددها (١٨٦٥٨) وبلغ عدد الأجهزة اللاسلكية في ولايات أمريكا للتحلة خمسة ملايين وغن الجهاز من ستة ريالات الى ألف ريال على حسب توصله في المسافات بعدا وقربا وقد بلغ من منافعتها ما يأتي ان رئيس الولايات المتحدة يقف أمام آلة التلفون للعدادة في قصره ويلقي خطابا بحماس ووجهة وتكون آلة التلفون متصلة بشركة اللاسلكي وهذا يطيرها الى كل ماله من جهاز فيسمع خطبة الرئيس للملايين من النفوس ويسمعا الناس في سائر أنحاء أمريكا وأوروبا . وراهم يقسمون الأوقات باللاسلكي فيقولون

من الساعة ٤ الى الساعة ٥ والدقيقة ٥ مثلا أخبار محلية ومن ٤ س ٦ ق الى ٤ س ١٥ ق
موسيقى وهكذا من حكاية فكاهية للأطفال الى عظة شاقة . إن الانسان يسمع بهذه الأجهزة كل صوت
في الصين وفي أوروبا وأمريكا حتى كانت هناك أجهزة للاستعمال فيكون الناس على الأرض أمة واحدة بل
العلماء هناك يقولون إن فكر الانسان يؤثر في عالم الأثير بحركات لطيفة ويظنون أنهم سيعرفون كيف
يقرون الأفكار فلاتبقى إذن للناس أسرار وهذا ظنهم - ولله عاقبة الامور -
(الحركة العسكرية والتجارب العلمية)

في مدينة نيويورك مدرسة شهيرة ثانوية يدفع الطالب فيها سنويا (١٥٠٠) رايالا ويفضلها على مدارس
الحكومة التي لا يدفع فيها قرشا واحدا . وفرض هذه المدرسة وضع مقررات غير ثابتة فهي في تغيير مستمر
والتغيير يكون على حسب الفائدة بالتتابع . وهناك حقول لتجارب الزراعة فيزرعون القواكه والخضر
ويستبدلون الحب بغيره ليكون الناتج أكبر حجما وأقد طغما وأبهج منظرا وهكذا علمهم في تربية الحيوان
وكم يتبرع العلماء بالمال لأجل القوائد العلمية مثل ما يأتي

الى أي حد تكون الامتحانات العمومية دليلا على قوة الطلبة العلمية وقد كانت النتيجة بعد أن وضع
المرجلت على أوراق الطلبة الامتحانية مئات من المدرسين وتلك الأوراق قد طبعت وكل مدرس لا يعلم ما
فعله الآخر . أقول كانت النتيجة أن الطالب الواحد يختلف درجته في العلم الواحد بحسب تقدير مئات
والوف المدرسين من ٣٠ الى ٩٠ في المائة من النهاية السطحي وهكذا فعلا مع المدرس الواحد فهو
يصحح الورق الذي صححه هو منذ شهر وهو لا يعلم أنه هو الذي صححه فكانت النسبة أيضا من ٣٠ الى
٩٠ في المائة . فذلك استبدلوا هذه الامتحانات بامتحانات أخرى . وأيضا برهنوا بالعمل على أن
العقل لا يتعب بل الجسم هو الذي يتعب . وأيضا برهنوا على أن عدم النوم لا يؤثر في الذاكرة والحفظ
فقد يفقد المرء النوم ثلاث ليال متوالية ومع ذلك يستطيع القيام بعمل المسائل وتحرير الرسائل كالعناد .
وأیضا برهنوا بالتجارب أنه خير للطالب أن يدرس علما أو يتذكر درسا ثلاث ساعات كل يوم لمدة ستة أيام
من أن يدرس نفس الدرس ست ساعات كل يوم لمدة ثلاثة أيام مع ان عدد الساعات واحد . وأيضا برهنوا
على أن تعليم البنات والولد في مدرسة واحدة خيرا وبأبني للأخلاق وأكثر صيانة لها . وذلك بانهم علموا
كلا من الجنسين على حدة في مقاطعة والاثنين معا في أخرى وراقبوا النتائج سنين عديدة . وبرهنوا أيضا
على أن الطالب المقتدر في اللغات مقتدر أيضا في العلوم الرياضية بعكس ما نظنه في بلدنا . وأيضا كذبوا
بالتجارب هذه القاعدة أن القوى في العلوم رديء الحظ وإنما أثبتوا أن الليل الى الواحد قد يزيد عن الآخر
فتقل اللذة فيه أو تنصف فلاتكافأ معلومات الطالب في الاثنين . وكذبوا بالتجارب أيضا قاعدة أن الذي
كثير النسيان فقد برهنوا على ان اكثر الناس نسيانا أقلهم ذكاء . وأيضا قام البرهان على أن حفظ
قواعد اللغة لا يساعد في الانشاء كثيرا . وأيضا كذبوا بالتجارب ما قيل ان الهندسة مثلا والجبر يساعدان
على تثقيف العقل . وهذه القاعدة وضعا أفلاطون في كتابه الجمهورية عن أستاذه سقراط فقد وصل هؤلاء
الى تجارب دلت على أن هذه العلوم لا تقيد تقوية ملكة التفكير ولا تثقيف العقل . وأيضا أسقطت التجارب
ما يظنه الناس من أن أولاد المدن أقل ذكاء من أبناء القرى . قد بلغت الصحافة هناك أنهم لا يكادون
يمسكون سارقا حتى تظهر صورته الفوتوغرافية بواسطة (اللاسلكي) الى جميع أنحاء أمريكا وتنشر تلك الصورة
جميع الجرائد مذبة بالاسم والعنوان والعمر والصناعة وشرح الجريمة . وهناك جرائد مسورة يومية لا تنشر
إلا أخبار السوء الثالثة . وقد ذكرت لك أن ذلك يستتج من آية في سورة النساء فأقرأها هناك ولما
كتبت ذلك هناك لم أكن اطعمت على ما قلت لك الآن في أمريكا

(رقى للمرأة)

بلغ من رقى النساء في أمريكا أنك ترى الطلبة في جلسة (كلومبيا) مثلا أربعين ألفا جميع مساعدي الأساتذة وكاتبى أسرارهم من النساء وكذلك ألوف الموظفين في التسجيل والخزينة واليانات الخاضعة للطلبة الداخلين كلهم أوجبهم من النساء وهناك فرقة واحدة فيها (٣٣٥) طالبا يتلقون الفلسفة وأكثر من النصف نساء والسواد الأعظم من طلبة مدرسة الصحافة في هذه الجامعة من البنات وكذلك السواد الأعظم من المحررين والمكاتبين فيهن وفي كلية المطبعين في تلك الجامعة أكثر من ثلاثة آلاف طالب خسم من الذكور فقط والباقي من النساء وقد ثبت أن (٩٠) في المائة من الأساتذة في أمريكا من السيدات وأن في مدينة (نيويورك) وحدها (١٩) ألف معلمة وأخت الرئيس (هاردينج) معلمة . إن في كل خمين من السكان في أمريكا طالبا في المدارس الثانوية وعدد البنات في المدارس الثانوية أكثر من عدد الذكور في حين أن في ألمانيا طالبا ثانويا في كل مائة وثلاثين من السكان . وعدد الطلبة في فرنسا في الأقسام الثانوية نسبة طالب في كل مائة وخمين . وفي انكلترا طالب في كل مائة مع العلم أن الأغلبية الساحقة في هذا العدد من الذكور . إن في أمريكا أكثر من عشرين مليون طالب وفي الأقسام الثانوية فقط أكثر من مليون طالب أكثر من نصفهم من الإناث . ويؤم أمريكا من الأمم المختلفة أكثر من عشرة آلاف طالب ليتلقوا العلم في كليتها وجامعاتها . وقد بنى (روكفلر) أغنى رجل هناك بناء عظيم يسكن فيه جمع عظيم من الأمم . والأعضاء في هذه الأيام ألف ومائتان تلتهم فقط من الذكور وهؤلاء الأعضاء يمثلون (٧٥) أمة ويتعارفون ويتعجبون وكل يعطى الآخرين مافى بلاده من أحوال ليكون في غاية المسرة والانشراح

(الحركة العلمية في أمريكا لها أغراض سبعة)

(الفرض الأول) الامام بالمعلومات العاتكة كالكتابة والقراءة والحساب وتقوم البلدان وغيرها وحذفوا بعد الاختيار ما اصطلاح الناس على أنه يتفق العقول فقط كأكثر النظريات الهندسية والجبرية ويقولون إن للهندس لا يحتاج إلا إلى سبع نظريات وغيره لا يحتاج إليها . ويقولون إن حل الأنفاز الجبرية والهندسية لاقيمتنا في حل الأنفاز الحية والشعر لايسهل علم الكيمياء وهل يستفيد المزارع والطبيب والمحامي والتاجر من تحليل الكميات إلى عواملها وإيجاد جنور الأعداد الرمزية والكميات الخيالية (الفرض الثاني) الاستعداد للهنة وذلك أن علماء الترية يحصلون في حصص الدراسة المعتادة حصصا تتخللها الأعمال اليدوية الصناعية يعرف الطالب صناعة منذ نعومة أظفاره وليحترم العمل اليدوى وتظهر مواهبه الكامنة فيه (الفرض الثالث . الصحة) ولقد جعلوا الصحة في مستوى الأغراض الأخرى فلم يرك صنانية للعلوم والسباحة ومسابقات وألعاب مختلفات قوية لأبطالهم (الفرض الرابع . خدمة الوطن) يغممون التلاميذ أن يعيش الفرد للجموع ويشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ويقرأ التلميذ تاريخ آتائه وأعداده وما أنه الأبطال من جلائل الأعمال ويقرؤن خطبهم وحكمهم وترى علم البلاد خفاقا ليلا ونهارا فوق سلمية (الفرض الخامس . استخدام أوقات الفراغ) يقولون إن ساعات الدراسة لا تتجاوز الثمان أو التسع ساعات وما يبق بعد ذلك ضغف هذا العدد فيقول هؤلاء إن أوقات الفراغ أكثر دلالة على تربية المرء من أوقات العمل ويقولون أرني ما تفعل في أوقات فراغك وأنا أريك من أنت . وعلى هذا المبدأ وضع اللثاقون بشؤون التعليم في أمريكا مبدأ عاما لجميع معاهدهم وهو وجوب تعليم التلثة كيف يستخدمون ساعات الفراغ في أحسن وجوها فيحصلون للطلبة نوادى كننادى السباحة أو الرياضة أو الغياطة أو البطاطس أى زراعته أو ركوب الخيل أو الخطابة أو التأليف أو الصحافة أو المطالعة (الفرض السادس . الحياة العائلية والعمل على إسماعها) يقولون ليست المرأة وحدها مسؤولة عن المنزل والعمل على تهية وسائل السعادة فيه . فدروس علم الاجتماع يدروسها الرجال والنساء

والنساء ويعرفون آداب المائدة والزبارة والاستقبال ومعاملة أفراد العائلة بعضهم لطبخ الطعام يتعلمه الذكور كما يتعلمه الاناث (الفرض السابع) من أغراض التربية تكوين الأخلاق ولكن لا يدرسون علم الأخلاق ولكن الأخلاق بالقصوة والمثال اكتسابا تكتسب في المنزل على صدر الأم وركبتى الأب وعلى المائدة وفى غرفة الاستقبال كما فى المطبخ وفى حجره الدراسة من العلم أوللملة ومن علاقات الطلبة بعضهم ببعض

(التعليم المشترك بين الجنسين)

ان اليابان ترى البت جنبا الى جنب الولد فى المدارس الابتدائية الأولية وتفصل فى الأقسام الثانوية ثم تنضم اليه مرة أخرى فى الكلية والجامعة . ويقال ان ألمانيا وفرنسا وإنجلترا أميل الى هذا الرأى . أما أمريكا فان فيها نحو مليونين ونصف مليون من الطلاب فى الثانوى منهم مليون ونصف مليون من الاناث وهكذا الحال تقريبا فى بلاد اسوج ونروج وهولانده والاندرك وجزائر الفلبين يتبعون النظام المشترك فى جميع مدارسهم من الأقسام الأولية والابتدائية والثانوية الى الكليات والجامعات . وهكذا جزائر (الحوارى) السحيقة الواقعة فى عرض المحيط الهادى فان تعليمها مجاني اجبارى مشترك لكل الطالب وطالبة بين سن السادسة والسابعة عشرة . وهكذا (بورت ريكو) التى آلت الى الولايات المتحدة سنة ١٨٩٨ فان عدد سكانها لا يربو عن مليون نسمة ومع ذلك بها مائة ألف طالبة وبجانبهن مائة ألف طالب

هذا ما أردت تلخيصه من كتاب (الدنيا فى أمريكا) لأريك أيها الذكى المسلم للمصلح للأمة الاسلامية صورة من صور التعليم فى الدنيا التى نعيش فيها . ذكرت لك ذلك ولم أقل فعل مثلهم حتى القصة بالقصة ولكن أقول هؤلاء فاقونا فى العلوم والصناعات والأعمال والأحوال وأساس ذلك كله العلم إذ لا عمل إلا بعلم ولا علم إلا بتعليم والتعليم هو الذى جاء فى هذه الآية - رفع درجات من نشاء فوق كل ذى علم علم - فهأت ذأ أيها الذكى ترى أن الناس قد اخترعوا وجتروا وصنعوا وارتقوا وكلما وصلوا الى درجة ظهرت لهم درجات إذ لانهاية للعلم لأن فوق كل ذى علم علم هكذا فى سورة طه بعد هذه السورة يسبح سور يقول الله لرسوله - وقل رب زدنى علما - . إن المسلمين أولى بهذه العلوم . إن المسلمين أولى بهذه العلوم . ان المسلمين هم خير أمة أخرجت للناس فهل يكونون خير أمة أخرجت للناس وهم قد تركوا مواهبهم ومحاجب صنع ربهم فلم ينتفعوا بها لجهلوا كل شئ . إن المسلمين فى المستقبل سيزدادون علما وحكمة كما أمرهم بهم ويقرؤون علوم الأمم ويصطفون لهم طرقا تناسب أسوأهم ولا يتكلمون على نظريات غيرهم بل يبحرون ويدرسون كما فعلت أمريكا . واذن يكونون بمن قال الله فيهم - فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب - وانما قال هم أولوا الألباب لأنهم عرفوا الأحسن بالبرهان لا بالتقليد - وانطلع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الحقان يتبعون لإلاالظن - فالألم فى تصاليفها أشبه بعباد الأصنام يدرسون ماسنه غيرهم ولا يفكرون بأنفسهم ولكن علماء العصر الحاضر أخذوا يفكرون كما ذكرت لك فى هذا للنص والمسلمون أولى بهذه الآراء والتحقيق والبحث والتفكير . إن الأمم الاسلامية اليوم أجهل الأمم وبعد هذا التفسير وغيره من المؤلفات سيقوم فى هذه الأمم الاسلامية من يفوقون الأمم فى أقرب زمن

واذا كنا - خير أمة أخرجت للناس - . ولذا كنا من الواجب علينا أن نسمع القول فتنبج أحسنه . واذا كنا كآباء للأمم . واذا كنا شهداء على الناس . لذا كنا بهذه الصفات كلها فواجب علينا أن نتحلى بها فعلا والا فكيف نرى أهل أمريكا وأهل أوروبا يسمع لرجل منهم الخطب ودروس العلم من جبع الأقطار وهو فى حجرته ونحن غافلون جاهلون . وكيف يتعلم الذكور والاناث ونحن فى غفلة ساهون . اليس عموم التلغراف الذى لاسلاك له جبل الشرق يسمع الغربى والغربى يسمع الشرقى وكأن الناس كلهم أمة واحدة .

أليس ذلك يذكرنا بأية - كان الناس أئمة واحدة - ولعل الناس في أزمان مبهمة لنا كانوا متواصلين بهذا الخط ثم لما انحطت مداركهم صاروا على ما هم عليه اليوم . ولعل هذه الحركة الحاضرة مبشرة بأيام يتحاب فيها الناس جميعا من جميع أهل الأرض المسماة أيام نزول المسيح والله أعلم له
(لطيفة في اعتراض لأحد العلماء وجوابه)

ولما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه أحد الاخوان الفضلاء قال . لقد أثبت هنا بالعجب العجائب وذكرت عجائب العلماء في أمريكا . ولكن بالله قل لي اني لاحظت عليك أنك ما قرأت علما ولا رأيت حكمة إلا ألقيتها بالدين . فقلت له ما الذي رايت في هذا . قال « مسألتان » الأولى علمية والثانية دينية . فقلت فما المسألة العلمية . قال ألم تذكر أنهم يرون أن الهندسة والجبر ونحوها أصبحت لا قيمة لها وانهما أجدر أن يحذفا وأن هناك سبع نظريات هي التي يجدر بالهندسين معرفتها الخ . وهكذا مسائل من هذا القبيل . فقلت وهل أنا قلت أننا نأخذ بهذا عنه . ألم أقل ان هذه للمباحث تقر بنا بالبحث عنها وعن غيرها فنصطفى مارتق وراق وترك ما ليس لنا عليه برهان . أنا ذكرت ذلك كله لغرض أن نجعله موضع البحث والا اذا سألتني عن رأي أقول ان العلوم كلها فروع لشجرة واحدة هي الحياة . العلوم كلها مشتركة مشتبكة فأعلاها محتاج لأدناها . هذا كله لا ريب فيه ولعل القوم يريدون أن الطالب لا يجوز له التخلي في علم إلا اذا كان مستعدا للاختصاص فيه والا فالعلوم كلها متضامنة له

ثم قلت فما للمسألة الثانية . قال هي مسألة الدين . إنك ذكرت أن النساء يتعلمن مع الرجال من الصغر وانهم وجدوا أن هذا أقرب الى العفة وحسن المعاشرة والرقى في العلوم فاذا أنت رويت هذا فعناء أن المسلمين في نظرك يفعلون هذا فيتعلم نساؤهم ورجالهم معا وهذا يناقضه قوله تعالى - وقل للؤمنات يفضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو بناتهن أو أبناء بعولتهن أو أخواتهن أو بنى أخواتهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التالعاتين غير أولى الأربية من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون - فأنت اذا قلت للمسلمين ذلك فعناء أنك أبحت رفع الحجاب وهذا يأباه الاسلام والمسلمون فقلت إن علماء الاسلام أباحوا رؤية الوجه ونحوه اذا مست الحاجة وذكروا من ذلك تحمل الشهادة والتجارة مع المرأة والتطبيب والمحاسبة وما أشبه ذلك . كل ذلك وغيره ذكره العلماء ودوتوه فالدليل عندهم على الحاجة ثم اني لم أقل ان التعليم يجب أن يكون الذكور فيه مع الاناث وانما حكيت ما فعل القوم لا غير وقلت فلنتبع أحسن السبل . قال فاذا ثبت أن طريقهم أحسن السبل في التعليم وأن اختلاط الاناث بالرجال في سن التعليم أخرج لنا رجلا ونساء أفضل من الموجودين الآن اذا ثبت ذلك فرضا فاذا فعلت . قلت ألم أقل لك ان الاختلاط أجبره العلماء للحاجة . قال هذا القول لا يشفي من علة ولا يروى من غلة . فقلت له سيأتي في سورة النور مسألة الحرام والحلال في هذا المقام . فلنترك الكلام فيه ولنبحث في أمر الأئمة الاسلامية العام فنقول

إن المسلم يعيش ويموت وهو لا يعلم أن سوء أئمة مكشوفة أمام جميع الأمم وامام الله والنبي ﷺ فلقد أجمع العلماء أن ترك الصناعات والعلوم التي تعيش بها الأمة وتحفظ كيانها تكون كلها ذنوبا على الأمة فيصبح المسلم كل يوم وفي رقبته ثمانية آلاف ذنب فانه مأمور بصناعات وعلوم قدامتلات بها أوروبا وطرقتنا بها فان لم نعرفها كنا جميعا مذبذبين . فهذه سورات وعورات مكشوفات لله وللناس والنبي ﷺ فان لم نعلم بها راجلنا ونساءنا أى لكل علم ولكل صناعة جماعات من الطرفين فان الأمة كلها مذبذبة . فهذه سورات عرفتها أوروبا فأنت وأخذت بعض بلاد الاسلام وهذا لأننا خلطنا لباس النشوى غالبا

جعل الله لباس التقوى أفضل من اللباس الحسى وهذا حق فلباس التقوى متى عرى منه الإنسان وقد لبس أنظر الملابس حقره الناس جميعا . فالجاهل بين العلماء والصوف والزناة وأرباب السواقي وهكذا كل ذى ذنب وعيب كل هؤلاء يحقرهم الناس ويكرهونهم وعوراتهم بادية ظاهرة وأحوالهم مكشوفة فهو لاء نزع عنهم لباس التقوى وإن كانوا مستورى العورات . فلذا بقى المسلمون على هذه الجهالات قائمهم قد كشفت سواهم وإن لبسوا أغر للباس فالمدار على التقوى والتقوى تشمل جميع العلوم والمعارف وجميع الآداب والمسلمون اليوم أكرهم عارون من هذه الملابس فلذا لبس الشبان والشابات لباس العفة والأدب والأخلاق والعلوم وكانوا أعف ولوقبلا من جيلنا الحاضر فهم أفضل منا أقب مرة وهم أعلم بالقرآن وفهمه . فقال لله دمتك والله موفقت وخلق الحكمة على لسانك والحمد لله رب العالمين

فقلت إذن أنت توافقني أن للمسلمين يجب عليهم أن يرتقوا في الأسباب وأن يقرأوا علوم الأمم ولا يعوقهم عن ذلك عائق وأن القرآن لم يترك فرصة لجاهل من المسلمين يتحلى بها عنرا فانه جاء فيه - وفوق كل ذى علم علم - وجاء فيه أيضا - وقل رب زدنى علما - والآية الأولى خير لا يدخله النسخ والآية الثانية ليست منسوخة فأصبح المسلم بين هاتين الآيتين ملزما أن يقرأ علوم الأمم وأن يرتقى فيها أما قراءة علوم الأمم فلنظم لمانظم . وأما الارتقاء فهو واجب فنحن في كل حين يجب أن نزداد علما والعلم لانهاية له إذ فوق علمائنا علماء فنحن إذن ملزمون بالزيادة في كل شئ ولولم يكن في القرآن سوى هاتين الآيتين لكفتنا في وجوب ارتقاء المسلمين في كل علم وكل صناعة . هذا سر قوله - وفوق كل ذى علم علم - انتهى

(ابتكار أهل أمريكا أيضا في علم الزراعة وقوله تعالى - وفوق كل ذى علم علم -)

(موازنة بين الهواء والسنان والصخور وبين الذهب والملوك والقديم من المميزات)

لذلك أبها الذكى القارى لهذا التفسير تعجب من هذا الموضوع الذى طال بسدد الكلام على أهل أمريكا في قوله تعالى - وفوق كل ذى علم علم - وأنا أقول ان هذه الاطلة لابد منها لياضح المقام والقرآن كلام الله والناس عباده ونحن نسطر في تفسيره ما يشرح الصدور ويسر الجهور واعلم أن الناس لا يشرح صدورهم إلا ما يشرح صدر للؤف وللؤفون للتكفون هم الذين لا يضحون قال تعالى - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكفين ان هو الا ذكر للعالمين وتسلمت نبأ بعد حين . ولم يؤخر المسلمين ويوقعهم في السيات العميق الا اتقاء الكتب التى كتبها مؤلفوها تكلفا فهذه لا تؤثر في قارئها لأن المتكلف ليس مفسر المصداق يكتب وهناك صلة بين الكاتب والقارى والمتكلم والسامع ولست تعرفها إلا بالتجربة ولذى خطر لى اليوم ما يأتى . ذلك انى قرأت في رحلة نشرها أحد أصدقائى الأمريين أثناء طبع هذه السورة يوم (٧) أكتوبر سنة ١٩٢٧ وهذا نص ما أريده منها . قال

(وقد توصل القوم في أمريكا الى استخراج (البوتاسا) من الهباب الذى يتطاير من مداخن المصانع بحيث حصلوا منه مائة ألف طن أقدمهم في زراعتهم ويعلمون أن الطن نحو (٢٢) قنطارا وقد توصلا الى عمل (جص القوسفوريك) من الحجر والصخور واستعملوه ضمن الأسبغة الزراعية وهم الآن يدرسون طبيعة التربة يدرسون خريطات مختلفات لدراس المسائل (الازوتية) بصفة علمية والتجارب التى يهتمون بها الآن هى البحث عن الازوت الموجود فى الجوق على هيئة (نوشادر) لاستعماله ضمن الأسبغة)

فلما قرأت هذا خطرت لى هذا الموضوع الذى ابتدأت به هذا المقال فلا أشرحه فأقول . أنظر لى الأمم قديما وحديثا وتعجب من صنع الله فى الأرض . ويظهر أن الله عامل النوع الانسانى كله معاملة نفس واحدة فهو كله أشبه بصبي أرسله أبوه الى الملم فى صفه وأطلق له الحرية فى كبره . ألا ترى أن دراسة تاريخ الأمم تكشف لنا القاب عن هذه الامور

(١) التعامل بالنقود من الذهب والفضة وغيرها قد جعل في الأم طبقة للمرايين الذين يعيشون من نترات (العاملين) وهم لا يسلطون الناس مطعما ولا ملابسا ولا غيرها

(٢) الملوك في جميع الأمم يستبثون بالرعية ويبطشون

(٣) وهكذا رجال الدين في جميع الأمم السالفة استبثوا بالناس بعد أنبيائهم كما هو حاصل في الدين المسيحي في القرون الوسطى وفي الدين البرهمنى إلى الآن . فهنا ظهر أن الأمم كانوا أطفالا وأكثرتهم لا يزالون كذلك يخضعون للملك ولرؤساء الدين ولأرباب المال . وتفرغ على ذلك أن قوما بجحوا عن الذهب من علم الكيمياء وأنشعوا في ذلك أعمالهم . وهكذا ترى رجال الدين في أكثر الأمم يجتفون في العلوى الناس ويعرصون على الرئاسة والعظمة والمال بطريق الدين . وهكذا أكثر علماء الفقه قديما في أممنا الإسلامية كما قلته لك عن الامام الغزالي في سورة المائدة فانظر حال الأم الآن وتذهب من فضل الله عز وجل فانظر كيف حبس عقول القدماء في استخراج الذهب بطريق الكيمياء وجعلهم خاضعين للملك ورجال الدين فكان الناس إذن عند علماء دينهم وعند ملوكهم أطفال جهال يسخر منهم ملوكهم ورؤساء دينهم ويسخر منهم

الذهب الآن كيف أصبح الناس يسبحون في الهواء عن (الاوزوت والتوشادر) لأجل نجاح الزراعة ويكسرون الأحجار والصخور لاستخراج (حصى الصفوريك) ولا يضعون السنان للتطير من اللدائن فيأخذون منه أكثر من (ألف ألف) قطار في السنة من (البوتاسا) وهكذا كان المسيحيون يعززون جميع العلوم فلما أن جاء الاسلام أخذوا يفكرون وينبؤوا القديم وقرأوا العلوم وهكذا المتأخرون من أممنا الإسلامية أصبحوا كالمسيحيين القدامى حرما من العلم وهائلا أولاء الآن نجدهم مشغرين عن ساعد الجد لحوز العلوم اليوم وهذا التفسير من مقومات هذه النهضة

فاجب لصنع الله عز وجل . حرر العقول الواهمة فأراها أن النعم الحقيقية في استخراج المنافع من هوا ومن صخور ومن دخان . من هذه كلها يستخرج الناس سدا لمزاجهم وهذا أفضل وأجل وأعظم من استخراج الذهب بما لاحصر له . هذا هو تحرير العقول الانسانية وإخراجها من الجهالة . فالهيايات الآن أصبحت لتتبع العلم ولكن الاسلام يوجب سلطان الدين إذن لا يتبع من العلوم . هاهذا العلم أخرج الناس من الظلمات إلى النور . أخرجهم من قيود المذلة للملك وصارت المجالس النبائية قائمة مقامهم . هاهذا العلم زلزل قواعد الملكية وفتح باب المشورة . أخرجهم من الأوهام القائلة بالعائكة بهم إذ استبد بهم الملوك فسلموا أموالهم قعد العلماء والشعراء بأبوابهم يستطفونهم ليرزقوهم مما نهىوا من الرعية . أخرجهم من سجن الذهب إذ كان العالم البارع هو الذى يثر على طريقة استخراج الذهب بطريق الكيمياء . وهيات التوالى والنفى بل كانوا يموتون قراء . لماذا هذا . لأنهم جهلوا الحقائق . ذلك أن الذهب إنما هو واسطة التبادل للمنافع ولأن الذهب ملاء الأرض وليس فيها قوت ولا ملابس لمات الناس فالذهب كالحجر عند عدم المنافع للمادية من مأكل وملبس . كلا بل الحجر أصبح أفضل من الذهب بالعلم لأنهم استخرجوا منه كما رأيت المولدة التى تسمد بها الأرض . وهذا السداد حياة الزرع والزرع به حياة الانسان والحيوان والذهب ليس له إلا أن تعرف به القيمة خصب . إذن العلوم قلبت أوضاع العقول الانسانية التى تقس الذهب فأرتها أن أحجار الجبال التى ترذونها ودخان معاملكم خير وأبقى والذهب إنما هو أمر ثانوى للتبادل فن استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير فهو جهول

هذا كله داخل في قوله تعالى - رفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم علم - فهو لاء الذين عرفوا نعمة ربهم واستخرجوها من السنان للمنبود ومن الهواء للتروك ومن صخور الجبال وهو لاء الذين لم يقدم دينهم ولم يقدمهم عن العالى ولا استناموا للملوكهم أرفع درجات من أولئك الجهلاء الذين جهلوا نعم ربهم وأعطوا

أَن دِينَ لِلَّهِ الَّذِي أَنَّمَا عَلَى النَّاسِ هَذِهِ الدُّنْيَا كُلُّهَا يَجْعَلُ مِنْ تِلْكَ النِّمَةِ أَوْاسِيَةً بِهِمْ مَاوَكِهِمْ فَأَذْلُوهُمْ • وَلَمَّا كَانَ رَفَعَ الرُّجَاتِ لِلْمَذْكَورِ لَيْسَ لَهُ سَبَبٌ إِلَّا الصَّلَاةُ أَقْبَبَهُ بِقَوْلِهِ - وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ - اهـ

(الْقِسْمُ السَّادِسُ)

وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتَ رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السَّبْحِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ • رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَوَعَلَّتَنِي مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ • ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ النَّبِيِّ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَتَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ • وَمَا أَكْذَرُ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ • وَمَا تَسْتَلْهُمْ عَلَيْكَ مِنْ جَدِّ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ • وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ • وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ • أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ • قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ • وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ • حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ • لَقَدْ كَلَّفَ فِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ •

(التفسير للفظي)

قال تعالى (ورفع أبوه على العرش) السر الذي كان يجلس عليه يوسف • والرفع النقل إلى أعلى (وخرّوا له سجدا) أي يقرب وأمه وإخوته • وقيل خالته لموت أمه وكانت تحية القوم إذ ذاك السجود وهو الاحتماء والتواضع (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) التي رأيتها في أطم الصبا (قد جعلها ربّي حقا) صدقا (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن) وأعرض عن ذكر الحبّ ثلاثا يكون تريبا عليهم (وجاء بكم من البدو) من البداية لأنهم كانوا أصحاب مولش يتقفلون بها في الياء والمناج (من بعد أن نزح الشيطان بيني وبين إخوتي) أي أفسد بيننا وأغرى • يقال نزح الراض الدابة إذا منحسها وجعلها على الجري

(إن ربي لطيف لما يشاء) لطيف التدبير فلا صعب إلا وله فيه تدبير ينفذ فيه مشيئته (إنه هو العليم) بوجوه
 للصلح والتدابير (الحكيم) التي يفعل كل شيء في وقته • يقال إن يوسف طاف بأبيه في خزانته فلما أدخله
 خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت لك قال أمرني جبريل قال أوماتسائه
 قال أنت أبسط مني إليه فأسأله فقال جبريل لله أمرني بذلك تقولك - وأخاف أن يأكله الذئب - قال
 فلا خفتي (رب قد آتيتني من الملك) ملك مصر (وعلمتني من تاوليل الأحاديث) تقدم قصيرها في أول
 السورة يا فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة تتولاني بالنعمة في البرلين وتوصل الملك
 الثاني للملك الباقي (توفني مسلماً) طلب الوفاة على الاسلام كما قال يعقوب لولده - ولا تموتن إلا وأنت مسلمون -
 أرخصنا مسلماً اليك أمرى (وأخفني بالصلحين) من آتائي وغيرهم (ذلك) أي ما ذكر من نبأ يوسف
 كائن (من أبناء القيب نوحه اليك) خبر (وما كنت لبهم إذ أجعوا أمرهم وهم يكررون) يقول تعالى
 هذه من أبناء القيب بالوحى لأنك لم تكن مع اخوة يوسف حين هو أن يجالوه في غيابة الحب وهم يكررون
 به وبأبيه ليرسله معهم يرتع ويلعب • ولقد لبث في قومك أربعين سنة قبل هذا ولم تلق أسائنه معلنين
 ولا قرأت كتباً وذلك قد ذكر في آية أخرى - ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا - (وما أكن
 الناس ولو حسرت) على إيمانهم (بؤمنين) لأنهم معاندون (وما تسألهم عليه) على الانباء أوالقرآن (من
 أجر) جعل كما يفعله القصاصون (إن هو إلا ذكر) عظة (للعالمين) عظة (وكان من آية في السموات
 والأرض يمرتون عليها) على الآيات ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) لا يفتكرون فيها ولا يتدبرونها
 (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) فإذا شئوا من خلق السموات والأرض وأنزل المطر قالوا الله
 وهم مع ذلك يصدون الأصنام وهذه الآية في أهل الكتاب والمناقضين والمشركون (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية
 عاقبة فتشاهم وتسلمهم (من عذاب الله أوتأتهم الساعة بفتة) فجأة من غير سابق علامة (وهم لا يشعرون)
 باتيانها ولا استعداد عندهم (قل هذه سبيل) أي الدعوة إلى التوحيد والاعداد للبعد حال كونى (أدعوا إلى
 الله على بصيرة) بيان وحجة واضحة (أنا) تأكيد للتصريح المستتر في أدعو (ومن اتبعني) عطف عليه
 (وسبحان الله) أي قل يا محمد سبحان الله أي تنزهها له عن كل ما لا يليق به (وما أنا من المشركون) أي
 وقل يا محمد - وما أنا إلح - (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً) مثلك (نوحى إليهم من أهل القرى) لأنهم
 ذوو علم وحلم فأما أهل البوادي ففهم للجهل والغباء (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
 من قبلهم ولدار الآخرة) أي ودار الساعة الآخرة (خير الذين اتقوا) الشرك وآمنوا (أفلا تعقلون) فلا يفرضهم
 تملأى ألبهم فإن من قبلهم أمهلوا (حتى إذا استأيس الرسل) من النصر (وغلغوا أنهم قد كذبوا) أي
 كذبهم أنفسهم حين حدثتهم أنهم ينصرون (جاءهم نصرنا) أي المؤمنين والأنبياء فجأة (فتنجى من نشاء)
 أي النبي وقومه (ولايروا بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) أي الكافرين (لقد كان في قصصهم) أي
 في قصص الأنبياء وأممهم (عبرة لأولي الألباب) حيث قل يوسف من غابة الحب إلى غيابة الحب ومن الحب
 إلى السرير • فاذن عاقبة الصبر الجليل حجة وأفضل أخلاق الرجال الصبر (ما كان) القرآن (حديثاً يقرى
 ولكن تصديق الذي بين يديه) أي ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السالوية (وتقصيل كل
 شيء) يحتاج إليه في الدين (وهدى) من الضلال (ورحمة) ينال بها خير الدارين (قوم يؤمنون) يصدقون
 انتهى التفسير القلبي • وهنا (خمس جواهر) في هذه السورة

﴿ الجوهرة الأولى في رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الملك ﴾

(رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الملك مطلعان من مطالع كواكب العلم مشرقان)

هذا كتاب سلوى ومن دأب أمثاله أن يسمو بالقول إلى اللدراك الشريفة بطريق الاشارات الحكيمة

ليفتح للبصار أبواب الفهم وهناك تنشب الآراء ويبحث العقلاء ويبحث المفكرون وتكون تلك الأنوار العلمية أشبه بنور الشمس إذ يسطع على الأحياء من ملكتي الحيوان والنبات وعلى الجباد فتقبل كل مملكة من النور ما يلائم أشكالها ويوافق أحوالها ويلائم نظامها

فهاتان الرؤيتان قد فتحتا (باين) من العلم (الباب الأول) ما سأذكره من عوالم اليقظة وعوالم الأحلام في المنام (الباب الثاني) ما قمت في أول هذه السورة من أنهما قد كانتا سببا في نشر اللقطة المتقدمة المبني على أن فرعون مصر في تلك الأحقاب قد كان مغرما بأمر الرعية فرأى في المنام السبلات الخ ثم أبنت أن القلاح ونوره يحتاجان إلى طيور تأكل الحبوب الفائتة بالزرع وأنه ترك ذكرها لأنها أشبه برجال القضاء والحاماة أولئك الذين اضطرب بهم الناس اضطرابا ولو كان الناس جميعا كلملين لم يكن لهم قضاء ولا عمامون هكذا هنا لولا ما في الأرض من حشرات مخلوقات فيها لتمتص الرطوبات لم تكن في حاجة إلى أنواع الطيور الخاصة بأكل الحشرات . كل هذا ذكرته وأشرت إليه لتبيان السبب في ترك ذكرها في رؤيا الملك . ثم استطردت بذكر أنواع تلك الطيور التي عرفتها أمتنا المصرية ورسمت صورها

(بيان السبب في ذكر تلك الطيور في هذا التفسير وكيف جاز تصويرها فيها تقدم)

أما السبب في ذكر الطيور في هذا التفسير التي حرم صيدها أهل بلادى فنلك ليكون ذكرى للسلمين أن يتبينوا ما يبلدهم من الطيور النافعة لزروعهم بأكل الحبوب أو الفيران ولن يتم لهم ذلك إلا بأن يكون عندهم علماء اختصاصيون في هذه العلوم ويكونوا دارسين لعلوم الأمم المحيطة بهم . هذا أمر أصبح واجبا وتركه حرام لأنه فرض كفاية كما شرحناه مرارا في هذا التفسير في وأخو سورة البقرة عند قوله - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - وفي أوائل سورة المائدة عند قوله تعالى - فيعت لفة غربا الخ - وفي مواضع أخرى تقدمت . ولعل للسلمون في أقطار الأرض أنهم محاسبون معذبون في هذه الدنيا قبل الآخرة إذا أهملوا دراسة الطيور ودراسة سائر العلوم . اللهم إني قد أذيت الأمانة وبذلت النصيحة وأنت أيها القارئ لتكن أصبحت مسؤولا مثل ما جعل كل حياتك لخدمة أمتك ولتكن من حاملي لواء العلم ومن أعمدة النظم العلم في الأرض فهذا قد استمدت لتكون خليفة في الأرض ونورا مينا ونجما طالعا وشمسا مشرقة

(لطفة ١)

لقد تقدم في سورة هود عند تفسير البسملة الكلام في رجة الحيوان والأحاديث الواردة في ذلك وكيف أمر النبي ﷺ أن يردوا الطائر الصغير إلى أمه لشدة شفقه به وقد بينت هناك أن الرجة هنا واجبة وأن الأم الإسلامية غالبا لا يفكر علمائها في نصح العالمة في هذا

(لطفة ٢)

وقد تقدم في سورة يونس أن رسم الصور التسمية مباح وقد ذكرنا هناك آراء بعض هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف بالباحة رسم الحيوان بالتصوير الشمسي واتى أرى أنه واجب في مثل هذا الكتاب لأجل التعليم والا فمن أين يعرف المسلمون أنواع الطيور إن لم يروا صورها بأقنصها . هذا ما أردته في هذا المقام لتح أن مارسم من صور الطيور في هذه السورة واجب لأجل تعليم الأمة لا حرام والله هوالولي الحيد اتبني الكلام على (الباب الثاني)

(الباب الأول) في الكلام على أن هاتين الرؤيتين قد فتحتا عوالم اليقظة وعوالم الأحلام في المنام

اعلم أيها الله أن القرآن بسبب كونه كتابا سلويا يفتح مغاليق العلم لم يكن فتوحها بالحسبان . ذلك لأن الناس في أمثالهم يقولون (كلام الملوك ملك الكلام) وليس هذا القرآن كلام ملوك بل هو كلام ملك أولئك الملوك . فلذا رأينا أم الأرض اليوم تهتز أسلاكهم البرقية وتكتب جرائدهم ما ينطق به رئيس

الولايات المتحدة أولئك انكسروا أو نحو ذلك ويعتقون على الجلة الواحدة وقر بعضهم أكثر في جرائمهم وجماعاتهم في الشرق والغرب فكيف بكتاب نزل من رب أولئك الملوك فهو أحق بالتعليق والتذكرة إذن تقول يذكر الله رؤيا الملك ورؤيا يوسف ويبين لنا فيهما الزرع والمواعيد والسجود والكواكب والشمس والقمر ففيهما العالم الكثيف والطيف والعلوي والسفلي فلنشرح هذا المقام بما فتح الله به فنقول

(١) حبس الناس في هذه الأرض مع النبات والحيوان أول درجة من درجات الحياة أدنى الحيوان كالسودة في لب الثمار ولبطن الحيوان ذلك الذي ليس له إلا حاسة واحدة هي حاسة اللمس ثم يترقى قليلاً بحاستين فتلاث فأربع غفوس فيكون ارتقاء حتى يصل إلى الأسد والفور والقردة والإنسان وهو درجات أعلاه الحكماء والأنبياء

(٢) هذه طبقات أدمائها ما لا يحسن إلا بما عسى جلده كاللحم وأعلاها يعرف عالم الأرض وعالم السموات فأعلاها مجاور الأفلاك والملائكة وأدناها مغمورة في الطين مسجون . إن هذه الدرجات كتاب مفتوح ظاهر مقروء ولكن قراؤه قليل في هذا الإنسان وأعلامهم هم الذين يقرؤنه وهم مستبصرون وأكثر هذه الطبقات الانسانية مغمورة في الجهالة لا تبصر هذه الدرجات المشروحة في الطبيعة فامتاز أناس فنظروا في أنوار السموات وأنوار القول

(٣) قالوا إن العالم الذي نعيش فيه عالم جيل مصوغ من النور بهي حسن الشكل بديع النظم ولكن الناس لم يدركوه وإن كانوا يشاهدونه لأنهم مغمورون في مطالب شهواتهم وغرائزهم ومن امتاز منهم بقدر راجح وفكر صائب نظر فرأى أن نور الشمس هو أصل للموجودات الأرضية فلولا الحرارة للنبتة منها على الهواء والماء لم يكن بخار ولم يكن هواء إذ لا بخار إلا بحرارة ولا رياح إلا بدافع يدفع الهواء وأصل كل دافع يرجع للحرارة والحرارة منبعثة من الشمس . وإذا سكن الريح لم يكن سحب وإذا لم يكن سحب لم تكن أنهار كما هو واضح في هذا التفسير في غير ما موضع . الله أكبر . جل الله وجل العلم . إذن يكون النور في أرضنا أصل وجود ما عليها وهذا قوله تعالى - وفي السماء رزقكم - فلولا نور الشمس لم ينبت لنا رزق في الأرض والشمس في السماء وعطف عليه قوله - وما توعدون - والذي نوعده أيضا في السماء ألا ترى إلى ما تقدم في سورة آل عمران عند ذكر الجنة والنار من أن الجنة مستحيل أن تكون في الأرض إذ الأرض في باطنها نار فاذن تكون الجنة في عالم السموات وهي الجنة الحسية

(٤) في السماء رزقنا لأن النور مع الحرارة المشاهد لنا أصل رزقنا بل أصل حياتنا وهذا مشاهد فلنقتبس ما غاب على ما هو دونه ونقل إن ما وعدنا به في السماء فالسما في الرزق الدنيوي وفيها الموعد الأخرى وإذا كنا نرى في هذه المخلوقات الأرضية اختلافا بينا من دودة في بطن بقرة إلى حكم ونبي يحيط علما بكثير من العوالم الأرضية وغيرها فليكن في عالم السموات طبقات بحيث تكون نسبتنا نحن اليهم كنسبة السود إلينا وذلك في العالم الذي وعدنا به وتكون تلك للدرجة أدناها وهم أهل العجيم أشبه بالسود وأعلاها وهم أهل الجنة أشبه بالحكماء والأنبياء عندنا والذي نوعده هو الجنة والنار موعد ذوي النفوس الضعيفة الفانية

(٥) لهذا ترى الله يقول لنبينا ﷺ - قد ترى قلب وجهك في السماء - ويقول - قل انظروا ماذا في السموات والأرض الخ - ويقول هنا أن يوسف رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر كلها ساجدين له رأى العالم المشرق في نومه مشاكسة لروحه وكان يمكن تصور حال تلك الرؤيا بنير الأجرام المنيرة ولكن فطرة الأنبياء متجهة إلى العلو . تتجس إلى السماء عقول الحكماء وعقول الأنبياء ليطبقوا الناس من ضيق الأرض إلى فسيح عالم السماء ويوحى إليهم في النوم ليقولوا للناس أيها الناس انكم كل ليلة تموتون ثم تعيرون صابحا . إن النوم نزع من الموت وإذا كان كذلك فالنوم لا خوف منه وإذا كان يوسف يرى في النوم

أن اخوته وأبويه خرواله سجدا على هيئة الأجرم العلوية ثم ظهر صدقه في آخر أمره . وإذا كان الملك يرى البقرات والسبلات ويظهر في آخر الأمر أن الرؤيا حق وأن السنين المجيدة قد أقبلت فأكلت الحرت والنسل وأنت على كل ما لا تحرف في سنى الغصب السبع فعناه أن عالم المادة تابع للعالم العقلي فرويا يوسف في اخوته وسيادته عليهم قد تمت ورؤيا الملك في خصب مصر وفي حقلها قد تحققت وكما أن النور والحرارة من الشمس أنتجا عالم المركبات الأرضية . هكذا عالم الفكر والعقل أساس نظام الأمم . إن هذه السورة تفيد أن الأمور العقلية الروحية أصل للمادية الظاهرة

(٦) أمر النفوس بمعدلوت واضح في هذه السورة . تلم الملك ونام يوسف أي توفى الملك وتوفى يوسف عليه السلام توفاهما الله ولما توفاهما أطلهما على صور سهوية وصور أرضية . فاذن الوفاة ليست عدما . إذن الوفاة فيها علوم أشبه بما نحن عليه في الدنيا وهذه العلوم تناسب عقولنا بديل أن الملك لما توفى رأى ما يناسب عقله والنبي يوسف كذلك . ان النوم وفاة ولا يجب في ذلك . يقول الله تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه - لجعل النوم وفاة والحياة بعثا وأوضح ذلك أكثر في آية أخرى فقال - الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها - إلى قوله - قوم يتفكرون - وملخصها أن الله يتوفى أنفس النائمين وأنفس الميتين ولكنه يرسل نفس النائم إلى جسده ويمسك نفس الميت إلى يوم القيامة . واعلم أن علماء الأرواح سألوا بعضها فأجابتهم بهذا المعنى فقالت (أنكم إذا تمتم قلوبكم أرواحا من جنسكم أو أعلى منكم وتصلحكم) وأكثرما أتمم عليه من حب أو بغض ناشئ مما تشاهدونه في حال نومكم من أحوال لا تعلمونها في اليقظة (اقرأ في كتاب الأرواح تألني فهو واف في هذا المقام)

(٧) واعلم أن جميع ما يصنع الناس في هذه الأرض لا يتم منتهى إلا بمبدأ فكري فكما اتجه فكر الصديق في رؤياه وفكر الملك لما يناسبه هكذا كل عالم وحكيم على مقدار طاقته يكون منه فكر فعمل على مقتضاه إن كمال هذا العالم (بأميرين) النور الساوي والعقل الانساني وقد اجتماعا في رؤيا الصديق نور المشرقات ونزلت على مقتضى عقله واستعداده فليعلم الناس العلم وتهذيب الأخلاق

(٨) لا يقوم العملة ببناء المنازل والحصون إلا بعد تفكير المهندسين . ولا يظهر اختراع إلا بعد فكر المخترعين . هكذا لا يكون هذا العالم ولا يبرز إلا بعد تقم وجوده والله عليم حكيم . فالفكر مبدأ العمل والأعمال بالنيات التي تقمها وحال الانسان في البرزخ مقدمة لحال أخرى بعدها كما أن حاله في الدنيا مقدمة لحاله في البرزخ . وذلك نظير حال يوسف الصديق والملك إذ كانت حال كل منهما في بقضته مقدمة لحاله في رؤياه التي كتبه حال الناس في البرزخ بعد الوفاة وحالهما في تلك الرؤيا مقدمة لما بعدها من ظهور مصداقها في الوجود الذي يشبه حال البعث للناس . فلهذا حياة فبرزخ فبعث وكلها متشابهة متلازمة كما تشابهت وتلازمت حالهما في يقظتهما ونومهما ومصداق رؤياهما والله عليم حكيم

(٩) (لطيفة في ذكر حالي في مبدأ حياتي)

اعلم أنني كنت وأنا في حال الطفولة أقول في نفسي (١) ياليت تشعري لم لا يكون الناس كلهم أسرة واحدة يساعد بعضهم بعضا (٢) ثم اتى أجد في نفسي نزوعا إلى أمر عظيم فأحس بأن هناك مجدا أو ملكا قد فقدته قومي وأريد ارجاعه وهذا كان أمرا مبهما جدا في النفس ولكن الخطر كان شديدا والباعث قوي المجهوم . وأندكر أنني مرة نظرت حولي وقلت أين ذلك الملك الذي أرجعه وأنا لا أرى في قريتنا ولا في أسرتنا أمرا لهذا الملك . وكنت أعجب من هذه الخواطر الهلجنة القوية التي لا تستند على شيء أراه في قريتنا ولا في أسرتنا إذ لا أرى إلا الحارث والموثق والبهائم والزرع والشجر ولا ملك ولا دولة أرى أثرها . فلما قرأت في الأزهر علم النحو والفقه (وأنا لا أعلم لي بأن في القرآن الذي أحفظه بلا فهم أي أثر لعلم) أخذت

أنظر إلى ما قرب قريتنا من الطرق الحديدية والتلغراف وأقول بإلث شعري لماذا اختص هذه الصناعات أم النصارى . ولماذا لم يتعلمها المسلمون . وإذا كان هؤلاء أرقى صناعة وعلما فإلث شعري ما رأيهم في صانع العالم . أنا لا بد لي من الوقوف على آرائهم في ذلك . وأقول أيضا إذا كان الله هو الذي أنزل القرآن وهو نفسه الذي خلق هذه المزارع التي أراها في القرى . فلماذا لا نسع في ديننا أثرا لذكرها وإذا كان صانع العالم هو منزل الكتاب فكيف يذكر الصلاة والصيام واليوع ويعرض عن ذكر المزارع والأشجار مع أن المتكلم ينطق بما يعمل وبما يصنع . كل هذا لأنني كنت أتصور ديننا على حسب ما علمت لأن الانسان أول ما تعلم إنما يقرأ الفقه . فأما جلال الله وحكمه وبدائه فهذه في القرآن وللمسلمون مستغنون عنها وهذا المقام وضحت في كتابي ﴿ التاج المرمع ﴾

وقد ظهر أثر الفكرة الأولى وهي أن العالم يكون أسرة واحدة في كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ أما فكرة الرجاء المجهوسألة تقصير المسلمين في العلوم فهي مقاصد أكثر كتبي وأهمها هذا التفسير . هذه هي الخواطر أما الرؤى التي رأيته قد ذكرت بعضها في أول سورة الأنعام وأكثرها وهو الأهم الأ أكثر لا أجد علا لذكره الآن وعسى أن ينشر صديري لذكره في آخر هذا التفسير وقد كانت هذا الرؤى سببا في تأليف هذا التفسير ولولاها لم يكن له وجود . وكان ابتدؤها في نحو سن الخامسة والعشرين وأهمها كان ما بين سن الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين انتهى

﴿ الجوهرة الثانية ﴾

(في البلاغة والاعتبار بالتقصص عند العرب وموازته بقوله تعالى - قال هل أمنتكم عليه الخ -)

من كتابي ﴿ المذكرات في أدبيات اللغة العربية ﴾ صفحة (٨٠) وهذا نصه

كانت العرب تضرب أمثالها على أسنة الهوام . قال المفضل الذي يقال لمتعت بلدة على أهلها بسبب حبة غلبت عايبها فخرج اخوان يريدانها فوثبت على أحدهما فقتلته فتكن لها أخوه بالسلاح فقالت له هل لك أن تؤمنني فأعطيك كل يوم دينارا فأقبلها إلى ذلك حتى أئري ثم ذكر أخاه فقال كيف بهنأ العيش بعد أخى فأخذ فأسا وسار إلى جرحها فتكن لها فلما خرجت ضربها على رأسها فأئريه ولم يسمع فطلب الدينار حين فاته قتلها فقالت له ما دم هذا القبر بنتائي وهذه الضربة برأسي فلست أمنتك على نفسي . فقال النابغة الذبياني في ذلك

تذكر أي يحدث الله فرصة • فيصبح ذا مال ويقتل وآثره

فلما وقاه الله ضربة فأسه • وللمرعين لا تفض ناظره

فقال معاذ الله أعطيك انتي • رأيته غدارا يمينك فاجره

أي لي قبر لا يزال مقابلي • وضربة فأس فوق رأسي فآفره

وقال الله تعالى - هل أمنتكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فأنه خير حافظا وهو أرحم الراحمين - وقال في هذا المعنى - ولوترى إذ وقوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين • بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردوا لاعدوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون - وقال أيضا - ولورجناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يسهون • ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون - انتهى . وهذه الآيات كنت خستها منذ بضع عشرة سنة وهما ذه

سمت حبة يوما لتسكن قرية • فأودت سرى القوم بالبلغ بقية

فنادى أخوه للشورة فتية • تذكر أي يحدث الله فرصة

• فيصبح ذا مال ويقتل وآثره •

فأعطته ما لا تتقي شرّ بأسه • وأفضل مال للمرء غنية نفسه
فجابأها بالناس بعد لحسه • ولما وقها لله ضربة فأسه
• والبرعين لا تفض نظرهم •

أتى طامعا في المال يملو ولم ين • فقالت قنص المهد ظما وغنى
فقال وربى لا أسى • لحسن • فقالت معاذ لله أعطيك اتى
• رأيك غفلا يمينك فاجره •

أما كان يبنى أن جيونك نائل • أليس جزاى أنك اليوم قاتل
وهل يحسن الانسان يوما لصال • أبى لى قبر لا يزال مقابى
• وضربة فأس فوق رأسى فاقره •

(الجوهرة الثانية في قوله تعالى - رب قد آتيتنى من الملك وعلمتى من تأويل الأحاديث -
الى قوله - وأخفى بالصالحين -)

اعلم أن هذه الآيات قد جاء فيها ملخص السورة وملخص حياة الانسان ومآله وعلاومه • ذلك أن
الانسان في هذه الدنيا يسعى لاصلاح الجسد واصلاح النفس • ثم إن جميع العوالم التى تحيط به إما علوية
وأما سفلية والعلوم انما هى شرح لهذه العوالم والأحوال لاتصور أمرين إمدانيا ولما أخرى (وبشارة أخرى)
(١) الجسم والروح (٢) والعالم العلوى والسفلى (٣) الدنيا والآخرة فأشار للأول بقوله تعالى - رب قد
آتيتنى من الملك وعلمتى من تأويل الأحاديث - فالأول للجسم والثانى للروح • وأشار الى الثانى بقوله تعالى
- فاطر السموات والأرض - والى التالى بقوله - أنت ولي فى الدنيا والآخرة - ثم إن قوله - قد آتيتنى
من الملك وعلمتى من تأويل الأحاديث - هو ملخص حياته فان أيام الحب وأيام السجن كانت محنة تحملها
علمه بتأويل الأحاديث وبنى ذلك أنه أعطى الملك • فهاتان الجلتان لئلا يتأرجح حياته • فاما قوله تعالى
- فاطر السموات والأرض أنت ولي فى الدنيا والآخرة - فما هو إلا ملخص سورة الفاتحة • أليس الفاتحة
ثناء ودعاء وثناء الفاتحة حمد لله على نعمه التى أنعم بها على جميع العوالم العلوية والسفلية • أفليس ثناء الله
بأنه فاطر السموات والأرض هو عين الحمد وما الحمد إلا ثناء بحمى لأجل جيل حصل من محمود راجعا الى
الحامد أو غيره وهما ينادى ربه أنه فطر السموات والأرض • وهذه الجلة يدخل فيها جميع العلوم فان العلوم
الرياضية والطبيعية والالهية لا تخرج عن هذه الجلة إذ العلوم كلها ترجع للسموات والأرض فهذا هو الثناء أما
الدعاء فى الفاتحة فهو طلب الهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم • وهما يقول - أنت ولي
فى الدنيا والآخرة توفى مسلما وأخفى بالصالحين - فالولاية لله عليه فى الدنيا والآخرة وطلبه من الله أن
يتوفاه مسلما راجع الى طلب هداية الصراط المستقيم وقوله - وأخفى بالصالحين - يقابل - صراط الذين
أنعمت عليهم الخ -

(مقاصد الدعاء والثناء فى دين الاسلام)

الاسم الاسلامية أمرت بالثناء فى أول الفاتحة وفى أول التشهد فينبى المسلم على ربه أنه هو الذى ربي
العالمين وفى تشهده بأن التحيات والتعطيات والبركات والصلوات والطيبات خاصة بالله وفى ركوعه فيتره الله
ويصفه بالعظمة ويظهر له الخشوع فى سمعه وبصره وعظمه وعصبه وما استقامت به قدمه وفقره واعتدله
فيصف الله بأنه محمود جدا بلاء السموات والأرض وبلاء ما بينهما وبلاء ما يشاء الله بعد ذلك حتى يشمل
العوالم السديية التى ظهر كشفها والى لم تعلم بعد • وهكذا فى سجوده فيتره ربه الأعلى ويقول المؤمن
إن وجهه سجد للذى خلقه وصوّره وشفق سمعه وبصره • هذه أهم أنواع الثناء التى يقولها المسلم فى

صلاته . وكل هذه ترجع الى قول يوسف - فاطر السموات والارض - وأما دعاء المسلم فهو طلبه الهداية الى الصراط المستقيم وهكذا في قنوت الصبح فانه يطلب الهداية والمعافاة وأن يتولاه الله ويباركه له فبا أعطاه ويصرف عنه الشر الخ وهكذا في الجلس بين السجدين فهو يطلب المغفرة والرحمة والرزق والهداية والمعافاة فهنا **(أمران)** في كلام يوسف ثناء ودعاء . وأمران في صلاة المسلم ثناء ودعاء . وانظر وتجب ثناء يوسف أكثر من دعائه وثناء المسلم أكثر من دعائه . أمي يوسف بست عشرة كلمة ودعا بأربع كلمات فتناؤه ربع دعائه . وهكذا المسلم تناؤه أكثر من دعائه فهو يثنى في الفاتحة وفي الركوع وفي الرفع وفي السجود الأول وفي السجود الثاني وإنما يدعو في بقية الفاتحة وفي الجلس بين السجدين وفي القنوت . إذن التناء أكثر من الدعاء نتيجة هذا المقال

(العبادات جسم روحها العلوم)

من تتبع هذا التفسير أدرك أن جميع أنواع العبادات إنما جعلت لبث الهمم الى العلوم والعلوم هي المقصودة من وجود هذا الانسان فلانها لا بالعلوم ولا آخرة إلا بالعلوم . لذلك كثر التناء في قول يوسف وكثر في صلاة المسلم ولا معنى للتناء إلا على نعمة ولاتناء على نعمة إلا اذا عرفها التي ظلم المسلم التي يحمده ربه لأنه ربي العالمين والتي يتكلم عن السموات والأرض وما بينهما وعن أعضاء جسمه من سمع وبصر ومنع وعظم الخ هذا المسلم لذا ظن أن تكرار هذه الألفاظ هو الذي يرقه عند ربه ويقربه منه فانه مخفي . نعم هذه الألفاظ أطلق بها عبادته مع استحضار الخالق فذلك فيه ثواب العبادات وثواب العبادات أشبه بجسم ولكن التحقق من المعنى هو الروح ولا يتحقق المعنى إلا بالبراسة والتأمل والتفكير . الله أكبر جل العلم وجل الدين . اللهم انك أنت الذي أوجبت بدين الاسلام وأنت الذي خلقت أوروبا وأمريكا واليابان والصين والبول المحيطة بنا وأنت الذي أنزلت في القرآن مئات الآيات للعث على العلوم جيمها ولكني أرى انك أنبت لنا بأمر أعجب أمرتنا بالعلوم فكثرت لها صباحا ومساء والعلوم فيها ملخص علوم الأمم التي تحيط بنا وفيها ملخص علوم القرآن . يثنى المسلم على ربه بخلق العالم العلوي والعالم السفلي ويثنى عليه بأنه خضع له سمعه وبصره الخ وأنه سجل له جميع الأعضاء التي للحس والتي للحركة . كل ذلك بقوله للمسلم في صلاته والمسلم غافل لا يقرأ تلك العلوم . تلك العلوم التي ملأت أوروبا وأمريكا واليابان والصين وهي التي يكررها في صلاته صباحا ومساء ويكررها في القرآن والله يقول - أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها - ومن القرآن ما يقرأ في الصلاة . اللهم إن الصلاة عبادة والعبادة روحها الفكر والفكر في الصلاة يهدي الى العلم وكيف يكون حمد المسلم وتناؤه على ربه مجديا حيا إلا اذا هداه لدراسة مصنوعاته وجل خلقه في هذه الدنيا . إذن يكون حده مستندا الى حقائق علمية ومشاهد طبيعية جلية والى بدائع هذا الوجود الذي درسه الأمم حولنا ونحن ساهون لاهون . فإيت شعري هل يظن المسلم أن كلمات يكررها صباحا ومساء بلا عقل ولا هدى ترضه في الدنيا والآخرة . اللهم إن ما حل بالمسلمين اليوم هو عين ما جاء في قوله تعالى - فويل للمسلمين الذين هم عن صلاتهم ساهون - فالمسلمون اليوم يصلون وهم عن صلاتهم ساهون . سهاوا عن الصلاة فلم يتدبروها ولوليتدبروها لأدركوا أن التناء على الله بلا علم بما في العوالم العلوية والسفلية من العلوم كلا ثناء . فالويل اليوم حل بالمجموع الاسلامي لجهالة بما يقيد الصلاة من تضمينها دراسة العلوم جميعها . وليس معنى هذا أن كل امرئ يعرف جميع العلوم فهنا مستحيل بل المقصد أن تكون العلوم العامة في الأمة بحيث يدرس كل امرئ ما يقدر عليه فالعامة يعرفون ظواهر الجوانب بالتعليم الأولى وبعد ذلك تكون درجات العلماء . هذا ما عني في هذا المقام والحمد لله رب العالمين

(الجوهرة الثالثة في نفس هذه الآية وهي - رب قد آتيتي الخ - وذلك بهجة العلم وبرد البقين)

ما أهب الحكمة والعلم وأبهجهما . أنظر الى أوائل سورة يوسف وأولئها . الأول هو الآخر . فيها ما يشبه ردة الهجر على الصدر عند علماء البديع . أول ما خطر ليوسف في حياته وقت النوم اشراق الشمس والقمر والكواكب وقد أول ذلك بما يناسب هذه الدار من الأنساب الانسانية . فأما في الحياة الأخرى فقد ضرب القمر والشمس مثلين لله عز وجل . انظر في حديث الرؤية للذكور في سورة الأنفال إذ جاء فيه أن الله يرى كالشمس ليس دونها سحب في حديث أبي دلود وأنه يرى كالقمر في حديث أبي رزين . الشمس أشرقت والقمر ليوسف في أول حياته مناما . فلما أن ختم الحياة خاطب الله قائلا يلفظ السموات والأرض فذكر السموات والسموات موضع اشراق الشمس والقمر والكواكب للذكرات بالله كما كان شمسا وقرها مذكرين بالولدين في أول الحياة . في الحديث (اليوم أضع نسبي وأرفع نسبي) وهذه الذكرى هي التي يقولها المسلم في كل صلاة . وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيقا وما أنتم للمشركون . يقول الله تعالى لنبيه ﷺ - فيهداهم اقتده - فنحن من ياب أولى فكان ﷺ يقوم في آخواليل ويقرأ الآيات من آخر سورة آل عمران وهي قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض الح -

إن المسلم في هذه الحياة الدنيا مأمور أن يتجه قلبه لله ولكن الله لا يرى له هنا فكيف يتجه لمن لا يراه إنما يتجه الانسان لمن يحبه والمحبوب في الدنيا يرى والله لا يرى في الدنيا فتوجهت العناية الى صفاته وصفاته تعرف بأثاره وآثاره أجلاها للمشرقة العلوية لهذا قال يوسف يلفظ السموات والأرض وقال للمسلم - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيقا الح -

إن ذلك داع حيث لمرة العلوم كلها . السموات اجالا والأرض اجالا ليهيجان القلوب الى خالقهما وإنما التفصيل بالحكمة والعلم هما الشاقتان لمبدعهما . إن ذكر السموات والأرض على لسان المسلم في كل صلاة على طريق العبادة فتح باب العلم . الله أكبر العبادة في الاسلام دروس علمية جهلها أكثر المسلمين

﴿ الله والشمس ﴾

جل الله صانع الشمس . اذا كان الله عز وجل لاراه فقد فتح حديث الرؤية لنا باب للمثل إذ مثل بالشمس ومثل بالقمر . الشمس تصبح كل يوم وليها خزان النور فتتفرقا على سيارتها وأرضها والأقمار الدوائر حول تلك السيارات ولا يحيط بذلك النور إلا ما يقابل وجهها . أما الذي لا يقابل من الأرض ومن السيارات ومن الأقمار ومن المذنبات فليس له حظ من النور بل هو في ظلام حالك . النور الذي تنشره الشمس على هذه السيارات وعلى نوابها يجري في فضاء شاسع وملهو إلا حركت في عالم الأثير لا اشراق لها بل هو ظلمات . إن الحق الذي بين أرضنا وبين الشمس البالغ بسيرة المدفع (١٢) سنة وسير القطار البخارى (٣٦٥) سنة تقريبا مظلم كهالنور الذي قدفته الشمس لا يرى في تلك المسافة وما هو هناك إلا حركات في ظلمات حالكات وتلك الحركات تنقلب على الأرض فجأة نورا سلطا مشرقا هكذا الله عز وجل يرسل الادراك والفرايز والمواهب العقلية من عالم قدسه وبهايط وجهه لا يعجب عنها أحدا فهو دائما وهاب لتلك القوى السامية كما أن الشمس وهابة للنور دائما . فكما أن الشمس لا يحيط بنورها إلا ما تنجبه لوجهها من المخافات الأرضية مثلا . هكذا لا يحيط بالكمال الادراكي من هذه العوالم الحية من حيوان وانسان أحد إلا على مقدار استبدله . الله يفر في العوالم بنور الادراك وبها فيها فليس يمنع عطائه عن أحدا كما أن الشمس أرسلت أضواءها لم تعجب عنها أحدا من نوابها فأخذ كل حيوان منه على مقدار طاقته فظلم النخل جهورهته والنحل ملكة قديره والفربان جمهوريتها وهكذا كل حيوان . هكذا الانسان قبل من ذلك النور العقل على مقدار ما استعد له فلم يتزل الى درجات البهائم ولم يتعال حتى يدبر العوالم العلوية والسفلية بل أخذ على مقدار استعداده . الله ضرب بضو الشمس مثلا لنوره وبهذا المثل أدركنا أن عطائه دائم وذلك من

دوام اشراق نور الشمس وكما أن اظلام ناحية من نواحي الأرض والقمر والسيارات لم يكن من نفس الشمس وانما كان من انحراف تلك الناحية عن وجه الشمس . هكذا قول هنا ليس حجب العلم والحكمة عن للعالمين وعن النبات وعن الحيوان لاساكن ويخل من الله بل ذلك لعدم استعداد هذه المخلوقات لتلك النعم فلم يمنع الخلق عن علم الأنبيا ولا الأسد عن عمل خلايا النحل ولا النمل عن بناء القصور الانسانية إلا أن ذلك ليس من مصلحتها في شيء والمصلحة ثابتة للاستعداد كما كان من منافع الأرض أن تظلم أوجها تارة وتضيء أخرى ولو دلم أحدهما هلك من عليها . فقول للمسلم وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ليس يراد به الوجه الجسمي لأن الله ليس بجسم وانما التوجه الجسمي يصح في توجه الأرض والسيارات والأقمار للشمس فهذه اذا توجهت نحوها استضأت بنورها . إذن هذا التوجه روي عقل فالتوجه في كل شيء بحسبه في الأجسام جسمي وفي الأرواح روي والتوجه الروحي بحسب الفكر وحسب الفكر مقتضات ومقويات فالركوع والسجود والقراءة وما أشبه ذلك كلها مساعدات على ذلك التوجه والتفكير في ملكوت السموات والأرض الذي كان يعلم يغفل في سحر كل ليلة إذ يقوم ويقرأ آية - إن في خلق السموات والأرض من أهم أسباب التوجه لله ونحن الذين لسنا أنبياء لا تكفي تلك النظرة في السحر بل علينا دراسة العلوم كلها في السموات والأرض على سبيل فرض الكفاية من جهة . وهكذا يدرس كل مسلم من تلك العلوم متى كان قادرا عليها كل ما يزيد شكر الله ومعرفة قوله تعالى - وقل رب زدني علما - وقوله تعالى أيضا - واشكروا لي ولا تكفرون - ويوضح ذلك قوله هنا بعد آيات - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - فهذه الآية تعرفنا معنى - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا - فليس توجيه وجهنا لله من حيث نفس ذاته لأنه ليس في طاعتنا بل ذلك للنظر في آياته التي وبخنا على اعراسنا عنها في هذا المقام فيوسف توجه لله بآياته في السموات والأرض ورسول الله توجه له بذلك وهكذا للمسلم . إذن الصلاة في الاسلام مفتاح العلوم لهذا تأخر المسلمون عن الأمم لأنهم لم يفهموا صلاتهم يصلون وأكثروهم لا يصلون ما يقولون . يتوجه المسلم في الصلاة ويقول - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وهو في الوقت نفسه معرض عن السموات والأرض والله تعالى يوبخه قائلا - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون -

(خطاب المسلمين)

أيها المسلمون . هل يعجبكم هذا . هل يعجبكم أنكم عنتم قرونا وقرونا وأنتم صالون وتقولون باللفظ انكم وجهتم وجوهكم للذي فطر السموات والأرض وفي الوقت نفسه يقال لأكثرنا انكم معرضون عن الآيات في السموات والأرض . اللهم اليك المشتكى . دين تكون صلاته مذكورة بجميع العلوم بل فيها مقاديرها ومقاديرها الإعجاب السموات والأرض التي اندجعت في سورة الحمد إذ الحمد على النعم والنعم هي جميع هذه العوالم فكيف يكون تأييده أهل الأمم بلاومه المذكور في سورة الفاتحة . ولما علم الله أن الناس ربما لا يفتنون بهذه العلوم من سورة الحمد أزل على نبيه عليه السلام وأمرى إليه أن يقرأ - وجهت وجهي للح - في أول كل صلاة وأزل في هذه السورة أن يوسف قال - فاطر السموات والأرض - وأنبه بما يشبه التفسير له إذ ذم القوم الذين أعرضوا عن الآيات التي في السموات والأرض فكأنه بهذا يبين قول يوسف - فاطر السموات والأرض - والله ليس معرضا عنهما فهو مقبل عليهما وبهما يتوجه لله . فلذا قال للمسلم - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - ثم هو في الحال معرض عن الآيات في السموات والأرض (وبعبارة أخرى) يجهل هذه العوالم التي تعيش فيها فهذا هو بل غضب الله عز وجل عليه لأنه ما كان في قوله فهو يقول لله وجه وجهه فاطر السموات والأرض ولا معنى لهذا التوجه إلا بالاقبال على الآيات فيها وهو لم يقل . إذن

نحن في هذا الكاذبين أو الكافرين . وإن كنا لا قصد ذلك تأخر المسلمون وتحطوا وتقهقروا لأنهم أعرضوا عن الآيات في السموات والأرض فكأنهم استهزؤا بآيات الله لاعراضهم عنها ولأنهم تعجبوا لفظا ولم يتعجبوا فعلا بالعلم . هذا هو الذي فتح الله به في هذا المقام ولعل هذا من أسباب أن هذه السورة أحسن القصص ذلك لأنها آيات حال للمسلمين الآن إذ تبين أن السورة بأكملها رجعت إلى إشراف للشرقات في منام يوسف وأنهى ذلك بصدق الرؤيا ثم انتقل الأمر إلى التوجه لله بالنظر في آياته للشرقات في السموات والأرض والمسلم هكذا توجهه كما توجه السديني وتبع ذلك ذم للمرضين عن آيات السموات والأرض والمسلم اليوم اتجه لفظا في الصلاة ولم يتجه عقلا فحرم من ميراث الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض فأرسل الله عليه الأم فأذنه . للمسلم اليوم جاهل والله يماقه في الدنيا بتألب الأم عليه . وهاهوذا الآن أخذ يقبل على العلوم جيبها وهذا التفسير من مقتضات تلك النهضة وسيرى المسلمون قريبا . وليصبرن الله من ينصره لأن الله لقوى عزيز .

(تذكرة هبة في التحليل عليه السلام وقوله - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات إلح -)
 لقد تبين لك أن توجه يوسف للذي فطر السموات والأرض إلح موافق لتوجه المسلم في صلاته كذلك وأزيد الآن أنه قد حتم في سورة الأنعام قول الله تعالى - وكذلك يرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - هناك أخذ التحليل يدرس النجم والقمر والشمس ولما أتم ذلك قال - إني وجهت وجهي إلح - أليس ذلك معناه أن اللعين إنما يكون برؤية ملكوت السموات والأرض . أولست ترى أنه لا يمكن رؤية ملكوت السموات والأرض إلا بدراسة العلوم في هذه الأرض التي نكثنا ولنا تلك الإشارة بدراسة التحليل هذه الكواكب . أولست ترى أن التحليل عليه السلام لم يقل - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض إلا بعد دراسة ملكوت السموات والأرض بحسب طريقته
 وهنا نبين لك أيها النكي أن ما ذكرته في هذا المقام استنتاج جاء في قصة التحليل صريحا فانه نظرفا يقن فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض وبهذا نوقن أن قول المسلم - إني وجهت وجهي إلح - لا يتم له اذا كان قادرا على التصلم إلا بدراسة هذه الدنيا التي نعيش فيها فبهذا يكون المسلم متوجها ربه لأنه درس السموات والأرض فأما التوجه الفلفي فهو قليل الجعوى عديم الفائدة . هذه هي المسألة التي تخطتها الأمم الاسلامية فجعلت قرائحها فلبت تجارها وضلت طريقها وكانت غالبا من النافلين . ولما كان هذا للمقام من أهم مافي القرآن ورد بعد ذلك في الأنعام ما يؤيد ذلك مثل (١) قول إبراهيم - أتصاحبني في الله وقد هدان - ومثل (٢) - نرفع درجات من نشاء لأن ربك حكيم عليم - (٣) وفي آية أخرى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فهذه الدرجات المذكورة هنا كالتطبيق على ذكر درجات أولى العلم لأن التحليل علم نظام الكواكب والشمس فارتقي ومثل (٤) انه ذكر ذرية التحليل وهم الأنبياء وختم للقال بقوله - أولئك الذين هدى الله فيهداهم اقتده - ولم يجمع في القرآن جملة بهذا النص إلا في هذا المقام للإشارة إلى أن الايمان وقرامة علوم هذه الدنيا وعلوم الفلك وغيرها ذات مقام سام ومنزلة رفيعة فلذلك أمره بالاعتناء بالأنبياء من ذرية إبراهيم وبأيهم إبراهيم . بهذا نفهم أن قول المسلم في الصلاة - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض إلح - لا يكون تاما إلا بلمه بهذا النظام الذي نعيش فيه كما فعل التحليل نظرفا فدرس فتوجه والمجد لله رب العالمين انتهى

(المبحرة الزاوية في قوله تعالى - إن ربي لطف لما يشاء -)

لعم أن لطف الله عز وجل سار في كل مخلوق ولكن الاجال شئ والتفصيل شئ آخر . ان معرفة هذا اجالا لا تميد فالتفصيل يحيط بهم الحلف ولكنهم لا يظنون ولا يتفطن لبعض المخالقات يفتح بابا وليسا فالتس وإني

مورد لك الآن بعض ما سترقوه في سورة النحل عند قوله تعالى - وهو الذي سخر لكم البحر لتسلكوا منه لجا طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها - فسترى هناك أن الأول (ثلاثة أنواع) طيبى ومولد وصناعى فلا أطيل الآن في بيان هذا لأنك سترقوه هناك وأنا أذكر لك كيف ظهر لطف الله في هذا . ذلك أولا أن الجير والفحم إنما هما ملائتان حقيقتان معروفتان ولكن حسن الوضع وجمال الصنع هما اللذان جعلنا هذا النبوذ المحفور جوهره بدنية فإن اللؤلؤة إنما هي كربونات الجير فطبيير معروف والكربون هو مادة خفية والمادة الفحمية منها وقودنا وسير قطارنا وإدارة آلاتنا للطحن والتجيز وبقية أنواع الحياة ومنها دهنا ودهن الحيوان . فانظر كيف ظهر لطف الله بحسن الصنعة حتى صار الفحم تارة دهنًا وأخرى نورا في خوارق القاهرة مثلا وأخرى أنواعا من المياغة وآتوه يظهر بهيئة جبلية في أجساد الغادات الحسان . إن هذا العالم الذي نعيش فيه يرجع أوله وآخره الى اللطف وحسن الصنعة والتفنن وهذا هو الدحر الحلال

أنظر الى هذا اللطف في اللؤلؤ الطيبى واللطف في اللؤلؤ الصناعى الذى سترقوه في سورة النحل أيضا فسترى هناك أن مادة لماعة خلقها الله على جرم السمك لأجل أن يكون نورها النضى المتعكس من فوق بطن السمكة مفضيا على أعين أعدائها فيكون ذلك وقاية للسمكة . فانظر كيف عرف رجل فرنسى هذه الخاصية فاستخرجها من فوق جلد السمكة وطلا بها الزجاج فصار ذلك الزجاج أشبه باللؤلؤ الطيبى . ذلك كله باللطف وحسن الصنعة . فافقه أعلى السمكة في البحر هذه المادة لتحفظها من أعدائها بقوة شعاعها والانسان استعملها لتكون بهجة وجمالا لغادات الحسان . هذا من معنى قوله - إن ربى لطيف لما يشاء - فقد ظهر لطفه في الفحم للتنوع استعمله وفي هذه المادة السمكية التي تحفظ السمكة من عدوها وتجلب للغادات الحسان من يشقها فتلد منه البنين والبنات حفظا وبقاء لنوع الانسان . ها أنت ذا رأيت بعض لطف الله في اللؤلؤ فانظر في سورة يوسف التى نحن بصدد الكلام عليها فانك تجد اللطف فيها كاللطف في خلق اللؤلؤ وهاك البيان

ألم تر أنه اشتق من بلوى يوسف وذه بحسد اخوته ورميهم له في غيايات الجب نعمته وعزه بإدارة ملك مصر ولولا هذه البلوى وهذا القتل لم يزل هذا المجد والشرف . واشتق من سجنه سبع سنين قربه من الملك وتعم النعمة بالملك . أليس ذلك هو عين ما رأيت في اللؤلؤة الطبيعية فإن الجير والكربون أى الفحم ملائتان حقيقتان فهما في حقيقتهما أشبه بما أحاط بيوسف من حسد اخوته ورميه ثم سجن العزلة ثم اشتق من ذلك القتل عزه بالملك كما اشتق من هاتين اللذتين الجبال والبهاء وغلاو الخن والمجد في اللؤلؤ . فكما ظهر لطف الله في قصة يوسف ظهر لطفه في جميع المخلوقات الطبيعية فكلمها إنما ترجع الى اللطف فهذا فتح باب لفهم معنى قوله تعالى - إن ربى لطيف لما يشاء -

واعلم أن اللطف محبوب عند عقول النوع الانسانى فترى الجاهل والعالم كلاهما مغرم بإدراك أسرار اللطف ولذلك ترى الجاهل والمتوسطين من هذا النوع الانسانى جميعا مغرمين بقراءة الروايات التى يتخذهما الناس لما يرون فيها من حسن التلطف والتحبيل وادخال الهائب في وقائعها . ذلك لأن هؤلاء يجهزون عن إدراك اللطف في الطبيعة التى يعيشون فيها فذلك يلجؤون الى ما يتخيله الناس في الروايات حتى يعرفوا شيئا من اللطف الذى جبالوا على حبه وهم لا يشعرون

واعلم أن الأرواح الانسانية إنما هي لطائف نورية سلموية فلذلك تمسح وتفرح بتلك الهائب اللطيفة وبينها وبين خالق هذا العالم صلة وإن كانت محجوبة عن تلك الصلة . ولعليل على ذلك أن الانسان متى سمع قولاً أو نكلمه هو دخلت معاني ذلك الكلام بهيئة صور ترسم في النفس فيشعر الانسان بتلك الصور ولا يعرف كيف رسمت ولا من أين جاءت . فلذا سمع لفظ شمس أو قر أو شجر أو أساء أو أراضى رسمت

الصور حالاً في نفس الانسان فكأننا نحن في هذه الأرض عالم كبير . فإذا كان الله يخلق الخلق بحيث اذا قال له كن كان أى حصل وجود فلا بحيث نراه ونلمسه ونفقه فهكذا أرواحنا التي هي في أصل نشأتها من نور إلهي لها قدرة عظيمة جداً وإن كنا لانشر بتلك القدرة المستمدة من موجد نور المبدأ لنا وهو الله سبحانه وتعالى فإذا سمعنا قولاً أو تكلمنا به رأينا قوسنا قد أظهرته في الواحها . إذن نحن مملكة واسعة الأطراف وكل روح من أرواحنا توجد بأسرع من لمح البصر عوالم وعوالم في خيالنا ونحن لا نفهم هذا السر بل نحقره ونقول إنه خيال . نعم هو خيال ولكن هذا الخيال أمر عجيب . إن هذا الخيال وسرعه ونقش الصور التي لانهاية لها في أدمغتنا كل ذلك من لطف الله المذكور في هذه الآية - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - فهو لطيف وعلیم وحكيم ومن لطفه وعلمه وحكمته أن فطرنا جميعاً على هيئة متجانسة من حيث أننا نرسم في قوسنا صوراً سريعة ثم نرسم أخرى وأخرى وهذا هو عين ما نشاهد في هذا العالم فهو صور تتلاها صور وهكذا إلى الأبد وقوسنا قرأ فيها فقرى فيها نفس هذا العالم للمشاهد كله ونحن نحموه ثم نمجده ونحموه ثم نمجده مشاكسة لما يخلق الله تعالى كأن هذا رمز إلى أن هناك بينكم وبين صانع هذا العالم صلة خفية والفرق بين قدرتك وقدرته كالفرق بين عوالم الخيال وعوالم الحقيقة فالعوالم التي نعيش فيها حقيقة والعوالم التي في خيالنا مجازية فتكون النسبة أشبه بنسبة الجودالى ما يشبه العدم وهذا هو المذكور في قصة الخضر وموسى عليهما السلام إذ قال الخضر لعنه الله ما يشبه العدم وعلم الخلاق في جانب علم الله إلا كمقدار ما أخذ هذا الطائر من ماء البحر . وإذا كنا نرى ربنا يوم القيامة فبدأ الرؤية موجود في الدنيا وهو الاستعداد العظيم الكامن في قوسنا فهي بهذه القدرة العجيبة للخلاية قادرة أن تسرع في التعلم والتفعل حتى يقوى علمها فتخلق لها في الآخرة أعين روحيتها تعين الله وهذا كله من قوله تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - فقد ظهر لطفه في الملائكة فاستخرج من موتها حياة للإنسان وعلمنا حتى صار كأنه عالم يشبه العالم الكبير وهو يوم ما سبى ربه وهذا أعجب اللطف فهو لطف أجل وأبعد من لطف الله في اللؤلؤ الطيب واللؤلؤ الصناعي لأن ذلك لطف في المحسوسات استخرجه من الفحم ومن الجير ومن مولاة أخرى . وإن كان اللطف في استخراج العقول الكاملة التي تستخرج من بواطنها عوالم مثل هذا العالم الذي نعيش فيه . فهذا لطف أعجب وأكمل وأجل . ذلك كله من قوله تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

﴿ جوهرة السورة كلها ﴾

أيتها الذكي هأنت إذا قرأت سورة يوسف وعرفت تفسيرها ولكن لم يكن فيها من الصنعة بهجاء الكون ما كان فيها قبلها من السور . لقد ازدادت السور السابقة بمجواهر الكون ودرر النظم وجمال العالم ومحاسن الطبيعة وبهجة الدنيا وزخرف النبات وسعادة الحيوان برجة ربه . أما هذه السورة فلم يكن فيها حظ من ذلك اللهم إلا ما استنتج من جمال يوسف والبحث في جمال الوجوه وجمال التفات وجمال الشعر وجمال الفك ودقة حسابه . فإذا خطر ببالك ما ذكر فيها أناذا سألتني عليك قولاً يبين أجمل ما فيها . ثم أردفه بالجوهرة التي أضأت فيها فكانت زينة تاجها وقرعة لعين قارئها وبهجة لفكرين قامت مقام الآيات الطوال في السور الأخرى وجعت من الهجاء أعلاها ومن المحاسن أبهاها في هذه الكائنات فهأنا ذا أناول عليك ما وعدت وأقص عليك ما قمت فأقول

﴿ سياسة النفس ﴾

لقد عرفت من قصص يوسف أحسن القصص وآثاره وعالم الرؤيا والمبالغة والحسد وأخباره والفتن والجلال والعفة والكمال وكيد الغايات وعدم التغير في البيوتات وذلك في علم الحكمة هو تهذيب الشخص المسمى بـ سياسة النفس

(سياسة المنزل)

ثم إن آدابه مع أصحاب السجن وصدق قوله وما أسدى اليهم من النصائح وأورد لهم من البرر الفوالى في الدين وما بدلا لهم من كلفه وبهجة جلاله وضحيق مقاله واعلامهم بما يأكلون وتفسير ما كانوا يرون في المنام . كل ذلك أشبه بيلم تدير المنزل ونظامه

(سياسة المدينة)

ثم إن حسن سيرته مع الرعية ألزمت للملك بالاقبال عليه وتسليم مقاليد الامور اليه وأصبح الجميع له لا عليه فقد شهدن له بعد أن تناهين في خلال القيل والقال ونظم النولوين وأراح الرعية ودبر الامور وأفرح الجمهور فرضى الله عليه وأرسل اخوته وأبويه اليه وخزوا له ساجدين وارتد بصرأيه اليه . كل ذلك لتحقيق رؤياه

(خاتمة القصة)

ثم إنه نظر نظرة الى العالم الأعلى وخطب ربه ناظرا في أرضه وسمواته قائلا (فاطر السموات والأرض امتنى على الاسلام وألحقني بأولى الفضل الأنبياء الأعلام) هذا ملخص قصص يوسف أمليت عليك إجمالا بعد أن ذكرته تفصيلا

(المقصود من هذه القصة)

ههنا أخذت بخطاب نبينا عليه السلام وهذا هو بيت القصيد فقال له إنك لم تحضر يوسف وأباه ولم تدرس ما ذكرناه فأنت وقومك نشأتم أنتم فاعلم عنكم عزب والدين من ذلكم نزع فكيف يلقي هذا إلأما أوحيناؤه أو يفصله إلأ مايناؤه . وههنا أن أرى بك الجوهرة النفيسة تلك هي قوله تعالى - وكأين من آية في السموات والأرض يرون عليها وهم عنها معرضون - فكان الله يقول أيها الناس هاهونا نبى قصص عليكم أحسن القصص فإذا لم تعلموا بضامحه الغالية ودرره الثنية ومحجابه البديعة فليس ذلك بدعا منكم ولا خراجا عن ماؤفكم فان في السموات والأرض التي تشاهدونهما من العجائب ما تحضر له العقلاء سجدا وأتم عنها غافلون فلا بدع إذا لم تغيروا قصصا من قصص أنبيائى الذين هم كزهرات في بستان الأرض ومن جهل جبال النجوم وبهجة الشمس والقمر فما أسواه أن يجهل بعض ما في هذا العلم كالقصص التي أنزلناه . فهذه الجوهرة في السورة جمعت كل بابة وخضرل وناطقة وبكاء من عجائب الأرض والسماء . وههنا الآن لا أدري أأكتب كل علم وكل فن وكل نجم وكل شمس وكل قر أم أدع الكتابة جانبا في هذه الآية . فأما القسم الأول فهو محال لأن هذا العالم كله عجائب وعلم العلماء والأنبياء لا يحصيه وإنما يحصيه مبدعه وخالقه وهو الحكيم العظيم

(علم اللآة)

ولأذكر لك الكلام على اللآة فان ذرة واحدة من ذرات هذا الكون حار فيها العلماء والحكماء وتاهت عقولهم ولم يصلوا لمتهى العلم فيها فكيف بإعالم كله . ألم ترى ما حققه العلامة (لويون) فيها وهو أن كل مادة تتحول الى قوة والقوة تنعق الى ضوء وحرارة وحركة وهي وتتوغلها ترجع الى الأثير فأصبح الرأى الحديث أن المادة تنفى ولا يكون لها وزن ومتى صارت قوة أمكن أن تصير أثيرا وهذا أمر فرضت العقول وجوده تسبج فيه جميع الكائنات ويقول إن اللآة الواحدة العلمية (التي لا نستطيع رؤيتها ولا وزننا إلأ بطريقى الباحث العلمية الاستنتاجية) تتحلل انحلالا بليثا ويزيد انحلالها تسليط النور والحرارة أو اللآة عليها دهورا ودهورا خيشتد تنفى وأسرع للواد الى الانحلال (الراديوم) فان جزأ من أثف جزء من جرام (الراديوم) يبقى دهرا وهو شبع ملايين وملايين من تلك الذرات الى أن تتلاشى مادته أخيرا أى تتحول الى قوة وهذا الانحلال والتحول لا يمكن إلأ بقوة عظيمة جدا فان هذه الذرات تقذفها أجزاءها للنحلة المتحولة

الى نور سرعته (٢٠٠٠٠٠٠) كيلومتر في الثانية فلذن هي مستودع قوة مذهنة وهي أشد القوى المعروفة اليوم ولو أمكن العلماء تحليل المادة لتلوا قوة خارقة للعادة فلو انحلت جرام من الحديد بحيث ينحل في ثانية واحدة لوجدوا أن هذا الجرام يتحول الى قوة تعادل ستة آلاف وثمانمائة مليون حان وهذا المقدار كاف لأن يجرّ قطارا حديديا حول الكرة الأرضية أربع مرات وقرر العلماء المذكور أن الكهرباء والحرارة والنور ماهي إلا انحلال للمادة فهي تتحول الى تلك الأعراض . فاضواء الشمس ولا كهرباء البطاريات ولا حرارة النار إلا أعراض قد تحول الجسم اليها . فما المادة إلا قوة متكاثرة والأثير متكاثف في الأزمان الغابرة فصار مادة كما تكاثف اللوثة السخانية (الغازية) والماء الآن يريد أن ينال استخدام القوة التي للمادة فانها لا تحلها متى انحلت ومتى ظلتها كانت للناس سعادة لا آخر لها . وإذا كان (الروبيوم) يشع فهكذا جميع المواد ستعبر شعاعا ولكنه هو أسرع منها وما المسك ورائحته العنقة الذكية إلا كالروبيوم ينحل الى ماهو ألطف فيصير رائحة وهذه تنحل الى ماهو ألطف فتصير ضوا والضوء يرجع الى الأثير والأثير هو الأصل الذي فرضوه أرق من الهواء ومن الحرارة ومن الضوء . هذا هو البحث الذي يدور فيه بحث العلماء الآن فاذا كان الجرام الواحد وفزائه في الأرض وفي السماء قد حوى كل هذه الجباب والقوى وانحلت فصار حركات وحارات وأضواء فتني أم الأرض بأسرها وتحمل أقاليم وتوسع ثرواتهم فكيف يقضى للناس ان يعرفوا جميع الجباب وأتى لهم ذلك فاذا قال الله هنا - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها الخ - فان الباحث في الجباب لا آخر لها ولا قوة مخلوق على استقصائها . وخير ما أقوله في هذا المقام قوله تعالى - ولأن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما ضلت كلمات الله إن الله عزيز حكيم - فهذا هو التعبير العلم في أمر الجباب ولا مطمع في استقصائه . هذا ما ينبغي في هذا المقام

(بيان قصير للمسلمين في هذه السورة)

أفليس هذه الآية ناطقة بأن آيات السموات والأرض التي لا تنحلي والجباب التي لا حصر لها من آيات الله جاء في أول السورة - تلك آيات الكتاب - وفي آخرها آيات الأرض والسموات وقد ذم الله للمرضين عن الآيتين فاذا حللنا الآيات في سورة يوسف وعرفنا معانيها وحلّلنا أفعالها واستفدنا فوائدها فبالأحرى نحلل آيات الأرض والسموات ونستجلى فوائدها ونستخرج حكمها . هذا هو الذي جاء به القرآن فبأي حق يقتصر المسلمون على جزء من (٣٦) من القرآن وهي الآيات المختصة بعلم الفقه ويندرون بقية القرآن كقصص الأنبياء ومحجبات الكون والأخلاق فلا يؤلفون فيها استنتاجا وتعليليا كما ألفوا في كتب الفقه وكيف يتركون بقية آيات الله التي هي آيات الأرض والسموات . أفليس هذا هو القرآن . أفليس هذا كلام الله والله هو الذي خلق السموات والأرض وأزل القرآن وطلب في سورة يوسف قراءة آيات السموات والأرض فبأي حق ساغ للمسلمين أن يناموا ويسبقهم الفرنجية الى آيات الله - إن الله لا يهديهم ما يقوم - من الفلاة والالتكاس - حتى يهيموا ما بأقضهم - من الوسواس والوقوف عند الحواس . إن هذه الآية الكريمة بيت القصيد في سورة يوسف وحك العقول ومهبط الحكمة . فاذا قال يوسف بعد أن حطى بما كان يجتاه بإفطار السموات والأرض ملتجئا اليه مشيرا الى المنهج الانبياء والعلماء من المقصد العلوي والمنهج الحكيم في العلم ومعركة حقائق الكون وأن ذلك هو نهاية المطالب وحقيقة الحقائق . فقد نال الله نبيتنا ووضع له الامر ايشاحا وشرحه شرحا واضحا . فتم قوما أعرضوا عما ذرأ في الأرض والسموات . والحق أن كل قصص وكل علم قائما هي مقدمات للقاصد العليا من علوم العوالم العلوية والسفلية والله يهدي من يشاء . تم تفسير سورة يوسف عليه السلام

﴿ سورة الرعد هي مدينة وقيل مكية الا قوله تعالى - وقول الذين كفروا الآية - ﴾
(وهي خبي وأربون آية)

هذه السورة قسبان ﴿ القسم الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - كذلك يضرب الله الأمثال - في
العلوم الطبيعية وعلم التوحيد
﴿ القسم الثاني ﴾ في الأخلاق والثواب والعقاب من قوله تعالى - للذين استجابوا لربهم الحسنى - الى
آخر السورة

﴿ القسم الأول ﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

المرء • تلك آيات الكتاب والتي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون • الله الذي رفع السموات بسبع سموات ترؤنها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تلبقوا ربكم تؤفون • وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ينشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يفكرون • وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد وفصل بعضها على بعض في الأكمل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون • وإن تعجب فعجب قولهم إذا كُنَّا ترابا • إنا لنى خلقنا جديد أولئك الذين كفروا ببرهم وأولئك لأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون • ويستجلبونك بالسبئ قبل الحسنة وقد خلعت من قبلهم للثلاث وإن ربك لدومقرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب • ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد • الله ينزل ما يشاء كل أنى وما تبيض الأرض وما تزداد وكل شئ عنده يقدر • عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال • سوا منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهاري • له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من والي • هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا

وَيُنْثِي السَّحَابُ الْقَطْرَ • وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِسَابِ • لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِيدٍ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَلَهُ وَهِيَ بِيَالِنِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ • وَفِيهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْأَغْدِقِ وَالْأَصَالِ • قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ • أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَايَا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ •

في هذا القسم علم الشمس والقمر والأرض والجبال والأنهار والأشجار والأزهار والتخيل والأعقاب واختلاف الثمرات وتنوع الحاصلات مع اتفاق العناصر والأنوار والهواء والماء وعلم الأجنة في البطون واختصاصها بعلمه المكنون واستواء السر والعلن عند الله ونظام البرق والسحاب والرعد في الحق وسجود العالم لله طوعا وكرها وظلالهم غدوا وعشيا وكيف كان الحق يخفي أمدا طويلا وينفيه الباطل ويحجبه عن الناظرين ثم يتجلى سناه ويظهر في الحاققين منفعة وذلك كما في الطر اذا سقى الأرض فامتلا الولدى به امتلاء وغطاه الزبد ثم زال الغطاء وبقي الماء فكان للزرع ثماء ولصاحبه ثراء هكذا كان العلم والدين

(تفسير الكلمات قصيرا لقطيا)

قال تعالى (عند) أساطين (برونها) صفة عمد (ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر الخ) تقدم بإيضاح في سورة هود وسورة يونس فالتى استوى على ملكه وقد فيه أمره (رواسي) جبالا ثوابت من رسا الشئ اذا ثبت جمع راسية (وأهوار) جعلت بعدها لأنها منها تنشأ (زوجين اثنين) جعل فيها من كل أصناف الثمرات زوجين اثنين ذكرًا وأنثى في أزهارها عند تكوّنهما فقد أظهر الكشف للحديث أن كل شجر وزرع لا يتولد ثمرة وحده إلا من بين اثنين ذكر وأنثى فعضو الذكر قد يكون مع عضو الأنثى في شجرة واحدة كأغلب الأشجار وقد يكون عضو ذكر في شجرة والآخر في شجرة أخرى كالخل وما كان العضوان فيه في شجرة واحدة إما أن يكونا معا في زهرة واحدة وإما أن يكون كل منهما في زهرة وحده . والثاني كالقرع والأزول كشجر القطن فان عضو الذكر مع عضوا الأنثى في زهرة واحدة وسيأتي تفصيل هذا المقام في سورة العنبر (يفشى الليل النهار) يلبس النهار ظلمة الليل فيصير الحق مظلمًا بعد ما كان مضيئًا فكأنه وضع عليه لباسا من الظلمة (قطع متجاورات) بعضها طيبة وبعضها سيخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع وأخرى لا تصلح وهكذا (منوان) تخللت أصلها واحد (وغير منوان) متفرقات مختلفات الأصول

(في الأكل) في الفتر شكلا وقنرا ورائحة وطعما وغواص (فحب قولهم) حقيق بأن تعجب منه (أننا كنا نراي الخ) بدل من قولهم (وأولئك الأغلال في أعناقهم) مقيدون بالفضلة لا يربى خلاصهم (بالسطة قبل الحسنة) بالعقوبة قبل العافية إذ كان كفار مكة يطلبون العقوبة استهزاء إذ يقولون ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا سجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ (وقد خلت من قبلهم الملائكة) عقوبات الأمم أنثالهم من للكذابين أي وقد مضت من قبلهم في الأمم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسولهم • ولثمة بفتح الميم وضم التاء وفتحها ثمة تنزل بالإنسان فيحصل مثلا ليرتفع به غيره وجهه مثلث بفتح الميم وضما مع التاء فيهما (فهو مضرة للنفس على ظلمهم) تجاوزعن الصركين منهم إذا آمنوا (لشديد العقاب) للصيرين (لولا أنزل عليه آية من ربه) كصا موسى وفاقه صالح - لولا - أي هلا (منذر) أي ليس عليك إلا الإنذار والتخويف والنصح متى ثبت أنك نبي - بأي آية فقد كفي وأما اتباع اقتراحهم كأن تعجز لهم من الأرض ينبوعا أو تسقط السماء كسفا فذلك ليس عليك (ولكل قوم هاد) قائد يودهم إلى الخير بوجه الله عليه باستدلاله كالأنبياء والحكماء والمجتهدين والصالحين وأنت هاد هؤلاء • ولما كانت الآيات للقرحات لاتصلح الأمم وفوائدها وقية وفوائد العوالم كلها ونظامها ودراساتها تورث اليقين أعقبه بآيات نظام الكائنات فقال (الله يعلم ما تعمل كل أمي) يعلم الذي عمله الآتي أذكر هوأم أمي وحسن هوأم قبيح وطويل أم قصير وفقير أم غني وشقي أم سعيد (وماتفيض الأرحام وما تزداد) يقال غاض الماء وغضته أي نقص وقصته وازداد الشيء وزادته • والمعنى ويعلم الذي تنقص الأرحام وتزداده (١) من عدد الولد قد يكون واحدا أو اثنين أو ثلاثة أو أربع (٢) ومن جسده قد يكون تاما وقد يكون ناقص الخلق وهو المندرج وقد يكون تاما (٣) ومن مدة الحمل فقد تكون أقل من تسعة أشهر وقد تكون أكثر فتكون ستين وار بما وخسا الأول عند أبي حنيفة والثاني عند الشافعي والثالث عند مالك وقد تكون أكثر من ذلك كما ظهر في الكشف الحديث (٤) ومن دم الحيض فإذا لحضت للمرأة نقص غذاء الولد لأن الدم هو الذي يغنيه وإذا لم ينقص يتم الولد ولا ينقص فقوله تفيض الأرحام وتزداد أي في عدد الولد وفي جسد الولد وفي مدة الحمل وفي دم الحيض زمن الحمل (فكل شئ عنده بمقدر) أي كل شئ في السماء والأرض له وقت معين وحال معينة فلا فرق بين شئ وشئ حتى تنقص الولد والجسد ومدة الحمل والدم وتقام ذلك كله فليس هذا بالمصادفة العجائب بل هو بقدر (الكبير المتعال) العظيم الشأن المستعلى على كل شئ بقدرته (ومن هو مستخف بالليل وسارِب بالنهار) طالب للخفاء في غمٍّ بالليل وبرز بالنهار يراه كل واحد من سرب سربا برز أو ذهب في سربه ظاهرا والسرب بوزن النسر الطريق (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) معقبات جماعات يقب بعضها بعضا من عقبه إذا جاء على عقبه ومنهم الملائكة لأنهم يقب بعضهم بعضا في حفظه وفي كتابة أقواله وأفعاله وهؤلاء وغيرهم يكونون من جيع جوانبه يحفظونه من الخسار ويراقبون أحواله وهؤلاء للمعقبات أنفسها من أمر الله لأنها حصلت بكلمة - كن - أو هي تحفظ من أمر الله كالمهلكات والمعربات العاتقة في الكون فهذه من أمر الله فالحفظ منها حفظ من أمر الله وسيأتي إيضاحه (إن الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة والعز والاستقلال (حتى يضيروا ما بأنفسهم) من العلم والحكامة والاخلاص والأخلاق الجلية (وما لهم من دونه من وال) من دون الله من وال إلى أمرهم فيدفع عنهم السوء وهذا المعنى تقدم الكلام عليه مطولا في سورة الأقال (هو الذي يربكم البرق خوفا وطمعا) البرق لمعان يظهر من خلا السحاب يره الله لنا للاخافة والاطماع فهو يشبه النجم والنم • نخاف من الصواعق ونخاف من المطر للمسافر ومن في جريته أي يدره وفيه الثمر أو أوزيب أو القمح وكذلك نخاف من المطر إذا نزل في غير مكانه أو زمانه (ويثنى السحاب الثقال) أي بالمطر قال أنشأ الله السحاب فنشأت والسحاب جمع سحابة وهو الغيم المنسحب

في الهواء (ويسبح الرعد بحمده) أي يسبح سامعوه من العباد الراغبين للفر فيصيحون بسبحان الله والحمد لله أي يسبحون ملتبسين بحمد الله أو الرعد نفسه يدل على وحدانية الله وتزججه ملتبسا بدلالة على فضله ونزول رحته (ولللائكة من خيفته) أي الله (ويرسل الصواعق) الصاعقة نار تسقط من السماء (وهم يجادلون في الله) أي الذين كذبوا رسول الله يجادلون في الله وينكرون على النبي وما يصفه به من القدرة على البعث وينكرون الوجودانية بتخاذ الشركاء . وذلك بالفتالية والمنازعة في الخصومات وهذه الجهة حالية

روى أن عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة أنا ليد وقدنا على رسول الله ﷺ قاصدين قتله فأخذهم عامر بالجدالة ودلر أريد من خلفه ليضربه بالسيف فقتله رسول الله ﷺ وقال اللهم أكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أريد صاعقة فقتله ورعى عامرا بقدة فأت في بيت ساولية . وكان يقول غدة كفة البعير وموت في بيت ساولية وقوله (وهو شديد الحال) أي الماحلة والمكيدة لأعدائه . قال محل فلان فلان إذا كايده وعرضه لهلاك . ومنه تحمل إذا تكلف في استعمال الحيلة (له دعوة الحق) أي الدعوة للجنة فان من دعاه أجاب أودعوة الصديق والتوحيد وهي شهادة ألا إله إلا الله (والذين يدعون) أي والأصنام الذين يدعونهم للشركون (من دونه) أي من دون الله (لا يستجيبون لهم بشئ) لا يعجبونهم بشئ يريدونه من نفع أو دفع ضرر (إلا كباط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو بباله) أي إلا استجابة للماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه ولما جمد لاشعور له بسط الكفين لاقبضهما فكيف يجب دعاه هكذا أصنامهم يدعونها فلا تخير جوابا (ومادعاء الكافرين إلا في ضلال) في ضياع لامتعة فيه فان دعوا الله لم يجبه وان دعوا الأصنام لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها) أي يسجد اللائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا في الشدة والرخاء والكفرة كرها في حال الشدة كما مر في آيات كقوله تعالى - وإذا سمع الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه - وكذلك يسجد جميع ماني السموات والأرض سجدوا اتقياد (وظلالهم) فانها تنقاد تبعا لاتقياد الأجسام التي تشرق عليها الشمس فيصرفها الله بالمد والتقليص وسأيت شرحه (بالفقد والاصال) حال من الظلال لظهور الامتداد والتقليص فيها أ كثر في هذين الوقتين والفقد جمع غداة والاصال جمع أميل والغداة أول النهار والأصيل ما بين العصر والمغرب (قل من رب السموات والأرض) خلقهما ومتولى أمورهما (قل الله قل أفتخذه من دونه أولياء) أي أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذه من دونه آلهة (لا يملكون لأنفسهم قضا ولا ضرا) لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضررا عنها فكيف يستطيعون لغيرهم وقد آثرتموه على موجد الأحياء مقدر الآجال والأرزاق وهذا ضلال بين (قل هل يستوى الأعمى والبصير) الكافر والمؤمن أو من لا يبرشياً ومن لا يخفى عليه شيء (أم هل تستوى الظلمات والنور) الشرك والتوحيد (أم جعلوا لله شركاء) بل أجعلوا والحمة للإنكار (خلقوا تخلفه) أي خلقوا مثل خلقه والجهة صفة شركاء فهم إذن لم يتخذوا لله شركاء قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق عليهم) أي فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء أي ليس الأمر كذلك حتى يشبه عليهم الأمر بل إذا تكبروا بقولهم وجدوا لله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الأشياء والشركاء أنفسهم مخلوقون له أيضا فلم يخلقوا شيئا حتى يشبه خلق الله بخلق الشركاء . فالتجفة إذن قد لزمت المجادلين (وهو الواحد القهار) التوحيد بالالوهية الغالب على كل شيء (أزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فالت) اودية) أنهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة ثم استعمال في الماء الجاري فيه مجازا (بقدرها) يتقلرها على ما تقتضيه المصلحة (فاحتل السيل زبدا) الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة كالجب . وهكذا ما يعلو على النهر عند غليتها . وللعنى فاحتل السيل الذي حدث من ذلك للماء زبدا (رايا) أي عاليا مرصفا فوق للماء طائفا عليه . هذا مثل أول . للمثل الثاني إن الناس يطرحون الذهب والفضة

وسائر الفلزات كالحديد والنحاس والرصاص في الحرارة النارية فيكون منها زبد راب كما أن الماء في الأودية يطفو عليه زبد ويتخذ من الذهب والفضة الحلية ومن الرصاص والحديد والنحاس وما أشبهها متاع وهو ما يمتنع به الناس كالأواني من طبق وقدر وغيرها وسأعثر به الأرض أو يدفع به في الحرب أو غيرها فهذه الفلزات يصلوها زبد وهي تنوب بحرارة النار كما يصلوالماء وهذا قوله تعالى (وما يوقنون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) فزبد مبتدأ وما يوقنون خبر (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد اللطيف الذي لا يتنفع به (فأما الزبد فيذهب جفاء) أي ضائعا باطلا والجفاء ماري به أو ادنى من الزبد إلى جوانبه والجفاء أيضا التفرق . والمعنى أن الباطل وإن علا في وقت فانه يضمحل وينهب (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والجوهر الجيد من الأجسام التي تنوب وهي الفلزات كالذهب والحديد (فيتمكث في الأرض) أي يثبت ويبقى ولا ينهب (كذلك يضرب الله الأمثال) أي ليوضح بها للمشبهات . انتهى التفسير اللفظي لقسم الأول من السورة

اعلم أن الله لما ذكر في سورة يوسف تلك الدرة القيمة والجوهرة البديعة - وكأين من آية في السموات والأرض يمزون عليها وهم عنها معرضون - وقد ذكرنا هناك أن هذه وأمثالها أهم مقاصد القرآن فلمعمر الله أن من عرف هذا الجبال وتغلغل في علم الطبيعة اعتلت نفسه أفق الفضائل وعلا في أفق الجبال واستوى إلى سماء الكمال وارتقى فكره ونما عقله وعرف ربه وقسه وأيقن أن الخرافات التي ينتدعها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها لا قيمة لها وأقبل على الله ونبذ البدع فهذه الكائنات كلها بها ارتقاء عقولنا كل علماء الفلسفة قديما يقولون ليس يعرف الناس ربهم إلا إذا عرفوا علوم الرياضيات والطبيعات حتى إذا اتجوها عرفوا ربهم . هكذا القرآن كتاب الله تعالى يكتف للمسلمين أن يعرفوا مافي السموات والأرض ولا يفتلوا عنها ابتغاء ارتقاء عقولهم وإكمال صناعاتهم ومتى كملوا عقلا وجسما أدركوا خالقهم وعرفوا ماوراء الطبيعة . فلما كان هذا شأن العلوم الطبيعية وقد أشار لها فيما تقدم قبلنا شرع في هذه السورة يفصل بعض تلك الهجائب تفصيلا ويأمرنا أن نشرحها شرحا طويلا في هذا التفسير . يقول الله - ثم إن علينا بيانه - ويان القرآن على أنحاء حتى ومنه ما نحن بسعدده وأن الله عز وجل قد خلق وسيعخلق أناسا يتكفلون ببيان العلوم الطبيعية لارتقاء العقول أولا ثم معرفة الله . فأما من ظن من المسلمين أنه متى زعم أنه عرف الله جاز له أن ينال على المهاد ويظل خائر القوى عديم النفع فأولئك هم الكاسلون النائمون وكثير ما هم . ولقد ضل كثير من الصوفية بهذا القول وهم لا يعلمون أن الله أوجب توية الجسم وتقوية العقل ومعرفة الله تعالى . فانظر كيف قال في هذه السورة . إني نظمت هذا العالم وفصلت شموسا فدارت ثم دارت ثم دارت فافصلت من الشمس سيارات ومن السيارات أبقار وكلها دوائر في مدارات وأتم على أرضكم هذه ترون ما فوقكم وهي تلك العوالم المحيطة بكم لللونة بالزرة للحاملة تلك الشمس لاتقع عليكم لحفظها في أماكنها بنوليس علة تسمنها الجاذبية ونحن أعلم بها فتحن تمسك السموات والأرض أن تزولا وهذا الذي أحاط بكم وعلا فوقكم من جميع الجهات هو اللسمى سماء فلا حمد به رفعتها ولا قامة بها نبنتها ولما أتممتها في مداراتها ونظمتها في أفلاكها كان ذلك استيلاء عليها وإقامة لأمرها وتمكنانها فاستويت على عرشها بالحفظ والتدبير وأقت قسطها بلا قصير ولها حساب معلوم ونظام مرسوم وقانون مكنون فلا تجرى شمس خارج مدارها ولا أبقار في غير شمسها وجميعها تجري إلى أجل ضربته وموعده أثبتته حين تبدل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات وتمزق كل ممزق وترجع إلى عالم الهباء ثم يدور عليها الدور ويتم لها الأمر وأنظما من جديد وأستوى على عرشها في عالم غير عالمكم فأنا أدبر الأمر في العالم العلوي تدبرا وأفضل الآيات تفصيلا . فلئن دبرت ملكي وأحكمت نظامه وأقت بنيانه لقد بينت ذلك في كتابي

وفصلته في تبيان نظمته للملك والملكوت وأوحيت به ورسمته في العقول فالأفلاك منتظمة والعقول بصلوها مرتسمة على الخلق في الأول والأمر في الثاني . وإذا كان نظامي قضى أن تعرف العقول بعض ما دبرته وتعقل بعض ما خلقتة فهل يكون ذلك عبثا . كلا بل إن العقول متى أدركت الجبال طلبت الجبل وفتى أحست بالحسن والبهاء والنظام الذي عرفه العلماء وفهمه الحكماء وأوصى إلى الأنبياء طلبت الوصول إلى ذلك المقام وفرحت بالوصول إليه وهذا قوله - يدبر الأمر يغسل الآيات - إلى قوله - بلقاء ربكم توقنون - والايقان هنا مسبب من ذلك الجبال للرسم في العقول فهل مثل هذا يخلق في عقولنا عبثا . ولما فرغ من عالم السماء وعلومه شرع يغسل ما على الأرض فقال بسطت الأرض وأوسعها وثبت الأقدام عليها وسجلت فيها الجبال الثوابت والأنهار الجارية من الجبال وجعلت النخار مختلفة الاصول عند ازواجها بحيث دبرت الكور والانات في العنب والتين ولزيتون والنخل والزرع وسائر ما ينبت على الأرض وليس يعرف هذا إلا من درسوا علم النبات دراسة واسعة . وجعلت الليل والنهار يتناوبان على تلك الثمرات والزرع وغيرها فيتم نظامها . فهذه دلائل للتكرين وحكم للعاقلين ونعمة للؤمنين وقوة على الحياة للعاملين . ومن الأرض ما هي سبخة وطيبة وروضة وصليبة وفي الأرض حدائق غناء ومزارع وأصناف شتى في ذلك تجول العقول فتفهم منها الفروع والاصول وينظمون منهم كما يعرفون ربهم . ولعمري كيف يعرف الله أو يحبه من عصى عن منافع الثرات وغفل عن هذه الآيات

فلئن تجب يا محمد من انكارهم البعث حقيقي بأن تتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة أيسر شئ عليه فان هذا للبداء الوطيد اذا لم يكن الميعاد فهو قليل الثمرة . ان أولئك مقيدون بالضلالة مخلدون في النار . هم يستهزؤون ويقولون أنزل بنا العذاب الذي أوعدتنا به فلم يستجوابك بالعقوبة أو ما علموا كيف أهلكتنا الأم قبلهم وجعلنا ذلك مثلا لهم - وإن ربك لتومغرة للناس على ظلمهم - بالامهال والستر كما أمهلنا هؤلاء لننظر ماذا يصنعون - وإن ربك لشديد العقاب - لهم اذا لم يؤمنوا وهم يتجادون في الضلالة . وإذا كان ما في السموات والأرض بما ذكرناه لم يكنفهم في الدلالة على الله واليوم الآخر فاهم لا يؤمنون بغيره - إن الانسان لظالم كفار - يرمي على آيات الأرض والسموات ولا تنكفيه ولا يؤمن بها الفلك وبلاغته ويتجاوزها فيقول هل من آية كذا فتصالح وعصا موسى وما أشبه ذلك فدفع قولهم - فأتيتهم من منبر ولكل قوم هاد - وأنت الهادي لهذه الأمم . ولما ذكر السموات وأنبها بالزرع والشجر الذي لا يقوم إلا بنباه النيرات وحركات الأفلاك وصلاحيات الأرض أتبعه بما هو المقصود في العالم الأرضي وهو العالم الانساني للنتفع بالثمرات والأضواء وبحركات الأفلاك فأبان أنه تعالى يعلم ما تحمّل الاناث من ذكور واثاث الخ ثم أبان أن كل شئ عنده بمقدار وهو عالم بما غاب وما شاهده وهو الكبير المتعال . يعلم ما يستر الناس وما يعلنون وقد جعل لهم جماعات يحفظونهم من سائر العوالم المشاهدة والغائبة يكتبون أعمالهم وأحوالهم وأن كل ما يتصرفون به من الفضة والشرف والفضض والرفع تابع لما في النفوس من الصفات كما يتبع الظل الشئخ . فالأحوال الظاهرة شبح الأحوال الباطنة . ولما شرح العالم النباتي والانساني أتبعه بما لم الجؤ من البرق والسحاب والرعد والصولف وأخذ يبين الأصنام وتابعها . ثم أتبع ذلك كله بجملة تشمل جميع ما تقسم في الأرض والسماء إذ أبان طاعة كل مخلوق في الأرض والسماء فكلمها ساجدة سجود تسخير وهكذا ظلالا التابعت لها وذلك يشمل السحاب والانسان والنبات والارض والسموات فهذه كلها ساجدت وظلال للظلمات منها ساجدت بالفسد والآمال . ثم ختم ذلك بأن من لم يفهم هذا فهو في عصى وضلال ومن فهمه فهو على نور من ربه وأنه يبتلى أم وأكل وأبين فذكر الأدوية والماء والازبد والمعادن ومثل الحق بما فيها والباطل بالزبد فوجهها والزبد ذاهب والجوهر باق . هذا ملخص هذه الآيات مع تبيان المناسبات وتناسق العبارات وفي هذا القسم لطائف

(الطيفة الأولى) في قوله تعالى - الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها - (الطيفة الثانية) في قوله - ثم استوى على العرش - (الثالثة) في قوله - وفي الأرض قطع متجاورات - (الرابعة) في قوله - يسقى بماء واحد وتفضل يصبها على بعض في الأكمل - (الخامسة) في قوله - ولكل قوم هاد - (السادسة) في قوله - وكل شيء عنده بقدر - (السابعة) - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله - (الثامنة) - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - (التاسعة) في البرق والسحاب والرعد (العاشر) في الصواعق (الحادية عشرة) في الظلال (الثانية عشرة) في قوله تعالى - فأما الزبد فيذهب جفاء -

(الطيفة الأولى في قوله تعالى - الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها -)

وهذه تثلثت في سورة البقرة وقد شرح هناك أمر السموات وعددها ووجودها وما أشبه ذلك ويكفي الذي الاطلاع عليه • وهكذا تثلثت في سورة الانعام عند قصة الخليل عليه السلام وفي سورة يونس عند قوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء للبحر - ولكن نذكر هنا (جوهرتين)

(الجوهرة الأولى)

(موازنة بين وصف العرب ووصف القرآن من كتابي (مذكرات في أدبيات اللغة العربية) صفحة (٣٨) قال الحارث بن حازم في معلقته يصف ناقته

وإني إذا اشتد الخطب استعين على أمضاء همي وقضاء وطري (إذا خف أي ذهب بالرجل المقيم بلا عمل النجاة أي الانكماش) بناقة سريعة كأنها نعام تطوي الساقين ذات أولاد (ملازمة للدنو أي الوادي الواسع ذات خف محلود) سمعت صوتا خفيفا نظافت على نفسها الصياد وقت العصر وقد قرب للنساء قراها ترجع قوائمها وترقعها على الأرض فيشور غبار دقيق كأنه الأهباء (أي ما يرى في شعاع الشمس النافذ من الكؤوس جمع كوة وهي الطاقة) وترى أطيافا من أخفافها خلفها أطياف أخرى سقطت من وعبر الصحراء فهذه الناقة أتلهى بالركوب عليها وقت المجبر من ألم يعينى وهم يلحقنى إذ يكون كل ذى هم كالناقة البلية أي المصيبة التي ربطت على قبر صاحبها حتى تموت وهذا معنى قوله

غَبَرَ أَنَّى قَدْ اسْتَمِينُ عَلَى الْهَمِّ
• بِرُقُوفٍ كَأَنَّهَا هِفْلَةٌ
• آنَسْتُ نَبَاءَهُ وَأَفْرَحُهَا
فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ وَالْوَفْدِ
وَمِرَاقًا مِنْ خَلْفَيْنِ مِرَاقٍ
أَتَلَهَّى بِهَا الْهَوَاجِرَ إِذْ كَانَ
• إِذَا خَفَ بِالسَّوِي النَّجَاهِ
لَمْ رِقَالٍ دَوِيَّةٌ مَسْقَاهُ
مَتَّاصٌ حَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْأَمْسَاءُ
• جَ مَتِينًا كَأَنَّهُ أَهْبَاءُ
سَاكِنَاتٌ أَلَوْتُ بِهَا لِلصَّخْرَاءِ
• لُ أَبْنِ هَمٍّ بَلِيَّةٌ تَحْمِيَاهُ

أقول ولما كان القرآن لا ينزل مثل هذه الأوصاف وجب أن تذكر وصفا ما كقوله تعالى - الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر ينزل الآيات لعلكم تلتقون • وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جبل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات قوم يتفكرون - إلى قوله - آيات قوم يعقلون -

فانظر كيف وصف الشاعر الناقة وسرعها وشبهها بالنعامة الخاقعة من القانص وذكر الفبار وضعف خف الناقة ووصف الله في القرآن السموات بلاحمد والأرض وتسخير الشمس والقمر وجرحهما الى اقتضاء العالم ثم ذكر تدبير العالم وتخصيل كل شيء ثم استنتج لقاء الله للدبر لهذا العالم ثم ذكر مد الأرض وأنهاها وثباتها بالجبال وما فيها من أنهار وأبن كيف كانت قطع الأرض متجاذرة ثم هي مختلفة فيها الحدائق الجبلية والجنان ذات الأعناب وذات الزرايع والنخيل الذي نشأ من أصل واحد وغيره وكيف سقيت كلها بماء واحد وفضل بعضها على بعض في العلم واللون والنوق . اهـ

(الجوهرة الثانية)

(اشراق النفس . بهجة السماء وجمالها من كتابي سوانح الجوهري)

أذكر أي ليلة خرجت من القاهرة مساء زيارة صديق جلست في سحله وكان ذلك وقت الترويض والظلام حالك والليل قد أرسى سدوله وأحاط ظلامه بكل شيء فنظرت السماء اذا هي جنة ذات بهجة فنانظر بين هي بحر من نور تتلا نواقب الزهر في مائه وتسطع شوارق الأنوار في أرجائه خيل لي أن نور رجال الكواكب قد ملأ الجوق وأحاط بما حولي من العوالم وتأتلت نفسي والعوالم حولي اذا أنا في عالم عظيم كبير أصغر كوكب في نظري قد يفوق الشمس سحما ونورا والشمس تفوق الأرض آلاف مؤلفة وهذه النجمة القطبية تبعدها عن خسين سنة متفرقة بغير ضوئها مع ان الشمس يخترق نورها الآفاق في (٨) دقائق و (١٨) ثانية فكيف يكون مقدار ذلك الكوكب وكيف حال المجرة وهي جميعها كواكب تضلعت في نظر الانسان وأصبحت بالنسبة لنا ذرات تكاد تشبه البين وكل واحدة من تلك الذرات شمس كشمسنا . عالم واسع وملاك كبير . واذا رأيت ثم رأيت نعبا وملاكا كبيرا . فما الأرض ومن عليها وما الدول والملوك والحروب والسياسات وما الأرض إلا ذرة لا قيمة لها ولا وزن فمن الناس ومن أمراءهم وخزائنهم ما أصفر الأرض وما أضف الناس وما أوسع العالم وما أكبره . الله أكبر كبيرا . لقد صغرت في عيني هذه الدول والملوك وسياساتهم وبمالكهم وأيقنت أن هناك حالة لنفس الانسان سينسى فيها الأرض وما عليها والاحقاد لما يغشيه من العلم وما يوحى اليه من الحكمة . الناس يضحون للجمال والقدرة والعلم فأرباب الأموال وذوو النفوذ والجاه ذوو نفرة الأولى مالية والثانية جاهية وذوو الجمال يجذبون النفوس اليهم وذوو العلم يتبعهم السامعون والفاهمون . فاذا زج بهم في بحر من نور العلم وأشرقت على قلوبهم شمس الحكمة والمطلعون على سعة العوالم ونظامها وجمالها فبهروهم الجمال وأدهشهم العلم وغشى على أفئدتهم سعة تلك المخالقات الهائلة أناسهم ذلك ما كانوا فيه من العيش واللذة والألم ولكن متى يخلص الانسان من ذوبه القواطع فيحاط بتلك الأنوار . قال أرسطاطاليس (إن هذه البهجة لا يدوم أكثر من لحظة) وتبعه الامام الغزالي في ذلك وأكبرها ابن سينا في آخر الاشارات وآتى فيها بمقامات تبلغ الضريحين . أما أنا فأتخذ ما أبجده منها دليلا على جمال وبهاء سيصل اليه المرء بعد التبرؤ من عالم الطبيعة كما استتبعه الأقسامون من أحوال نفوسهم

(للطليعة الثانية في قوله تعالى - ثم استوى على العرش -)

انظره في سورة يونس وسورة هود

(الطليعة الثالثة - وفي الأرض قطع متجاورات -)

تقدم بضه في سورة البقرة وذكر هنا زيادة عليه فنقول

يذكر الله في هذه السورة - وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب - من جلة ما فصل فيها نبيا ناطقه في سورة يوسف - وكأين من آية في السموات والأرض لمع - أفلا يجب للمسلمون كيف كانت عناية الله بالجنات الأرضية والسماوية فانه لما أجلها في سورة يوسف فصلها في سورة الرعد ورمز الى أغلب

علم الطبيعة وهل هذه العناية وجهت الى الوضوء مثلا وإلى البيع ونحوهما . كلا فالعناية هنا تتم . وبالنسبة
شعري ما هذا التصور وما هذا التعبير وما هذا التورير أنه هذا شأن كتابها في العناية بالهجاب الكونية
ثم هي تفعل القول قصيلا في فروض الوضوء والماء المستعمل وغيره وتؤلف في هذا وتوسع الدائرة حتى اذا
وصلت الى ما توجه اليه عناية الله في العوالم تنكص الناس على أعقابهم . فلماذا لم تسرؤا أيها المسلمون بين
آية وآية . هل هذه الآيات ليست من القرآن . أراكم تقيسون الوجه ما ولا وعرضا في كتب الفقه لما
سمعت قوله تعالى - اغسلوا وجوهكم وأيديكم الخ - وكذلك ينتم كل عضو وجسده وأحسنت احسانا عظيما
في هذا ولكن هلا فعلتم ذلك وأمثله في مسألة القطع المتجاورات وكيف كان فعل الله فيها . واذا كان هذا
هو الذي سيكون في مستقبل الاسلام والأمة الاسلامية ستأخذ حظها من العلوم فلا يبين هذا المقام فأقول قولا
من كتاب لي في الفلسفة ملخصا

إن سطح الأرض جبال وبحار وبراري ومزارع . والجبال (أربعة أقسام) القسم الأول الجبال
الصخرية كجبال تامة فما هي إلا صخور صلبة وأحجار صلبة لا يثبت عليها إلا يسير . والقسم الثاني منها
جبال ذات نبات لأنها صخور رخوة وطين لين وتراب ورمل وحشيات ملئ متبلبات ساف فوق ساف متأسكة
الأجزاء كثيرة النبات والاشجار والحشائش مثل جبال فلسطين وجبال لكهن وطبرستان . والقسم الثالث
منها جبال النار فانه يرى في أعاليها ليل ونهارا دخان معتكر ساطع في الهواء مرتفع في الجوف . وكان القدماء
يعلمون ذلك بأن في باطن الأرض كهوفا ومغارات وأهوية حارة تجري اليها مياه كبريتية أو قطعية دهنية
فتكون مادة لها دائما مثل التي يجزيرة (صقلية) وبجبل (زامهر) من خورستان
أما علماء العصر الحاضر فاهم يقولون ان الأرض كرة نارية وقشرتها لا تزيد عن قشرة البطيخة بالنسبة
لكرة الأرض وقد قسمتم شرح ذلك في تفسير سورة (آل عمران) . والقسم الرابع جبال ذات هواء
لطيف يهب عليها دائما أقوى بعض الأوقات مثل جبل الثلج الذي يمشق والذي يبلد (داور) من جبال
(غور) وجبل دماوند فهذه الجبال لما كان الثلج فوقها فانه عند ذوبانه يتحلل الى أجزاء بخار يعلطفه فيرتفع
في الجوف ويلطف الهواء

(الأنهار)

ثم إن الأنهار تنبع الجبال لأنها منها نشأتها وإلى البحار نهايتها فنها ما يجري من الشرق الى الغرب كنهر
(ماوند) ومنها ما يجري من الغرب الى الشرق كنهرين بيلد (أنديجان) ومنها ما يجري من الجنوب الى
الشمال كنيل مصر . ومنها ما يجري من الشمال الى الجنوب كدجلة
وأما البحار فاتها جميعا ملحة وذلك لتلطف أبخرتها بالجو وتختلط بالهواء وتخرج معه مينا وشمالا وشرقا
وغربا فتدبسه وتعلجه وتحمه من التغير والفساد والتعفن ولولا ذلك لمت الحيوان للسنتشق للهواء دفعة وأيضا
لولا الملح للمستكن في الماء للمترج به لصار للماء أسنا وتغيرت مياه الحيوان الذي فيه جثة واحدة فتجذب من
الملح كيف صار نعمة في البحر ونعمة في البر . فأما البراري والقفار فاتها تدخل فيها سذكره من خصائص
الأمم أن لها مناطق يتنازعها النبات والحيوان

(١) القبة لا تتولد إلا في جزائر البحار الجنوبية تحت مدار برج الحمل

(٢) الزرافة لا تتولد إلا في الحبشة

(٣) السمور وغزل للسك والسنباج لا تتولد إلا في البراري والقفار

(٤) الصقور والبازة والنسور وأمثالها لا تخرج إلا في رؤس الجبال الشاهقة

(٥) القطا والنعام لا تخرج إلا في البراري والفلوات

- (٦) البط والطيطوى وأمثالها لاتفرخ إلا على شطوط الأنهار
(٧) الصافير والقواخث والقمارى وأمثالها لاتفرخ إلا بين الأشجار والسهل والقرى والبساتين

(أماكن النبات)

- (١) النخل واللوز لا ينبتان إلا في البلاد الحارة والأرض اللينة
(٢) الجوز واللوز والفسق والبندق وأمثالها لاتنبت إلا في البلاد الباردة
(٣) الحلبة والذلب وأم غيلان لاتنبت إلا في البرارى والقفار
(٤) القصب والصفصاف لا ينبتان إلا على شطوط الأنهار

(المعدن)

- (١) الذهب لا يتكوّن إلا في البرارى الرملية والجبال الصخرية
(٢) الفضة والنحاس والحديد والرصاص وأمثالها لاتكون إلا في الجبال والأشجار المختلطة بالتراب اللينة
(٣) الكبريت لا يكون إلا في الأرض الندية والرطوبات المعدنية
(٤) الجص والاسفيذاج لا يكونان إلا في الأراضي الرملية المختلطة بالجص
(٥) الزاج والشب لا يتكوّن إلا في التراب المصص
(٦) الدر والمرجان لا يتكوّن إلا في البحار في أحوال خاصة

(عجائب هذه الدنيا)

فانظر كيف رأيت الجبل فوقه النسر والباز والقر والذئب والنار ورأيت في بلطنه ماء وزئبقا ورصاصا وحديدا وذهبا وفضة وفيه عيون نابعات وقبر ونقط وملح وكبريت ثم اذا نزلت من الجبل رأيت القطا والنعام في القلاو وت على شط النهر والمصفور في المرج والنخل واللوز في الأرض الحارة والجوز في الباردة والحلبة في القفر والقص على الماء . فانظر لعجب العجائب في هذه الأرض التي نحن راحلون عنها الى عالم أعلى منها كيف جلت وحسنت وظهرت وبهرت واثيرت للناظرين فما أجل أرضنا وما أبهج حسنها وما أعظم شكلها وما أبعد اتعابها . هذا هو الذي يكون أمثاله في تفسير قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات الخ -

(حكايات هيبية)

في أيام تأليف هذا التفسير وردت حكايات عن نباتات هيبية في الجرائد والمجلات العلمية فرأيت أن أذكرها هنا تفكها وبصرة مناسبة هذه الآية إذ جاء فيها - يسقى بماء واحد الخ -

(الأولى . الضوء من الأشجار)

تمكن عالم فرنسي من كشف طريقة استخراج الضوء من نفس الأشجار اذا وصل لوحا نحاسيا مدقونا في الارض بأسرر يله في الشجرة بجهاز (حلفانومتر) وهو جهاز يقيس التيار الكهربي بآلية الصغيرة ثم زاد القوة بجمع ثلاثة أشجار ثم أوصلها الى عشرين شجرة ثم لوحين نحاسيين في الارض وبينهما ستة أقلام وتمكن بواسطة التيار الكهربي بالي الذي حصل عليه من اضاءة لبة كهربائية صغيرة . وهذه المسألة الآن تحت التجربة . انتهت الحكاية الاولى

(الحكاية الثانية . النبات للضحك)

لقد كنا نقرأ في أسفار السندباد البحري من الاساطير ما نظنه لاحقيقة لكنهم رأهم في إحدى سفراته في جزيرة وكان معه أصحابه فأطمعهم طعما نباتيا فغير أخلاقهم وجعلهم شرهين على الطعام وزالت قواهم العقلية وأخذوا يسمنون بسرعة وأعظم القوم الذبح كأنهم غنم أما هو فانه سلم بمرضه وضطه فهرب الى بلدان أخرى وما كنا نعلم ما جاء اليوم في الجرائد يوم (٢) اكتوبر سنة ١٩٢٤ إذ وصف أحد علماء الطبيعة

لجنة علمية بعد رجوعه من بلاد العرب نباتا غريبا ساه (الضاحك) وإنما ساه كذلك لأن كل من أكل من بذره يستمر مدة قصيرة في الضحك المفرط وينتهي أخيرا بنوبة صعبة والوطنيون هناك ينشغون أوراثة ويسحقون بذوره ويحفظون المحقوق للوقت المناسب فيقتسمونه للذين يكرهونهم وإذا ضعف المقدار المأخوذ تؤدي النتيجة حتما إلى الجنون فيسقط الإنسان بعد تعاطي المقدار في نوم عميق وقد أضعاف ذاكرته وتبطلت عادته . انتهت الحكاية الثانية

(الحكاية الثالثة . زيت يستخرج من الجراد)

ذكرناه في هذا المقام لأنه شارك النبات في إعطاء الزيت . جاء في المجلات والجرائد أن بلاد جنوب أفريقيا مصابة بالجراد الذي يأكل مزارعها كما أصيبت مصر بمودة القطن لكن الجراد وجدوا فيه زيتا عجيبا به تدارك آلات الطيارات . تلك البلاد تصير الآن مقادير كبيرة لهذا الغرض . وتقول جريدة أخبار مديري السكك الحديدية التي تصدر في (جوهانسبرج) بجنوب أفريقيا أن نمانيا ونمانيين باله من الجراد وزن قريبا ثمان عشرة (طونولاته) صدرت أخيرا من (كارزين) إلى دربان لشحنها إلى (هولاندا) وهذه المقادير من الجراد تستعمل بصفة طعام للدواجن وغيرها من الحيوانات للتزلية الأليفة بصدان يستخرج منها زيت تدار به آلات الطيارات . وقد أذيع أن لهذا الزيت خواص نافعة جدا وأنه يبي في أعلى طبقات الجو سائلا كما هو على سطح الأرض . هذا ما جاء في الجرائد يوم (٢٩) أكتوبر سنة ١٩٢٤ أثبتت هنا فهل يعلم المسلمون ذلك . أفلا يعلم المسلمون أن هذه النعم خلقت لنا وللفرحة معا . أولا يعلم المسلمون أن الله أذن الجراد وخزن فيه الزيت . ولما خلق الطيارات أفهم العقول أن زيت الحيوان الطائر يناسب الطيارات فهو ممتاز عن زيت النبات لأنه مخلوق في طائر فليكن في الطيارات . أليس هذا قوله تعالى فيما ساقى - وكل شئ عنده بمقدار - فمن الأشياء هذا الزيت النافع للطيارات ولم يعلمه الناس قبل الآن لا بخلاف من الله ولكنه أبقاء لينتفع به الذين يرتفعون بالطيارات - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وهلا يرى المسلمون أن ظهور عجائب القرآن في هذا التفسير وفي غيره بوضوح قد جاء مناسباً للزمن وأن ظهور ذلك بهذا الوضوح قبل الآن لم يكن مناسباً للزمن . وأن الله خزن علوم القرآن كما خزن الزيت في الجراد حتى إذا جاء أجله أبرزه . أوليس لهذا القول حظ من قوله تعالى - ولما يأتيهم تأويله - أفليس هذا بعض ما يؤول إليه القرآن من انكشاف حقايقه . أوليس ظهور هذه العلوم في القرآن اليوم مناسباً للمسلمين المتعطشين للعلم كما ظهر الزيت لرجال الطيارات للمتعطشين للطيارات . فليقرأ المسلمون العلوم فكفي جهلا ونحزنا وعرا وشنرا وبدا عن الله رب العالمين

(جوهرة مضية في قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات - وقوله تعالى - وينشئ السحاب

التقال - وفي قوله تعالى - جعل فيها زوجين اثنين -)

اعلم أن الأجسام كلها لا تتألقا مضيئة وهي ما يصدر عنها النور كالشمس والنار وأما مظلمة وهي ما لا يصدر عنه نور بل ينعكس عنه نور غيره إذا وقع عليه وهذه لا ترى إلا بنور مكتسب من غيرها كالقمر والكواكب ثم الأجسام من حيث تقوذ النور منها إما شفاقة أو شبيهة بالشفاقة أو ظلية . فالشفاقة ما تيق النور قليلا عن سببه كالزجاج فترى الأشباح من ورائه والشبيهة بالشفاقة هي التي تيق النور كثيرا عن تقوذه كالورق المزيت ونحوه فلا ترى الأشباح من ورائها والظلية هي التي لا ينفذها النور كالخشب ونحوه وتلقى ظلا كشيئا على الأرض وعلى ذلك نرى أن الهواء أشبه بالزجاج فهو شفاف وهكذا الماء واليابسة كالقارات أشبه بالظليل ثم إن انعكاس الألوان يرى رجوعها عن الأجسام بعد وقوعها عليها من جسم منير على نوعين نوع يسمى (النور المستعير) لذا كان الجسم الذي يقع عليه النور خشن السطح فلذا تنفرق الأشعة منه إلى كل مكان فيرى من كل جهة

ونوع يسمى (النور المنعكس) اذا وقع على سطح أملس صقيل فتندفع أشعة النور عنه الى جهة واحدة أو الى جهات معينة فلا ترى الاشباح منه إلا اذا وقفنا في تلك الجهات المعنية . ومثال الاول الجبال والاودية وللتنازل فهذه زراها بالنور المنعكس من كل مكان أى ترى نفس الجبال الخ ومثال الثانى المرأة مثلا فاننا نراها وانما نرى الصور التى ظهرت فيها . وانما لانراها لانها صقيلة فنحن نرى المنزل ولا نرى للمرأة الصقيلة . وانما نرى ما فيها من الصور ولا نراها هي إلا اذا قلت صقاتها ويكون ذلك بالنور المنتشر

اذا علمت هذا فتذهب من العالم الذى نعيش فيه وابتهج بما تستمع من حكمة وما ترى من جبال فى العالم الذى خلقك الله فيه . أنظر أرضنا ففيها الاجسام الظليلة كالجبال والاجسام الشفافة كالماء ومثله الهواء وكما نرى الهواء والماء يتفقد النور من خلالهما نرى الاجسام ظليلة فالبحر مثلا نورها مستطير والبحار العظيمة اذا قرأنا العلوم الفلكية عرفنا أن نورها من نوع للانعكاس أى ان النور منعكس عنها كما ينعكس عن المرأة إن للأرض نورا منعكسا على القمر . ان الأرض قر للقمر تلقى عليه نورا اذا لم تضيئه الشمس يساوى النور الواسل منه الى الأرض نحو (١٤) مرة . إذن البحار مرآة الأرض . ألا ترى أن الماء أشبه بالزجاج ووراءه من قاعه أرض يابسة فهو إذن يعكس النور كما تعكسه المرأة فالهواء زجاج والبحر مرآة واليابسة ظليلة . وإذا أوقفنا نارا على الأرض كان عندنا إذن الجسم المضيء . ضع شمعة متقدة وأمامها حائط ومرآة ولوح زجاج للشمعة كالشمس والحائط كاليابسة والبحر كمرآة والهواء مثل لوح الزجاج نحن نعيش في وسط كامل مضيء ومستغنى وشفاف وعاكس لضوء منتشر وعاكس لضوء منعكس . إن العالم الذى نعيش فيه جميل نور مشرق وأجسام لطيفة شفافة وأجسام أخرى مختلفة . إن الله جميل هذه الأرض قطعة متجاورات ليتم الاتفاع بها . هل لك إذن أن أريك جبال تلك القطع المتجاورات أعين من هذا

(فصل فى الفحم الحجرى وفى البلور الصخرى وفى الزجاج)

(الفحم الحجرى)

إن الفحم الحجرى يستخرج من باطن الأرض كان قديما غابات عظيمة غطت سطح الأرض قبل خلق الانسان ثم دفنت وضغطت عليها طبقات أرضية فوقها . وأكثرها كانت من نباتات خفية الزهر كأنواع السرخس التى كانت فى ذلك الزمان مكونة لأشجار عظيمة . وهذا شكل أوراق بعض الأنواع التى تكون عنها الفحم الحجرى (شكل ١)



(شكل ١)

وأنواع الفحم الحجرى كثيرة الاستعمال فيها قولم كبير من الصنائع ولوقد اتفق النوع الانسانى الفحم دفعة واحدة لاختلاف نظام الهيئة الاجتماعية اختلافا تاما . ولقد ذكرت لك فى أول سورة الأنعام أنواع الفحم وكيف استخرج الناس منه غازا به قضاء الشولوع فى المدن وهكذا أصباغ كثيرة تمتد بالثلاث وبفحم للموجبات أيضا نور الكهرباء . فيا عجباً هذا هو الفحم وهو فى بعض قطع الأرض للذكورة فى الآية . ومن هذا الفحم المظلم اشتقت الأنوار وابتعث عنه كما ابتعث من الشمس . إن نوا الشمس قد خزن فى الفحم

والناس يستخرجونه الآن بالطرق الصناعية . فإذا رأينا شمساً قضى لنا من السماء فهاهى عازن أنوارها حاملة في الفحم الفائر في الأرض على بعد عظيم . الفحم جسم غليل ممتلئ لا ينفذ النور منه وبالعسل فيه يصبح جسماً مضيئاً فهو جسم أرضي على حاله وبالصل فيه يصير جسماً مضيئاً . إن في الفحم الضدين الظلمة والنور والماس الذي تتكوّن منه جسم شفاف فقد جمعت مادة الفحم نور الشمس وكثافة الأرض وشفافية الهواء . وإذا وضع وراء قطعة من الماس جسم غليل انعكس النور عنه فكان كاللآلة . هذه الدنيا عجيب وكلها جبال وبهجة وحكمة وسعادة للفكرين العاقلين . هذا هو وضع العالم الذي نعيش فيه . أنظر ماذا ترى فيها بعده وهو

﴿ البلور الصخري ﴾

اعلم أن من القطع المتجاورات في الأرض (الكورس) وهو المسمى عند العامة (الزط والمصى) والرمل منه فهو كورس على هيئة حبوب صغيرة ويدخل في أعمال الزجاج والبلور ومن أنواعه الصوّان وشطف البنادق . ومنه نوع هو المقصود في هذا المقام يسمى (البلور الصخري) هو كورس عديم اللون شفاف منظره كالبلور متبلور بلورات منشورية مستتة متتية بهرمن كما في الشكل الآتي (شكل ٢)



وهذا النوع موجود في جبل الطور وقد يكون متولداً بأجسام مختلفة تشبه بعض الأجسام الكريمة وتسمى بأسمائها فند (الكركهان) الملون بالبنفسجية (وباقتو برهم) وهو كورس وردي لطيف المنظر نادر جداً (والباقتو الأصفر الهندى) وهو كورس أصفر هندى . أنظر هذا النوع من الكورس وتأمل كيف كان مستسا هريماً . وتجب كيف رأينا التسديس في بيوت النحل وفي نظام النمل كما نراه مرسوماً في سورة آل عمران وستراه قريباً وهكذا تسديس متقن وجمال باهر ثم كيف ترى أن بعض القطع من الأرض كالطور برز فيها ما يشبه الأجسام الثمينة جلالاً وبهجة وقد خرج عن حال الظلمة إلى حال الجسم الشفاف فكان كالماء وكلهواء ليفتح للناس باب العمل واستخراج الزجاج

(شكل ٢)

﴿ الكلام على الزجاج ﴾

إننا نعيش في عالم عجيب . فظننا فرأينا ماء شفافاً وهواء شفافاً . نحن محتاجون إلى الأجسام الشفافة لماذا . لنجعلها في نوافذنا فتمنع عنا القبر والهواء ويدخل الضوء . والهواء والماء ليسا جليدين حتى فعل بهما ذلك والفلح في البلاد الباردة يذوب من حرارة الشمس فسلطانه في البرد . فإذا فعل إذن وأيضاً نحن في حاجة إلى أجسام زجاجية تذكر لنا الصغير عند الحاجة وقرّب البعيد فبالأولى نريد أن نعرف خفايا النبات ونكتشف خبايا الأجسام فتقرب الطب والصناعات . وبالتالي نعرف الاجرام السماوية ونفرض جبالها وأنهارها ولا يكون ذلك كله إلا بالأجسام الشفافة . هكذا نحن في حاجة إلى ما يقوى أبقارنا على عملها إذا

ضفت ويكبر الحروف لنقرأها . كل ذلك يحتاج الى جسم شفاف صلب لاسائل كالماء ولاغاز كالهواء . لهذا خلق الله هذا البلور الصخري وكأنه يقول أى عبدي أنظروا الى الملائة الارضية للتمتة . هاهوذا البلور الصخري جسم شفاف فها اناذ فتحت لكم الباب فادخلوه

(تلويح الزجاج)

قال المرحوم أستاذنا في هذا العلم أحد أفندي عبد العزيز ماملحه انه قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة كانت صناعته في مصر وفي فينقيا متقدمة متقنة جدا والمصريون هم الذين علموا اليونان والرومان صناعة الزجاج والطريقة عند القدماء هي نفس الطريقة الحالية والرومانيون نبغوا فيه . وفي القرن الخامس حينما أغار البربر على الرومانيين (المراد بالبربر هم آباء الاوروبيين الحاليين) اضمحلّت هذه الصناعة وبكتت أوروبا زمانا طويلا لاتتقن هذه الصناعة وكانت مزهرة في الشرق ثم إن أهل (البندقية) تعلموها ومنهم انتشرت في أوروبا الحديثة

(الزجاج وكيف يصنع)

الزجاج مادة شفافة قابلة للكسر . ومنه ألواح الشبائك المعروفة منفتحة . ومنه (المرايا) التي يسهل بها الاعتناء بالنظافة وهي ألواح من الزجاج مغلى أحد سطحيها بطبقة من القصدير أو الفضة وكالأواني الكثيرة الاستعمال والعدسات والأنايب . ولولا هذه وما قبلها لم يصل علم الكيمياء والطبيعة والفلك والتاريخ الطبيعى وغيرها الى حال التقدم والفلاح

(تحضير الزجاج)

الزجاج يحضر من الرمل والجير أو الطباشير والصودا أو البوتاسا . فتخرج المواد التي يجهز منها جيدا وتسخن فتصهر بتأثير الحرارة وتستحيل الى عجينة يسطى لها الشكل المطلوب

(البلور)

هو زجاج استبدل فيه الجير أو الطباشير بأوكسيد الرصاص . ويستعمل في تحضيره رمل أبيض . هذا قيس من نور قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات - . هذه هي القطع المتجاورات أيها المسلمون . قطعة فيها الفحم الذي يضيء منازلكم وشوارعكم ويولد الكهرباء . وقطعة فيها رمل وأخرى فيها جبر أو طباشير . وقد تقدم في سورة آل عمران كيف كان الطباشير متراكما من حيوانات دقيقة لاتعد فأصبحتنا نكتب به على (السبورات) لتعليم الأطفال . وقطعة فيها الصودا وأخرى فيها البوتاسا . هذه القطع منها أخذنا هذه المواد وصنعنا الزجاج فقلنا علوم السماء وعلوم الأرض وارقيتنا ولكن الذي عرف ذلك في زماننا غير المسلمين . إن المسلمين يحتاجون لجبل واحد يتعلم ثم ترقى الأجيال الأخرى بعده وسيكون هذا إن شاء الله قريبا . القطع المتجاورات أشبه بمخازن تزن الله فيها عناصر السعادة والحياة ودلتنا عليها . لولم تكن الأرض قطعا متجاورات لكانت الحياة عليها لاتطاق . ولكنها قطع متجاورات فيها الانواع المختلفة وكأنها هي أسواق تباع فيها جميع ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين . إن هذه الدنيا جبلية عند العلماء والحكماء مظلمة عند الجهلاء . انهم لا يرون شيئا مما يقول بل هم من هذا يسخرون أنظروا منتشرا من الشمس وأجساما ينفذ الضوء منها وأخرى يتكسب الضوء عنها وهي الهواء والأرض . كيف جعل لنا في الأرض قطع متجاورات لتتخذ منها ما نشاء لما نشاء . يسهان الله . رمل وجير وبوتاسا مجتمعة من أماكن مختلفة ونسكون منها تلك العدسات المختلفة الأشكال التي بها يجمع التوراة وقهرته أخرى . العدسات التي رسمها (قسبان) قسم يجمع التوراة وقسم يفرقه وهي لا تخرج عن ستة أنواع ثلاثة للتفريق وثلاثة للجمع . أنواع العدسات ست . فهذه الأشكال مقسمة قسمين لاثالث لهما قسم للجمع وقسم للتفريق

يا سبحان الله . إن في هذه السورة قوله تعالى - جعل فيها زوجين اثنين - وفي آية أخرى - ومن كل شيء خلقا زوجين - ولقد علمت أن الكهرباء (زوجان) موجبة وسالبة وفي النبات زوجان ذكر وأنثى وهو واضح في سورة الحجر فيها سياط في ترجمته عن كتب (الورد أقبري) فالزوجان كما كانا في النبات كانا أيضا فيها صنعه الناس من العسلات الآتي يانها وهكذا الحساب جمع وتفرق إذ علم الحساب كله لا يخرج عن الأمرين فالجمع والضرب للجمع والطرح والقسمة للتفرق . وليس الحساب كله إلا هذين هكذا هنا جمع للنور بزجلات ثلاث وتفرق بزجلات ثلاث وهذه صورتها (شكل ٣)



(شكل ٣)

هذه هي العدسيات والعينية في الأصل بلورة بشكل العدسة ثم توسعوا فيها فأطبقوها على كل جسم شفاف له سطح واحد منحني على الأقل والعدسيات (قسان) محدبة ومقعرة وكلها تندرج تحت ستة أشكال (أ) مزدوجة التحديق (ب) مفردة التحديق (ت) مزدوجة التحديق (ث) مفردة التحديق (ج) هلالية (ح) مقعرة محدبة . فالأولى والثانية والخامسة تضم أشعة النور والبواقي تفرجها هاهنا صنع الانسان وذلك صنع الله . صنع الله لنا الصخر البلوري والهواء والماء ووضع لنا في القطع المتجاورات في أرضه مخازن منها تتخذ ما صنعت فصنعنا تلك العدسيات لمنفعتنا . فإذا جرى . رأينا أن المزدوجة التحديق هي التي وضعها الله في أعيننا . اختار الله هذه العدسية المزدوجة ووضعها في أعيننا . لماذا . لأنها تجمع النور وكلما قرب الشبح منها بعدت بؤرتها المنضمة والبؤرة هنا مجمع النور الداخل من العدسية وكلما بعد عنها قربت صورته منها ولكن رأينا صنع في أعيننا مالا تقدر على صنعه نحن . ألم تر أن العدسية التي نضعها في ثقب الخزانة المظلمة التي نستعملها لتصوير ما أمامنا لا ترمي الصور بواسطتها إلا على بعد مخصوص . ولكننا نحن نرى الأشياء على أبعاد مختلفة . ولو كانت بلورية عيوننا جامدة كالتي نضعها لم يمكننا أن نرى الأشياء إلا على بعد واحد . إن العين لو بقيت على تحديق واحد لدوشت الصورة تارة على الشبكية وتارة أمامها وتارة وراءها . إن الشبكية (التي يمكن أن تعرفها في سورة آل عمران هناك موضحة) بمنزلة الحاجز تلقى الصور عليه في الخزانة المظلمة في يد المصور واذن لا ينظر الراي صورة نظرا صحيحا إلا على بعد مخصوص ولكننا نرى أن الصور جلية على أبعاد مختلفة لأن الانسان يكيف العينية فيزيد تحديقها وينقصه كما يشاء فنحن نزيد تحديق البلورية في النظر الى البعيد ونقل التحديق في النظر الى القريب بحيث تقع بؤرتها على الشبكية في الحالين

(قصر النظر وطوله)

ويقال للانسان انه قصر النظر اذا كان لا يرى الكتابة الصغيرة الحروف ونحوها إلا على بعد ينقص عن عشرة قراريط أو اثني عشر تقريبا . ويقال له طويل النظر اذا كان لا يرى هذه الحروف ونحوها إلا على أبعد من ذلك . إن قصر البصر من زيادة التحديق في القرنية والبلورية (انظرهما في آل عمران) وطول البصر يحصل من تسطح البلورية بعكس قصر النظر ولقصر النظر توضع عدسات مقعرة أمام العين ويصلح طول البصر بوضع عدسات محدبة أمام العين فالأولى تفرج الأشعة أمام العين والثانية تضيقها قبل انكسارها

الى أحد الله عز وجل إذ انتهيت في هذا المقام الى نتيجة بهجة جميلة تحتاج الى درس طويل في علم الضوء وعلم المعادن وعلم الكهرباء وغيرها من العلوم والصناعات . وقد غصت لك على الجوهر واجتزيت من القدر بكرة واحدة أهديتها لك جميلة بهجة تسر الناظرين . العلم جمال والعالم جمال . نظرنا في النور ونفوذته في الأجسام الشفافة كالطواء وانعكاسه عنها مستطيرا تارة كالببوء وغير مستطير تارة أخرى كالمرآة وجعلنا جولة في العوالم فرأينا الصخر البلوري مسدسا جلا شفافا فانفتح للناس طريق عمل الزجاج . فإذا حصل . أخذوا الرمل مصحوبا بالجير والصودا أو الطباشير والبوتاسا فصنعوا أنواع الزجاج فكان منها أنواع العدسات وهي لم تخرج عن جامعة للنور ومفرقة له ثم انتهينا الى أن العنسة الموضوعة في أعيننا أحسن صنعا وأقن وضعا وأعجب من البلورية التي نحن نصنعها . فإذا جرى . رأينا أن أنواع العدسات التي صنعناها المنقسمة الى القسمين قد ساعدتنا فكان قسم منها مساعدا لنا في قصر النظر والقسم الآخر مساعدا في طوله ياغبيا . جاء في أول السورة - جعل فيها زوجين اثنين يفتش الليل النهار - فالليل والنهار زوجان والنبات كما قدّمنا زوجان والعدسات المفرقة والجامعة للنور زوجان والكهرباء زوجان موجبة وسالبة وأعينا بقصر نظرها ويطول وذلك زوجان . وقد جعل الزوجان في العدسات على مقضي الزوجين في التصر والطول في أعيننا - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - فهذا هو اللطيف وهذه هي الحكمة . اللطيف في خلق بلوريتنا أعجب من بلورية الخزانة المظلمة والحكمة في أنه هيا لنا الأسباب حتى صنعنا عدسات تقصر النظر وتطوله عند الحاجة

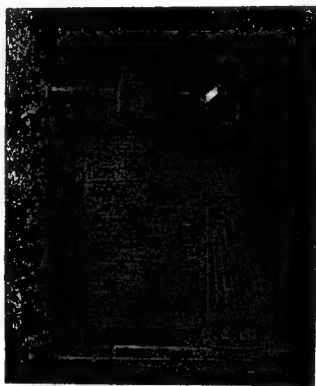
(وجوب درس هذه العلوم)

ذكرت في سورة المائدة في قصة ابني آدم والغراب أن هذه العلوم كلها واجبة على سبيل فرض الكفاية أعني أن يكون في الأمة قاطنون بها جميعا ويكفونها عن أوروبا وغيرها . وقد ذكرت هناك نص الامام الغزالي إذ قال ان علماء الاسلام في زمانه شرّ من الشياطين لأنهم لما عكفوا على علم الفقه وحده وزينوا للناس ذلك صرفهم عن العلوم الأخرى . أقول لك وهذا هو الذي أوقع المسلمين في الملة والخوان . لهذا ألفت هذا التفسير . بأمله أرجو أن تنقد العقول الكبيرة من هذا الجهل وبهم تستنير هذه الأمة . ثم لي أقول الآن ان هذه المباحث التي أقولها الآن ليست علما خاصا بل تجدها من علوم مختلفة لأن هذا هو الذي يجب على من يتصوّتون لقيادة المجموع . ومعنى هذا أن الذين يتصوّتون لقيادة الأمة الاسلامية من علماء وملايك وأمهراء يجب أن يتعلموا من كل فرع طرفا صالحا جيلا أعجب بما كتب في هذا التفسير . أقول هذا فرض عين على القادرين والغواص من الأمة كما يؤخذ من كلام الأمة الأعلام . فأما النبوغ في علم أو صناعة فنلك فرض كفاية كسالة العدسات المتقدمة فاتي وأنا أكتب هذا لت طبيبا حتى أتقنها فاطلب مثلا فرض كفاية ولكن معرفة الأشياء العامة أمثال ما ذكرته لك فرض عين على الخاصة وقواد الأمة ومن العار أن يكون رؤساء الدين في الاسلام يجهلون هذه العلوم العالقة . فانظر لم تفرغت عنه صناعة كسناعة العدسات وهكذا كل العلوم يتفرع منها الصناعات كالمطبخ والزراعة والتشريح وعلم النبات . وقبل أن أترك هذا المقام أريد أن أريك جمال العدسات وبهجتها في الأنوار وتحليلها للضوء . وكذلك السحاب

(الطيف الشمسي . لون ضوء الشمس البياض)

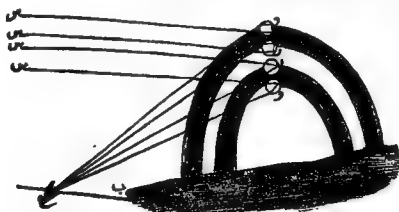
فإذا وقع على منشور أو عنسة ونفذته فانه فضلا عن أنه ينكسر ويميل عن استقامته كما مر ينحل أيضا الى (أضواء سبعة) وهي البنفسجي والنيلي والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقالي والأحمر على هذا الترتيب وقد نظمها بعضهم فقال

بنفسجي ثم نيلي إلى • وأزرق يليه ثم الأخضر
وأصفر وبرتقالي كذا • وفي ختام الكتل يأتي الأحمر
وهذه نعرفها بأحدى حالتين (الحال الأولى) أن ندخل حبلًا من ضوء الشمس من خرق في الحائط إلى
غرفة مظلمة ونلقيه على منشور ثم نستقبل النور بعد قعوده منه بترطاس أو ما أشبهه فإنا نجد الألوان سبعة
مرتبة كما سمعت وهذه صورته (شكل ٤)



(شكل ٤)

(الحال الثانية) أن ننظر نفس هذا العمل في السحاب المذكور في الآية التي نحن في الكلام عليها
فنجده ذلك في قوس قزح • قوس قزح منطقة مستديرة مملوءة بألوان الطيف الشمسي من الأحمر إلى البنفسجي
كما تقدم وهذا القوس يقابل الشمس عند وقوع المطر وسبب ذلك انكسار ضوء الشمس وانعكاسه عن قطرة
المطر فينحل إلى ألوانه السبعة وقد يرى قوسان معا أحدهما واضحة وهي الداخلية وتسمى (القوس الأصلية)
والأخرى أقل وضوحًا منها وهي الخارجية وتسمى (القوس الفرعية) وتختلف الأصلية في مواقع ألوانها فلو أن
الجرة في الأصلية فوق البقية وفي الفرعية تحتها وهذه صورته



(شكل ٥)

ما أجل العلم وأبدع الحكمة وأبهج هذه الأنوار . أضاءت الشمس فأشرقت بنورها الأرض فأثارت بحرارتها بخارا من الماء واستخرجته من البحار والأنهار والآجام وسائر الرطوبات في الأرض أى من جميع القطع المتجاورات فخلته الريح فكان سحابا مبتعدا عن الأرض ثلاثا تبثل منه الأمتعة والناس والحيوان ولم يكن بعيدا جدًا فلا تراه العيون ثلاثا ينزل على الناس وهم لا يشعرون فيستشرون ولا يزيد بعده عن ١٦ ستة عشر ألف ذراع تقريبا وجعل له برق ليستعد الحيوان ويتأهب فلا يؤخذ على غرة وهكذا الرعد ثم يطر وقد يكون من ذلك البخار المنعقد نلج ويرد منه صقيع وجليد وغيرها . قلنا ان الشمس هي التي أثارت بحرلوتها والرياح هي التي رفعت . فإذا جرى بعد ذلك . أرسلت الشمس نورها على قطرات الماء في السحاب فخلت تلك القطرات الضوء الى ألوانه السبعة البسيطة . فالتس أثارت السحاب والهواء حله وهي بضوئها زرقته - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

(الآلات البصرية)

هذه الآلات أصبحت كأنها حاسة سادسة وهي (ثلاثة أقسام) الأول آلات مكبرة (مكسكوب) وهو الذى نرى به دقائق الاشياء وهو لم يخترع قبل غرة القرن السابع قد كشف به علماء النبات الفسج الخلقى في النبات ودوران العصارة فيه ووظيفته وأوراقه . وكشف علماء الحيوان عجائب جمة مثل أن القطرة من الماء الزاكد فيها ألوف ألوف من الحيوانات المختلفة الاصناف ومثل أن العفن الذى نراه على الخبز مؤلف من نبات كما تتألف الغابة من القصب . هذا هو (المكسكوب) (القسم الثانى) الآلات اقترية للأشياء البعيدة ساجوية كانت أو أرضية * يروى أن أولاد رجل فلنكى كانوا ينظرون بمدسيات الى برج كنيسته فاتفق أن أحدهم وضع عدسة محدبة في مقعرة ونظر بها شيئا فرآه كبيرا وقرىبا فأخبر والده مندهشا فوضع والده العدستين في أنبوبتين ينزل أحدهما في الآخر فضع (التلسكوب) (القسم الثالث) آلات شتى لا تقاها صور الاشياء مكبرة أو مضغرة على حجاب أو نحوه تسهلا لتصويرها أو كشف دقائقها الخ . ثم ان القسمين الأولين غالبا لا بد فيهما من عدستين واحدة تقع النور عليها من الشبح وتسمى (بالورة الشبح) وأخرى تنظر بها العين الصورة . وهذه الآلات كلها لم تخرج عن تنوعات في وضع العدسيات المتقدم ذكرها وهذا آخر ما وصل اليه الناس . استخدموا الرمل والجير والصودا وأمثالها في توسيع نطاق العلم والاطلاع على خفايا الاجسام وتقريب ما بعد من الاجرام والمسلمون غافلون - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

(لم خلق الله الصحراء والأرض القفراء)

هذا هو السؤال الذى كان يجيش بخاطرى حينما أخلو بنفسى وأتفكر في نظام هذه الدنيا . ولطالما هجس بالقلب هذا الخطر أيام زيارتى لخلوان القرية من القاهرة وأذكر أنى مرة زرتها وبت فيها ليلة وقد خرجت الى الصحراء المحيطة بها من كل جانب في الهواء الطلق وقد أحسست في نفسى بانشرح وبهجة في ذلك الهواء النقي الصافي الجاف وصرت أقول أنهكذا تكون جبال ومجاري وأودية لا أنيس فيها ولا جليس ولاديار ولا نافع تار . إذن لم خلقت ثم أجبت نفسى بنفسى وقلت ان الله اذا فعل ذلك فقد خلق لنا اللسان والحواس وأنامها طول الليل فإذا كان اللسان لا ينطق ليل فليس معناه أنه لاحكمة له بل أقام لينطق بالتهار وإن لم تظهر حكمته بالليل وقد كان هذا وأمثله جوابا عن أكثر ما أجبه في هذا الوجود . وبينما أنا كذلك إذ سمعت حشرات لما طنين موسيقى في غاية العجب فقلت أليس هذا من الخلقوات التي تطرب في هذه القفار فهذا بض حكم الصحراء . هذا ما كن في الأيام الخالية . ولكنك الآن قد رأيت ما هو أبعد وأجل من المنافع الجبية التي شرحتها تارة بالصور وتارة بالعارة وأزيدك الآن بيانا وتفصيلا وحكمة وجالا حيا لله العلم وحيا لله العلماء . هاأنذا أريك من آيات الله العجب في الصحراء كما اطلعت عليه اليوم

في كتب التريجة والمسلمون ناثمون . أنظر رعاك الله الى عجائب الحكمة في الصحراء
(١) حرارتها (٢) رياحها (٣) تنقيتها للهواء (٤) تخفيفه (٥) ولولاها لم يمش حيوان ولا انسان
فيما جاورها من البلدان

(١) و (٢) إن الله عز وجل خلق الصحراء لغير ما كنا نعلم وعجبه عن أكثر الناس وهو لا يعطي العلم
إلا لطالبه ولا الحكمة إلا لمن يشاقق اليها . احتجب الله بجماله وتعالى في كنهه وخبا العلم عن العقول
والعلوم خاضع من منظور . نحن نسير في الصحراء ونسافر كثيرا في الخلاء ولكننا ننظر ولا نعلم فهناك البيان
إن الصحارى تنقد حرارة بما ترسله لها الشمس من الأشعة النورية فيخف هواؤها ويعلو في طبقات
جوها كما رأيت في الكلام على الرياح في سورة الأعراف وغيرها فيحمل الهواء البارد محل ما ارتفع بالحرارة
ولامعنى للرياح إلا هذا . ما الرياح إلا هواء متحرك ولا حركة إلا بباعث والباعث تلك الحرارة في هذه
المواضع التي خلت من الرطوبة . تجري الرياح إذن وتحمل السحب وتطهر على ما جاورها من البلدان
فتنقى الأبدان وتحرر مسكن وترفع البخار من البحار الى الحقول في القرى والأصاير
(٣) و (٤) ثم لها خاليات من المزارع فهوؤها لا رطوبة فيه ولاصفونة . فاذن هي بحفنة له ملطقة
ومنتقة من الجرائم القاتلة العاتكة بالانسان

(٥) إذن لولا الصحارى والقفار ما كان العمران ولم يمش انسان ولا حيوان بجانبها لترادف الرطوبات
ونكثرت الضفونات . وقد ضربوا لذلك مثلا نهرين نهر النيل ونهر الكنج

إن نهر النيل في بلادنا انصرية ينتهى بوجه البحرى للمشمول على مايمسى للبلدان . إن هذه البلاد
تحيط بها الصحراء من كل جانب . يقولون فلولا الصحراء بقرها ما عاش حيوان فيها ولا انسان لأن الصحراء
لها تبعث الرياح وتجففها وتنقيتها بخلاف دلتا نهر الكنج . هذا ماقرأته اليوم . أكنت بهذا تفهم قوله
تعالى - إن ربى لطيف لما يشاء - . أليس من اللطف أن يخلق صحراء لا أنيس بها وتكون هي السبب
في الأنس والحياة لجيرانها . إذن القامر جعل تنورا للعالم من الأرض . فالتنور يجفف الخبز وهذا يجفف
الهواء وجعل عذرا للحياة تنبعث منه على العالم . إن العلم يمسك قضايا الجهل فيبينها الجاهل يقول لاحكمة
في خلق الصحراء اذا بالعلم يقول • كل الصيد في جوف المرا • ويقول • أطرق كرا إن النعام في القرى •
ومن أنت حتى تعلم . اللهم إنك أنت الذى حكمت على الأمم الاسلامية أن تنام آمادا وأمادا وقضبت على
الخلف أن يتبعوا السلف وأنت الذى جعلت الليل والنهار آيتين يخفف كل منهما الآخر فأرنا آية نهار العلم في
هذه الأمم باستيقاظها بعد أن أربنا آية ليل الجهل بنومها - إنك على كل شئ قدير - واجعل هذا الكتاب
من موقظاتها ومرشداتها وأملأ أقطارهم بنور العلم والعدل كما ملئت بظلمة الجهل والجور - إنك أنت
السميع العليم - انتهى

إن الصحراء منبع الحياة فالحيوة تحتاج الى منبعين (احدهما) يكون من الجبال فيعطى الماء لسقي
الزروع والحيوان (والثاني) يكون من الهواء فوق القفار يعطى الجفاف والصفاء فلولا الأنهار لم تكن حياة
ولولا الهواء وتناوته وهبوه لم تنم الحياة . تحتاج الى منبع ماء ومنبع هواء . فنبع الماء من المطر النازل
على الجبال وما والاها ونحو ذلك ومنبع الهواء تلك الصحارى والقفار . وهناك دواع أخرى للصحراء كأن
تكون مأوى للظالمين في المدن ومبادة الذين يحبون أن يعيشوا أحرارا فآتين بدينهم أو بمرضهم كما كان
يفعل الرهبان وكما استراه في سورة الحديد في قوله تعالى - ورهبانية ابتدعوها - وكما نشاهد العرب في صحراء
مصر أصبح أبداننا وأقوى أجسامنا وأقرب للفصيلة كما يقول ابن خلدون من سكان الحضر . ثم هي أيضا
حرم آمن فاصل بين الممالك لينبع بعضها عن بعض حتى تستقر كل أمة في مأمنها عاكفة على عملها آمنة

معلمته لارهب غزو جاراتها إلا في الأزمنة النادرة . هذا ماعنّى لى في هذا المقام وهذا ماخضر في تفسير قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات - انتهى

(اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - يبقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الأكل -)

يقول الله تعالى - يبقى بماء واحد - ولم يقل يتغذى بغذاء واحد . علم الله عز وجل أننا معاشر المسلمين ستمر علينا القرون تلو القرون ونحن لاهون عن عجائب النبات كما أننا لاهون عن غيره . وعلم أننا لانصبر ولا نرد إلا عن القرآن . وعلم أن هناك طاقة من المسلمين قليلة تعلم العلوم قدام العلوم وهي تظن أن الدين لا يطلبها أو يعادها ولا يلتمها فأشار في هذا المقام بقوله - يبقى بماء واحد - الى معنى عجيب دقيق بالحكمة . ولطقت قول . ولماذا تشير هذه الجلة في الآية . أقول لقد أظهر الكشف الحديث أمراً عجيباً أظهر ما لا يخفى ببال ولا يتصوره خيال بل لا يتصوره الأحلام ولا خيرات الأوهام . اللهم إن فضلك علينا عظيم اللهم لو لم يكن في هذا التفسير بل لو لم يكن في العلوم كلها سوى ما سأذكره في هذه المقالة لكفى الأمم كلها سعادة علمية وجمالا حكيميا وكالا عقليا . ولو أن امرأ قيل له إن في النبات ما يقتصر الحيوان ويفعل ما تفعله للوحوش والاسود والنور في اقتناص الفزلان والأنعام . أو قيل أن النبات له من الحيل ما لا لسان في استغفاله واحتياله على الآساد . يحفر حفرة في طريقه حتى إذا مر عليها وهو لا يشعر وقع فيها الأسد وهو أسير . أو كما تفعل دول أوروبا مع أهل الشرق إذ تصدق النعم على عظماء الشرق وبذلك تستدرجهم الى احتلال بلادهم وابتلاع ثروتهم . إذا قيل ذلك عند قائله غير عاقل يعرف بما لا يعرف . ولكن هذه أصبحت اليوم حقائق ثابتة لا تقبل الشك كما ستراه وسترى صور هذه النباتات في هذا المقال

(أقسام النبات ثلاثة)

اعلم أن النبات (ثلاثة أقسام) قسم يتغذى بالمواد الأرضية ممزوجة بالماء وبالمواد الهوائية وقسم يتغذى بجسم نبات آخر كما تتغذى البراغيث والقمل والحيوانات الضارة من جسم الإنسان مثل (اللكروب) (اللائق) تحدث الأمراض المختلفة كالجدري الخ وقسم لا يكون غذاءه إلا من الحيوان فالقسم الأول من النبات هو المعروف والقسم الثاني من النبات هو المسمى (الكشوفى) وهنات يعيش على غيره لا يجد له في الأرض بل يعتمد من جسم نبات آخر وقد رأيت بعضى نوعا منه في حديقة مصرية في بعض الدواوين عندنا . والقسم الثالث هو الذى أفردت له هذا المقال ولم أره إلا في كتاب (للسوعات) بالانجليزية الجزء الأول من صفحة ٢٤٠ الى ٢٤٨ . ولعمرك الله لم يكن ليخطر لي قبل هذه الأيام أن أطلع على موضوع شائق جليل مثل هذا فأحمد الله على توفيقه وأشكره على أن أراى هذا وفوق ذلك وفقنى لإيضاحه لأذكياه المسلمين . وقبل أن أترجم هذا الموضوع من الكتاب للذكر أبين مناسبتة لقوله تعالى في الآية - يبقى بماء واحد - كما وعدت من قبل . ذكر الله عز وجل أنه يبقى النبات بماء واحد ولم يذكر التغذى لأن كل نبات لابد له من الماء والماء واحد ولكن ليس غذاء النبات واحدا . لم يقل هو غذاء واحد ولم يقل هو معتقد أى أنه ترك هذا لنا لندرسه فهنا نحن ندرس الآن فوجدنا الغذاء (ثلاثة أقسام) قسم معدنى عام وهو الذى يتغذى به النبات المعروف وقسم نباتى وهو الكشوفى وقسم حيوانى وهو ما بينه فأقول

هذا ملخص ما فى ذلك الكتاب للمسمى (علوم للجميع) للعلامة (روبرت براون) قال

معلوم أن جمهور النبات من الطوائف العليا إنما يجتنب غذاءه من الطين بواسطة عروق الضاربة في الأرض وإذا كان يعيش في الماء كالأعشاب البحرية التي تنبت في الطين اجتنب غذاءه من الماء الذى يعيش فيه . ثم قال أننا نعلم أن العروق النباتية الضاربة في الأرض لا يتسنى لها أن تمتص المواد الجامدة

وأنها لا تتخص غذاؤها إلا على هيئة مولدة سائلة أو مواد (غازية) وهناك قاعدة وهي أن الجنور ليس لديها طريقة كتابية بها تحول المواد إلى حال السوائل أو الغازات • كلا • إن في النبات عددا عسورا لاغذاء له إلا من الحيوان بطرق تخالف ما عليه سائر النبات وأهم أغذية هذا النبات هي الحشرات وحيوانات أخرى صغيرة وتلك تسمى هذه الأنواع (مزقة الحشرات) أو (أكلة للحوم) وههنا أحضر الكاتب نوعين من النبات وهما (ندى الشمس ذى الورق الملتهق) و (برورد) وصورتها ستأتى فى (شكل ٦ و ٧) فلنخص الأول الآن بالكلام

(وصف ندى الشمس ذى الورق الملتهق)

ورقة فيه حرة له زهر أبيض يظهر فى شهرى يوليو وأغسطس من كل سنة والأوراق مدورة وهى أشبه شئ بالملقطة المفرطة و سطح الورقة الأعلى يشبه الشعر وهومت برؤس مضطمة بسائل لزج • وأحسن ما تسمى به أن يقال (قرون الحشرات) لأن هذه القرون التى تغطى رؤسها بسائل لزج صمغى لذا نحن لسنا نأكلها بطرف قلم الكتابة رأينا بعضها يمتد امتدادا عظيما وهو يعمل ما يشبه الصمغ اللزج الأبيض • فإذا وقع على تلك المادة اللزجة حشرة أوجب أو شئ صغير فإن ذلك القرن ينقبض ويمسك بذلك الواقع عليه كما يحصل للطائر الصغير إذا وقع على غصن مضطى بمادة لزجة معدة لصيده أوكا يحصل للنبات إذا وقعت بجهالة وغرور على دبس • إذا نحن نظرنا إلى أوراق (ندى الشمس) للذكور فانتا نشاهد أن كل ورقة قد حصلت فى جسمها أجسام صغيرة مضطمة فيها بواسطة تلك القرون كالنباب والحبوب والأوراق الصغيرة وما أشبه ذلك • وبينما نحن نبحث فى تلك الأوراق قد نجد ذبابة وقعت على ورقة وقد اشتبكت أرجلها فى تلك القرون أو نجد حبا أو ورقة عصفت به الريح • ثم قال الكاتب • إن الانسان عادة لا يحتمل البقاء فى المستنقع الذى فيه النبات المذكور فاذن يمكن الانسان أن يحفر عليه ويأخذه إلى منزله ويزرع هناك ويجعله فيما يماثل ما كان فيه من المستنقع الذى لا يثبت عادة الا فيه واذن ندرسه فى حال فراغنا • فإذا شرع الانسان فى استخراج ذلك النبات لاحظ أن جذوره ضعيفة جدا وقصديته قليلة • فإذا استوى ذلك النبات فى منازلنا هناك نأخذ فى امتحانه فنبتدى أولا فنضع ذبابة فوق رأس (قرن صمغى) من تلك القرون ونلاحظ نتيجة ذلك فيكون ما يأتى

(١) ان ذلك القرن الذى وقعت عليه الذبابة لا تمضى عليه دقيقة حتى يتبدى بحنى نفسه نحو مركز الورقة ويستمر فى ذلك الانحناء حتى يصل إلى المركز

(٢) وبعد انحناء ذلك القرن تسرع القرون التى تجاوره فى الأخذ بيده كأنها عرفت حديث (يد الله مع الجماعة) أو كأنها جميعها تريد الاشتراك فى اللقمة فتحنى جميعها لاشتغال هذه الفرصة وأخذ اللقمة (٣) السائل اللزج الذى يصبه رأس ذلك القرن يأخذ فى زيادة المقدار حتى يغطى القبابه جميعها وهذا يكون سببا فى موتها لأن هذا السائل يمسك جسمها • ولا جرم أن السام فى الحشرات بها التنفس ففى سدت للسام اتطعم التنفس فمات الحيوان

(٤) ان هذه النبابة التى أصبحت أسيرة فى قبضة تلك القرون تندرج نحو مركز الورقة بتحريك القرون الطويلة التى فى الأمام وتسلبها إلى القرون القصيرة التى جهة المركز

(٥) ان حاة الورقة تكون منحنية كثيرا أو قليلا حتى ان حواشها تكون هشة حيث حوض عند قاعها الذى استقرت فيه النبابة وغمرها ذلك السائل اللزج الذى أفرزته تلك القرون

(٦) وبعد بقاء النبابة فى هذا الوضع ساعت بل ربما كان ذلك أيلما معبودة ترى تلك القرون تأخذ فى الانحناء والاعتدال كرة أخرى وترجع بالتدريج إلى سيرتها الأولى ووضعها للتعديل المستقيم وترجع الورقة

كما كانت مفرطة كاللصقة مثل عادتھا ويقلّ فرز القرون لسوائلها بل ربما نراها جفت . وإذا نحن بحثنا عما بقي من تلك الضحية وجدنا أنه لم يبق منها إلا ما لينفع للفناء كالجلد والأطراف والأجنحة وما عدا ذلك فلا وجود له . وهذا تمام التجربة الأولى (التجربة الثانية) نضع بدل القباية أى طعام آخر مقبول كقطعة من اللحم والجبن وبيض البيض والحبوب الصغيرة وهكذا كل شئ يؤكل فإذا فعلنا ذلك وجدنا ما يفعله النبات هنا هو عين ما يفعله مع القباية غايّة الأمر أن الانهماك والاسراع يكون أقل أو أكثر على حسب المادّة الموضوعة فترى اللحم وكل طعام آخر للحیوان أقوى وأسرع تأثيرا من غيرها (التجربة الثالثة) أن نضع بدل ما تقدم شئ لا يصلح للأطعم كشيء من الشمر أو الخيط أو العظم أو الزجاج وما أشبه ذلك . إذا وضعت هذه رأينا القرن المذكور ينحطف ولكنه ليس بالسرعة التي سبقت مع غيره والسائل يكون إفرازه بليثا وقليلًا والقرون بعد انعطافها زمتا قليلا ترجع الى سيرتها الأولى (التجربة الرابعة) أن نغسل بارة مثلا الرأس للدورلقرن من تلك القرون مرة أو مرتين فاننا نلاحظ أنه لا يكون لتلك أثر ما فاما إذا كررنا ذلك اللس مرارا أو أخذنا الضغط بذلك سبيلا فإن القرن يأخذ في الانطاف كما في الأحوال المتقدمة . فمن هذا ينتج أن اللس مرة أو مرتين لا أثر لهما كما في حال ضعف الأوراق المجاورات لتلك النبات إذا هبت الريح فلفست تلك القرون فذلك لا أثر له . هكذا هطول الأمطار وما أشبهه

(مسألة من الكيمياء في هذا المقام)

اعلم أن هذه المدّة المفترزة ليست من الأحاض . كلا وليست تكون من الأحاض إلا إذا أفرزت في حال التبييض كما يتأثر ربي الإنسان ويفرز عند شهوة الطعام وحضوره وكما تفرز المعدة مدّة حمضية عند مقابلة الطعام . وقد جرب العلماء لتلك تجارب فوضوا على ذلك السائل ورقة كيميائية تسمى (ورقة ليتمس) ومن شأنها أنها إذا غمس في خلّ أو أي حامض آخر فانها تلون باللون الأحمر فلما غمسوها في ذلك السائل وهو على حاله لم يلون باللون الأحمر فلما أن قربوا تلك القرون قطعة لحم وتحركت نحوها بانطاف هناك غمسوا الورقة الكيميائية في السائل فصار لونها أحمر فاستدلوا من ذلك على أنها عند تقرب الطعام منها تفرز حامضا كما تفرز المعدة فاما إذا لم يقرب الطعام فذلك السائل ليس من الحوامض فدل ذلك على أن هذه النباتات تهضم بهذه الحوامض طعامها ولا تفرز إلا عند تماطي الطعام . وهنا أتى المؤلف بهذا المحصل فقال (١) أن قرون أوراق (بندي الشمس) لها قدرة على القبض على السباب وصغار الأشياء والاستعواذ عليها متى لامست المادّة الزرّة على رأس تلك القرون

(٢) أن القرون وأطراف الأوراق لها قوّة على الحركة بحيث تنحطف على ما تصطاده باطراف القرون المدكورة وتدحرج الى مركز الورقة

(٣) هذه الحركة انما تحصل برأس ماسميناه (قرون الحشرات) اما بتكرار اللس أو ببوله

(٤) القرون يدوم انطافها وانما لزوما على الفريسة وهي مطمئنة ساكنة زمانا طويلا اذا كانت الفريسة سالحة للأكل وقليلًا في عكس ذلك

(٥) المادّة الضوية لاسيا للمواد الحيوانية القابلة للهضم أسرع تأثيرا عما لا يصلح للأكل فالأكل كاللحم والثاني كالعظم وبقاء المختار القرن على الفريسة يطول في الأول ويقتصر جدًا في الثاني

(٦) ان حركات القرون يصحبها إفراز سوائل من رؤسها لاسيا اذا كان مسبب الحركات مادّة تصلح للأكل

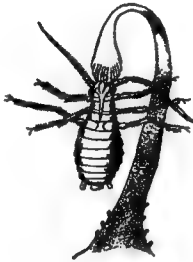
(٧) ان نتيجة اقتراس مادّة سالحة للأكل بهذه القرون أن يعصمها ذلك السائل المفروز وأن الأجزاء السالحة للتغذية لا تظهر بعد ذلك ولا تؤكل لا يقع عليها أثرها

(٨) المادّة المفروزة من تلك القرون ليست تكون من الأحاض إلا عند ملاسة ما يهيجها من المواد

للمأكولة . هذا واعلم أنهم قد تحققوا أنه لا فرق بين المادة الحامضة في معدة الانسان للسيلة (بسين) وبين المادة الحامضة في هذا النبات فهما سواء . وهذا الحامض الذي في النبات يكثر عند ملامسة مواد خاصة (فائدة جنود هذا النبات)

(سؤال) . علمت أن هذا النبات يتغذى من الحشرات وغيرها فما فائدة جنوده في الأرض (الجواب) أن فائدة هذه الجنود (أمران) الأول انها تثبت النبات في الأرض . الثاني انها تجذب له الماء الصاعد في أوراقه فأما جلب الغذاء فلا . انتهى الكلام على نبات (ندى الشمس) للذكور (شكل ٦)

(عدد النباتات للفترة هي تبلغ مائة ونيفا)



(شكل ٦)

قال المؤلف إن عدد النباتات التي تأكل الحيوان في بلاد الانجليز غير هذا الذي شرحناه وهو (ندى الشمس) للثقف الورق) نوعان فقط فأما الموجود في العالم من ذلك فهو نحو مائة نبات وكلها من غير استثناء تصطاد الحشرات كالذي شرحناه سواء بسواء وكل غذائها منها ولا فرغنا من الكلام على النبات الأول وهو (ندى الشمس) للثقف الورق) فلتبين حال الثاني وهو (بقمرود) شكل ٧



(شكل ٧)

ولقد أخذ الكاتب يشرح هذا النبات ويذكر التجارب التي صنعت فيه كما كان ذلك مع النبات الأول فلا تطيل به



(شكل ٨)

هذه النباتات الست قد وصف الكاتب بعضها . وها أنذا أوجز القول فيها فأقول
النبات نمره (١) فهذا يسمونه (النبات الجزلر) وهو نحو (٣٦) نوعا وليس من الأشجار بل هو

(١٣ - (جواهر) - سابر)

من نوع الأنجم أى التى لاساق لها وينبت فى البلاد الحارة والذى كشفه هولستر (هوكر) أنظر الى ورق هذا النبات فى الركن الأعلى من اللوحة فى جهة الشمال فانك ترى الجزار فيه على شكل الآلة الموسيقية أو على هيئة آنية بأحجام مختلفة يتصل به ساق قد يطول جداً وهو عند أعلى الورقة وهذا الجزار قد يطول من عقدة وعقدتين الى أكثر من قدم ويقويه غطاء ذو فتحة صغيرة أو كبيرة . وإعلم أن فى ذلك النبات والسطح الداخلى منه جيلان بلون بديع وهيئة جميلة وقد يفرز أيضاً مادة عسليه . فهنا اجتمع جمال المنظر وحلاوة الصل فهذان يفران الحشرات المسكينات فيدخلن ذلك النبات . وهنا أخذ الكاتب يفرض أن أحدنا لو كان مكان الحشرة رأى ذلك لماظر وللذائق الخلو لكان حقا يسرع الى ذلك الجبال والحلاوة ويهجم على المكان هجوما شديداً فيدخل أولاً باب ذلك الجزار قال وقد نجد ما يفرنا من جمال الداخلى فزيد فى التوغل فى الداخلى حتى ندخل فى الأنوبة التى تشبه المدخنة . ولسو طالع الداخلى يرى أنه يتغير عليه الرجوع فزيد فى التوغل داخلاً . فإذا نرى . نرى هناك سطحاً أشبه بالإزجاج لاستقر الرجل عليه فاذن نزل على عليه وحيث نجد هذا الداخلى أنه قد غرق فى ذلك السائل الذى يعم جسمه فيقطع أنفاسه ويكون طعاماً سائفاً مهضوماً . وهنا نرى العجب . نرى أن هذا النبات الجزار لم يطلد فريسته بقوة ولا يتقله وإنما اعتمد على خطة الفش والغداع بجمال الألوان وبالصل أولاً واستدراج الفريسة الى السخول فى الأنوبة السهلة الدخول للمناخ من الخروج ثم يكون الاستقرار فى المكان الذى يشبه الإزجاج فى نوعيته ثم يكون الموت والهضم . وهذه التجربة كانت بمعرة الاستاذ (هوكر) وقسمها للجمعية البريطانية فى اجتماع (بلغاست) سنة ١٨٧٤ م ووصف الكاتب النبات الثانى (مرة ٢) الذى تحت الأول أى فى الركن الذى جهة الشمال من الأسفل فى اللوحة فقال إنه ينبت فى شمال بلاد (كردولينا) وهو مثل النباتين للذكورين أولاً هنا . قال وهو ينبت فى أرض المستنقعات مثلها والورقة ذات ضنين يكونان مع بعضهما زاوية أقل من القائمة وترى عند مركز كل فص من الفصين ثلاث شعرات تشبه الأسنان . ومن العجب أننا اذا لمسنا واحداً من هذه الشعرات بأبرة مثلاً أسرع الفصان فانطبقا ما حالاً ويبقيان هكذا معاً فيفسر فصلهما إلا بفتريقهما . وإذا نحن نمجنا فى فصلهما رجماً فاحداً ثانياً ويبقيان نحو يوم لا يريدان الانفصال . وإذا لمسنا جزءاً آخر بأبرة مثلاً من الورقة غير تلك الشعرات لا تتحرك الورقة وهكذا لاحرك لها بهبوب النسيم ولا ينزول قطرات المطر على تلك الشعرات التى تشبه الأسنان كما قلنا سابقاً . ولواننا وضعنا على الورقة ذبابة مقطوعة مثلاً أو قطعة من لحم لرأينا أن رأس الشعرات التى كاهرون التى مسنها الذبابة أو قطعة اللحم أخذت تفرز سائل لزجاً وأخذ الفصان اللذان انقسمت اليهما الورقة يقتربان وينطابقان . وهذه التجربة قد حدثت فى كل ما يصح أكله فكانت النتيجة ما حصل فى اللحم والذباب فهناك افراز وهناك انطباع الفصين أو مصراعى الورقة . أما ما لا غذاء فيه كإزجاج ونحوه فلا تتحرك له الفصان ولا يفرز الابات له سائلاً . وإذا انطبق الفصان على الفريسة فانهما لا يفرقان نحو ثلاثين يوماً ثم اذا انفصلا فانهما قلَّ قوتيهما بعد ذلك وتعبت عليهما الفريسة الكبيرة التى قدرا عليها فى أول مرة . ومتى فتح الفصان بعد انقضاء عدة الأيام للانطباع فاننا لا نرى للفريسة أثراً إلا ما صلب هضمه كالجلد والرجلين ونحوهما . ثم وصف البقرة الثالثة وهى الموضوعه فى أسفل اللوحة فلم يطل الوصف فيها انكالا على ما سبق . ووصف البقرة الرابعة التى فى الجانب الأيمن من الأسفل باللوحة فقال ان ورقها ملقحة ولها قرون وهى من نوع (ندى الشمس) الملتصم ولم يطل فيه ولا فى الخامس ولا فى السادس لأن أوصاف هذه النباتات متقاربة . ثم ختم المقال بقوله . ان اقتلص النبات للحيوان كان موضع شك من العقلاء ولكن ماذا كراه الآن أثبت هذه الفكرة وأن بعض النباتات مفترسة كما يفترس الحيوان . انتهى ملخص هذا المقال مترجماً يوم الأحد ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٧

﴿ جوهره ﴾

ها أنت ذا أيها الفكي اطلعت على عجائب ما كان ليخطر لأحد أنها حقة . اطلعت على عجائب مدهش العقول . الناس عرفوا النبات بأنه يتغذى ونمو ويولد ويموت . وعرفوا الحيوان بأنه يتصف بذلك كله ويمتاز بالحس والحركة ولكن بعد هذا البيان أصبح الحيوان لا يمتاز عن النبات فإذا قلنا النبات لا يحس ولا يتحرك فما بالنا نرى بعض الذي رسمناه ووصفناه في هذا المقام يتحرك لأدنى لمس للشعرات الثلاث الالاق خلقت في مركز الفصين للثقتين في أحد النباتات التي في اللوحة للذكورة ومابالنا نراها كلها تتحرك عند حصول ذهاب أو غير ذهاب عليها . ألبست هذه حركة . ألبس هذا هو الحس . بينه . اللهم إنك بهذا فتحت البصائر وأثرت القلوب . ولما وصلت الى هذا المقام حضر أحد أصدقائي الفضلاء واطلع على هذا فقال يا عجبا لك أبختلاط الحقائق فتحت البصائر أنت تقول ان النبات والحيوان قد اختلطا وأصبح أمرهما غير مضبوط فالنبات حيوان فهل هذا افتتاح البصائر . كلا بل هذا هو اظهار جهل أهل الأرض قاطبة بهذا الوجود فأوضح هذا المقام والا فاقول غير مقبول . قلت لماذا تجلت على فلا أوضح المقام الآن فأقول . لاني قصدت بافتتاح البصائر هنا ﴿ خمسة أمور ﴾ الأول أن هذه النباتات أرتنا سر قوله تعالى يبقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الأكل - ﴿ الثاني ﴾ أنها أرتنا لطف الله في الامانة كلطفه في الاحياء ﴿ الثالث ﴾ انها أرتنا كيف تنوع الأزواق بتنوع المخالقات مع عجائب التدبير والاحكام والنظام الغريب ﴿ الرابع ﴾ انها أرتنا معنى قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بما صنعتها إن ربى على صراط مستقيم - ﴿ الخامس ﴾ انها أرتنا أن تحريم اللحم لأجل الرحمة لا يبرهان عليه . فقال فما اوضح الأمر الأول . قلت إن الله يقول - يبقى بماء واحد - كما قمت سابقا ولم يقل يتغذى بضياء واحد وههنا ظهر السر ظهر هنا بأعظم وضوح فتعجب . ألم تر أن جذر بعض تلك النباتات المقترسة لم يكن له عمل إلا لجذب الماء وتثبيت النبات في الأرض فأما جلب الغذاء فلا لأنه يتغذى من الحشرات وغيرها . إذن الماء هو المادة العائمة لكل نبات وليس الطين كذلك فهذا سر قوله - يبقى بماء واحد - ولم يكن الناس يعلمون ذلك قبل زماننا هذا ولم يكن أحد يعقل أن النبات لا يتغذى من للواد الأرضية وإنما يتغذى من نفس الحيوان فهذا سر قوله تعالى - يبقى بماء واحد - ولم يقل يتغذى بماء واحد . ألبس هذا من عجائب القرآن . ومن عجب أنك سترى في هذه السورة صور الثلج أنواعا كثيرة وترى أنه قد ظهر بأساليب عدة وهو على بما يشبه ورق الأشجار وبهجتها . فهذه الأشكال النباتية التي سترها في الثلج دليل على أن نظام النبات أسه من الماء ولذلك كان منه ما يأكل جادا وما يأكل حيوانا فكانت جميعها كأشكال الثلج التي سترها اه

﴿ اوضح الأمر الثاني ﴾

أما اوضح الأمر الثاني وهو لطف الله عند لامة الحيوان فانظر وتعجب . ألبس الناس على الأرض يموتون بالمرض تارة وبالحرب والقتال تارة أخرى . فيالجب يموت الناس غالبا وهم فزعون من الموت أما هذه الحشرات فان الله عز وجل قد مهد لها السبيل الى الموت في راحة وسعادة . ألم ترى الصل الذي أعد لها والى الأنوبة اللطيفة التي تدخلها والى المنزل الذي يشبه الزجاج في نعومته . أعد الله ذلك للحشرة وزين لها ظاهر الورق وباطنه ومدخله لترى جالا قسرع اليه وقد فعل الله معها ما فصله مع هذا الانسان إذ قال له - حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرا بنا ليلا أونهاها الخ - فهذه الحشرات التي تدخل النبات المقترس يفرها الجبال الفتان في الورق والعسل الحلوى داخله والمزاليق اللطيفة حتى اذا الممات جاء لها السائل الذي قهرزه تلك القرون من رؤسها فتموت حالا فهذا موت لا ألم فيه بل أخذها الموت في حال لا يحسن بها . وأما اوضح ﴿ الأمر الثالث ﴾ وهو تنوع أسباب الأزواق

بتقوقع الحيوان فهو ظاهر واضح فانك ترى بعض هذه النباتات يقتصر القريسة بالخداع واظهار الجبال والعسل فتخضع الحشرات وبعضها يعتمد على حركته واخراج السائل فيقبض بشعرة من شعره على القنينة ثم ينمى بها بأخرى ويفرز السائل الذى يقتل الحشرة . فهذا اعتمد على قوة بلشه وعلى آلة قتله كما يفعل الانسان وأما ما قبله فقد اعتمد على الحيلة والدهاء والمكر كما يفعل السياسيون وكما يفعل الانسان مع السباع أما ايضا (الأمر الرابع) وهو قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إلخ - فاعلم أن ذلك تقدم في سورة هود مفصلا ولكن هنا نذكر ما يناسب هذا المقام . أنظر الى هذه الجباب نبات لا ينتقل من مكانه وقد حكم عليه أن لا يأكل إلا من حيوان . فلماذا فعل الله له . خلق له الحشرات وأكثرها ولم يفعل من خلقها وخلق هذه النباتات وقال لها أيتها النباتات اني حكمت عليك بالبقاء في المكان ولكني سهلت لك السبيل ومهدت الطريق وجعلت من الحشرات أفئدة تهوى اليك فرزقتك من اللحوم وغيرها . أنا الذى حكمت عليك بالبقاء وأنا الذى أقمت عليك بالحشرات الطافات لتقتنى بها غذاء تاما . هذا معنى قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - فهذا هو الأخذ بناصية الدواب وهذا منها (

أما ايضا (الأمر الخامس) فان تحريم اللحم لأجل راحة الحيوان لا يرهان عليه لأننا رأينا الحيوان يقتنصه الحيوان ويقتنصه النبات . وهما في هذه النباتات حرم عليها أن تأكل غالبا إلا من حيوان وهكذا الاسود والنور حرم عليها أكل النبات ووجب عليها أكل الحيوان فعلت أن نظام هذه الدنيا راجع الى (أمرين) الموت والحياة والموت مقصود في هذه الأرض والحياة أيضا مقصودة فهما أمران كل منهما واجب وجوده . وعليه لامنى لتحريم أكل الحيوان الذى يربعه بقتله واخراجه من ضيق الأرض الى فسح الفضاء هذه جنة العارفين . إن العلم بهذه الحكم والجباب جنة العارفين ونعمة الحكماء وبهجة الأولياء . واعلم أن علم الله لاحد له وفضله لانهاية له - وقل رب زدنى علما - اهـ

(منظر جيل في قصر منيف)

(أحقية أم خيال)

لما كتبت هذا الموضوع كان ذلك في صباح ليلة الأحد وقد كنت قبل الكتابة مشغوبا به شغفا لاحد له فما كدت أنه حتى أحيت أن أستريح مقاوما ما يساورنى من المعانى التى تحوم حول هذا الموضوع مكتفيا بما كتبت . ولكنى في ليلة ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ خطلنى وقت الصباح خاطر لم أقدر على مدافعة وطنى يملك على وجدانى وأنا به مثل فقد خيل لى هذه الدنيا كأنها قصر جيل ذات بهجة وحسن وكان السناء جميعها مضىة مشرقة تحيط بى من كل جانب وكأنى في حياة أسعد من حياة أهل الأرض التى أعيش فيها فلأرى بدا من كتابة ما لاحظته في هذا المقام . وهنا أخذنى ما يشبه سنة النوم وكان هذه السناء التى تبنت خيالى مضىة قد صارت قصرا جيليا بهيا بدعيا فأخذت أنظر فى جوانبه وأنأمل عجائبه وأسرح الطرف فى محاسنه . هنالك تبنت لى حيطانه الأربعة مصنوعة من الذهب مزخرفة باللاتى البديعة والأحجار الثمينة وأنواع المرجان وكل ما هو جيل وتخللت أن فى أركان القصر نورا يشع ثم أخذ يزداد شيئا فشيئا فأخذ يجمع لى لما تنوع ألوانه وأشرقت صورته فكنت أرى صوراً مشرقة بديعة بهيئة ألوان (قوس قزح) وهنا رأيتنى فى عالم غريب عجيب غرت فى أمرى وصرت أقول باليت شعرى أين أنا الآن . أنا أكتب فى موضوع ذلك النبات الآكل اللحم الذى كشفه القوم وهاهنا صورته مرسومة أمامى فما هذا القصر وما هذا الجلال . فبينما أنا على تلك الحال إذ رأيت شخصا كأنه طيف خيال . فقال أراك فى حيرة فسلنى عما تريد فقلت ماهذا القصر ولن هو . فقال هذا القصر لك أنت ولأمثالك . قلت وكيف ذلك . فقال قد حضر فى خيالك ليل من كتبه الآن . قلت لم أفهم ما تقول . فقال ألم تعلم أنك الآن تكتب فى عالم الحيوان

والنبات وقد أثبت بأعجب ما فيها وهو النبات الذي يأكل اللحم . فقلت بلى . قال إن المصطنع والنبات والحيوان والانسان يمثل حيطان التصرف الأربعة فأما أركان التصرف فهي الصلة بين كل حائط وما يجاوره فركن يمثل اتصال المصطنع بالملادة الأصلية كالجنس والزواج وأمثالهما فهذه مصطنع أقرب إلى الملادة الأصلية ومثل ذلك أنواع الشبوب وأوسط المصطنع للرصاص والذهب ونحوهما . والركن الثاني يمثل اتصال المصطنع بالنبات وأعلى المعادن الباقوت والذهب ونحوهما وأقل النبات ما يظهر بالندوات أيلم الربيع من نبات صغير ويحذف في نحوه النهار وفي اليوم الثاني يطلع كعادته ويحذف ضحي وهكذا ويسمى (خضراء السممن) والركن الثالث يمثل اتصال النبات بالحيوان والركن الرابع يمثل اتصال الحيوان بالانسان وذلك في أنواع القردة والبقلة والخليل فالقرد يقرب من الانسان في تقليده والليل في ذكائه والخليل في أدبه . فأما الركن الثالث فهو الذي كنت تكتب فيه وأنا أئين لك ما في نفسك . لقد تبدى لك في هذا الركن الذي يصل ما بين النبات والحيوان نور أولا قليلا ثم ازداد وتلاوأ وتنوع . فأما ظهور النور أولا فهو ما كنت تهرؤ في كتب أسلافك من أن أعلى النبات النخل والكشوفى أما النخل فلائنه يشبه النبات من حيث انه اذا قطع رأسه مات كالحيوان وأما الكشوفى فانها تعيش على غيرها من النبات فنفسه حيوانية وشكله نباتى . فهذه أشبهت الحيوان من حيث انها تأكل النبات والنخل أشبهه من حيث انفصال الذكر عن الأنثى ومن حيث انه اذا قطع رأسه مات وأدنى الحيوان دودة في جوف أنبوبة تنبت على الصخر الذى في سواحل البحار وشطوط الأنهار . هذه هي الأركان الأربعة وأمثالها . هذا هو معنى النور الذى ظهر لك أولا في هذا الركن . فأما النور المتلاوأ الذى ظهر بعد ذلك فانه يمثل لك الجبال التى انتهج به قلبك والعلم الذى نلته بالاطلاع على نفس صور النباتات المفترسة وكيف أدهشك ذلك النبات الجزار الذى قد رسم أمامك في أعلى اللوحة المتقدمة من جهة اليسار الذى كشفه الاستاذ (هوك) فانك لما رأيت صورته ووجدت وصفه وأن فوهته وأسفل سطح الضياء متلاؤان جيلان في غاية الحسن مزودان بالصل . أقول انك لما رأيت ذلك دهشت أشد الدهش لأنك تطلب الحقائق وصارت نفسك تحذرك قائلة هذا نبات لا حراك له إلا قليلا فما هذا الجبال وما هذا الصل . هذا الجبال وهذا الصل خلقا ليش "بهما الحيوان فيقدم عليهما ليجوت فأخضت نفسك تحذرك قائلة أيضا إن النبات وكثيرا من الحشرات عمرها قصيرا كثيرا يموت في أوائل الشتاء والحكمة قتت أن لا معطل في الوجود فلذلك أعقت هذه المناهج ووضعت هذه الأعاجيب بلطف وحيلة حتى يكون لموت هذا النبات فائدة لأنه اذا مات في المرء فلا فائدة منه فأما اذا التهمه هذا النبات فقد أصبح غذاء له واذن الموت مطلوب والحياة مطلوبة كلاهما مقصود ولكن موت الحشرات على هذا الخط أجل حكمة وأشرف مقصدا وهكذا لما رأيت النباتين اللذين رسما في جهة اليمين من اللوحة المتقدمة وعرفت وصفهما بحيث ان الفم وأسفل الفطاء شكلهما ولونهما جيل وقد وجد فيهما الصل كما تقدم أيضا وهذا الصل قد يسيل الى الأرض ليز الحشرة ويهديها الى طريق الموت بسهولة فاذا جاءت لتشر به فرحت بالنظر فسارعت لتدخل فيقابلها دهليز أملس ثم تمر على تمر زجاجي لتستقر للأرجل عليه ثم يقضى عليها فتكون طعاما مضموما سائفا للآكلين . فهذه المناظر البديعة التى رأيتها في علم الحيوان زادتك علما وأمرت بصبرك فانصت صوتك العملية فبعد أن كانت معارفك في هذا لا تصدو النحلة ونبات الكشوفى المتقدم وهكذا تلك الدودة التى تنبت على شطوط الأنهار وكنت تقرأ في كتب المتفهمين أن تلك الدودة حيوان نباتى لأنها أعطيت الحركة وحاسة اللمس وذلك لأنها تمتد لأكل الرطوبات المناسبة لها فهى إذن شاركت الحيوان في حاسة اللمس وفي الحركة وأيضا ان كل نبات في الأرض يحس بالضوء . وبرهان ذلك أنه اذا وضع في مكان مظلم وذلك للسكان دخله نور من نافذة فان ذلك النبات يميل للنور عدل ذلك على أنه يحس بالنور . وهو أيضا يمتد عروقه للواضع

التدبيرة وفروعه الى جهة الملق وهو إذن يعرف جهة الملق وجهة السفل . وترى النبات اذا امتد على جبل فانه لا يتمداه ولا يميل عنه . هذا ما كنت تقرأه في كتب المتقنين . فلما أن رأيت عجائب الاحكام وتبديراتها ما كنت تجهل من قبل إذ رأيت الحكمة العالية القدسية لم تفر هذا النبات مهما بل جعلت له عنة وقوة وسهات له السبل وأنغرت الحشرات بطرق تخدعها وتستدرجها حتى تقع في فخ هذا النبات فيقتنصها فهالك الأمر ورأيت تدبيراً عكماً وقصداً ظاهراً وليس هذا أمراً أخافياً ولا خادماً بلاء مصادقة وإنما الذي فعل هذا بقصد ويدبره . هذا هو الذي خطر لك فبعد أن كان النبات يصرف حركات بسيطة ظهر لك الآن أنه له مملكة منظمة وسلاح . وكان أن الأمم لها مدلول للحرب ومعامل للسلاح لتسطو على غيرها . هكذا هذا النبات له سلاح وجنود وسلاحه الجبال وجنوده الصل كما في قول معاوية رضي الله عنه ﴿ إن لله جنداً من عسل ﴾ فالله لما دس السم الى الأشتر بعض قواد سيدنا علي من قتله بالعسل للسموم . فهذا السلاح الصلي هو الذي استعمله النبات . هذا هو الذي هالك وأدهشك فانتسرح قلبك فتمثل لك ذلك بالألوان البديعة والصور المشبكية المتدخلة التي تتفوج بألوان (قوس قزح)

ثم قال فهذا القصر الذي رأيته وأركانه مثال خيالي للعالم الذي درسته الآن وقد قام بذهنك أن ما كتبه الآن سيقروه كثير من شبان المسلمين في حياتك وبعد موتك فزاد سرورك لأنك اعتقدت وأنت على حق أن شبان المسلمين حين يقرؤن هذا يكونون قد وقفوا بفتة على آخر . وصل اليه العلم فيتعاطونه شرباً لذيذاً سائفاً للشاربين ويكون هناك جيل جديد لم يحل به الأوائل لأن المسلمين قد حرموا من هذه العلوم حرماناً تاماً وليس لهم ملجأ يلجئون اليه فإذا عرفوا أن القرآن يطلب كما تكتبه أنت لتعلم العقيدة وانطلقوا سراها الى العلوم وفتح لهم الباب على مصراعيه فيتعلمون وهم مجتهدون . هذا هو النور الذي رأيته لامعاً ثم ازداد حتى صار سروراً للناظرين . فقلت أوضح لي مسألة الخيال والحقيقة أيضاً أمم . قال لكل امرئ من الناس قوة ترسم فيها الصور كهيئة الآلة المنقورة يقال لها الخيلة وقوة أخرى تدرك المعاني الكلية وهي تسمى (الفكرة) فالفكرة تفهم المعاني والقوة الخيلة تجاورها . فالمعاني الجلية التي في القوة المفكرة تصور لها في الخيلة صور تماثلها وتكون مشاكلة لها . فهذا القصر وهذا النور يمثلان مافي قوتك العاقلة من المعاني . فقلت له وهل لهذا نظير في القرآن . قال نعم ألم تقرأ سورة الواقعة ألم يذكر هناك هذه الحيطان الأربعة لهذا القصر وهذا النور الذي ابتدأ صغيراً ثم تلاحاً . فقلت وكيف ذلك . قال ذكر الله أولاً خلق الانسان فقال - أفرأيت ما تمنون الخ - وهذا يتضمن خلق الانسان والحيوان لأنهما معا مخلوقان - من ماء مهين - فهذان حيطان من حيطان القصر . ثم ذكر الزرع والماء والأول هو عالم النبات والثاني يعبر عما ليس نباتاً ولا حيواناً ومن ذلك المعدن . فهذه هي الحيطان الأربعة وأركانها فيها . إن الذي يطلع على هذه الحيطان الأربعة وأركانها يدهش اذا عرف حقائقها فلذلك تراه آخر ذكر النار فقال - أفرأيت النار التي توريون - ولأجرام أن النار لا تختص بالشجر المذكور في الآية بل النار تكون في دهن الحيوان وفي المعدن وما أشبهها كالبائل المسمى (بالبتول) وكذلك يحترق بها بعض الناس يوم القيامة والأجرام كما قال تعالى - وقودها الناس والحجارة - فالتار عنة فذلك آخرها وهذه النار الحية يقابلها نار الشوق للعلم والعشق للحكمة التي ظهرت لك أولاً في الاتصال بين سلسلة النبات والحيوان في كلام للمتقنين قليلاً وشأن العلم أن يكون أولاً قليلاً فاذا تابر صاحبه عليه أنار الله قلبه وزاده علماً كما قال تعالى - والذين اعتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم - فن فتح الله عليه بعم استنارت بصيرته أولاً بقدر ما علم وعند اللبابة فتفتح له أبواب العلم من عند العليم الحكيم . ونظيره في سورة الواقعة أنه ذكر النار بعد ذلك فقال - نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للقيوم . فسبح باسم ربك العظيم - فذكر النار وأتبعها بالتبسيح ثم أشار الى الفتوح السهوى فأقسم

بالنجوم وأبان أن هذا القسم عظيم وأنه لا يعرف عظمة هذا القسم إلا العالم بالمقسم به
فهاهنا ابتداء الخلق الأرضية وهي الخلق الأرضية التي تحيط بكم . ثم ذكر النار التي تنقد بها كما
يشرق قلب الإنسان بعلومها . ثم أورد فذكر النجوم وأفاد أن أمرها عظيم لمن يعلمون فأما الجهال فليس
لهم حظ من هذا الجلال . ففي (الواقعة) ذكر العوالم الأرضية وختم بنارها ثم بالكواكب وفي هذه السورة
ذكر أنه رفع السموات بشير عمد ثم استوى على العرش وذكر تسخير الشمس والقمر ثم تدير الأمر اجـلا
ثم تفصيله ثم أتبع ذلك بجدب الأرض في قطعها المتجاورات والجنات من الأعناب . إذن للذكورنا العالم
العالى أولًا ثم السفلى وفي سورة الواقعة السفلى ثم العلى إشارة إلى أن كلا منهما مرتبط بالآخر . فإذا درست
النجوم فلتدرسوا ما أثرت فيه بالنافع والنحو . وإذا درست النبات والحياة فلتدرسوا ما أفاد فيهما . إذن
إذا درست السبب فادرسوا السبب والعكس بالعكس فهذا إيضاح ما مثل لك في خيالك وما يطالبه من القرآن
فإذا قال الله هنا - يدبر الأمر - فهاهنا تدير الأمر وأي تدير أعجب من هذا . يعتمد على نبات لا قوة
له ولا قدرة فيزبه ويعطيه عسلا ويوصل له الحشرات فيختطفها النبات . إذن هذا تدير عجيب يسر الحكاه
وأن مارست في هذه المقالات من الصور التي عرفها أهل أوروبا من تفصيل الآيات التي ورد في القرآن فهو
الذي يدبر الأمر وهو الذي يفصل الآيات . فآيات الله التي تظهر على هذه الأرض كلها مفصلات بعلومه
وأتبع ذلك بقوله - لعلكم تلقوا ربكم توفيقون -

عبر عنها بالإيمان كما عبر في سورة الأنعام في قصة الخليل إذ قال - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات
والأرض وليكون من المؤمنين - فهذا التفسير الذي ذكرته أنت في هذا التفسير وبالجماء التي اخترتها
ووضعتها فيه يكون الإيمان . أما الإيمان فلا يكفي الأمم الآن ولا يكون اليقين إلا بتسل العلوم التي أخذت
تشرحها فهذا يكون اليقين والمسلمون إن لم يسعوا إلى هذا اليقين فهم حالكون . فقلت له إن الآيات
هي آيات القرآن . فقال والقرآن معناه هو هذه الخلق الأرضية والخلق الأرضية والآيات . تلك آيات
الكتاب - فقد قال - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - وهكذا غيرها في مواضع كثيرة من القرآن
وأن تفسرك القرآن اليوم هو نفس العلوم التي انتفع بها الناس في الأمم الراية فأصبحت جميع هذه الدنيا
ونظمتها مقسودة للقرآن بهذا التفسير وإن كل من برع في علم من هذه العلوم وهو مؤمن بالقرآن يكون
موفقا . وكما أن كتاب الله للناس قاطبة هكذا تفسرك سيقروه كثير من عقلاء الأمم لأنهم يجدونه فسر
القرآن بهذا العالم الذي يعيشون فيه وليس أحد من أهل الأرض يشك في هذه الدنيا ونظامها وانها موجودة
فإذا اطلع على هذا الجلال وانتظام العلم مع الدين دهش أشد الدهش . فقلت له إن ما كتبت في هذا المقام
منقول عن أهل أوروبا كما تعلم فكيف يقرؤنه . فقال أنك تنقل مثل هذا المقام عن الكتب العالية
عندهم وليس كل امرئ مطلع عليها . ثم إن القوم هناك بالنسبة لحكاه الشرق أشبه بالفلاحين عندهم
بالنسبة لنساجي القطن . قلت فما معنى هذا . قال معناه أن الفلاحين في مصر يزعمون القطن ولكن
الذي ينتفع به هم أهل الصناعة في أوروبا . فهكذا علماء أوروبا الذين تعلموا من آياتكم الأولين وفاقوهم
ورقوا العلوم . ها أنتم أولاء أخذتم تتقنون آخروا وصل إليهم عندهم ثم جعلوه في أصل الدين وهو القرآن
فسيظهر في الشرق رجال يعلمون علوم أوروبا ما فيه صناعاتهم بطنكم . فكما غزل صناع أوروبا ونسجوا
قطنكم لأنهم أعلم بالصناعات . هكذا سيظهر بعد هذا التفسير وأمثاله في السوراء رجال ويتخذون علوم
القوم قاعدة لهم ويتقنون فيها كما تفنن صناعاتهم في قطنكم لأن العقول الشرقية النائمة الآن هي التي ستنتفع
بعلوم القوم وترجع لسان عيدها في التفكير والتنظيم وتحدث آراؤها رجة في الشرق والغرب وسيكون ذلك
بعد تعلم هذا التفسير وأمثال هذا التفسير

فسأله قائلا . لم أزل لا أفهم ماذا تعنى بقولك ان هذا القصر لى ولأمثالى . فقال كان ينبغي لك أن تسكنى بما قلته فى ذلك متنع للأجابة ولكنى أريدك ايضا فأقول بضرب مثل مثل الناس مع ربهم كمثل صبية يحبهم حكمهم وبنى لهم قصرا وزينه بأحسن زينة وملأه بالخير وأعطاهم الحرية فيما يختارون فأخذ كل يبعث فى القصر عما يلائم طبعه فمن منكب على لدائه ومن عاكف على زخارفه ومن مستترى فى حدائقه . وهكذا أخذ كل منهم يتخذ لنفسه ما يناسبها . وهكذا حال الناس مع ربهم وله للثل الأعلى . لقد زين الله هذه الأرض بأحسن زينة وملأها بكل خير ولم يتخ عن عباده شيئا . إن من أمثال هذه الدنيا ما صنعته قدماء المصريين من بناء الهرم الأكبر . لقد أحسنوا صنعه وجعلوه منظما بحيث يشاكل العالم العلوى من حيث هندسته وحسابه ويخيد أهل الأرض فى موازينهم ومكاييلهم كما سبق فى سورة يونس موصفا جلل الله وجل العلم . أبدع قداماء المصريين هرمهم بحيث تقل نظام السموات فأعطاه لأهل الأرض كما تقدم . هذا ضرب مثل لخال هذه الدنيا وإن كان للمثل له أجل وأكمل . فبالتى شعرى ماذا يفعل الله للناس بعد ما خلق لم يفر ضربا من ضروب الحكمة والعلم إلا أبدعها ولأفان من فنون الإبداع إلا أحدثه ولأحكمته من روائع الحكمة إلا أودعها فى أرضكم هذه وأبى إبداع أجل مما رأيت فى هذا المقام نبات لافؤة له ولا حول يعطى قدرة وقوة وحكمة ويضع الحيوان لغذائه فينخطى عالم النبات وعالم الأنعام والبهائم ويشارك الآساد والثور فى اقتناسها . إن هذا لشيء عجيب . ذلك هو الإبداع . ماذا يريد الله بذلك . يريد أن يصطفى من الناس أقواما فى كل أمة ويقول - هاؤم اقرأوا كتابه - هذا كتابى كتبته يدي . لمن كتبه الله . كتبه للناس قاطبة . ولكن لا يفرح به ولا يمهله إلا الأقلون هؤلاء هم الذين كنز الله لهم هذه الكنوز . كنزها لهم وألمهم أن يستخرجوها . الله أكبر . هؤلاء هم خلفاؤه فى الأرض . هؤلاء هم لهداة الحكماء الفضلاء . هؤلاء الذين يفرحون بهذا النظام ويعقلونه ويسكرهم ويهيجهم . هم الذين يبينونه للناس . هم الذين يهدون الناس السبيل وتنسرح صدورهم لذلك ويشون فى قلوب الناس جبا وغرلا وعشقا وهياما لهذا الوجود . الله أكبر ما هذه النباتات الجزلة للثقلات وأى شئ هى وأى شئ هو . ذلك النبات المسمى (بذى الشمس) إن بعض هذه النباتات إنما تنبت فى المستنقعات . لماذا . لأن الله يعلم أن هذا النبات لا يفيد الناس غذاء ولا كساء وإنما يفيدهم حكمة وعلمًا فوضعه فى أخس الأماكن . لماذا . ليعتد عنه المغمرون به . هؤلاء المغمرون لا تعاف أنفسهم شيئا فيرون الجمال والحكمة أينما تكون لا يفرحون بين حال وحال . ثم ماذا يرون . يرون فى النبات الجزل مثلا للثقلات رسمه عسلا ساقا للشاربين وجالا وبهجة وألوانا منظمة أشكلها فإذا يفعلون يفنون مبهوتين ويقولون إن السوائل كثيرة كالزيت وكليلاه للمعدية وهكذا مما لاحذله . وهكذا الجوامد والمنازل فى اختيار الصل خاصة لهذا النبات . نعم اختيار الصل لأنه هو الجاذب للحشرات حيث يقولون هذا معنى قوله تعالى - ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها - ويقولون هذا معنى قوله - قل ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - فها هو ذا أعطى هذا النبات الجزل هذا الصل ثم هدى إليه الحشرات لتكون فريسة له . ويقولون أيضا هذا معنى قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - ويقولون أيضا هذا هو حق اليقين . ويقولون أيضا إذا كان هذا النظام على هذا التوال كما نشاهده فستحيل أن يكون بلا عقل يدبره والأفا هذا الأحكام . فها هنا الذى خصص هذا النبات بالصل وهذا العقل هو الذى كان يقوله القدماء . انه هو العقل الكلى للدر للعالم خلقه الله لتلك ومنه اشتقت العقول كلها كما أن الشمس منها اشتقت للسيارات حولها وهذه للسيارات تستمد من الشمس . فهذه النفوس الأرضية من نباتية وحيوانية وإنسانية كأنها أشعة من العقل العام الذى نظم السموات والأرض وذلك العقل العام خلق من خلق الله

الله يسمى بلسان الشرع (ملك) و بلسان الحكمة (عقل) كما علمت . ثم أخذ يقول لي
 إن أمثال هذه العلوم عند المزمعين بها هي الجنة الحقيقية وإقامتها بها اليوم يحسن في نفسه بسعادة يجعلها
 أكثر الناس في الأرض فأما قولي لك إن هذا التصرف لك ولأمثالك فمضاه أنك في حال اشتراك نفسك بهذه
 للعاني تكون في حال تعجبك عن رذائل هذه الدنيا ومشاكلها فتتسى هموم الحياة مادمت على هذه الحال
 وتحسن أنت بسعادة يجعلها أكثر المتعلمين . فهذا الشعور ليس بفتنه ولا مصدقة إلا من رزقه . هذا
 معنى كون هذا التصرف لك ولأمثالك والا فهذه الحال يصرف جانبها أهل الأرض وقصورهم ومصورهم لأن
 العقل المتصرف في الأمور العامة يتعالى عن هذه المحسوسات ويستغرق في أنوار الجبال وبهجة الكمال
 فلما سمعت ذلك وعيت وفتحت عيني وكتبته فأنا الآن لا أدري أكنت في أحلام أم كن ذلك حديث
 نفسي في اللحظة أم هو إلهام - والله هو الولي الجيد - اه

(أسعدت النفثات في الأنهار كما تسمعها من الأوتار)

(مقدمة لفهم هذا العنوان)

ربما يظن بعض العقلاء أن هذا العنوان في هذا المقام من المبالغات أو الأمور الشاذة في تفسير قوله
 تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات الح - . ليس من السهل على جميع الناس إدراك الجبال في هذا
 الوجود . إن هذه الدنيا دار جبال وهذا الجبال لا يدركه حق إدراكه إلا قليل . إن الله عز وجل أبرز
 للناس في هذه الدنيا بعض الجبال ليعرف العامة والخاصة ثم أخذ يصطي طاقة وراء طاقة لأدراك خبايا الجبال
 والبهاء والحسن والبهجة والكمال وذلك في حسن النفثات وجمال الوجوه وبهجة النجوم وحكمة التشريح
 ومخاب الجبال وأبحارها ومعادنها . اصطفى الله أحسن الأشكال والأوضاع لهذه الدنيا . فلهذا بالنفثات
 المشهورة فنقول

كل بني آدم يفرحون بالنفثات للطربات ويشقون الوجوه الجيلات . ذلك أمر يستوي فيه الجهال
 والعالمون والحكماء والمتعمقون فتري جميع الناس يصبون للنفثات للطربات والوجوه ذات المحاسن والأشكال
 البهجة وانتظام العينين والشم والأف والخلدين . هذا هو الأمر العام في سائر الأمم والأجناس
 وإنما استدلوا بالنفثات في العبدان وأوتارها لما هناك من النسب للنظمية التي لا يسمها هذا المقام ولتكتف
 بوصف (أوتار العود) لا لتضرب عليه وإنما لتريك مامعنى الجبال التي عشقه الإنسان في العود ولماذا يهتز
 طربا . أكثر الناس يهربون للعود وهم لا يسمون سبب الطرب كما يستلذون بلأكل ويجهلون سبب تلك
 اللذات فأقول

إنه لا معنى للجمال ولا للحسن إلا بالنسب والوزن واتقان الحساب وأوظام الهندسة أو نحوهما . فكما
 كان الوجود أكثر نظما كان أوفق لحواسنا وكلما قل النظام كان أبعد عن ذوقنا والعود لم تستلذ الآذان
 إلا لما فيه من حسن الاتقان في وضعه . انظر إلى أوتاره عند القدماء فقد جعلوها أربعة زائد للمتأخرون
 عليها غيرها . ولكنها تكتفي بهذه الأربعة لذلك على سير هذا العلم . والأوتار الأربعة هي (الم والمثلث
 والمثني والزر) فالـ (٦٤) طاقة حرير إبريسم والمثلث (٤٨) طاقة والمثني (٣٦) طاقة والزر (٢٧)
 طاقة . هذه هي الأوتار الأربعة تمد على وجه العود مشدودة أسافلها في المشط ورؤسها في الملاوي فوق عنق
 العود . فهذه الأوتار الأربعة بعضها أغلظ من بعض على النسبة الأفضل فلفظ الـ (الم) مثل غلظ المثلث ومثل
 ثلثه وغلظ المثلث مثل غلظ للمثني ومثل ثلثه وغلظ للمثني مثل غلظ الزر ومثل ثلثه وهذه عندهم نسبة فاضلة
 فهذه الأوتار الأربعة لما هناك تسببات أخرى ذكرها ابن سينا وإخوان الصفاء وغيرها وزاد المتأخرون
 كثيرا . ولنا من علماء هذه الصناعة ولكننا طلاب حقائق والحقائق هنا أن هذه الأوتار لما وضعت على

نسب فاضلة تقدم بعضها في سورة آل عمران في أوائلها استلقتها النفوس لأنها قد امتزجت فيها نفحات غليظة
تقال بنفحات حادات خفاف . فالغليظة للأجساد والحادات للأرواح وعلى قدر الانتظام يكون الامتزاج
فيحصل للنفس طرب وهي لا تدري من أين جامها . إن النفس مولة بالنظام عاشقة للاتقان وأقرب الأشياء
إليها النفحات لأنها سهلة سريعة فتدركها النفس وتعرف متناورها وموزونها . فذلك كان الناس على الأرض
غالباً يدركون هذه اللذة ولكل قوم مغان تخصهم وموازن تناسبهم وإنما جعل الله هذا علماً ليعلم الناس
جميعاً نموذجاً لحكمته وذكرى لصنعة . فنفحات اللود للوزونات يألفها الناس بل الطيور والحيوانات
والسمك كما هو معروف متداول

﴿ نفحات الأشجار والحشائش وأنواع الرياح ﴾

ومن الناس من يطربون لما يسمعون في الحقول والحداث والمروج وأعشابها وفي الغابات وملتحف
الشجر وأصوات الرياح المختلفة وغور الأعشاب وحنين الطير وتغريردها ويطربون لترنح الأغصان كأنها
الولحان وترنم عيذان الزان وأوراق الشجر المختلفة وتفتح لهم معان ومدارك يجعلها سواهم والناس حولهم
خافلون لا يعلمون

﴿ علم الفلك ﴾

وما يجانب علم الفلك وحركته للوزونات وطرائق نجومه وحسن نظامه إلا كأوتار العيدين ونفحاتها فأقرأ
ما مر في قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض الخ - في سورة البقرة وفي آل عمران تركب كيف كان
للفلك حساب منظم يشابه في نظامه انتظام حركات العيدين . إن الناس طربوا لنفحات اللود لما فيها من
النظام والحساب للثقل ولكن الخاصة أوتوا علماً أعلى فأدركوا نظام الفلك وألفوه متقناً فابتهجوا أكثر من
إبتهاج العامة بالعيدين فالعامة بالعيدين يطربون والخاصة يزدبون عليهم بنظام حركات الشمس والأقمار
والسيارات ويرون الشتاء والصيف والربيع والخريف والليل والنهار فنمات لحركات الأفلاك حركة الأرض
حول نفسها وحركتها حول الشمس أحدثتا ظلاماً وضياء وحوا وبردا مع النظام في البدء والنهاية فأى فرق
بين اللود وبين نظام الأفلاك . اللود نظمت حركته وجعلت هناك نسب . ههنا نظمت الحركات وصحت
النسب . هذه نفحات لا يعقلها إلا العالمون

﴿ جمال الوجوه ﴾

إن جميع الناس يدركون جمال الوجوه . وما جمال الوجوه إلا بالنسب بين العينين والحدبين والأفئ
والقنم . هذه أربعة كلها اعتدلت كان الجبال آتم وكلما اختلفت كان القبح وعلى قدر التوافق والاختلاف
يكون اشتداد الحسن والوسامة أو القبح والفسامة . إنما أظهر الله هذا للناس لأمرين ﴿ أولاً ﴾ ليستلوا
بالظاهر على الباطن غالباً فكل قدر جمال الظاهر يكون جمال الباطن وقد يمسك الأمر ﴿ ثانياً ﴾ ليفتح
لأناس اصطفاهم قربه فيبحثون عن جمال آتم ومعان أكل في تشریح الأجسام ونظام أعضائها . لقد
مر في سورة (آل عمران) نموذج من جمال الأعضاء ونموذج من الوضع الموسيقي الحسن وأن للأعضاء
مقاييس خاصة متى صحت مقاييسها كان الجلال ومتى لم تصح كان القبح فلا نعيمها

﴿ الجلال في التشریح ﴾

وإنما نريد هنا أن نبين أن تناسب الباطن أجل وأوسع مدى والباطن ﴿ قسطن ﴾ قسم خلقى وقسم
جسمي . فالقسم الخلقى هو أربعة العفة والتجاعة والحكمة والعدل . هذه أربعة تقابل الأربعة التي في الوجه
فتى كان الإنسان عفيفاً في الشهوات شجاعاً في القوة الضمنية حكماً بالقوة العقلية معتدلاً في هذه الثلاثة فهو
الحسن الخلقى وللخلق جمال كما لوجه وهذا هو الجلال الحقيقي في الإنسان والقسم الجسمي هو نظام الأعضاء

وان يعرف إلا بالشرح وقد تقدم في سورة آل عمران في أولها . يايت شعري أليس من العجب أن نرى صدرا حوى رتبين وقلبا بينهما ولم يختلط ذلك القلب بالامعاء واللصدة إذ لا يجانس بين الضوئين . الامعاء وللصدة خاستان بالطعام أما القلب فخاص بالدم فجعل الرتبة بجانبه لتعني له الدم فيسري في الدورة ولم يجعل في هذا الصندوق كبدا للامعة ولا اسماء ولا كليتان . لماذا هذا . لأن هذه الأعضاء كلها علامات في الطعام حتى تجهزه وتصفيه ليكون دما فالصدة تطبخه والامعاء تخلطه من النضلة الغليظة والكليتان تصفيه من الماء وعضو الكبد له عمل في الدم والصفراء تنقى الدم من خلطها والطحال كذلك . فكل هذه الأعضاء جعلت في مقام أدنى حتى تحضر الدم ويرسل القلب والرئة بجانبه وجعل بين الطائفتين حجاب حاجز . ان قوى العقول السليمة يظهرن لهذا النظام والتناسب طريا لاتبلغه نفاه للموسيقار . كلا

﴿ الحكماء والمفنون ﴾

تباركت يا الله وجل فعلك وحسن وضعك وبهر نظامك . أحبيت عبادك وأبرزت لهم مكتون فعلك وجوهر صنعك . يا الله خلقت في كل أمة من هم أحسن وجوها وأبهج جبالا وأرقق أصواتا وأحسن نفاه لتدل الناس على جمال صنعك حتى يظهر الجبال للحكيم والجاهل والذكى والمفائل والعالم والبلد أراك اصطفت في كل جبل وكل قبيل فتياما وقتيات جعلت أصواتهم وحكمت عليهم بالفقر ليسمعوا الناس جمال نفاهم أتم حكمتك وتم نعمتك ثم لم تتأ أن تدع الخاصة بلاجال يرونها فاصطفت في كل أم أناسا للبحث في الحكمة والعلم حتى يسمعون نفاه العوالم العلوية والسفلية فيخبروا الناس بما يسمعون ويحببهم فيما يحبون . فهو لاء يبركون في الأجبار ونظامها وأنواعها ما يدركه غيرهم في الأجسام ونظامها ونفاه وأوتلرها والأفلاك وحركاتها والوجوه وإشراقها

﴿ النفاه في الأجبار كالنفاه في الأوتار ﴾

هنا قد وصلت الى المقصود من لقال بعد المقدمات فأقول
ياجبنا لهذه الدنيا وياجبنا هؤلاء الناس الذين خلقناهم . اللهم انا جئنا الى هذه الأرض ونحن راحلون عنها . خلقنا مسافرين فيها . حكمت علينا بهذا السفر الطويل وأرئنا جبال صنعك وإتقانه . وحكمت علينا ألا نضل الى مقام القدس والبهاء الأسنى إلا بعد أن نمر على الأوضاع الأرضية وندرسها ونحشد نستحق أن ندرس ما هو أجل من صنعك العالي الذي هو أبداع إتقانا وأحسن نظاما في عوالم أخرى بعد موتنا هذه أرضنا التي تجل فيها نورك وظهر حسنك وخلقنا منا أناسا يعيشون ويموتون وهم لا يعلمون . نعم يعلمون أن هذه الأجسام تطلب الغذاء والشراب والنساء والبنين ويموتون وهم لا يعلمون كيف ركبت ولا لماذا خلقوا . وإذا نظروا الى هذه الأرض وما عليها لم يفهم منها إلا أن يسبوا فيها ليالى وأياما آمنين ليعظروا بالفتايات القاصرات في القصور وليقتحموا الأخطار ويتجشموا الأسفار لطلب الرجز والمال بالتجارة أوليكوبوا سفراء للدولة أوليكابوا الملوك أوغضب لهم للدافع وتصف لهم الجنود وترفع لهم الأعلام والبنود ثم يموتون ولاهم يذكرون صم بهم عى فهم لا يعلمون

هذه هي حال أغلب أهل الأرض التي خلقنا عليها فأهل أوروبا اليوم قد برعوا في كل العلوم وأكثر من يشار إليهم بالبنان إنما يهتم بما ينفع الأمم من هذه المواد . أما جبالها ونظامها فلا يدركه إلا خواصهم وقليل ما هم . وقليل من عبادى الشكور . اللهم انا خلقنا في الدنيا للعلم والعمل ونحن اذا اقتصرنا على العلم كئنا كالنحل أو كالفيل ولكن علينا العلم وعلينا العمل والعلم الآن هو مجاهد في آية . وفي الأرض قطع متجاورات . فلندكر كيف كانت الأجبار وأنواعها نفاه عبد الحكماء أبهج وأودم من نفاه الأوتار في الميدان لحسن النظام والعدل والبهجة والإتقان . ولأذكر لك أبها الذكى قلا من كل من الخلوقات وانى اذا

أثبت القليل في هذا القال كفاك عن الكثير ولأقتصر على ما يكفر وجوده

الأرض والماء والهواء والبخار والملح الجبلى والجبر الرملى والرخام والجرايت وحجر الرصف هذه أربع مخلوقات كلية وستة أنواع جزئية من الجارة بمصر اختلفت أحوالها ومنافعها فكانت منفعة العافلين ولينة للفكرين . ان هذا الموضوع يعوزه بحث في أمرين (أولا) الجاذبية العاتقة (ثانيا) قوة التلاصق اعلم ان الأرض والشمس والكواكب كلها متجاذبات متحابات ولولا ذلك لم تنش يوما واحدا . فلولا أن الأرض تجذب من عليها لطاح الحيوان والانسان وكل مخلوق عليها فهذه الجاذبية نعمة أنعم الله بها على المخلوقات فاستقرت . ولولا هذه الجاذبية لطاحت أرضنا وغابت عن الشمس وتاهت فتننا في أقرب زمن ولكن جذب الشمس لها أبقيها في أمان وسلام . أما قوة التلاصق وهى المقصودة هنا فاعلم أنها من أعجب النعم وأبدع الأحكام فهذه القوة تختلف في المخلوقات اختلافا بينا وهذا الاختلاف لصالح المخلوقات . انظر انظر الى الماء والى الهواء . إن الهواء تباعدت أجزاءه ولم يشتد التصاقها فكان أخف من الماء (٨٠٠) مرة أى ان الرطل من الماء يوازنه من الهواء ما يعادل مقدار الحيز الذى يشغله ثمانية مرة . ثم ان الماء اذا صار بخارا بالغليان مثلا أو بحمارة الشمس فان الماء إذ ذاك يأخذ حيزا أوسع من حيزه وهو ماء (١٧٢٨) مرة إذن البخار أبعد تلاحقا من الماء ومن الهواء فانظر لتلاصق الماء وللتلاصق الهواء وللتلاصق البخار الذى كان أصله ماء فتجد للماء أشد التماسقا والهواء أقل التماسقا والبخار أقل من الجميع . ولهذا رأينا للهواء يعلو على الماء ورأينا البخار طائر فى الجوّ وارتفع كما يرتفع المنطاد وعلا علوا عظيما ثم صار سحابا

هذا ما تراه فى الماء والهواء والبخار وهذا وضع عجيب عند الحكماء . أما الجبال وأنصاف التلحين فى الأمم الاسلامية وغيرها فهم لا يهتمون بمثل هذا النظام ويكونون فى نظر هذا أشبه بالجبال فى كل أمّة إذ يعيشون فى أجسامهم ويتركونها للحدود وهم لا يعرفون نظامها كلها ولا يدرسون عجائبها ولا هم يعقلون ولا يدركون . أفلا ترى أن هذه أوتار أرسلها الله فى الطبيعة لخواص الأمم فيعرفون للبخار وللماء وللوهاء من الخصائص ما كان يراه العاتقة والخاصة فى أوتار العود من الاختلاف المظم الذى أنتج حسن النعم . فكما كان البه والثلك والمشي كل واحد مما بعده وأخف مما قبله بسبب خاصة كذلك هنا كان للماء وللوهاء والبخار وللأرض خواص فى التلاصق اختلافها أوجب حسن النظام والاتلاف جرى السحاب فى أعلى الجوّ وزين بقوس قزح وأرسل للطر وكان الهواء فوق الماء . فكما ترى فى العود البه والثلك والمشي والزرير هكذا ترى فى الطبيعة الأرض والماء والهواء والبخار كالهم والماء كاللثى والهواء كاللثى والبخار كالزير . هذا هو الوجود عند الحكماء . وهذا هو النعم عند عاتقة الناس وعند خواصهم . الخاصة يشاركون العامة فى النعم المعروف ولكنهم يختصون بعجائب هذه الدنيا وكما انتظمت الأرض وما فوقها اجالا انتظمت الأشجار تضيلا . البه أغلظ من اللثى والأرض أقل من الماء والثلك أغلظ من اللثى والماء أغلظ من الهواء والمشي أغلظ من الزير والهواء أغلظ من البخار - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - سبحانه خلقتنا فى جو من اللوسيقى والجمال . خلقتنا فى نهات عقلية ولكن أكثر الناس لا يسمعون . أبرزت تلك النعمات لنا فى العود وأكثر الناس لا يفهمون الأشجار وجبالها ونظامها

انظر الى الملح انه يكون فى الجبال كما يكون فى البحار كما قسّمناه فى آثر سورة آل عمران تجب من ذلك . انظر اليه . اتنا نأكله لأنه يدخل فى تركيب عظامنا . قد احتجنا اليه خلقه الله لنا وجعل قوة التلاصق فيه ضعيفة جدا والا لم تقرر على فصله من الجبل ولا على ضمه فى معدناته

(عجرا الجير) الجبر الجبرى لونه البياض المائل الى الاصفرار وهو حبات صغيرة التصق بعضها ببعض يكسر بسرعة ويغشى بالسكين بسهولة . إذن هو سهل التحت والكسر لتلك استعماله الناس فى البناء

ومنى سخن عدة أيام مع الفحم فى (قبن) تحوّل الى جير وهذا الجير يجعل (ملاطاً) ويسمى فى مصر (المونة) تطل به الحيطان ويحضر منه ماء الجير للاستعمال فى الطب ويكون مطهراً ونحو ذلك (الجير الرمل) ألوانه مختلفة السمرة أو الصفرة أو الجرة وهو جات مستديرة من الرمل التصق بعضها ببعض فكوت طبقات رقيقة وهو أيضاً سهل الكسر والنحت يستعمله الناس فى البناء وفى أساس الأبنية . ومنه نوع اختلط به حبوب من حجر (الصوّان) . وهذا يجعل أحجار (الرعى) ويجعل فى أساس المنازل ودعائم القناطر

(الرخام) والرخام من الحجر المذكور قد اشتقت صلابته ولذلك يقبل الصقل فاذا علمناه بالرمل صار سطحه صقلاً جيلاً . وكلما زدناه حكا بالرمل زاد روتها وجلالها وبهجة وهو أبيض أو أخضر أو أحمر أو أصفر أو أسود أو أبيض فيعروق سود وقد تكون فيه بقع ذوات ألوان جيلة بهية تسمى الناظرين . ومن هذا ما يسمونه بالرمى . وإذا أردت أن ترى الرخام فادخل المساجد والكنائس وانظر الأعمدة وتأمل البهوات الواسعة عند أهل الثراء والغنى . وكذلك السلام والمغاسل والمناضد والتماثيل التى تصنع من النى لونه البياض الناصع

(الجرانيت) الجرانيت أشد صلابة وأصعب كسراً ونحاً يفلاونه فذلك جعله قدماء المصريين فى معابدهم وتماثيلهم وسلاتهم التى تراها فى (الطرية) بمصر وهى فى بلاد الانجليز والفرنسيين وغيرهم . إن الجرانيت فيه البياض والصفرة الضاربة الى الجرة والبياض اللامع كما تلمع الفضة (الصوّان) هو أصل وأمتن من كل ماسق لا يؤثر فيه الحديد الصلب ولونه إما البياض ولما الصفرة وإما السواد . ولقد شاهدنا هذا الحجر فى أبهى الزراع من بلادنا المصرية أيام الشباب وهم يشعلون به النار فى أتون منه بحجرين يضربون أحدهما على الآخر فيخرج من بينهما شرر يتلقونه بمادة تسمى (الصوفان) وهذا يسمى (الزناد) وهذا الحجر يستعمل فى رصف الشوارع

هذه هى الأحجار الشائعة فى مصر ويقاس عليها البلاد الأخرى . علم الله قبل أن يخلق السموات والأرض أننا فى حاجة الى ماء كل ولما كل لابت لها من الملح فخلته لتتكون منه العظام وسلطانا عليه وسهل لنا تنويه فى الماء وهضمه ولأنه فصل به ما قبل بالصوّان أو بالجرانيت لم نتفع به فهو جعله موافقاً لأمر جتنا وسهل لنا وأكثره فكان أقل التصاقاً حتى نستعمله ثم هو يعلم أننا نبش على الأرض . فاذا فعل . خلق (حجر الجير) وصوّره قابلاً للنحت والكسر وسلطانا عليه فأودنا عليه النار واستخلصنا منه ما نشاء لنظام منازلنا وجعل (الجير الرمل) قريباً منه حتى نستعمله فى أساس منازلنا وجعل من هذا الحجر نوعاً قوياً لما فيه من حبوب صوّانية لطحن به حبوبنا (أنواع الغلال) ويساعدنا على سهولة الفناء وليكون من مقويات القناطر . وعلم أننا نحتاج الى إقامة أمان كن عظيمة للعبادة أو للدولة فخلق الرخام وحلاه بألوانه الجيلة

وجعل الجرانيت أصعب مكسراً وأقوى وأمتن حتى حفظ به القدماء العلوم لمن بعدهم وصنعوا التماثيل التى كانت جائزة عندهم ولم نجد فى زماننا أصالح لبناء سدّ خزائن أسوان منه فاستعمله للمهندسون للصيرون ومن معهم فيه فهل يدّ الجير الجيرى أو الرمل مسده . كلا ولأنهم وضعوها فى مكانه ففرقت البلاد ولحقها الفساد . نعم فى الأرض قطع متجاورات فيها للملح والرخام والرمم والجرانيت والجير والصوّان والجير الرمل اختلفت قوّة التصاقها فتباينت نتائجها . لا يبدّ الصوّان سدّ الجير ولا الملح ولا يبدّ الملح سدّ الجير . كل له عمل لا يصلح له الآخر . لولا الجرانيت لم نطلع على المسلات التى تحتها المصريون . ولولا الجير لم نطهر بيوتنا من كل ما يكون سبب الولاء والأمراض . نعم فى الأرض قطع متجاورات . هذا هو تسبب الآيات اختلف الماء والهواء والبخار والأرض اختلفت فى قوّة الالتصاق فأشبهت أوتار العود البم والمثلث والمثلث

والزير . هكذا اختلفت الأشجار في الجبال وهي متفرقات في أركانها متعلقات في نتائجها . اعتزل الجبلير
والجبل الرطب والجرائيت والصوان . اختلفت أماكنها وقوتها وصلابتها واتصلت بوجه غايتها . فغايتها نظام
هذا الانسان . فنها ما يدوم لأجل بقاء علومه في رسومه . ومنها ما لا يدوم إلا أزماء على قدر الحاجة
إن اختلف حجر الجبل والجرائيت والملح والصوان مثلا أشبه اختلاف الأرض والماء والهواء وأمرها
عجب - إن ربك هو الخالق العالم -

﴿ فصات الأشجار والأشجار ﴾

تبارك الله ما أجل منه . اختلفت النفوس وعواطفها كاختلاف الأشجار والأشجار ومتابها في النفوس
من لا تقل من النخيل إلا ماسمه من الأوتار ولا من الجبال إلا مآثره في الوجوه الحسان . ومنها من
صفت سرائرها وارتاحت وعلت على هذه المادة وتخلصت من قيود القلة فرأت ما لا تراها العيون وسمعت ما
لا يسمعه النافلون . فصرير الأقلام وحفيف الأشجار ونفثات الطير وشفة الهواء وارتفاع البغار وبهجة
السحاب والأوان (قوس قزح) كل ذلك لأسبابهم طرب ولعيونهم جلال ولقلوبهم بهجة وبهاء
فإذا ترنحت العنيت في أشجار البان أو غرمد القمرى على الأفنان أو سمعوا غدير الأعشاب أو أصوات
الرياح في الفجاج أو صوت أحجار الرمي دائرات في ظلمات الدجوات فهموا معاني مطربات وتجلت لهم من
المعاني آيات وأدركوا نبأ من قوله تعالى وفي الأرض قطع متجاورات - اه
﴿ فائدة ﴾ جاء في بعض المجلات العلمية في شهر ابريل سنة ١٩٢٧ م ما يأتي

﴿ شجرة تأكل الناس ﴾

عادت مؤخرًا من (جزيرة مدغشكر) بعثة علمية انكليزية أمريكية سافرت إليها بحث رثاسة (بونف)
العلامة الشهير وأكدت للصحف تلك الأسطورة القائلة بأن في تلك الجزيرة شجرة تأكل الانسان والحیوان
وقبل ثلاث سنين نشرت صحف ومجلات أوروبا مقالات ضافية عن هذه الشجرة الغريبة التي تغتذى بلمعوم
الانسان والحیوان . وأول من أذاع هذه الفكرة للدكتور (سولون أوسبورن) وهو من علماء الجغرافيا
للبرزين سافري (مدغشكر) فسمع تلك الاشاعة ولم يتمكن من رؤيتها لأنها في الغابات الموحشة وقد قال
هو انه لا مانع يمنع من وجودها لأن هناك نباتات تأكل الحشرات . وفي حديقة النباتات بلندن نبات
يأكل الفيران والصحف الانكليزية كتبت عنه كثيرا والذي أكد ذلك العالم النباتي (ليكيب) الذي وصف
الحفلات الدينية التي يقيمها الأهالي حول تلك الشجرة ويقدمون لها وقتا دون وقت ضحايا بشرية وقال
أيضا في رسالة للدكتور (فريدلوف) إن تلك الشجرة كشجرة السنوبر باسقة وجفرتها ذو عقد كثيرة نائمة
وعليها أربع ورفات فقط يبلغ طول الورقة أربعة أمتار وعرضها في الوسط (٨٠) سنتيمترا ونحشا (٤٠) سنتيمترا
وهي تتدلى من رأس الشجرة الى أسفلها وتنبه جلد الجاموس التخين وأطراف الأوراق مسنة وتوجد أزهار
على رأس الشجرة تشبه الأقداح تتصاعد منها رائحة كريهة اذا شمها انسان اعتراه دوار شديد وتسيل منها
قطر مادة مسكرة . والأهالي في احتفالهم الديني يقرعون على من يقيم ضحية وقد أصابت القرعة امرأة
فأرغموها على أن تنشق الشجرة وتشرب من المادة المسكرة وما كادت شتاتها تسمان الزهرة حتى ارتفعت
الأوراق المتدلية وأطبقت عليها من كل جهة ولبت ملتقة عليها مدة أسبوعين وعلت بسدها الى ما كانت عليه
ولم يبق من جثتها غير رأسها المسلوخ للعلى . وقال (ليكيب) انه رآها بميني رأسه ورفع بشأنها تقريرا
مسها الى الجمعية النباتية في لندن اه

﴿ الحقيقة الخامسة في قوله تعالى - ولكل قوم هاد - ﴾

اعلم أن هذا المقام قد اوضح في كتابي ﴿أين الانسان﴾ ولكن لأقل قلا من كل

اعلم أن هذه الدنيا منتظمة عند الحكماء مخفية عند صغار المتعلمين . فانظر مجد الذكور والاناث في الأرض عددا واحدا تقريبا في كل أم الأرض متوحشين وتمدنيين كأن الحكمة فتت أن يكون لكل ذكر أنثى . وهذه القاعدة لم تختل قط في هذا العالم وقد يحصل حرب أو نحوه فيموت رجال فيقتلون ويكثر النساء ولكن هذا أمر عارض لا بة به . وإذا ظهر هذا في الذكورة والانوثة فانظره فانه عام في سائر الالهام من صناعة وامارة وتجارة فان النبوغ في كل منها مخبوء في العقول محفوظ في النفوس . ولوعلت الأمم تعلما صحيحا خرج من كل أمته هداة على مقدار حاجتهم وصناع وسؤاس وهكذا على مقدار الأمم . هذا هو الفنى يستخرج من هذه الآية وهو الشاهد في العالم ولكن يعوزه التدقيق وفي كتابنا (أين الانسان) خفاء للقام (اللطيفة السادسة في الكلام على قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار علم الغيب والشهادة الكبير المالح -)
 بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . اللهم انك مجود على نعمك العاتية وحكمك التامة في علمنا الذى نعيش فيه . اللهم انك أنت أعمت علينا بنعمة العلم وأحييت قلوبنا بالحكمة وأرقينا من عجائب ملكك وغرائب حكمك ما جعل قلوبنا فرحة بك مستبشرة متبشرة بالنظام التام والاحكام الجيب . فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم . نحن أينما اتجهنا وقلوبنا وجوهنا وفكرنا وأينما اتقانا مبناه العلم وتنوعا كثيرا مبناه سعة القدرة والعلم

هاتين أولاد سمعا قولك - وكل شئ عنده بمقدار - وقولك - إنا كل شئ خلقناه بقدر - وقولك - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقولك - إن إلهة سريع الحساب - وقولك - الذى خلق فسوى * والذى قدر فهدى - وقولك - وخلق كل شئ بقدره قديرا - وقولك - وهو أسرع الحاسبين - وقولك - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وقولك - وما كنا عن الخلق غافلين - وقولك - وأنزلنا من السماء ماء بقدر - وقولك - وأحصى كل شئ عددا - وقولك - وكل شئ أحصيناه في إلمام بين -

لهم إن هذا هو مناط الحكمة والعلم والسعادة في هذه الدنيا . الناس على هذه الأرض لاطلم من العلم في دين ولادنيا إلا اذا أيقنوا بما في هذه الآيات ونظروها بقولهم التى أودعتها فيهم وهذه الأمم الاسلامية مضى لها (١٣) قرنا كان أكثرها في غفلة عن ذلك وقليل منهم هم العارفون بهذه الحقائق ولكن كانوا في زوايا الالهام . اللهم انك اليوم أذنت لأمة الاسلام بالرق والاطلاع على عجائبك والتحلل بمحاسن العلوم في السموات والأرض فهأنذا اللهم أكتب لهم في تفسير كتابك نظرة في ملكك الذى خلقتنا فيه قبل أن أغادره وأسألك أن تهدي به أمتا وتشرح به قلوبا وتنقذه أناسا من الجهل والذل وترفعهم الى غاية الحكمة والمجد والسلام . أينما الأمم الاسلامية اسمى فليت شعري أى الأشياء أذكر لتعرف نظامه . ولقد مضى في هذا التفسير وسأأتى إن شاء الله ما فيه غنية لئى لب

(١) أأذكر لجسم الانسانى . وقد مضى في سورة آل عمران من نظامه وبديع احكامه ما يدهش القلب ويشير الإعجاب من ترتيب أعضائه ونظام هيكله ودقة عينه وحكمة أذنه فهذه هناك مفصلة أى تفصيل وهل أزيد أمرا يشاهده الناس ولا يعبون به وهو

(الجمل المنسمى)

إن الانسان اذا توهما أن هناك فيه سطحا مستويا قسمه من فرق رأسه الى أسفل فله قسمين مستويين فهذا السطح الموهوم نسميه (الجمل المنسمى) ومعنى هذا أنك تجد الأذنين والعينين واليدين والصدغين والترقوتين واليدين والقدمين والركبتين والساقيين والقدمين . كل هذه على أبعاد متساوية من هذا السطح الذى توهما أنه قسم الانسان . فيعجبا نحن نعيش ونموت ولا نرى أن هناك نظاما فينا بحيث

ينسوى بعد العينين والأذنين الخ عن ذلك السطح الذى يقسم الجسم وهذا جال تتج من الاقن وحسن النظام كما نشاهد نظيره فى اللباني المنظمة بحيث نشاهد شباكين أو نافذتين على بعدين متساويين من باب البناية (٢) أم أذ ونظام الأجزاء الساقطة من أعلى الجبل إلى أسفل البحر . وقد مر ذلك فى أول سورة آل عمران بحيث ترى هناك عجايبا وأن نظام أعضاء الجسم وحسنها للموزون بالأشكال الهندسية له نظير فى حركات الأجزاء الساقطة بحيث ترى الحجر يقطع فى نزوله المسافة بطريق التريع فلا أحيل به هنا ثلثا يكون السكر المليب فاقراء هناك واجب من حجر مجنوب إلى الأرض تزداد سرعته فى التواني الزمنية المتوالية على طريق التريع بحيث ينزل الحجر فى الثانية الأولى (١٦) قدما مثلا وفى الثانية التى بعدها (١٦) فى مربع اثنين وهو أربع وهكذا . ولأذكر هنا لطيفتين تناسيلن المقلم

(الطبقة الأولى فى معرفة عمق الآبار)

إذا رمينا حجرا فى بئر وعدنا التواني التى تمر قبل أن نسمع صوته عند وقوعه فى أسفله فلتريع عدد التواني ونضربها فى (١٦) قدما يكون الناتج عمق البئر أقداما وتعده التواني إما ساعة وإما بدقات النبض فنحسب كل دقة ثانية

الطبعة الثانية

ان النور يقطع (١٩٢) ألف ميل فى الثانية ولعظم سرعته لا يشعر به على الأرض فيظهر للناس جيها فى لحظة واحدة ولودار حول الأرض لأكل دورته أسرع من لمح البصر . وسرعة الصوت فى الهواء هى (١٠٩٠) قدما فى الثانية فإذا رأينا البرق ثم سمعنا الرعد بعده بخمس ثوان علمنا أن البرق لمع على بعد (٥) فى (١٠٩٠) أو (٥٤٥٠) وتعرف التواني إما بالساعة وإما بضربات القلب . فاعجب لنظام بهيج حركة تمر حول الأرض فى أقل من لمح البصر وأخرى ألف قدم وتسعون . إن الصوت بالنسبة لقضوء كاللحفاة بالنسبة للأرنب والصوت بالنسبة للجداد من الخيل أشبه بتلك النسبة معكوسة وهكذا - وربك يخلق ما يشاء ويختار . لذلك يرى البرق قبل الرعد ولهذا فقم الله البرق على الرعد فى الآية

(٣) أم أذكر (جنة العرفان فى تفسير القرآن) وهى

(١) إن شدة الصوت قل بمقدار ما يزيد مربع البعد عن الجسم الصات كما إذا أنينا بأر بعة أجراس بحجم واحد ووضعناها على بعد (٤٠) ذراعا ووضعنا جرسا آخر بحجمها أيضا على بعد (٢٠) ذراعا فانا نجد صوت الأربعة كهوت الواحد لأن بعدها كبعده مرتين و (٢ فى ٢) تساوى (٤) فاذن يكون كل واحد من الأربعة صوته كربع صوت الجرس القريب فأصواتها كلها كهوته وهو المطلوب

(ب) شدة النور قل بمقدار ما يزيد مربع بعده عن الجسم المنير فاستبدل المصاييح بالأجراس فى المثال فيكون نورا أصبح القريب مساويا لنور الأربعة البعيدة بالمقادير المتقدمة
(ج) ان شدة الحرارة قل بمقدار ما يزيد مربع بعدها عن الجسم المتقد نارا فاستبدل المواقد بالمصاييح والأجراس وفى تلك المواقد نيران متساوية فان للموقد القريب تساوى حرارته حرارة الأربعة البعيدة بالمقادير المتقدمة

(د) الجاذبية . وهالك نظام الجسمين الخفيفين كالفلين السابحين على سطح الماء كما قدّم فى آل عمران وكيف يجرى أحدهما للاق الآخر بطريق الجذب على عكس التريع بحيث يكون اسراعهما إذا كان بينهما ذراعان مثلا أقل مما لو كان بينهما ذراع واحد فإذا كانت السرعة فى الحال الأولى مترا فى الثانية فأنها فى الحال الثانية تكون أر بعة أمتار أى ان بعد القراعين أخذ مربع الواحد وهو واحد وبعد الترع أخذ مربع التراعين وهو أربع

هذه مسائل أربع الجاذبية والصوت والنور والحرارة . أنظر وتجب هذه كلها قاعدة واحدة تزداد في القرب وتنقص في البعد بمكس التربع . فبالتعريف كيف نفسر القرآن في هذا الزمان . ثالثة هذا هو التفسير . هذا هو الدين الاسلامي . كيف يقول الله - وكل شيء عنده بمقدار - ويقول - إن الله سريع الحساب - ويقول - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - فأى تفاوت وجدناه بين الضوء والحرارة والجاذبية والصوت . لم نجد تفاوتاً بل وجدنا اتحاداً . وهذه الأربعة عليها مدلول حياتنا فأصول حياتنا متحدة نظاماً عجيباً . هذه نبضات القلب كيف كانت كدقات الساعة في التواني . كيف يكون القلب ونبضات العروق على نظام تقريبي أشبه بنظام الساعة من حيث التواني حتى أمكننا أن نقيس بها عمق البئر ثم كيف رينا التواني حين ضربها في الأقدام كما رينا أبعاد الضوء والصوت والجاذبية العاتقة والحرارة هذا هو علم دين الاسلام والمسلمون في المستقبل هم الذين يدرسونه . هذا هو علم التوحيد وهذا هو شكر الله وهذا قوله تعالى - وقل رب زدني علماً - فليزد للمسلمون علماً في مثل هذا اقتداء بالتحليل عليه السلام وبنينا عليه وشكروا لله وتوحيدها ورقياً في دنيانا وآخرتنا والحمد لله رب العالمين

(٤) أم أذكر نظام رقاصي الساعة الذين قصر أحدهما وطال الآخر وهما في مكان واحد فان بينهما نسبة التربع كما هنا وكذلك ذراعاً ميزان القبان أى ذراع القوة وذراع المقاومة (وبعبارة أخرى) التراجع الطويل الذى فيه الرمانة والتراجع القصير الذى يعلق فيه الموزون فهناك بينهما نسبة منظمة لا محل لاطالة شرحها هنا فلا نخرج عن المقصود

(٥) أم أذكر نظام الكواكب السيارة بالنسبة للشمس . أم نظام السنين الكبيسة والبسيطة

إلى إذا ذكرت ذلك النظامين هنا أخرج عن المقصود ولكن أقول قولاً وجيزاً فيهما . أما أبعاد السيارات عن الشمس فهو أمر سهل بسيط تفهمه بما يأتى

إذا خفنا مكاناً أثراً فوجدنا فيه تماثيل والمتال الثاني يبعد عن الأول ثلاثة أذرع والثالث يبعد عن الثاني ستة أذرع والرابع يبعد عما قبله (١٢) ذراعاً والخامس (٢٤) والسادس (٤٨) والسابع (٩٦) ذراعاً . إذا خفنا على التماثيل على هذا النظام لم نشك أن واضع التماثيل حكيم ومهندس ماهر وقد جعل كل تماثيل في البعد ضعف ما قبله من التماثيل . هذه هي الحال في السيارات بالنسبة للشمس . فإذا جعلنا لعطارد صفرًا والزهرة (٣) والأرض (٦) والمريخ (١٢) وكوكب مجهول عرفت آثاره (٢٤) والمشتري (٤٨) وزحل (٩٦) إذا فعلنا ذلك نكون قد عرفنا أبعاد السيارات عن الشمس مع إضافات لكل منها مذكورة في محالها فاذن تكون هذه السيارات التي نراها موضوعة في أماكنها بقوانين ترجع إلى النسبة الهندسية فان نسبة ٣ إلى ٦ كنسبة ٦ إلى ١٢ وحاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين أى أن ٣ في ١٢ تساوى ٦ في ٦ وهذا من العجب أن نرى كواكب موضوعة بنظام هندسى بديع وهو المسمى بالتوالي الهندسية والنظر بالعين لا يعرف شيئاً من ذلك والنظر بالعلم يعرف هذا النظام . اللهم انك أدعشنا بأبحارك وحركاتها وأدهشنا بنظام كواكبك ونظام أجسامنا وكل نظام

(٦) أم أذكر حساب السنة الكبيسة والبسيطة العربية لأبين لك حركات الكواكب كما بينت وضع أماكنها أعني أتى أذكر حساب حركات الأرض حول الشمس في السنة لتعرف أن هذه الحركات لها حساب منظم كما أن بعد السيارات عنها بحساب منظم ولكن لا أذكر هذا هنا لأنه تقدم في آخر سورة آل عمران وفيه أن السنة القمرية (٣٥٤) يوماً وسدس يوم وخميس يوم وهذا السدس وهذا الخمس بتكرارهما كل سنة يزيدان ١١ يوماً في مدة ثلاثين سنة ففى كل ثلاثين سنة تكون منها ١١ سنة كل منها (٣٥٥) يوماً و١٩ سنة كل منها (٣٥٤) يوماً فالأولى هي الكبيسة والثانية هي البسيطة . ولا أذكر لك الحساب هنا

لأنه تقدم هناك ولا تخرج عن المقصود من النظام التام . فكما رأينا أبعاد الكواكب بنظام هندسي هكذا رأينا حساب سير كل كوكب بحساب عظم فأولها هندسة في السكان وثانيها حساب في الزمان . هذا هو النظام التام

(٧) أم أذكر لك نظام الشعر العربي ونحوه والوسيقى . إن ذلك يطول شرحه ولكني أئين لك أن الشرح سابه حساب الفلك والنجوم زمانا ومكانا وأبين لك ذلك بغاية الاختصار مع الوضوح . اقرأ البيت المشهور الآتي

فنا نيك من ذكرى حبيب ومنزل • بسقط اللوى بين الدخول لغول

هذا البيت من بحر الطويل ولا معنى لبحر الطويل إلا هذا الوزن وهو فعلن مفاعيلن ٤ مرات ومعنى ذلك أنه (٤٨) حرفا إذا لم تدخل على تخفيف بعض الحروف . وهذه الثمانية والأربعون منها ماهو أوتاد ومنها ماهو أسباب ومعنى الوتد حرفان متحركان وحرف ساكن ومعنى السبب حرف متحرك وحرف ساكن فالأول مثل على والثاني مثل من وعن وهكذا فهذا البحر فيه (١٢) سببا وفيه (٨) أوتاد فالجميع (٤٨) حرفا من ضرب (١٢ في ٢) ومن ضرب (٨ في ٣) فتوكل فعلن فيه وتد وفيه سبب وقولك مفاعيلن فيه وتد واحد وسببان ويتكررهما أربع مرات يكون عندك (١٢) سببا وثمانية أوتاد وربع البيت من الطويل فيه (٧) متحركات وخمس ساكن ونسبة ٧ الى ٥ كنسبة ١٤ الى ١٠ كنسبة ٢٨ الى ٢٠ وحاصل ضرب الطرفين يساوي حاصل ضرب الوسطين

الله أكبر . جل الله وجل العلم وجلت الحكمة . اللهم انك أرينا جمالك في أجسامنا ونظامها وترتيب أعضائها وفيما يتحرك من أعلى الى أسفل وفي أبعاد كواكبك وفي حركاتها وفيما تنطق به من الأشعار مشاكسة لما أنشئت أنت من حركات الأفلاك وأبعادها . اللهم إن هذا هو الجلال الذي من حرم منه فقد حرم من مقصود هذه الحياة ومن جلال الحياة الأخرى . فيا عجبا تنطق بما هو منظم كنظام الأحجار الساقطة وللوازين للنسوية والكواكب الجارية . كل ذلك بحساب ونظام بحيث تكون آيات الشعر حاملة جمال النسبة وبها إذا يكون حاصل ضرب الطرفين كحاصل ضرب الوسطين مثل ما تقدم في أبعاد الكواكب عن الشمس فالنسبة المتقدمة هنا فيها ضرب (٧ في ١٠) يساوي ضرب (٥ في ١٤) كما ضربنا سابقا أبعاد الكواكب . اللهم ان العلم هو السعادة التي بها رأينا ما تنطق به الأطيار من الأسجاع وما ينطق به الانسان من الأشعار على وزان نظام أبعاد الكواكب ونظام حركاتها . هذا هو الجلال وهذه هي السعادة النفسية الباقية الأبدية التي بها يستمتع الانسان خلال أرفع مما عليه أهل الأرض الآن الذين يدرسون هذه العلوم وأكثرهم لا يفكرون في أمثال هذا وسيكثر في المسلمين بعد ظهور هذا التفسير رجال لا تهيمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة بل يتحلون بعلومهم عن سفاسف هذه الدنيا ويقرؤون حكم ربهم ويشاهدون آثاره في خطرات الأفكار وحركات الأشجار ونفحات الأوتار ورنات الثنائى والثالث والأشعار (٨) أم أذكر نظام الماء المركب من غازين خفيفين وهما الاكسوجين والاودروجين ونسبة أولهما الى ثانيهما كنسبة (٨ الى ١) فكل (١٦) جزأ من الاكسوجين بحسب الوزن يكون معها جزآن اثنان من الاودروجين وإياك أن يصعب عليك أمر هذين العنصرين فاهما إلا عنصران أشبه بالماء الذي نعيش فيه فلما يحلل اليهما تحليلا حقيقيا وقد حلل أممي في مدرسة دار العلوم وهما الآن يحلل في مدارس العالم فالبية فترى هذا الماء الذي تشربه ماهو إلا نوعان من شئ لاراء فاذا اجتمع هذان النوعان معا حصل الماء فرايناه وشربناه وهو سائل وهما غازان

الله أكبر هذان العنصران لما أينا نسبة شريفة فنسبة (٩ الى ١) كنسبة (١٦ الى ٢) وضرب (٩)

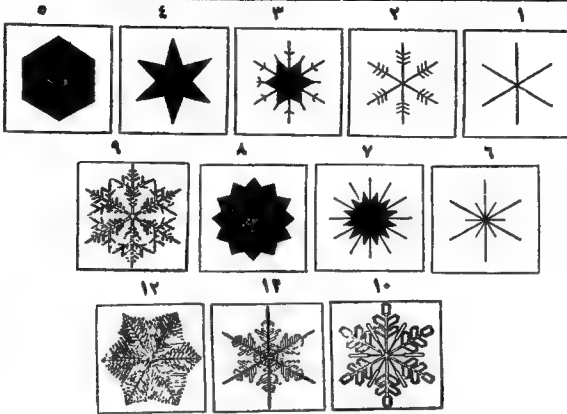
في ٢) يساوى ضرب (١ في ١٦) وهذا عجب عجاب . أصبح للماء والحجر والكوكب والشعر وجسم الانسان جميعها بنسب هندسية ولولاها لاختل النظام ولم يكن ماء ولا شمس ولا كوكب ولا انسان - وكل شئ عنده بقدر - . إن الله أذن للبعين اليوم أن ينفقوا مكاتهم بين أهل الأرض . ومن أبى قبول ما أكتبه اليوم من أم الاسلام فانهم سيكونون في الأسفلين في هذه الدنيا وفي الآخرة لأن الله أذن للأمم كلها أن ترتقي فإذا نلت أمة ما فلا تلوم إلا نفسها وإني بهذا الكتاب أنذر للبعين . أنذرهم الطلقة الكبرى في هذه الحياة وفي الآخرة إذا جهلوا جلال ربهم الذي أبرزه لهم في الأرض وفي السموات

(٩) أم أذكر نظام النبات والعناصر الداخلة فيه للذكورة للوضحة في سورة البقرة عند قوله تعالى - وانظر إلى حمارك الخ - وكيف كانت العناصر داخلة في كل نبات بنسب محددة كما حدثت حركات الكواكب وأبعادها ونظام جسم الانسان من حيث المقادير المذكورة في أوائل سورة (آل عمران) إذ ترى مثلا طول قدم الانسان كطول ما بين أذنيه وكلاهما شبر وربع وبعد ما بين يديه وما بين سرته وعاتة كل منهما شبر واحد وهكذا فانظره هناك

(١٠) أنا لا أطيل لك في شرح ما تقدم لأنك تكتفي بما ذكرته لك لاسباب إذا راجعت ما أشرت إليه في هذا التفسير إنما الذي أردت أن أشرحه اليوم شرحا وافيا حتى تبتهج بنور الحكمة والعلم وتقف على جلال الله عز وجل الذي أبرزه على أيدي علماء أوروبا وأهل الشرق ثمانون جاهلون غافلون مع أن القوم كان ابتداء تعلمهم من آثار آبائنا الأولين . فانظر رعاك الله تنوع الماء فانه يكون بخارا في الجو وثلجا ويكون سائلا على الأرض وجليدا أنا لا أريد اليوم أن أذكر تنوعه في باطن الأرض فيكون أنواعا مختلفة تنفع لأمراس شتى ولا أطيل في جلال تكمونه في الجو بخارا تارة ومطرًا أخرى وثلجا أخرى . ولا أسهب في عجائب ألوانه في البحار العظيمة ولا في أنواع حيوانه ونباته وإنما كتفت بشئ واحد وهو الآتي بيانه

(أشكال الثلج المستمرة)

أما في الآن كتاب انجليزى اسمه (كل العلوم) في هذا الكتاب ضروب من العلم وقد وقع نظرى فيه على مقال تمتع في نظام الثلج وأنا وان كنت رسمت أشكال الثلج في أوائل سورة (آل عمران) فاقى لم أكن إذ ذاك قد اطلعت على محاسن جمال تلك الأشكال ولا بهجتها . اللهم إن النظر الظاهر لا يكتفى به إلا الصافون والجاهلون . اللهم انك أودعت فينا غرائز لا تقف عند حد فنحن نشتهي الطعام والشراب والزواج والمال والصيت وجمال الوجوه وجمال الأشكال ولكن نوغلنا في ذلك ضلوا بنا لأنه يعود بالوبال وإنما ذلك كله كشبكة صائد وكلوح يقرؤه التلاميذ وإنما الفطرة العظمى الباقية للمودة فينا التي هي المقصودة بالقات هي فطرة الخفايا العلمية . ان فطرنا كلها على نخط واحد وهو أن نقول هل من مزيد ولكن المزيد في الامور المادية المحسوسة وحدها إنما هي سبيل الحيوان فالجاهل يكتفى بجمع المال أو الجبال أو الكواكب والصيت ولكن الحكيم العالم بل المؤمن الحقيقي هو الذي يكتفى من الامور المحسوسة بأقلها ويبعث في البواطن فهناك أشكال الثلج المستمرة التي كتبت في ذلك الكتاب بقلم الاستاذ (روبرت جيمس) فقدرسم في صفحة ١٧٨ من المجلد الثالث من الكتاب للذكور (١٢) شكلا وامطني هذه الأشكال من (١٥١) شكلا رسمها وحررها وطبعها الاستاذ (چلشر) في سنة (١٨٥٥) ورفضت مع تقرير رسمى الى الجمعية البريطانية العلمية وقد لاحظت تلك الأشكال في ثمانية أيام من شهر فبراير ومارث من تلك السنة قلت لك ان هذه الأشكال أملى الآن وهلمى ذه مرسومة أمامك



(شكل ٩)

فهاذا أريتك الأشكال الاثني عشر المسماة التي انتخبها ذلك الكاتب من (١٥١) شكلا ويقول ان الأشكال المسماة الثلجية التي عرفها الناس الى الآن تبلغ نحو ألف شكل كلهم مسماة ولكل واحد منها ستة أضلاع ابرية الشكل شعاعية والتوقع الذي لانهاية لا يخرج الشكل عن التسديس ولا عن الأضلاع الستة ويقول ان بين كل ضلعين شعاعيين من هذه الأضلاع (٦٠) درجة فغني هذا أن مجموع الزوايا ٣٦٠ من ضرب (٦٠ في ٦) وهذه السرجات تقاس بها الدائرة التي ترسم فوق هذه الأضلاع وانما ترسم الأشكال على هذا الخط في الجوف حيث تكون درجة الحرارة ٣٣ ميزان (فارنهایت) وذلك أن ذرات الماء الطائرات المسماة بخارا اذا ضربها البرد على تلك الدرجة اجتمعت على شكل منظم كما رأيت وأبسط الأشكال الشكل الأول وهو الذي حوى ستة أضلاع ابرية الشكل شعاعية وبليه الثاني وهو الذي ترى تلك الأضلاع فيه قد حليت من جانبها بأشعة ابرية كأنها أوراقيها وبليه الثالث والرابع والخامس ففي الثالث ترى الأضلاع الشعاعية قد حليت بأشعة أو أغشية في داخل زواياها وفي الرابع كانت تلك الأغشية قد صارت أقم أما في الخامس فقد صار الشكل كله منشورا سداسيا له ستة أضلاع وستة رؤس . وفي الشكل السادس حصل أمر جديد هو ابر أخرى شعاعية قد تدخلت بين الأضلاع الأولى الطويلة . أما السابع فان هذه الأضلاع الشعاعية الحديثة قد سلوت الأضلاع الشعاعية الأولى وحليت جميعها بأشعة أو أغشية الى أنصاف الأضلاع قريبا . أما الثامن فان تلك الأغشية قد ملأت جميع الفراغ في ذلك الشكل . أما الشكل التاسع فقد حلز الجبال والحسن كله والبهجة والرواء وباهر الطلع فاجله وما أعجب فيه ترى الأضلاع الشعاعية الأولى قد حليت بأشعة لطيفة منتظمة كثيرة كأنها روض باهر حسن بهيج اوراق مستبكية خضائه مهنمة أيما هتلم

أما الشكل العاشر . والحادي عشر . والثاني عشر فهي كالعاشر حسنا وجالا ونضرة الأضلاع الشعاعية مزودة بزينة الجواهر اللؤلؤية التي تشبه أوراق الأشجار وأبصمها وأبصمها مرى هو الشكل الثاني عشر هذا ملخص ما وصفت به هذه الأشكال مع تصرف يناسب جمال المقام . هذا بالاجمال غوي ما يقوله ذلك الكاتب الانجليزي مع زيادة ولمع ينتهج بها للفكر . وأنا أقول أيها الذي اعلم ان علنا الذي نعيش

فيه قد قسم الله فيه العقول والأرزاق والأخلاق والملكات والفضائل وجعل لكل من الناس مقاما ولكل مقام مقل ومقام ذلك الكاتب الإنجليزي في علم الطبيعة للمشاهدة وقد وصف هذه الاشكال بما يلائم علم الطبيعة فوصف ما يشاهده الناس بأبصارهم ولم يتعرض لما في علم الرياضيات إلا بكلمات قليلة لا يصح للقاص . أما أنا في هذا التفسير فأتيت أسير مع القرآن والقرآن يقول الله فيه - وكل شيء عنده بقدر - فلم يخص المقلد بعلم من العلوم فعلى إذن أن أفسر الآية بما يفتح به على من العلوم مع مراعاة ذوق الأذكياء من قراء هذا التفسير . إن علم التفسير يرجع إلى النظام العام وهو المسمى (العلم الأعلى) ويسمى أيضا (علم ما وراء الطبيعة) وإياك أن تظن كما يظن كثير من لاعلم عندهم أن علم ما وراء الطبيعة فوق مدرك الناس . كلا . وإنما هو العلم الذي يشمل جميع العلوم الرياضية والطبيعية فهو إذن وراء الطبيعة ليس قاصرا عليها . وأيضا هو يدرس بعد علم الطبيعة لأن الأمم عادة تدرس الرياضيات ثم الطبيعيات ثم تقرأ الأليات وما الالهييات إلا العلوم التي هي أعم من هذين . فخرقة الله ومعرفة الروح وما أشبه ذلك . كل ذلك لا يختص بعلم واحد فاذن العلم الرياضي والطبيعي داخلان في العلم الإلهي وهو الذي يزيد التكلم عنه الآن فنقول مستعدين من الرياضي والطبيعي معا . أنظر رعاك الله إلى هذه الأشكال من وجهين (الوجه الأول) أن نظام الشكل الستس في الثلج في الأقطار العساوية الباردة قد تقدم أنه ملازم للتدريس وللأصلاع الست وزواياها الست المنظمة وهذه الأشكال تنبثق إلى الملائمة مع المحافظة على الأساس . رسم الله ذلك الشكل من قطرات البخار المائي الذي احتجنا إليه حينما صار ثلجا . أوحى لنا الله إلى الماء وكذلك الحيوان والنبات بحيث لا يعيش شيء إلا به ونرى أننا بجعلتنا نحصر عليه ويقول تعالى - أفرأيت الماء الذي تشربون * أتتم أنزلنموه من المزن أم نحن المنزلون - يمتن الله بالماء ويحوجنا إليه ويؤملنا بالعطش إذا لم نشر به . لم هذا كله وكان يكفي أن نبين على حال غير هذه ولكنه ربطنا بالماء وملاءه علما وحكمة وقال انظروا في ملكوت السموات والأرض وقال في الماء على أحد تفسيرين - ولقد صرغناه بينهم ليدركوا - وعبر عن القرآن والعلم بالماء . فيها نحن أولاء تذكر في الماء لما صار ثلجا فوجدنا أنه ينتقع الذي لا يتناهى صار مضاهيا لما يتكون منه من النبات والحيوان فالنبات كله ينمو ويد ويحوت وهو متوقع فوق مائي ألف نوع والحيوان بحس ويتحرك وتنوعه يعد بالآلاف والآلاف وهذا نوع الحشرات قد قالوا أنها ستبلغ للمليونين . إذن تنوع الماء صار أخيه ينتقع متركب منه دلالة على وحدة هذا العالم ووحدة صانعه ودلالة على اتحاد موضوع هذه الدنيا ألا ترى أن الكواكب كلها من مادة واحدة ولا اختلاف بينها إلا بالتنوع وهذه المجرة التي نعيش فيها قد أحصوا ما فيها من الشمس الكبيرة فوجدوه فوق مائتين وأربعين مليوناً من الشمس الكبيرة وهناك مالم يعلم للآن . وهناك مجرت أخرى ولها شمس كهذه الشمس . ويقول العلماء إن تركيب الكواكب متقارب من عناصر بعضها معلوم وبعضها مجهول وكلها دوائر وكلها منتظمة فاذن صارت تنوع الماء كتنوع النبات والحيوان وكتنوع الشمس والكواكب والتوابع والأرض والأقمار وهذا قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وهذا معنى وحدة العالم الدالة على وحدة الصانع الذي نوع الوحدة لجعلها سارية مع الكثرة فبينما نحن نقول حيوان واحد نراه متنوعا آلاف وآلاف وأجيها يطلق عليها اسم الحيوان فالوحدة إذن سارية في الكثرة هكذا الأعداد المركبة كلها من الواحد الذي بتركبها جاءت للأعداد كلها ومع ذلك تقول مائة واحدة وألفا واحدا بل نقول في العدد الذي لا يتناهى إنه واحد إذن الوحدة سارت مع الكثرة لم تفارقها وهذا تمام الكلام على الوجه الأول (الوجه الثاني) ننظر نظرة رياضية في هذه الأشكال الستة فأننا نرى عجائب . ذلك أنك تعلم أن هناك إيرا شعاعية ستة لاتفارق شكلا من الأشكال التي علمت للناس وهذه الإبر الشعاعية أنصاف أقطار الشكل المستس . إن من يعرف مبادئ علم الهندسة يعلم أن كل ضلع من أضلاع الشكل للمستس المنتظم كائنه هنا يساوي نصف القطر فانصاف الأقطار الست هنا تساوي أضلاع

للسدس وعليه اذا رسمت خطا فوق كل خطين متجاورين فانك تحصل على مثلث متساوي الأضلاع متساوي الزوايا • إذن هنا عندنا (٦) مثلثات متساويات و (١٢) ضلعا متساويات و (١٨) زوايا متساويات لأن كل مثلث فيه ثلاث زوايا وهي كلها متساويات والأضلاع متساوية وكل زاوية (٦٠) درجة والزوايا الثلاث (١٨٠) درجة ومعلم أن زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين والقائمتان (١٨٠) كل منهما (٩٠) هذا في أبسط الأشكال وإذا كانت الزوايا التي حول المركز (٦) فبضر بها في (٦٠) يكون المجموع (٣٦٠) ألتجيب معي أيها الذكي من هذا الجبال • خلقنا الله وأحوجنا الى الماء وجعل لعقولنا فيه مجالا حينما يكتب به في صفحات الهواء • خلقنا الله في الأرض ولكنه خلق لنا عقولا أوسع من الأرض وهي عقول تجب وتفرح بالنظام • هذا النظام الباهر العجيب جعل العلماء الجبال في التساوي فالساواة والتعريف والترتيب والأعنان والألحان والألحان كلها فيها الجبال وقولوا ان أحسن الاشكال الدائرة ولذلك ترى جميع هذه العوالم دوائر وانما كانت الدائرة أحسن الاشكال لأن المساواة فيها لانهاية لها فأصاف أقطارها التي لا تنهاى متساوية وكذلك الاقطار وهكذا السواثر التي ترسم على محيطها كلها متساوية وهذه أجبع الاشكال وأوسعها وهكذا الشكل للمكعب فانظره تجدان له (٦) وجوه متوازيات كل اثنين متقابلين متوازيان و (٨) زوايا بمجسبات متساويات و (١٢) ضلعا متساوية كل اثنين منها متوازيان و (٢٤) زوايا مسطحة متساوية فاذن فيه (٥٥) من المثلثات وهي ٦ و ٨ و ١٢ و ٢٤ فهذه خسوف فاذن كل ما كان التساوي في الشيء أكثر كان أجمل ولذلك ترى جبال الشجر والزرع كل ذلك لتساوي الاوراق والاغصان والزهار الخ

وهذا الشكل السدس الذي رسمه الله بالتلج من قطرات الماء ترى فيه (٣٦) من للتساويات المثلثات (٦) والزوايا (١٨) والأضلاع (١٢) وهذا كله في الشكل البسيط فما بالك بما هو أكمل وأتم كالشكل (١٠) التلقيم فيه فوق ما تقدم (٦) زوايا أخرى وبها يتضاعف عدد التساوي فيكون (٧٢) وإذا أضفنا اليه الاوراق التي بنيت على الاضلاع الشعاعية الأصلية وهي في كل واحد (٥) تصبح كلها (٣٠) فيكون المجموع (١٠٢) فاذن هذا الشكل قاق للمكعب وصار أكثر من ضعفه • أما الشكل الثاني عشر فقد بلغ نحو المائتين • هذا هو سبب الجبال الظاهر في هذه الاشكال فالجبال في هذه راجع الى كثرة التساوي ولذلك يقول علماء الارواح وعلماء الحكمة ان الارواح بعد الموت تفرج بأنفسها من كل روح شرفة كاملة فزيد أخواتها افراحا وزداد لذات أهل الجنة بزيادة الارواح الواسعة اليهم لأن في تلاصق الاشكال زيادة الجبال وزيادة الجبال هي المسرة والفرح والبهجة والكمال

(نظرة أخرى في عدد (٦))

قد تقدم في أول (آل عمران) أن عدد (٦) يسمى عددا تاما وبيانه كما هناك أن العدد إما ناقص ولما تلم واما زائد لجميع الأعداد إما زائدة واما ناقصة ولاتلم فيها إلا النادر وذلك النادر هو (٦) في الآحاد و (٢٨) في العشرات • أما الأعداد من مائة الى ألف فليس فيها إلا عدد واحد هو التام فالعدد الزائد هو الذي لذا جصنا أجزاءه كانت زائدة عنه والناقص هو الذي تنقص أجزاءه عنه والتام هو الذي تساويه • مثال ذلك عدد (٨) وعدد (٤) وعدد (١٢) فعدد (٨) أجزاءه (٢ و ٤ و ١) فالجميع (٧) ومعنى هذا أن مضاربه مضاعفا اليها واحد من (٧) مجموعها (٧) وعدد (١٢) أجزاءه (٣ و ٤ و ٦ و ١) فهي اذن (١٦) وعدد (٤) أجزاءه (٢ و ١) الجميع (٥) فاذن (٤ و ١٢ و ١٦) عددان زائدين (٨) عدد ناقص أما عدد (٦) فأجزاءه (٢ و ٣ و ١) تساوي (٦) فهو تام ومثله عدد (٢٨) فله مركب من (١٤ و ٢ و ٧ و ٤ و ١) لأنه مركب من (١٤ في ٢) ومن (٧ في ٤) ومن (١ في ٢٨) ولا شريك لهذا العدد في الاعداد من عشرة الى مائة • وقد بحث العلماء في هذه الأعداد اثنتا عشرة فوجدوها نادرة فر بما ترق عشرات آلاف ولا تجد فيها إلا عددا واحدا كما هو موضح في محله

ثم اني لما قرأت هذا العلم وهو السمي خواص الأعداد قلت في نفسي هل الاعداد مثل التام منها قل كإقل
الكاملون من بني آدم وبعد سنين اطلمت على كتاب علم خواص الأعداد لاستاذنا المرحوم على مبارك باشا
فرايت ذكر هذا فقال ان ندرة العدد للتام يشبه ندرة الحكماء والأنبياء في الناس . أقول وهذا حق لأن
الناس جميعا مقلدون والنادر هم المفكرون الذين يسوقون الأمم الى مجدهم . وعليه يكون عدد (٩) من
الاعداد التي لها شأن أعظم وهي ندرة الوجود كما ندر الحكماء وعليه اختاره الله حين صنع المستقامات الثلجية
جعلها مستمة الشكل ونوع في التدريس كأنه يقول للناس ها هوذا نظامي جعلته على آتم وأنتم ما يكون
من الحكمة . إن الحكماء يجعل نظامه على أحسن الصور ويتجافى عن الصور الرديئة والصور المنحرفة لنهاية
لها بزيادة أو بنقص . فأما الثالثة فهي التي لا تنقص فيها ولا زيادة وهذا هو النظام الموضوع لهذا العالم أصالة
كنظام مستقام الأشكال الثلجية فاني رأيتها منتظمة غاية النظام فتدبرها النادر الوجود مناسب لنظامها
التام . ولا جرم أن الله بنى عرشه ونظام ملكه على العلم والحكمة وعلم الامر فقال في سورة هود . وما من
دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين * وهو الذي خلق السموات
والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء الخ . وقال في سورة أخرى . ثم استوى على العرش يدبر الامر .
فرآه يقول ان العرش على الماء . ومرة يقول . ثم استوى على العرش يدبر الامر . ولا جرم أن الماء على
حقيقته فيه حياة الحيوان المذكور في نفس الآيات وفيه عند ارادة مجازة الاشارة للعلم والاطقان فلك الله كله
قائم بالحكمة للمعبر عنها بالماء والحيوان خاصة المذكور في الآية السابقة قائم بالماء على حقيقته فاذا كان عرش
الله على الماء فذلك لتدبير الكائنات عامة ولتدبير الحيوان مع النبات خاصة فاذن صارت الآية الأولى والثانية
في معنى واحد . فاذا كان العرش في الأولى على الماء فهو في الثانية للتدبير والتدبير إلا يعلم والعلم لا يكون إلا
بحقائق ثابتة . ومن أعجب الحقائق المستس التي ظهر سره في التلج التي هو تنوع في الماء الحقيقي فينب
للماء باعتبار حقيقته وباعتبار مجازة مناسبة فالله الحقيقي منظم الاشكال عند مجده والعلم مبني على حقائق
ثابتة بديعة والعلم به يحيا العالم والماء به يحيا الحيوان والنبات

فبصانك اللهم أبدعت للماء بتدريس أشكاله وأبدعت نظام الافلاك فجعلت أبعاد الكواكب عن الشمس
كما تقدم راجعة الى عدد ١٢٦ و ٢٤ و ٤٨ و ٩٩ فاذن هذه الابعاد مبنية على عدد (٩) وهو العدد التام
فهنا نحن أولاء ننظر في هذا الوجود نغري عدد (٩) الذي هو نادر الوجود لأنه تلم قد سرى في أشكال
الماء وفي أبعاد الكواكب عن الشمس وهكذا ما ذكره الله في الآية السابقة في عدد أيام خلق السموات
والأرض فجعلها في ستة أيام ولعل هذا من حكم تخصيص عدد الأيام بعدد (٩) لأنه تام فكأنه يقول ان
ملكى مبني على أتم نظام والا فلماذا خصص عدد الأيام بعدد (٩) مع ان الأيام ليست كأيامنا فقد يكون
اليوم بمئات سنة أو خمسين ألف سنة أو أكثر أو أقل فان الكواكب العليا لها أيام لا نعرفها ودورات عظيمة
فلا حدة ليوم عند الله فلم خصه بهذا العدد إلا أن يكون لنحو ما ذكرناه والحمد لله رب العالمين
(شكر المؤلف لله)

اللهم اني أحمده فقد علمتني على مقدار طاقتي . أذكر لك أيها الذي نعمة الله علي طامنا جلست على
شاطئ نهر أبي الأخضر الذي هو بقرب قريتنا (كفر عوض الله حجازي) وأنا أفكر في أمر هذا الوجود
وذلك منذ نحو (٤٥) سنة قبل تأليف هذا الكتاب وقد كانت سني إذا ذاك حوالي (٢٠) سنة ولم يكن لي
علم إلا بكتب النحو والفقه وبعض علم التوحيد الذي هو بطريق جدي لا يفيد فتارة أصلى وأدعوا لله بعد
الصلاة أن يعطيني نظام هذا الوجود الذي أراه في نظري لانظام له وتارة أتيت عسى أن أجد حيوانا فيه شبه
نظام هندسي أسند له به على أن للعالم صانعا واتى أذكر الآن أتى مرة وجعلت حشرة عليها خطوط هندسية

مقاطعة يرض وحر فكان ذلك لى أعظم سرور مع أنى لأعرف ههنة ولا حسابا إذ ذاك . فيها أناذا أجد الله عز وجل . مضت سنون وأنا أطلب من الله أن يلعنى وكأن اليأس قد تطلب على ولكن الدعاء مستمر فأجلب الله الدعاء وحقق طلبى بعد اليأس والله يقول - خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون - سبحانك اللهم وبحمدك اجبت دعائى فلا أعلن شكرى ولا بشرتك أيها الذى فاعلم علما يقينا أنك اذا رأيت شيا بما أذكره فى هذا الكتاب قد عسر عليك فهمه ووجدت فى مدرك حرجا واشتقت أن تعرف أصل العلوم التى ذكرت منها ما اشتقت اليه فأياك أن يخامرك شك فى أن الله سيعلمك . واعلم أنك كلما اشتدت شوقك للعلم كان ذلك دلالة على أنك ستال مطلوبك . فانظر لما روى عن النبى ﷺ أنه قال ﴿ لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات والأرض ﴾ فيها أناذا حين كنت على شاطئ البحر أفكر فى نظام هذا الوجود كيف كنت غافلا عن نظام عيى وبقيّة لعل الهندسى الذى شرحته فى أوائل هذه المقالة . وكيف كنت أغفل عن نظام النبات والحيوان وكلاهما حاضر لى . وكيف كان الثلج يتر فوق رأسى على بعد ربما كان (١٥) ألف قدم أو أقل أو أكثر

ألم ترالى ما جاء فى الكتاب الانجليزى السابق الذكر أن الثلج يكون دائما عند القطبين فوق الأرض مسافة (١٢٠٠) ميل ويكون الثلج الدائم مرتفعا فى الجبّ أعلى فاعلى كلما انجهدنا جهة المدارين . وفى بلاد (اسويزرلند) فوق (٩٠٠٥) قدم وفى (البرنيس) كذلك وفى (أررات) ١٤٠٠٠ قدم و١٦ ألف قدم فوق بعض جبال (همالايا) قال وقد يتكوّن الثلج فى منطقة الاعتدالين على بعد (١١ و ١٢) ألف قدم ولكن هذا ليس من الثلج الدائم والدائم هناك يكون أعلى من هذا البعد . فاذن أنا حينما كنت على شاطئ أبى الأخضر أبحث عن نظام وجمال فى الطبيعة قد كان يحيط فى الجبال وأنا غافل عنه فالنظام فى جسمى وفى النبات حولى وهكذا الحيوان وهكذا ماء نهر أبى الأخضر الذى يصير بخارا ويعلى فى الجبّ . ومعلوم أن بلادنا فى عرض (٣٠) درجة فالثلج يكون دائما أو غير دائم فى الطبقات العليا فى الجبّ التى تبلغ فوق عشرة آلاف قدم . إذن للنظام كان يحيط فى ولكن الجبل هو الذى حال بينى وبين هذا الجبال أيها المسلمون إياكم أن تناموا عن هذا الجبال واعلموا أن فى هذا الوجود من الجبال والبهاء ماهو مستور عنا جميعا - وفوق كل ذى علم عليم - والحمد لله رب العالمين

﴿ ثلاث زهرات زاهرات باهرات ناضرات بهجات لزيت بها هذه المقالات المنشآت فى رياض العلوم ﴾

﴿ الزهرة الأولى ﴾

تبين من هذه للمباحث السابقة فى الأشكال المدّسة الثلجية أن الشكل الأوّل منها ساذج لاحتية فيه ولا زيادة على ما كان من المثلثات الست وزواياها المتساويات الخ . ويزيد عليه الثانى بتلك الزيادات القائمة على أنصاف الأقطار للشكل المستمس وهكذا لازال الأشكال تنزايد درجة فدرجة وجمالا فجعلنا حتى انتهت الى أجملها شكلا وأبهىها حسنا وأبدعها نظما مما قد سوى ما يشبه الأوراق للتاسعة المترادة المتساوية للبدعة بغاية الاحسان والجمال . فهذا الابداع الذى ظهر فى الأشكال الثلجية فى الأقطار الجوفية الباردة فوق رؤسنا قد فتح لنا بابا من العلم نلج منه الى مكنونه ونولزن ما بين هذا وما بين السلسلة الحيوانية والنباتية ونقول لقد رأى الناس السلسلة الحيوانية لها أدنى ولها أعلى ولها وسط فهى سلسلة أدناها أقرب الى عالم النبات وأعلاها أقرب الى الانسان . ونرى الاسود والنور أرقى من عالم البهائم وعالم البهائم أرقى مما هو أوسط منه حتى نصل الى أدنى الحيوان مما يبد على العود من اللود وما يكون منه فى بطون الحيوانات الكبيرة فنرى تلك السلسلة متناسبة متناسبة لها أدنى ولها أعلى . الله أكبر لله أكبر ظهر العلم وبهر وزدهرت به الأجيال المقبلة وأشرقت شمسها وغاب ليلها . يا محبا للآثم التى نعيش فيها • قال الشاعر

قل لمن يدعى علما ومعرفة • عرفت شيئا وغابت عنك أشياء

نظر الناس قديما وحديثا هذه السلسلة فقال قائل منهم إن هذه جاءت بطريق النشوء والارتقاء ومعنى هذا أن الحيوانات العليا كانت في الأصل حيوانات أقل منها ثم تولاهما التغيير والتبدل بالوسط والبيئة والانتخاب الطبيعي والحوادث الطبيعية فارتقت طائفة وبقيت أخرى مكانها فكان أعلاها القرد وعلا عنه الانسان بهذه الوسائط • هذه آراء علماء القرن التاسع عشر • أما علماء القرن العشرين فقد قالوا • كلا • إن هذه القضية كاذبة واستدلوا بحشرة أفي دقيق وقالوا إنها تكون دودة فضيلة أي (شرقة) وهي عبارة عن كرة منسوجة من خيوط كتلك التي ترى في دودة الحرير ثم تكون حشرة كاملة فهاهي ذه هذه الحشرة لم تحتاج إلى آلاف آلاف من السنين لتنتقل من حال الدودة إلى حال الحشرة بل كان انتقالها في زمان قليل يمد بالأيام • إذن ليس يلزم في نظام الحيوان أن يكون أدلاء مشتقا ومرتبعا عن أدناء وقالوا أيضا إن الذي زاء في غرائز الحيوان من الرأفة والرحمة ودقة الصنع يعجزنا أن نحير جوابا فكيف يقسنا أن نقول إن الانتخاب الطبيعي هو الذي أوجب هذه المراتب الحيوانية ونجد هذا المقام مذكورا في سورة (آل عمران) في أولها عند مبحث الحكم والمثابة في الطبيعة في بيان قوله تعالى - والذين يصوركم في الأرحام كيف يشاء -

إن النظر في هذه الأشكال المستمرة الثلجية التي كلامنا فيها يؤيد أقوال علماء القرن العشرين في مسألة السلسلة الحيوانية الذين ذكرنا منهم (٢٥) علما في هذا المقام الذي ذكرناه لك في سورة (آل عمران) أن هؤلاء العلماء يقولون إن البط يعوم لأنه وجد لفسه أرجلا مفضلة تصلح للعوام وأن هذه الحيوانات أعتت قبل للعوام وهذا كلام أحدهم العلامة (أدمون برييه) في مجلة (العالم الخي) سنة ١٩١٢ ولاجرم أن مستمات الأشكال الناتجة لم يكن ارتقاء أعلاها عن أدناها بطريق النشوء بل وجد أعلاها ووجد أدناها من غير أن يكون الأعلى كان أدنى ثم أخذ يرتقي منه تدريجا بل هي سرية التركيب سرية الزوال • إذن هذه الأشكال تؤيد قول علماء القرن العشرين وتوضح برهانهم وتزيده حسنا • انتهى الكلام على الزهرة الأولى

(الزهرة الثانية في الكلام على حسن النظام وعمومه)

اعلم أن جبال هذه المستمات يأخذ بالألباب ويهيج العقول • ولذلك ترى العلماء يجمعون للبحث عنه ويعتدون لماذا لما فيه من دقة الصنع وأنت خير أن هذا الجبال الذي رأيته في الأشكال نشاهد نحن مثله في سفرنا وحضرنا وشبابنا وشيئنا • ألم تر إلى ماهو أجل من هذه الأشكال فانه لم يزد عن أوراق الشجر في الحسن والكمال • ترى أوراق الشجر صلبا ومساء وكل غصن من شجرة عبارة عن محل هندسي تساوت أبعاد نهايات الأوراق المتقابلة عنه حتى يمكننا وصفه بالمحل الهندسي نجوزا فأنظر ظهر المحل الهندسي الذي شرحت لك في جسم الانسان • لقد ظهر في أوراق الشجرة المحلية لأغصنها النابتات على جوانبها للتناسب الأبعاد عنها كتناسب العينين والأذنين فيأقمتناه • إذن نحن مغمورون في الجبال فالجبال والعالم يحيان ويموتان وهما يشاهدان نظام الكواكب جميعها والشمس والقمر وهي تجري بنظام وشاهدان المحال الهندسية في أجسامهم وأجسام حيواناتهم وحشراتهم وفي الأعشاب وأوراق الأشجار وأجمل الناس يرى ذلك النظام في الأبنية التي يبنينا الناس ليعشوا فيها • ولذا كان الأمر كذلك فيقال لماذا إذن اهتم الناس بالأشكال المستمرة في الثلج (الجواب) • اعلم أن الناس على مقدار مغمروا ودفنوا في الجبال قد حجبوا عنه فالناس يبدون ويروحون في وسط البهجة والتور ولكنهم جيفا عنه محجوبون إلا قليلا منهم وإنما حجبوا عنه لأنه مألوف فانهم يخفون صفارا وهم يشاهدون ذلك الجبال ولاعتل عندهم ولا يميز فانذا كبروا وكبروا وهم بألفون هذه المناظر فسقط اعتبارها عندهم فلم يكتروا لها وإنما يفرحون بما غاب عنهم ونذكر مسألة الأشكال

الثلجية تلك الأشكال يرونها برهة ثم تقيب عنهم ثم من ذا الذي يراها أتما يراها الذين في الاقطار الباردة وقيل منهم من يفكر فيها ويصورها فأشكال الثلج أشبه بالكلمات التي يكتبها للملم لتليذه في الوح يقرؤها ثم يحسوها . هكذا فعل الله لنا . وآنا على الأرض كالصبيان الذين لامل عندهم فرسم لنا الثلج بأشكاله المنظمة وقال لنا هذا هو عمل نظام مدبج وترتيب سريع وثاسق غريب ودرس لكم حديث ثم يحسوه وهكذا هذا ماينطق به لسان حال الاشكال الهندسية الثلجية النادرة الوجود والا فنحن خلقنا في عالم كله نظام وأجل علم مهينة مجتوعة مسواة مهتدة حتى انك لتي للملم في صلاته لشدة اتقان الاجسام الانسانية يمثل في قيامه الخط المستقيم . ويقرأ في فاتحة الكتاب وهو على هذه الحال . اهدنا الصراط المستقيم . فهذا السعاء مناسب للاستقامة في الوقوف . ويمثل في ركوعه الزلوية القائمة . وفي سجوده تكون له مثلثات مثل ما بين ساقيه فذلك مثلث متساوي الساقين . ومثل ما بين ساقيه وقدميه والأرض فهما مثلثان أيضا متساويا الساقين ساقى هوالساق الانسانية وساقى آخر خط وهمي على الأرض والقسم يمثل الخط الثالث . هذا ما أردت ذكره في الزهرة الثانية

﴿ الزهرة الثالثة . حكمة الجبال في هذا الوجود ﴾

اعلم أن الجبال البارعة في هذا الوجود على ﴿ قسمين ﴾ جبال للعموم وجبال لخصوص . أما الجبال التي للعموم فهو الجبال التي أبدعها الله في الوجوه الجبلية النادرة للثال والاصوات البهجة الشجية القليلة النظير إن الله عز وجل لم يفرأته من الام إلا هيأ لها من الصور الجبلية والاصوات البديعة ما به يصبو حلبيهم ويوقظ نائمهم ونحيا قواهم الحيوية الكامنة فيهم فيبيجها في الغالب لتحباب الجفنين وانجاب النورية والسعي لما يؤدق تلك وما الصور الجبلية ولا الاصوات البديعة إلا نتائج الهندسة والحساب والنظام . فالعمر لك لم يكن البارعون والبارعات في جبال الوجوه إلا لتناسب الحنين والآف والعينين والفم فخي كمل التناسب بين هذه الأربعة كان الجبال بارعا ومتى نقص كان القبح على مقدار النقص . وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة . فاذا رأيت وجهها فاق الوجوه فاعلم أن عينك قد تقلت صورة ذلك التناسب التام الى المبلغ فأدركته النفس وعلمته جيلا فصنفته لأنها من عالم الجبال وكيف أدركت هي الجبال إلا اذا كانت قد فهمت دروسه في عالم غير عالمنا فأبى هندسة وأبى حساب قرأه كثير عزة ومجنون ليلى وقيس ليلى وهم لا يسمعون باسم الهندسة ولا يقولون علم الحساب . هكذا ترى الجهال والعلماء جميعا لا يسمعون الأنحان والمغنى يضرب على العود فيطربون وأكثرهم لا يقولون لم يطربون . هم لا يعلمون أن المغنى والضارب على العود قد أتيا بحركات وسكنات موزونات متناسبات متناسقات مثل ما يناء في بيت من الشعر سابقا في هذا المقام

ليس يعلم سامعوا ضرب العود أن بين أوتاره في الثقل والخفة نسبة معلومة مطردة كما لا يعلمون أن بين الحركات والسكنات نسبة هندسية مثل التي ذكرتها لك في بحر الطويل

قد تقرر في علم الموسيقى أن كل النغمات في جميع العالم من عرب وعجم ترجع الى النسب كما قرره علماء (اخوان الصفاء) فاذا جاء في النوع من الغناء المسمى (بالماخوري) الذي يشبه في حركاته وسكناته بحر البسيط إن نسبة متحركاته الى سواكنه كنسبة (٧) الى (٥) و(١٤) الى (١٠) و(٢٨) الى (٢٠) وهذه أشبه بما تقسم في بحر الطويل وحاصل ضرب (٥ في ١٤) يساوي حاصل ضرب (٧ في ١٠) فانه يتبين لك كيف يكون السامع في طرب من أمر محسوب منظم وهو يجهل ذلك الحساب كما يجهل الناظر لون لجمال حساب الأعضاء في الوجه والنسب بينها . فالتناسج جميعا بمجنون الوجوه الجبلية والاصوات البديعة المشجية والنغمت اللوزونة وهم يجهلون لماذا ابتهجوا بجمال الوجوه ولماذا أسكرهم جمال الصوت والحقيقة أنه لا فضل لجسم ولا صوت لأن الأجسام والاصوات في حد ذاتها لا بهجة فيها وانما البهجة والجبال لفة الحساب

والنظام والنسب . رجع الأمر إليه وآخره الى أن قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدل - هو سرّ جلال هذه الدنيا سواء أكلن في الخلق المدسّ . أم في بيوت النحل المستسات . أم في نظام السيارات الجارية حول الشمس التي قدرها العلماء كالعصاة (بود) في أوائل القرن التاسع عشر بأنها تبعد (٣٠٠ و ١٢٠ و ٢٤) وهكذا كما قتم فهي إذن راجعة الى نظام التدبّيس الذي اعتبره علماء قديماء المصريين في حساب القندان وفي حساب الأبطال وفي حساب للكيال قتلوا الرطل (١٤٤) درهما وهو (١٢) أوقية كل منها (١٢) درهما فكأنهم نظروا للتدبّيس في أبعاد الكواكب التي عرفها علماء أوروبا اليوم وقالوا الأردب (١٢) كيلة و (٦) ويات وقالوا القندان (٢٤) قيراطا والقيراط (٢٤) سهما . فلئن نظم الناس مكاييلهم وموازينهم ومساحاتهم بنظام السموات في أبعاد الكواكب مشاكلة لنظام ربهم

وهكذا عدت الأيام التي خلقت فيها العوالم متماثلة لنظامها . كل ذلك يشمله قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - إنا كل شيء خلقناه بقدر - وبهذا انتهى الكلام على الجبال العام وبيان أسبابه

(الجبال الخالص)

أما الجبال الخالص فهو الذي اختص به طائفة الحكماء . وهو الذي أبدعه الله في الطبيعة ونظام العوالم وهو الذي لشتل عليه هذا التفسير الذي جعله الله رياضاً من رياض الجنة يترقى فيها أناس لا يزالون في الأصلاب وفي أذرحام ومنهم أحياء الآن يقرؤون فيطربون شوقاً الى جبل العلم وبهاء الحكمة وبهم يكون في الشرق وفي أم الاسلام رجال يقودون هذه الشعوب الاسلامية المتأخرة الى سبيل النجاح وهذا الجبال الخالص على نوعين نوع هو أخلاق فاضلة في نفوس كريمة تكون نموذجاً للقوة والسير الحسن وبهم الصلحاء . ونوع هو الحكمة وجبال العلم ونظام هذا الوجود الذي ظهر بعض سرّه في هذا الكتاب . إن لسان الحكمة أبلغ من لغة الألسنة . وإن تعجب مما ستسمعه من بلاغة اللسان فيما حكاه الأسمى وغيره فأعجب منه منطق لسان الحكمة المسموع لأولى الأبواب في السموات والأرض للموزله بقوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً - فإياك أن تقف على بلاغة اللسان فلا تفقه بلاغة لسان الحكمة في الأكوان . ولأذكر لك محاكاة الأسمى كما وعدتك من بلاغة اللسان قال

كنت أطوف بالبيت إذ سمعت فتاة في الرابعة عشرة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول ﴿ اللهم اغفر لي ذنبي كله . قتلتي فتيلاً لغير حله . كنزاً في دله . وهلال في شكاه . في منتصف الليل ولم أصل له ﴾ قال الأسمى رحمه الله ما أباح هذا الكلام . فقالت أوتعت هذا بلاغة بعد قول الله تعالى - وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين - ألم تر أن فيه أمرين ونبيين وخبرين وبشارتين . الأمران أرضعيه وألقه . والنهيان ولا تخافي ولا تحزني . والخبران أوحينا وخفت . والبشارتان - إنا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين -

وهكذا أذكر لك محاكاة غيره قال سمع اعرابي رجلاً يقرأ - والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم - فقال ليس هذا كلام الله كيف يضفر وقد قطع اليد فتذكر لا أرى وقال - والله عزّ ربّ حكيم - فقال هذا حق - لأنه عزّ حكيم فقطع ولوغفر ورسم لم يقطع

هاتان القصتان نبذتان من بلاغة اللسان العربي في القرآن وهذا جبل ولكن الوقوف عند جبال اللفظ نقص لأن جبال اللفظ كجبال الثياب والحلي والمقصد الأكبر جبال الأخلاق فإذا دلّ ظاهر الانسان وجبال ملابسه على ذوقه وحسن اختياره فليس لللبيل بمسؤوله عليه في القيمة وليست للذئمة كالنتيجة . وإذا أسهب الناس جبال الوجوه فما ذلك إلا لأنها غالباً تدلّ على جبال البواطن والأخلاق . فالقصود في العالم الانساني أخلاقه ومواجهه لاملابه وحلاه . قال الشاعر

ليس الجبال بأثواب تزيئنا • إن الجبال جبال العلم والأدب
(وقال السمويل)

ليس الجبال بمثمر • فاعلم وإن رديت بردا
إن الجبال محاسن • ومناقب أوردن مجددا

فإذا كان هذا في حال الانسان فهكذا حال القرآن فان جبال اللفظ بحسن البلاغة لم يكن إلا مقمعة واللفظ لباس للمنى والمبنى هو المقصود فمن وقف على ظواهر البلاغة فهو من العالة والجهلاء كمن وقف من الانسان على ظواهر ملابسه ولا يدرك أخلاقه وعالومه • ومماثل الذين يضيعون حياتهم في ظواهر البلاغة إلا كمثل الحاج يضيع زمانه في إعداد الزاد والراحلة مستكثرا من ذلك وقد فاته الركب فزئل وطره من مقصده الأعظم وهو الحج • وسيكثر أولئك الذين يدركون عجائب هذه الدنيا بعد نشر هذا التفسير في أم الاسلام ويطربون شوقا الى الحكمة ولا يكتفون بعمق البلاغة وحده الذى وقف عنده الأكثرون • وما جبال البلاغة إلا حلية الألفاظ كتناسب الخبرين والبشارتين إلخ فيها تقدم وكناسية العزة والحكمة لقطع فيها تقدم أيضا وأى شئ هذه وما شا كلها بالنسبة لنظام الحكمة والأبداع فيها خطه الله في هذا الوجود من الحساب والاتقان الذى تضمنته آيات القرآن من الجباب التى لا تحصى كقوله تعالى - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقوله هنا - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض إلخ - فمن اكتفى من ملكوت السموات والأرض بما ظهر من البلاغة في الألفاظ كما في الروايتين المتختمتين فهو (إذا كان ذكيا قادرا على الفهم) من - الآخرين أعمالا • الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا -

إن الجبال الخالص كما قدمنا يمثله الساطعون بأخلاقهم والحكماء بمباحثهم في هذا الوجود والأولون أشبه بمن جلت وجوههم والآخرون أشبه بمن حسنت أصواتهم في الجبال الظاهري الذى قدمناه • وحكماء الأمم الاسلامية الذين سيظهرون إن شاء الله بعد نشر هذا التفسير وأمثاله هم الناطقون بلسان الحكمة الذى هو أبلغ وأبدع وهم الناطقون في ملكوت السموات والأرض وهم الذين يظهرن للسلمين سر قوله تعالى - وإن من شئ إلا يسبح بحمده - إن تسبيح المخلوقات لربهم لا يظهر إلا بدراسة جيع العالم وفى هذا التفسير قبسة من نوره بما يعرف المسلمون بعض تسبيح المخلوقات • إن أهل الحكمة هم الذين يسمعون الناس ألقانا تبهرهم وتسحرهم أكثر ما تبهرهم ألقان الموسيقىار • وإذا بهر الناس أمحباب الأصوات الجيلة فإن أذكياهم يسبحهم بآان الحكماء وصوت المفكرين فيفيقون من غفلاتهم ويستبظنون من نومتهم وسترى أيها الذكى كيف يقوم في العالم الاسلامى من الحكماء من يوقظون هذه الأمم الاسلامية العاطلة ويحيون قواها العقلية أكثر مما تحيى وجوه البارعين في الجبال ونفحات الملحنين القوى الحيوية الانسانية • فكما تهيج القوى الحيوية في الأمم بالصورة الجيلة والأنعام الشجية هكذا تهيج القوى العاطلة في الامم الاسلامية لدراسة العلوم وكال النفوس والوقوف على الحقائق وإتقان الصناعات بسماع صوت الحكمة ولسان البيان العلمى ويفهم الناس قوله تعالى - وإن من شئ إلا يسبح بحمده - فهذه العلوم التى أشرنا إليها في هذا التفسير يكون بعض فهم التسبيح بحمد الله في الوجود ومتى فهم الناس بعض هذا التسبيح بالعلوم ارتقوا في أعمالهم كماها دنيوية وأخروية • كيف لا والتسبيح بحمد الله يرجع لتزويجه عن صفات النقص ووصفه بصفات الكمال وهى التى توجب الحمد • وكيف يحمد الناس ربهم إلا على نعم عرفوها ولا معرفة لعمدة إلا بدراستها ومتى درسوها انتعوا بها ومتى انتعوا بها كان ذلك شكرا لأن الشكر صرف للعبد جيع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله وكيف يصرف فيه وهو يجهله • إن الله عز وجل أذن للسلمين بالارتقاء والارتقاء بالعلم والعلم

يعرفون هذه الدنيا وهذا التعبير من مقتضات هذه النهضة المباركة إن شاء الله تعالى

قلنا ان المفكرين يقولون في الأمم كما يقل ذئب الأصوات الجيلة والأوتون يحيون القوى العظيمة كما يحيي الآخرون القوى المحيوية وقلنا انهم سيكثرون في أم الاسلام وقلنا ان هذه الأمم ستحيي بعد ملات في زماننا وفيما قبله . وأريد الآن أن أستم هذا المقام بحكاية ذكرتها في كتاب (جواهر العلوم) ذلك أنه قد أخبرني شاب مصري من أبناء بلادي كان حاكيا في بعض بلاد السودان قال سمعت طائر ينشأ وبان الفناء على الأشجار بنغمات موزونات كما توزن نغمات الصيادان وهما زوجان فرحان بتلك النغمات قال فأمرت الجند فاصطادوا أحد الزوجين ولم يتمكنوا من صيد الآخر قال وبات الزوج المصيد عندها إلى الصباح فلم نسمع صوته ولا صوت صاحبه الذي على الشجرة ومطلع الفجر حني رأياه نحو صرعا في قصه حزنا وكذا فبحثنا عن أليفه فوجدناه أيضا قضى نحبه في شجرته . هذا ما ذكرته هناك وأقول الآن هذا مثل ضربته للحكيم وللحكمة فهما زوجان لا يفرقان فالحكيم يموت اذا لم تكن الحكمة والحكمة تموت اذا لم يكن حكيم كما مات أحد الزوجين الجلسي الصوت إذ فارقه أليفه وغاب عنه أُنيسه . اذا غابت الحكمة عن الأمم أظلمت شمسها وجن لها وأقل سعدنا كما غابت عن الأمم الاسلامية المتأخرة وستشرق شمس العلوم والمعارف من الآن وتسحر أصوات الحكماء والمفكرين قلوب النفوس الشريفة فيحيون الشرق بعلومه . ولتعلن نبأه بعد حين - والحمد لله رب العالمين

(فائدة) جاء في بعض الجملات ما يأتي

(فوائد وفكاهات . عللنا الحبيب وبعض أخباره . أخبار علمية)

عرض الأرض أوسع من طولها (٢٧) ميلا وهي مغناطيس أي جسم جاذب لأنها تجذب وتجنب . وتكتسب جاذبيتها من الشمس التي هي نفسها مغناطيس أيضا أي تجذب الأجرام لل دوران حولها . أعرق جب حفر في الأرض يبلغ عمقه (٦٥٧٠) قدما . عمر الأرض (١٥) مليون مليون سنة . وآخرون يقولون عمر الأرض مائة مليون . إن الهواء يمتد ارتفاعا إلى علو خمسمائة ميل فقط . أعلى غيم يصل إلى نحو عشرة أميال فوق رؤسنا . أعلى علو استطاع أن يصل إليه الانسان (٧) أميال فقط . (يقول المؤلف ولكن الطيارات ارتفعت أعلى من ذلك) . أبعد محل يسكن فيه الانسان شمال سيبيريا الشرق . أشد الأماكن حرا على الأرض صحراء أفريقيا حيث تصل درجة الحرارة إلى (١٢٢) . قدمضى على الانسان وهو يسكن الأرض مئة مائة ألف سنة وغيرهم يقول أقل . عدد سكان الدنيا مليار ونصف ويموت منهم كل سنة (٣٧) مليون تقريبا مائة ألف كل يوم وأكثر من أربعة آلاف كل ساعة . ولكن كل (٦٧) شخصا يموت في كل دقيقة يولد بدلها سبعون طفلا . فالحساب يكون كل مئتين سنة مرة يفارق الدنيا واحد ويلاقيها ثمان فيسبحان الباقي . أطول حياة في الدنيا حياة الفيل التي يصمر قرنين . أقصر حياة حياة (ذئبة آذار) التي تولد وتموت وتلد وتموت في (٢٤) ساعة فقط أو أقل . ممتلئ حياة الانسان (٣٣) سنة وربع البشر يموتون قبل السنة السادسة ونصفهم قبل (١٦) ولا يعيش (٦٥) سنة إلا انسان واحد في المائة . انتهى

(اللطيفة السابعة في قوله تعالى - له مقببات من بين يديه ومن خلفه الخ -)

اعلم أن الآية ليست خاصة بشئ واحد عما خلق الله في هذا العالم بل الملاحظات للانسان أنوع كثيرة . ولأعزب لك مثلا بالنبات . لقد ظهر في العلم الحديث أن النبات لا يعتمد الأغذية من الأرض بلا مساعد فان هناك في تربته أنواعا من الحيوانات الصغيرات المسماة (الميكروبات) تعبد في قنيت الأغذية والعناصر الأرضية وتحت كل نبات منها ما لا يحصى من هذه المخلوقات الحية فهذه تفتت الأغذية فتنبثا دقيقا لتصلح

لا تخاصم الجنود لها واذن تجو النبات • ولذا كان هذا شأن النبات فكيف تكون حال الانسان
 إن الله جعل كل ماحولنا (قسمين) ضارا ونافعا ولانناك لما قال - ومن كل الثمرات جعل فيها
 زوجين اثنين - فليس من نبات ولاحيوانات ولاحجر ولاشجر إلا وهو بالنسبة لنا على هذا المثال : فترى
 الحيوانات الدينية في أجسامنا (قسمين) قسما يسمى الكرات الحراء وآخر يسمى الكرات البيضاء • فأما
 الكرات الحراء فهي حيوانات تعد باللايين بها نرى دما مجرا وهي فيه عاتمة لاصلاحنا وبقاء حياتنا • فأما
 الكرات البيضاء فهي كثيرة العدد قد أعدت لتلاقي الخطر ودرء الهلاك فإذا أقلت على الجسم مكروبت
 ضارة في حي أو نحوها أخذت هذه البيضاء تقاتلها وتهجم عليها فإذا ماتت هذه خلفت جندا ورامها وهكذا
 نسل بعد نسل وجيل بعد جيل • وكلما تناسلت الأجيال كان الأخير منها بما ورثه عن آياه أقوى عزيمة
 وأرفع قيمة وأرق عزيمة في اخراج الحيوانات للمهلكة الضارة فلا تزال في قتال وقتال أجيالا وأجيالا ولذا
 ترى الأطباء يحقنون للمريض بالجدري وغيره وهذه الحقن تبعث في الجسم الفائرة للشواء ويستخدم القتال
 فتقوى تلك الجيوش البيضاء للدرية على القتال فإذا هاجتها جيوش أخرى بعد ذلك كانت أقوى على غلبتها
 ومماثل التلقيح لأجسامنا ولأجسام حيواناتنا إلا كتل تطعيم الجندية • أو كمثل فتح مدارس الحرية واعداد
 الوقائع العملية في المناورات الحربية ليستشددت ساعد المقاتلين وتقوى قلوب المجاهدين • فهذا مثل ضربته لك
 من أمثال الجنود المجددة المتعاقبة على صيانة الانسان وحفظ حياته • وترى حواسنا كالسمع والبصر والشم
 والذوق قد ميزت الضار من النافع • فترى أهداب العين تمنع التراب وتدخل الضوء • وترى شعرات الأنف
 تمنع البرودة أن تصل إلى الخياشيم فيكون للزكام • وقد نص الأطباء في زماننا أنه لا يجوز تنف هذا الشعر
 وهكذا نرى حاسة السمع تعرف ما يلائم من الأطعمة وتفر عما لا يلائم وهكذا حاسة الشم • أفليس هذا كله
 من نوع الحراسة والحفظ • وإذا قال الله - إن كل نفس لما عليها حافظ - وقال هنا - له معقبات من بين
 يديه ومن خلفه - فهذا مثل من أمثال الحفظ والحراسة • وترى أن من الحيوانات ما يذيقنا الموت كالخشرات
 للؤذية ببلاد السودان فإن لها قوة سمية تنوم الانسان ولكن لا تكون إلا في نادر منها فقد أخبرني طبيب
 أن هذه القوة لا تكون إلا في واحدة من خبيثاته وعملها كعمل الصبران والناموس • فهذه النوعان يتقلان
 الأمراض المعدية من جهة إلى جهة فتجد الناموس يمتص الدم من زيد ومتى جثم على عمرو اختلط الدم بالدم
 فمرض الثاني بمرض الأول • هكذا هذه الحشرة تنقل مرض النوم من رجل لآخر وهذا المرض يبقى كامنًا
 في الانسان أياما وشهورا وأعواما ومتى ظهرت أعراضه نام أياما وأياما ثم يصتره الانحلال
 هذه جنود الهلاك أشبه بالحيوانات المؤذية في الجسم فإذا رأيت الكرات البيضاء في الدم قد ساعدت
 الكرات الحراء على قتال الحيوانات المجددة لأنواع الجلي والجدري وجميع الأمراض القاتلة وحلت هناك وطمس
 الحرب الذي ينتج منه الحرارة القوية في الجسم من شدة القتال فهكذا هنا قد ساعد الله جنودا على هذه الجنود
 الحيوانية فلم الناس كيف يشكون بالناموس بأن يسلحوا البلاد ويردموا المستنقعات والبرك • وأهمهم في
 أيام الوباء الناجم من حيوانات صغيرة أن يستعملوا بعض الأدوية بشرائط خاصة كالنظافة واستعمال لزيوت
 لاسبا المتخذ من الزيتون بشرائط خاصة فهذا قاتل لك للكروبات وهكذا مما لا مجال له إلا علم الطب الواسع
 ولن نجد ماحولنا من سام أو ضار إلا وله حواء يمنع فعله • فهذه الأدوية جيوش وجنود معقبات للجيوش
 الملوقة بنا ضرا • هذه نبذة من العالم المحسوس

(الأحداث النبوية)

• فإذا سمعت قوله ﷺ كما في البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال (يتعاقبون فيكم
 ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم

وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون وإذا سمعت أن لنا ملكين ملكا من المؤمنين وهو صاحب الحسنات وملكاً من الشياطين وهو كاتب السيئات . وإذا سمعت في أقوال علمائنا أن ملكاً موكلاً بمعنى العبد يحفظهما من الأذى وملكاً موكلاً فيه لادبعه يدخل في ذيه شئ من الهولم يؤذيه وأمثال ذلك فاعلم أن ذلك من هذا الباب . وإذا كان النبي ﷺ ذكر لنا ملائكة النهار وملائكة الليل فقد فتح الباب لدرس العالم المحيط بنا ومن المار أن يعيش الإنسان في هذه الدنيا ولا يدرسها إن العلوم الطبيعية كلها دراسة دينية . فإذا أسمعتنا النبي ﷺ أن للملائكة يكتبون أعمالاً فكأنه يقول لنا إن لكم عوالم لا ترونها ترتقب أحوالكم وهو قد ترك لنا العالم المشاهد لنبعث فيه فكأنه يقول لنا لدرسوا بعقولكم ولا تكونوا عالة على غيركم فأنبأكم لم يرسلوا لاختاد عقولكم ولكن أرسلوا ليوظفكم فإذا قالوا لكم كل شئ فقد تركوكم بلهاء جهلاء ونحن علينا أن نلصق لكم وزمزم وعليكم أتم الجدة والاجتهاد وما أعمال ملائكة الليل والنهار إلا إحصاء الأعمال حسنة وسيئة وهذا له نظير مشاهد في العالم حولنا فإن الأمم في المدن الضيقة اليوم قد أصبحت ولاقطرة ماء يشربونها ولا كهر يمدونون بها ويضيئون بها منازلهم إلا ولها آلة تغدها كما تغد البراهم والدنانير وهاتحين أولاء نشاهده في بيوتنا ونرى للجهاز العبد لحساب الكهرباء والماء وغيرها يفعل مايفعله عقرب الساعة في حساب الزمان . فإذا ورد أن للملائكة يحسبون أخلاقنا وأعمالنا ويحسونها فليس شئاً بدعا بل نحن نشاهد نظيره وهذا سر قول تعالى - وكل شئ عنده بحقدار - ومن عجب أن تكون آية للقبائل بعد آية - وكل شئ عنده بحقدار - أيضاً لها وتفسيرا وتطبيقا فهذه الآيات أنزلت لتسوق المسلمين الى دراسة مايحيط بنا من الجباب والجنود المجتدة . وليس يعرف المسلمون سرها إلا إذا توغوا في جميع العلوم فعرفوا مضار الانسان ومنافعه والجماعات المتعاقبة على حفظه للمملكة لندها . أما عالم الملائكة الذى ورد في الحديث فإن الكشف الحديث قد دخل في هذا المضمار .

ألترى أن علماء الأرواح كاللورد (أوليفرودج) يقولون ان الأرواح تحيط بنا من كل جانب يلهمونا الخير وقد قال هذا العلامة كما نقلناه عنه في كتاب (الأرواح) إلى أصبحت موقنا أننا تحيط بنا عوالم عالية نحن بالنسبة لها أشبه بالمثل بالنسبة للإنسان وأيقنت لنها من فوقنا ومن تحتنا وهى تهتم بنا أشد الاهتمام فيأجبا لدين الاسلام وأمة الاسلام . يقول الله - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله - ويقول النبي ﷺ الذى أمر أن يفسر القرآن ان ملائكة يتعاقبون فيكم ثم يحصى علماء أوروبا فيقولون نحن قد كشفنا عوالم تهتم بنا . أفلم يكن الأحق بهذا كله الأمة الاسلامية . إن دين الاسلام هو الذى يطلب هذه العلوم . إن دين الاسلام مظلوم في الأمم التى اعتنته . إن من يقرأ هذا الكتاب ولا يذيع هذه الآراء مطالب بين يدي الله تعالى . إن الله يحاسب كل من اطلع على مثل هذا في هذا التفسير أوفى غيره من كتب العلماء ولا يذيعه . إن الله حكم أن لا يبقى في هذه الأرض إلا الناصون فإذا لم يصلح هؤلاء المسلمون للخلافة في الأرض أزالهم من أرضه واستبدل بهم قوما آخرين . وهاهوذا يسلط عليهم الأمم كما سلط التاموس على البلاد التى لم يصلح أهلها ماحولها من البرك والمستنقعات وكما سلط التباب على عيني من لم ينظفها وكما سلط الحيات على قوم لم ينظفوا بيوتهم من القاذورات والأبعية الخربات فإن لم يقضه المسلمون هذا الوجود طردهم الله منه وأسكن فيه قوما آخرين كما أهلك سكان أمريكا الأصليين وأحل محلهم أهل أوروبا فصرروها وهم لها مصلحون . فهأنذا أقول ليعلم ذلك كل قارئ لهذا الكتاب ولينشر الفكرة والا فاته هو الذى يناقب القصر الذى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو شديد العقاب للظالمين

﴿ الطيفة الثامنة والتاسعة في البرق والسحب والرعدي وقوله تعالى - إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ مَا يُعْبَدُ دُونَهُ ﴾

حتى يغيروا ما بأنفسهم -)

لا يغيرها من العافية التي هم عليها حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحال الجيدة بكثرة المعاصي • ومعلوم أن العكس كذلك فمن تغير الأمة من الفساد إلى الإصلاح إلا بالتربية العاتية في الأمة وليس لأمة سعادة إلا بصوم فكرة الإصلاح فيها وأن يشملها نظم تلم وآداب شاملة • فأما إذا ارتقى فيها قوم وتركوا المجموع فذلك المجموع يصبح مفكك العرى لعدم التماس الأخلاق ولذلك عوّلت الأمم اليوم على تعميم التعليم الابتدائي شاء الناس أم أبوا ومن لم يتعلم أكرهوه على ذلك لعلهم أن المجموع مرتبط فإذا اختل به شيء فالباقى آيل للاختلال والازوال • فليقم المصلحون ومن آتاهم الله علما فلينبهوا الأمة وليخطبوا بالإصلاح وليكن تعليم ليلى للعامة وليقم كل بما قدر عليه لإصلاح المجموع فليس يغير الله حال المسلمين من الانحطاط الذي اعتراه إلا بتحويل العقول عن مجراها وتنويرها بالنظم والجرائد وتفسير الآيات تفسيراً يطابق الإصلاح فينبض المجموع فأما إذا بقي المسلمون على ما هم عليه فإن جمهم يتداعى ووحدهم تتصنع فالأمر كله من القلب فإن تنور نشطت الأعضاء للعمل وإن أعظم مات الأعضاء وكسبت وبكس ذلك إذا كانت الأمة راقية وقبض لها مفسدون ففتحوها باب الترف والنعم واستقرار عادات الأمة وأدبها وأخلاقها انحطت الأمة وساء مصيرها - وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال - • ومن أعظم الآثار في النفس التفاؤل والتشاؤم ودلى ذكر التفاؤل والتشاؤم نذكر هنا لقال الآتي وما هو به

﴿ التفاؤل والتشاؤم ﴾

(للكتاب الأمريكي الأشهر (امرسون) • عزبه بعض أدباء المصريين)

إن الدنيا بخلافها تنساق إلى المتفائل للمستبشر إذ كان التفاؤل مبعث العزيمة الماضية والهمة الثابتة التي كأنها تخاف للره عينين جديدين يرى بهما من ضروب الحيل والتدابير ما لم يكن رآه من قبل • إن للتشاؤم يكن الجنة فيصيرها من جوارح سخطه وضجره حياً • ويسكن للتفائل النار فيصيرها بفضل انشراحه وعزمه وسعة تدبيره فردوساً • وللتشاؤم إذا لبس جلد أفيال وفروة الدب لم يجده ذلك نفعاً ويظل في نوبة الدفء يرتش ويرتد • بينما الاسكيمو ساكن القطب الشمالي يظن لحسن تفاؤله وانشراحه فرحاً طروباً عماؤاً نشاطاً ومرحاً يصنع لنفسه من الثلج والزهر يرتيا دفيئة

إن الإنسان بطبيعته متفائل يميل إلى الانشراح والنشاط وهذا التفاؤل هو الذي يجعله صالحاً لسكنى هذه الأرض التي لا تلبث الإنسان أدنى شيء من ثلجها وفوايدها إذا لزم خلة السخط والتبرم وقتور الهمة والعزيمة وتسخره كل شيء إذا استشعر الانتباه والتفاؤل وما يورثانه من سعة التدبير والحيلة • ومن ثم ترى الرجل المتفائل النشاط وكأنه جبة مملوءة بالكفاآت والقوى وكأنه قضيب مغناطيس فوق كرة من الحديد يجذبها إليه ويتداولها كما شاء • ومن كان هذا شأنه أصبح وكأنه مخترع ومستكشف قد أبحر في سباحة ميمونة مباركة يسترشد فيها بخريلة ذهنه ويظل وكأن هذا العالم الأرضي نظره كله منافذ وأبواب مفتحة ومسالك وفروع ومفاتيح وكأنه جوهر حساس في كل موضع منه وتر موسيقى يجاوب أقل لسة منه بنفحة مطربة ويقابل كل جنة بفيض سيل من الروح والشعور • وهذا العالم الأرضي الحي الحساس حاضر الخير سريع السخاء للرجل المتفائل فسواء طرقت به محرات آدم أو بسيف قصراً تجارب كولومبو أو برصد غاليليو أو بتغلادز بلين فلا بد أن يجيبك على كل واحدة من هذه التجارب بأدع جواب وأروعها وإنما بفضل التفاؤل وما يورثه من القوة والقدرة العجيبة استطاع الإنسان أن يفجر بالخيرات والبركات مسخرة هذه الأرض الصلدة ويسخر الطبيعة الحائلة في قضاء ما ربه وأوطاره ويتغلب ويتصر على المادة ويسيطر ويهيمن على العناصر ويؤلف من

شتتها نظاما ومن فوضاها تاموسا . وعلى الضد من ذلك ترى التشاؤم مصدر الوهن والعجز والفتور والتباد وفقاً للأعين ويشل الأيدي ويطنى نراج البصائر . وأتى خيرى التشاؤم ومنظاره الأسود الذى يكسو عروس الطبيعة ثوب الحداد ويحيل مهرجاناتها مأتماً وبشيرها نعيماً وصفوها ككدرها وحلاوتها مرارة . ويطلع فى وجنة الشمس الصقيبة بقعة سوداء . ويجرى فلك السمود نحسا

هذا العالم الذى نعيش فيه وتقلب بين أعطافه اتما هو مصنع هائل مفعم بقوة الخصب والاتاج التى تؤتى كل شئ باذن القادر على كل شئ . وهل ترى لتناثر الطبيعة من فقاد . وهل حلوت مرة أن ترن بالقناطير مياه الجدول الصغير المنسكب فى مزروعاتك هذا على أن الطبيعة لا تبدي لنا من ذخائرها الهائلة سوى القشور وإنما من تحت ذلك بريدة الأغوار تقرأ أعماق كنوزها بللايين من الفراسخ . ولقد يروق طائفة التشاؤمين ويلذهم أن يسخرُوا من مذهب التفاؤل تظاهراً منهم بالفلسفة وادعاءً بالطلا للذكاء والفظنة على أن آمال المتفائلين البراقة وماتشيد خيالهم من قصور الهواء المزخرفة أحسن ألف مرة وأعود بالمنفعة على الناس عما لا يزال التشاؤمون يحضرونه من مجور الهم والكند وسجون الهم والشفاء . وماذا يستفيد الناس من التشاؤمين الذين لا يبرحون ينصبون فوق رؤسهم فى كبد السماء كوكبا أسود يشقون به لألاء الضياء وجمال السحب البهجة الأصباغ والألوان . وأتى الرجلين أنفع للجمع وأصلح من يجررك فىك نسيم الأمل وبشر قلبك روح الثقة وبرد اليقين . أم من يستيك كأس الجزع والأسى ويجررك غصص الكرب والشجن ويذيقك كأس الخوف والقنوط

لقد جعل الله للطبيعة روحاً وماروحها إلا الفرح والجدل . ولعلك اذا استطعت أن تنفذ الى سر الكون ولباب الوجود أقيمت قلباً خافاً بالسرور يدفع لى كل نبضة من نبضاته تياراً متدفقا من الجبور والطرب . ولن ترى فى أنحاء الكون موضعاً تخلطه قفرا محبداً إلا كان فى الحقيقة مفعماً بالخير والبركة . فأفقر الأمكنة فى نظرك يحتوى من الثروة مالا يكاد يحصى ولا يمت . وأجذب محل فى وهمك لا تنفذ حاصلاته ولا تنفى غمراته وكل صوت من أصوات الطبيعة يبدأ بلحن وينتهى بنفحة . وكل صفحة من صفحاتها قد زخرف

البارى للصورة حواسها بأبدع الصبح وأبهج الألوان لا تملق على جدران غرفتك الصور المحزنة ولا تشوّه أحاديثك بسواد الشكوى وظلمة التشاؤم ولا تكثر من الأنين والحنين والتهلف والتأفف . وكن على أن تظلّ صداحة تطرب للملأ بموسيقى الأفراح أحرس منك على أن تظلّ نواحة تكيه برائى الأفراح ولا يصدرن عنك من المقال والفعال إلا ما جادت من أمل أو حزن الى عمل أو استنفرة أو استنفض عزمة

لقد جاء فى حكمة الندماء أنه لن يستطيع مسرة الجلساء من كانت قسه عارية من المسرة فان الحديث الحافل بغرر الأفكار ودرر المعاني اذا صدر عن لسان رجل مقشّام متبرم كان جذباً أن يبهرك ويروعك ولكنه لن يسرك ولن يفرحك . ولا عجب فان الذى يدخل عليك السرور والطرب ليس هو براعة الحديث فى ذاته ولكن حلاوة أنس الحديث وروقة شماته وهذه الرقة والحلاوة لن تكون للرجل المظلم لهواء الموحش الجنب . وما ذاك إلا لأن النعم شئ والروح شئ آخر وغير ممكن ولا منتظر أن يستطيع امرؤ براعة النهن وحدها اجتذاب الأرواح واستعباد النفوس دون أن يكون له ذلك الظرف الذى ليس إلا من معينه يفيض الطرب والمسرة . وكيف يفرح الناس من أفقرت قسه من الفرح . ومن ثم كان أعظم كتاب الفكاهة الذين قدموا الى أبناء البشر أشهى ألوان السرور والضحك على مائدة الفنون والآداب كلهم من ذوى الطابع الفرح المبهجة والأمزجة الرطبة اللذية أمثال (شكسبير وموليير وسرفيتير الأسبانى) صاحب كتاب (دون كيخوت) وأديسون ودكنز ورايبيليه وواضع كتاب (ألف ليلة وليلة) وكل هؤلاء على الضد من كتاب

الفكاهة للشامخين أمثال (فولتير وبيرون وسويفت) صاحب كتاب (أسفار الجفار) وبوب صاحب كتاب (السفهاء) وهابني . أولئك الذين قد مزجوا فكاهاتهم بسقم المجهاد والسخرية وحفظ النعمة والشكال وسوموم القذف والافتداع فخرجت مؤلفاتهم أدنى الى الإيحاء منها الى الاطراب . وأجلب للإيلام منها للإعجاب وللإعجاب منها للإناس . بل جاءت أنكى شاة من إبرة العرق وناب الاصفوان . ذلك الى الجم العديد من مساوي تلك المؤلفات التشاؤمية وسوء أثرها في المجتمع مما يضول إزاده كل ماحوت من مزاجا وحسنا حتى ذهب فريق من رجالات الأدب وجهابذة النقد وأعيان الفلسفة الى اعتبار مؤلفيها ضمن عوامل الفساد والشر فقال لنا الفيلسوف (نيتشه) أغلقوا بيرون وافتحوا جوت

والسر في مساوي هذه المؤلفات يرجع كما أسلفنا الى ماقد ركب في غرائز مؤلفيها من مرارة الطبع وحرافة المزاج وحموضة السليقة وماينبع ذلك من قسوة الفؤاد وغلظة الأكياد . إن من أقوى مبررات التفاؤل وأقنع البراهين على صوابه وجوب الأخذ به هو أن الطبيعة التي أوجدت آفات الحياة وعظما أوجدت معها أدويتها ووسائل شفائها وماذلك إلا لأن روح الطبيعة إنما هو العدل وأساسها هو النظام وماغناها إلا الصلاح والرق فاذا رأيت الطبيعة أحدثت آفة فاعلم أنها لم ترم بذلك الى التلف والبور ولا الى الفساد والقوضى . والحقيقة أن هذه الآفات والطل ليست في الواقع إلا أسبابا متكررة ترمي في النهاية الى الإصلاح . وماهي إلا عقبات ضرورية لابد أن يتحصنها المجتمع ليصل على جسر الخوف الى ماقد هي له من درجات الفلاح والرق . فاذا شئت مثالا على ذلك فانظر الى أوراق الشجر وأجزاء النبات . الأراها تسقط قذبل فتعفن ثم تتحلل وتبلى ويخيل اليك انها قد فسدت وتلفت وهلكت وهي في الحقيقة لم تحت ولم تقصد إذ لاموت ولافساد في الطبيعة وكل مآثره بل وموتها إنما هو تطور وانتقال من حال الى أخرى أرقى وأكمل . فهذه للولاء النباتية التي تخالف قد بليت وماتت لن تلبث أن تستعيد حياتها وقوتها وتتجدد بهبتها وفضرتها بل قد تستحيل على التطور والتحول الى صنف أسمى وأسمى . تلك سنة التطور والارتقاء التي تجري عليها الطبيعة في جميع أركانها من الكرة والمجاءة الى النظام الشمسي والنبوة الفلكية وذلك ناموس الخلق والصلاح الذي هو أسس الوجود وروح الطبيعة - سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا -

ومن أعظم الآثار في النفس أيضا المخاوف والأوهام

مخاوفنا وأوهامنا . أسبابها وعلاجها

لا تريد بالمخاوف والأوهام تلك التي تستثيرها المشروبات الروحية أو الحيات التي يتخيل فيها للدمن وألرريض وجود عمالقة من الشياطين في طريقه أوفى غرفته يطاردون ويضيقونه حتى لقد يقذف بنفسه من نافذة هرباً منهم أو يتوهم أنه يرى حيوانات تطير في الهواء أو حشرات تنسل بين ملبسه لأن كل هذه ترجع الى حالات مرضية وقوية يقذف فيها الشخص ذاكرته وقدرته على التفكير اللطافي . وإنما نعتي تلك المخاوف والأوهام التي تساور الإنسان في أحوال غاية فتور في سلوكه في المجتمع من حيث علاقته مع الناس وطريقة تأديت لعمله كما تؤثر في صحة من حيث سوء تأدية عمليات التمثيل والتغذية واستفحال الأمراض التي يكون مصابا بها . وقد قفراً أحد علماء النفس أن تسعة من بين كل عشرة أشخاص يصابون بهذه المخاوف والأوهام التي تشتت وقت الليل حيث يصف نشاط الإنسان عن مقاومتها بعد مجوده اليومي . ومن أهم المخاوف الشائعة بين الناس عفة والسيدات بوجه خاص الخوف من الأمراض ولاسيما (السل) إذ تجد السيدة تخاف من القنطرة والمكروبات خوفا يقرب من الجنون فتبالغ في النظافة وتدقق في اختيار للأكولات والمشروبات الموافقة حتى لقد حكى عن سيدة (وأمثالها كثيرات) انها كانت تحتم النظر الى مآكله أو تشربه بمنظار مكبر قبل أن تمتعدها اليه حتى تلمن الى نظافته وخلوه من جراثيم الأمراض وتأتي إلى أن تفضل الأغذية

واللباس وتطهرها عدة مرات يوميا كلما لامستها يد زائر غريب خوفا على نفسها وأولادها من القذارة التي تسبب الأمراض . وقد أظهر البحث العلمي في كثير من الأحوال المشابهة أن السبب في حدوثها هو ذلك الاهتمام الشديد الذي يظهره كثير من الوالدين بحياة أطفالهم من حيث اللبس والمأكل والمشرب والشهيق الكبير الذي يدلونه بسلامة جسمهم وحفظهم من شر الأمراض الفتالة مما يجعل تلك المخاطر الصارة تنحدر إلى غيابات للأشعور من نفس الطفل ثم تزدد قوة بما يسمعه في حياته من الروايات التي تحكيها السيدات في اجتماعهن عما قاسينه أو قاساه غيرهن أثناء مرضهن من آلام كثيرا ما يبلغ في شدتها فيشتب الطفل وقد استولى عليه هذا الخوف من الأمراض وملك ناصية نفسه الباطنة ولا يلبث أن يتجلى في وقت من أوقات حياته في سلوكه وأعماله بالطريقة السابقة . ولقد يشوههم بعض الناس أنه مريض حقا وعلى الخصوص إذا غارق منزله أو بلدته ليعيش في أخرى فإذا به مغموم النفس هز بل الجسم فاقد الشهية يتألم من صدام مستديم ويتعب من أقل مجهود ويشور لأي مضايقة . وما ذلك أيضا إلا نتيجة لما تعود أن يلاقه من والده أثناء طفولته من حنان زائد وحماية مستمرة واهتمام بصحته وعناية بالمحافظة عليه وتدقيق في اختيار ما يوافقه حتى ينشأ جبارا مدلا يخشى الابتعاد عن منزل أسرته ويتوجس خيفة من جرائم الأمراض التي تهدد حياته التي عرف أنها غالية عزيزة . يعتقد أن هذا الشيء يتبع معدته إذا أسكاه وذلك يؤدي أفعاه إذا ابتلعه أو يجعله المرض إذا اقترب منه فإذا حدث عفوا أو اضطررا أن تناول أولامس ما يعتقد خطأ ضرره منذ الطفولة استهوى نفسه إلى المرض ففرض وجني على نفسه بذلك شر جنابة

وإلى جانب ذلك يوجد الخوف من اللوم والتقد الذي يستولى على كثير من الناس فيجعل الشخص يشعر بأنه أقل من غيره ثروة أو كفاية أو جمالا وإن كان الواقع عكس ذلك فهو يخشى الظهور أو التكلم أمام شخصية بارزة أو جمع حافل وإذا اضطر لذلك لمتنع لونه وجف لعابه واضطربت حركاته ويجزع عن إخراج المقاطع إخراجا عجيبا خوفا منه من قد الغير وشعورا بدم كفايته . وقد لاحظ علماء النفس كذلك أن عددا كبيرا من الناس إذا حدثهم الإنسان أو تحدثوا إليه أتوا بحركة صغيرة لافتة منها ولا معنى لها تكون على الوجه دائما كأن يمر بيده على شعره إلى الخلف أو يحك ذقنه أو يمسح جوانب فمه بتدبيله من حين إلى آخر أو يبيض على وجنتيه باستمرار وعقلوا ذلك بأن الخوف من اللوم والتقد يتسلط على هؤلاء الناس في الباطن فيدفعهم إلى محاولة إخفاء وجوههم في الظاهر . وبما أن التقاليد الاجتماعية لا تسمح بذلك فإن الطاقة العصبية تنصرف إلى الانبان بهذه الحركات الصغيرة كما أنه ظهر بعد البحث أن هذا الخوف ينشأ من تلك الملاحظات التي يسمعا الأطفال من والديهم ومن مجالسهم عن نقد مظهر أو سلوك أقرانهم أو جيرانهم مما يفرس في نفوسهم أنهم لابد سينقلون بغيرهم في كل أعمالهم وأقوالهم لذا بلعوا تلك السنن ويزيد خوفهم من النقد رسوخا إذا سمعوا من أخوتهم أو والديهم لوما وتقريرا مستمرا لهم أنفسهم على قتل في الحركة أو خلط في الكلام فهم لذلك إذا شربوا ووصالوا إلى سنن النقد تجلج خوفهم الباطن في حركاتهم وأعمالهم التي كثيرا ما تكون مضحكة . وقد يرتبط الخوف بأنواعه أحيانا بمحاذة خاصة كما في أمثال حالة تلك البنت التي لم تكن قد بلغت من العمر إلا ست سنوات فقط والتي كانت جالسة أمام منزلها في الأرياف وحيدة في هدوء وسكينة وإذا بمرربة تمر مسرعة محدثة ضوضاء عظيمة ازيجت لها البنت وهبت تجري إلى داخل المنزل فما كان من والديها وأخوتها إلا أن انتقدوها قدامها وعنفوها على سلوكها أمام الناس ذلك السلوك للعب الذي لا يبرره واستمروا يعيرونها بسرعتها وطيشها حتى انتهت نشأت خجولة تخشى الظهور أمام الناس وتخاف أن تبارح المنزل وتظن إذا سارت أو تكلمت أنها هدف للوم والتقد وإن لم يكن هناك ما يستحق ذلك ولا يخل الخوف من الأرواح الشريرة والأشباح الترية أهمية عن المخاوف السابقة إذ يسكر صفو حياة

الإنسان ويؤذى صحتة أذى كبيرا فهو كما وجد في الظلام يحيل أشبها مزججة مائلة أمامه تهتده وتناكسه فيضطرب قلبه ويقف شعر رأسه ويجز عن الحركة وتكثر هذه المخاوف حيث ينتشر الاعتقاد في الخرافة والسحر والعرافة التي تقوم بها قوى خفية إذ يشب الطفل وقد وعى عقله الباطن الشيء الكثير من أخبار الجن والردة والشياطين يتجلى وقت اضطرابه أوقات نومه في الأحلام برؤيا الأشباح الغريبة . ومن الغريب أن هذا النوع من المخوف لا يمكن انتزاعه غالبا من نفس الشخص وإن زال عنه الاعتقاد في الخرافة والسحر كما أثبت ذلك التحليل النفسي الحقيقي لآلاف من الأشخاص

ويبدى بعض الناس خوفا من البحار فهم لا يتجاسرون على السفر بحرا أو نهرا مهما قيل لهم من وسائل الراحة والطمانينة والأمان الموجودة في السفن . وقد أظهر التحليل النفسي أيضا أن تلك الحالة تنشأ إما عن الأهمية الكبيرة التي تعلقها الأم حول استحمام الطفل والمضايقة والمخوف اللذان يرتبطان به وقت الطفولة وإما إلى تمرض الشخص نفسه للفرق أورؤيته شخصا يفرق في وقت من أوقات حياته وانفصاله واضطرابه للحادث عما يحدث أثرا عميقا في نفسه الباطنة يزيد قوة مابسهه عن مخاطر البحار فيتجلى كل ذلك بعدئذ في خوفه من الاقتراب من الأنهار أو البحار أو السفر بطريقها طول حياته

وهكذا نجد المخوف بأنواعها إما ترجع إلى أحداث وملاحظات برية غير متصورة يسمعها الشخص من حوله وقت الطفولة أو إلى تجارب قاسية ماضية تتجلى كلها في حياة الإنسان المستقبلية ولذا وجب أن لا يسمع الأطفال من الأحاديث ما يثير خوفا من حيوان أو شيطان أو ظهر طبيعي أو شخص غريب أو مرض قتال . وأن لا نوجه إليهم أنفاظ القد المتركرو وأن لا يؤخفوا في التربة باللين الشديد . وأن لا يراجهوا من المخاطر ما يثير عواطفهم لأن كل ذلك خطر على حياة الطفل التي هو بالرجل

وقد أحصى العلامة (ستانلي) هول أربعة آلاف من أصحاب المخاوف فوجد أن ١٤٤٦ شخصا يخافون من الحيوانات والحشرات و ٧٩٩ من الظلام والأشباح الشريرة و ٦٦٦ من للظواهر الطبيعية كالزلازل والبراكين و ٥٨٩ يخافون من السموم والعرباء و ٥٤٠ يخافون من الموت والمرض وقد تختلف هذه النسبة باختلاف الوسط

وقد أوجبت الحرب الكبرى ميدانا واسعا لعلماء النفس والأطباء لدراسة مخاوف الجنود وطرق علاجها وكانت أهم وسائل العلاج إثارة خوف مضاد للخوف الموجود يزول ما زال الخوف الأول فالخوف من الموت ومن التقدم إلى ميدان القتال عولج بنجاح في كثير من الأحيان بآثاره الخوف من العار والفضيحة وكذلك نجحت إثارة عواطف قوية مضادة مثل عاطفة الوطنية والدفاع عن الوطن المهان التي حوّلت انتباه الجنود عن المخوف من الحرب وشوقتهم إلى الجهاد والمعاليمة ثم النصر . أما في الأحوال التي يرتبط فيها الخوف بمحادثة خاصة أو تجربة ماضية مجهولة فإن العلاج الوحيد له هو أن يدرك الشخص سبب خوفه بكثرة التأمل الباطني وبالتفكير إلى تفسير أحلامه تفسيراً علمياً صحيحاً حتى يصل إلى تذكير الحادثة التي كانت أصل خوفه وقت الطفولة ثم يستوى نفسه إلى احتقار مخاوفه وتركها استهواء ذاتيا مستمرا . انتهى الكلام على آية - إن الله لا يضلّ رايح - ولنبدأ بالكلام على الرعد والبرق ونحوهما فنقول

(الكلام على الرعد والبرق ونحوهما)

اعلم أن أعظم الأشياء أثرا في النفوس حوادث الجو من مطر ورعد وبرق فكم فيها من نعمة وكم فيها من املاك وذلك بالكهرباء المحدثة للصواعق كما سترى شرحه وأن كل ورقة من أوراق العشب الدقيقة تفرغ كهربائية أكثر مما تفرغه الإبرة وكذلك البراعم فانها أحسن من مائة الصواعق التي صنعها الإنسان ولذا يكون كثير من الأوراق والبراعم والأشجار بمثابة مائة الصواعق فالتاب والورق والشجر كما

يفدينا وينفعنا كثيرا يمنع فوق ذلك عنا الصواعق • فإذا كان الانسان صنع مانعة الصواعق فان الله سبق بها وملا بها علانها في أشجاره وأوراق وزرعه وهذه بعض اللقيات الحافظات للانسان ولذلك أردف ما تقدم بهذه الآيات التي وردت في البرق والسحاب والرعد والصواعق • السحاب تقم الكلام عليه في سورة البقرة فأما الرعد والبرق فلا يمكن معرفتهما إلا بعد فهم نوحى الكهربية

اعلم أن الكهربية (نوعان) زجاجية (إيجابية) وراتنجية (سلبية) ومعنى هذا انك اذا دلكت أنبوبة من الزجاج بالحرير فظهرت فيها الكهرباء من الهلك ثم قربت تلك الأنبوبة من لب (السيبان) فانها تجذبه حتى تكهر به ثم تدفعه ولا تجذبه • ثم اذا أنيت بشمع الختم وهو صمغ راتنجي ودلسته بصوف فتكهرب وقربته من لب (السيبان) المكهرب من الزجاج فأنه يجذبه حالا حتى يكهر به ثم يدفعه ولا يجذبه بعد ذلك فلوأعدت أنبوبة الزجاج على اناب جذبه اليها حتى تكهر به ثانيا فتدفعه فإذا أعدت قضيب الختم عليه جذبه حالا وهكذا ما يجذبه هذا يدفعه ذلك وبالعكس فهما حيثند (قسان) كهربية سالبة وهى الراتنجية وأخرى موجبة وهى الزجاجية وقد عرفت الحقيقة والتسمية اصطلاحية لجرد التميز • والأجسام المشابهة كهربية تتدافع وانى تخالفت كهربية تتجاذب فلو كهرت برتين من لب (السيبان) بكهربائية الزجاج وأخرين بكهربائية شمع الختم لتدافعت الأوليان مع الآخرين معا لأنهما متشابهتان فى الكهرباء ولكنك اذا قربت كل واحدة من الأوليين مع واحدة من الآخرين تجاذبتا • هـ. هذا إيضاح القاعدتين • ثم ان الأجسام إما موصلة للكهرباء ولما غير موصلة للكهرباء

غير للموصلة للكهرباء ويسمونها عازلة أو فاصلة أو موصلة غير جيدة	للموصلة للكهرباء
الهواء	للعادن
البخارات الجافة	الحولص
الشمع • والورق الجاف	الفحم
الكبريت • والحرير والزجاج	النباتات
الماس	الحيوانات
الحجارة الكريمة واللآلئ	الماء
	التلج

(كهربية الجلد والهواء والنيوم)

اذا ثبت أن حرك الأنبوبة من الزجاج يهيج الكهربية فيها وشمع الختم كذلك بالذك • أفلا يكون كذلك الهواء مكهربا دائما إلا نادرا جدا • أفليس الرياح تتحرك ويعارض بعضها بعضا وهى أيضا تصادم وجه الأرض وماعليها والنيوم والسحب تحتك وبعضها وبالهواء وهكذا ترى الحرارة كما تقم تحول الماء الى بخار والبحار الى ماء وهناك أعمال كهربية ذات تحليل وتركيب فتتحول كهربية الأرض السالبة الى كهربية الهواء وتكون كهربية الجلد إيجابية وقد تغير فتصير سالبة فى أوقات الاضطراب فمن هذا نفهم حدوث البرق والرعد • فالبرق يحدث من تقارب سحابتين مختلفتي الكهربية حتى يصير ميل الكهربية الواحدة الاقتراب من كهربية الأخرى أشد من قوة الهواء على فصلهما فتخرج كل منهما على الأخرى بنور زاهر وصوت قوى شديد فالنور هو البرق والصوت هو الرعد فالرعد يحدث من تصادم دقائق الهواء الذى تطرده كهربية البرق أمامها وأما دويه فيحدث من انكاسه من النيوم البعيدة والجبال والتلال والأودية ونحوها

وإذا عرفت ذلك فاسمع الحديث وإن لم يكن في الصحيحين ولكنه في الترمذى لما سئل رسول الله ﷺ عن الرعد قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها حيث يشاء الله قال السائلون فما هذا الصوت الذى يسمع منه قال زجره السحاب حتى تنتهى حيث أمرت قالوا صدقت . وفى حديث آخر هو صوت من نور زجره الملائكة السحاب . فهذان الحديثان إذا جمعا كانا من علامات النبوة لأن المخاريق في الأصل أبواب تلق ويضرب بها الصبيان بعضهم بضاً . وللهنا آلة يزجر بها السحاب فهذه المخاريق التي من نار لاشئ سوى الكهرباء . وقد بينا أن كل واحدة من السحابتين تهجم على الأخرى ولا معنى للهجوم إلا بالاسراع وهذا الاسراع بالكهربائية فالكهربائية هي التي زجر بها السحاب زجراً فقولہ ﷺ من نار أى من كهرباء والملك ذكر ليرجع العالم الجسمى الى مبادئه الأولى فان هذه العوالم كلها تنصرف فيها عوالم تحفظ كياناتها

(الطبقة العاشرة في الصاعقة)

قد تسمى السحب بكهربائية والأرض بكهربائية أخرى والهواء فاصل بينهما حتى قاربت السحب وجه الأرض تنفض الشرارة الكهربائية منها فتزل صاعقة تهلك الحشرات والنسل . وقد اخترع (فرنكلن) لمنع الصواعق قضيباً من معدن كالحديد والنحاس دقيق الرأس متصلاً مصنوعاً رأسه من معدن لا يبدأ ولا ينتحط كفضة والفضة والبلاطين ويمتد طرفه الى حوض ماء أو ترربة رطبة لا تحترق ويكون طرفه الأعلى عالياً عن الدار ويجب أن يكون على كل بناء في تلك المنازل المعرضة للصواعق قضيب للصاعقة وأن توصل المداخل التي فيها إما بأرض رطبة وإما بقضيب الصاعقة وأن تصل ميازيب للماء المعدنية وسطوح التوتيا ونحوها بأرض رطبة كذلك أو بقضيب الصاعقة لثمة تعرضها للصواعق . وهذا القضيب يراد به موازنة الكهرباء بآلية في السحاب والأرض مع السلامة من التحترق . والأسلم لمن لم يكن في بيته قضيب كذلك أن يكون في وسط الغرفة . وإذا كان في القلعة وجب أن لا يلتصق بالأشجار العالية ولا يعتمد عليها كثيراً لأنها تقيه كما يقيه قضيب الصاعقة في حال بعده للتوسط ثم إن كل ورقة من أوراق العشب البقية الرأس تفرغ من كهربائية الماء أكثر من ثلاثة أضعاف ما تفرغه أدنى الأبر وكل برعم دقيق الرأس يفرغ من الكهرباء بآلية أكثر من أحسن القضبان التي جعلها الناس للصواعق وكل قطعة من اللطروكل قطعة من الخنج تنزل الى الأرض محملة بكهربائية تسلبها من الجبل والسحاب . وقد يرى طب نارى على رؤس السورى وأسنة أرماع وآذان الخيل وما ذلك إلا كهربائية أفلتت من الأرض افلاتاً اه

(جوهره في قوله تعالى - ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد الجلال -) ذكر الله في هذه السورة البرق والرعد والصواعق . الرعد صوت والبرق نور والصواعق نار فلنشرح هذا المقام شرحاً يسيراً للمفكرين . اعلم أيها السالك أن العالم الذى نعيش فيه مملوء جلالاً وبهاء وحكمة وصنعة مدبشة باهرة تفرق سناء وبهجة للناظرين . مائى الحرارة وما هو الضوء . مائى إلا أمر واحد . ضع قطعة من البلاطين في النار فانك تحس - أولاً بحرارتها ولأولها ثم تشاهد لون الحرة فالبرقالية فالصفرة فالخضرة وهكذا الى لون البنفسجية . هذا ما يحصل في البلاطين إذا وضع في النار وهكذا الحديد وغيره . عجب عجب . حرارة تكون أولاً فضوء يتدرج من الأدنى الى الأعلى فالأحر أدنى والبنفسجي أعلى . هذا هو قوس قزح بعينه . وهذا هو قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - التي سيأتى تفسيرها في سورة الملك . والبرهان العلمى الطبيعى هناك على أن عناصر الأرض وعناصر الشمس وغيرها واحدة بسبب انحطوط السوداء التي كشفها (فرنهورف) تلك الخطوط التي تظهر في طيف الشمس وتظهر في طيف المعادن اللينة فكل معدن تشابه خطه بما يرى في الطيف الشمسى فذلك المعدن في الشمس وهكذا بقية

الأجرام العلوية . هذا هو الذي ستراه ان شاء الله في سورة تبارك للآل مع العملية للبرهنة عليه وتري أثر ذلك أيضا في سورة الاسراء عند ذكر المعراج وأنه ﷺ بأسرته وعروجه الى اللأ الأعلى ونظرة في عوالم عند سكرة للتتهى لا يقدر أحد من خلق الله أن يصفها . قد سنّ للسلمين الذين سيكونون بعدنا ستة حسنة وهي أن يدرسوا هذا الوجود مفكرين كما كان يدرس العوالم في أسرائه ومعراجه مفكرا باحثا متقبا وكيف يقطع نبي أمة عوالم السماء معراجا وناجوه ساهون لاهون لا يدرسون ماعرفته الأمم حولهم من تلك العوالم العالية فضلا عن أنهم يفوقون سائر الأمم في ذلك . نبي يقطع السموات سفرا في عروجه والأمم التابعة له لاصقون بالأرض لا ينظرون ما فوقهم ولا ما حولهم . هذا عجب عجاب . فههنا هذه المسألة وهي الحرارة .

أنظر وتجب من حديدة محما كيف كانت حرارة أو لا فنورا ثانيا متعرجا من الحرة الى البنفسجية جل الله . هذا قوس قزح أقل ألوانه الحرة وأعلاه البنفسجية أى ان اهتزاز الأثير المالى لهذا الوجود ان يحرك نيفا و (٧٥٠) ألف ألف ألف مرة في الثانية يكون هو اللون البنفسجي واهتزاز ذلك الأثير في الثانية نيفا و (٤٠٠) ألف ألف ألف مرة يكون لون الحرة وما بينهما النيل والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقالى . هاهوذا اللون قد تشابه في الحديدة المحما وغيرها وفي قوس قزح . خلق الله قوس قزح في السماء وبسط فيه الألوان السبعة وقال للناس هذا كتابى فافروه كتاب كتبه يدي وشرحته وبسطته هانذاذأبها للمسلمون أبنت لكم الألوان السبعة في هذا القوس وجعلت ما زلزلونه من أعمال الحرارة جريا على هذا النمط لتفهموها - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - فاعلم كله على وتيرة واحدة . أعلاه كأذناه وصفه ككبيره . ألا ترون أن الذرة الواحدة مركبة من جزئيات تدور حول بعضها دوران السيارات حول الشمس

(الصوت والحرارة والنور)

هذه الثلاثة ترجع الى الحركات فالحركات الهوائية اذا اشتتت صارت عواصف وحركات الأثير اذا اشتتت كانت لون البنفسجي واذا قلت كانت لون الحرة واذا اشتتت الحرارة كانت محركة أو انخفضت كانت هادئة إذن ما عندنا من صوت ومن نار ومن لون كل ذلك حركات . إذن علمنا الذي فعبش فيه للحركة فيه أكبر أثر فعال

(ثم تكون الحرارة)

تصور أيها الذي رجلا يطرق حديدة وأحرقه النار في الحطب وهما معا واقفا في حارة القبط وهما يتلظيان بحرارة الشمس فههنا حرارة الشمس وحرارة (ميخانيكية) عند الفرجحة أو (حبله) عند قدامتنا نسبة الى فن الحبل وذلك بالاحتكاك أو الطرق أو الضغط وحرارة (كبابية)

(١) أما حرارة الشمس فهى للسبعة (طبيعية) إن الشمس وسائر النجوم ترسل لنا حرارة على الأرض ومعنى ذلك أن أجزاءها بشدة حركتها تؤثر في عالم الأثير فيتحرك فتمصل حركته الى الأرض فتحس نحن بحرارة وماعلا من تلك الحركات نحس بها لو اننا واجتاع الألوان السبعة هو لون نور بالشمس وألوان النجوم . والشمس ترسل لنا جزأ يسيرا جدا يصل الى واحد من ألفى ألف من حرارتها وجميع الكواكب يصل لنا من حرارتها أربعة أخماس ما يصل من حرارة الشمس

(٢) وأما الحرارة الميخانيكية فهى الحاصلة كما تقدم بأحد الأمور الثلاثة وهي في مثالنا حاصلة بالطرق الحاصل على الحديدة وذلك الطرق نشأ منه حركات والحركات صارت حرارة والحرارة بالاحتكاك معروفة في القمح بالزناد عند عرب البادية ومثل ذلك الضغط

(٣) وأما الحرارة الكيائية فهى الحاصلة من اتحاد جسم بأخر بينهما ألة . مثال ذلك ما تقدم من

اشتعال النار في الحطب . وما هو الاشتعال . ان هو إلا (أكسوجين) الهواء قد لاس (الهيدروجين) و (الكربون) اللذين في الوقود لما بينه وبينهما من الألفة فتراه يهجم عليهما ويهجمان عليه ويصطدمان فيرقان وتنتزعا فتنفجأ وينتفجأ فيتموج أمولجا كثيرة تكون حرارة وتكون نورا . وما حرارة أجسام الحيوان إلا من هذا القليل يستنشق النسمات وفيها الأكسوجين وهذا الأكسوجين يجد أمامه حييوسها (الهيدروجين والكربون) فيهجم ويهجمان ويفعش عن هذه الحركة أي نعيش بالحرارة الناجمة من التقاء الأحياب سواء أكان التقاء أولئك في أجسامنا أم خارجها . فلنرجع الى مافي الآفة نجد ذكر الصاعقة والبرق والرعد فالأولان حركات في الأثير والثالث حركات في الهواء . الصاعقة نار مهلكة ارتفعت حرارتها بوفرة الاهتزاز والبرق نور والحرارة والنور رجحان لدب واحد في الحركات في الأثير ثم إن هذه الظواهر ينقلب بعضها الى بعض . فكل من الحركة والحرارة والضوء والكهرباء ينقلب بعضها الى بعض . ولو أن أرضنا صدمها كوكب فوقفت بفتة عن حركتها لتولد منها حرارة تحوّلها وما حولها بخارا . ذلك لأن سرعة دورانها في فلكها حول الشمس لا يقل في الحقيقة عن ألف ميل بل في الساعة تجري فوق (٦٨) ألف ميل فتوقفت فجأة تحوّل كل هذه الحركة الى حرارة تجلبها بخارا

(الحب نظام هذا العالم)

يظهر لي أن الحب هو الناموس العام في هذا الوجود

(١) هجم الأكسوجين على الأودروجين والكربون في الحطب فانتقدنارا فكان منها كل ما نصنع في منازلنا وسائر أعمالنا

(٢) هجم الأكسوجين أيضا على الأودروجين وحده بنسبة (٨) من الأول وزنا الى واحد في الثاني فتكون الماء . الماء هو (أكسوجين وأودروجين) تعاشقا وتحابا فاتحدا فكان منهما الماء

(٣) هجم الأكسوجين من الهواء على أخويه في كل حيوان وكل نبات بالشهيق فكان كل حيوان وكل نبات

(٤) هكذا ترى كل حيوان وكل نبات تحب ذكرانه وإناثه كما نشاهد في تحب الأكسوجين لأخويه فكما نجم من اتحاد الأكسوجين بأخويه النار والماء وكل حيوان ونبات . هكذا نجم من اتحاد الذكران بالاناث كل نبات وحيوان من حيث التولد . ولعمري أي فارقة بين اشتعال النار بذلك الاتحاد وبين ظهور

الفرية وصغار النبات بتقارب وتجانس الذكران والاناث

الله أكبر إن هذا الوجود كله حب وكله جلال حياة في أرضنا إلا بالحب أو بما أشبه الحب . لولا تعاشق الأكسوجين والأودروجين ما كان هذا الماء الذي هو حياة كل شيء . وفي الحديث (إن كل أم تتبعها ولدتها) . أمنا هذا العالم التي تعيش فيها والعالم التي تعيش فيها لوجود لها إلا بما يوجب الاتحاد . حياة الماء وحياة النار بسبب التفاعل الموجب الاتحاد . هاهذا الماء عاش في أرضنا وجري في سحابتها وفي أنهارنا وهو يدور كدورة الأفلاك . كل ذلك بما فيه من سر الاتحاد بين جزأيه المتحابين (حبا مجازيا) هكذا . هكذا تكون حياة الأمم في الأرض . لا ترق الأمم إلا برجال يظهرون فيها يشقون العصور والنضال . لولا الحب الذي يلا أفئدة الحكماء ما تعلموا ولا صنفوا لأفئدهم حقا واحدا . لولا الحب الجلم الذي في أفئدة الأنبياء لله والعلم ولأفئدهم ما علموا ولا أفادوا ولا كانت لهم أمم . ليست ترق الشعوب إلا بحرارة المحبة السارية في أفئدة شبابها للعلم والفرق المثبتة في قلوب قادتها . تجانس الأكسوجين والأودروجين فاتحدا فكان ماء وهذا الماء حياة كل شيء . هذه نفسها صفة العقول الانسانية المحبة للعلم . أول الفلسفة حب العلم . وأوسطها تحصيله . ونهايتها حب الله . إن الحب الانساني شائع بين جميع الناس وحب العلم يختص

بالعلماء وحسب الله أعلى فهو أنجب الجميع وكل حب مقدمة لما بعده وأقل درجة منه . أنظر كيف كان الحب سائرا في سبيل واحد لا يعيد عنه جرى مع جزأى الماء ومع عناصر النار ومع أنواع الحيوان وارتقى فكان مع الفلاحة ومع الأنبياء

يظهر أن هذه الأتقى الإنسانية خلقت لأمر رفيعة جتا وشريفة . إني أرى أن صانع هذا العالم جعله على نمط واحد وهو الحب العام وأولى بالحب هذه النفوس الإنسانية هي أولى به وأولى . وربما تكون هذه الأتقى يوما ما في عوالم أرقى وأرقى فيكون بينها اتحاد كاتحاد الأكسجين والادروجين . هذان اتحدا فكوتا ماء فكان به حياة كل شيء . ففعل أرواح هذا الإنسان أى الأبرار منها يوما ما ستكون على هذا الاتحاد السارى في الماء وفي النار وسيكون لها هناك قلات وأعمال لانقلها الان ويكون رأى الواحد رأى الجميع وتلك الإشارة بقوله تعالى - وزعنا مافي صدورهم من غل - اخوانا على سرر متقابلين . لا يحسم فيها نصب وما هم منها بمخرجين . - وفي الحديث (أنت مع من أحببت) وفي الآية - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم الخ - فهؤلاء الذين أنعم الله عليهم هم المتحابون في الله . إذن الحب نبراس هذا العالم . به ركبت المركبات وبه كانت النار وكان الماء وبه كان الحيوان والنبات وبه كان العلم والعلماء وبه كان الوحي على الأنبياء والحب حوارة أيضا والعلم حركات النحن . الحب نظام العالم . بالحب كانت هذه الجاذبية العاتية وبالحب كان التلاصق في أجزاء الحديد والنهب وكل جلد . بالحب قامت السموات والأرض . نظام هذا العالم هي المحبة . لتلك تسع للسلم في صلاته يقول - اهدنا الصراط للمستقيم - ولا يقول اهدنى . ويقول اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت وتسمة يقرأ - إياك نعبد - ولا يقول إياك أعبد وتسمة يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ويصلى على الأنبياء والمرسلين ولا يقول السلام على الله أكبر لاحياة الناس إلا بإجتاعهم ولاخير في اجتماعهم إذا لم يكن حب يشملهم . لهذا شرعت الجمعة وشرعت الجماعة وشرع العيد وشرعت الصدقات ليعتدب الأغنياء والفقراء ويقول تعالى - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا -

الدين يطلب هذا والعقل كذلك إذ لا يعيش الناس إلا بمساعدة بعضهم بعضا وهذا معنى قول الحكماء (الإنسان مدنى بالطبع) . رجع أمر الانسان الى حال الماء الناشئ من الاتحاد وهكذا النار وهكذا سائر المركبات . وهذا معنى قوله تعالى - إن ربي على صراط مستقيم - انتهى
(بهجة الحكمة في هذه الآيات وقوله تعالى - ويسبح الرعد بحمده وللانكة من خيفته -

ولم سميت السورة بالرعد)

اعلم أن السحاب كانسان تبسم ثم تكلم . تبسم بالبرق وتكلم بالرعد . وانما للمشكل في هذا المقام التسبيح والتحميد وهنا لا تسبيح ولا تحميد إذ لا يكونان إلا من العقلاء . والجواب عن ذلك أن تنظر أياها التكن ماضى في سورة هود في الاستطراد بذكر قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم - عند تفسير قوله تعالى - مامن دابة إلا هو أخذ بناصيتها الخ - فقد استبان هناك أن لكل حيوان لونا خاصا وهذا اللون هو الواقية الحافظة له . فإذا رأيت حشرة على لون زرق الطيور فذلك لم يكن لاذلالها ولا لاهانتها وانما ذلك لحمايتها من نفس تلك الطيور إذ تراها فتعافى لأنها ظهرت لها بهيمة زرقها وهي جائئة على الشجرة فما دامت تلك الحشرة جائئة على الشجرة فكأنما هي من طير الحرم حرم الله صيدها تحريم طييعا لادنيا فبهنا تنزيه الله عن العبث في وضع هذا اللون ومن قصد التحقير . وبفس هذا الوضع عاش هذا الخلاق وحياته نعمة تستوجب الجد فبهنا تنزيه لمتبسم محمد . هذا هو التسبيح والتحميد وهذا مثال من أمثلة كثيرة قسّم ذكرها هناك فارجع إليها . واعلم أن تسبيح كل شيء بحسبه فإذا كان هذا

تسبيح الطيور وقد شرح في سورة هود بأربع طرق وأبدع منهج فما تسبيح الرعد . أقول
 إن التسبيح والتحميد هنا إبداع لقوله تعالى - هوالذى يريك البرق خوفاً وطمعا - وذلك أن هذا
 العالم الذى نعيش فيه عالم طبيعى والعالم الطبيعى امتزج خبره بشره وضرته بنفعه . فإذا كان المطر نافعا فهو
 ضار . وإذا كان خيرا فهو شر . وليس هذا قاصرا على المطر فلال والبئون وجميع أحوال هذه الحياة فيها
 الأضرار قد امتزجا ولكن الخير أكثر من الشر والنفع أكثر من الضر . فإذا رأينا المطر يخفف الناس
 بالصواعق ويؤذى أهل المدن ويحذر ذلك فله منافع معروفة تربو على ضروره وهكذا النار والهواء وكل عالم
 المخلقة هذا حكمه . فإذا كان الرعد عجيذا لقوم فهو مطمع لآخرين ولكن الطمع أوسع نطاقا من الخوف
 فإذا أخاف الله عز وجل بالرعد المنذر بالمطر فهذا ضرر قليل يستغنى جانب النفع الكثير والحكيم لا يترك
 النفع الكثير لقليل الضرر وهذا هو قوله تعالى - فته الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين -

أنت يا الله محمود على المطر وإن كان فيه ضرر . ههنا امتزج التسبيح بالتحميد . تنزه الله عن ارادة
 السوء والضرر بالمطر الذى أنزله نعمة عاتية فهو ضرر جاء تابعا لامتنعوا لقرانه ولكن لا يحصى عنه وافلات
 المخوفات من هذا الضرر معناه املاكمهم . إذن الله تنزه عن فعل الضرر وذلك التنزيه مكتسب بنعمة توجب
 الحمد . هذا مافتح الله به فى معنى تسبيح الرعد وتحميد حكمة الله بالمطر وهو الملموع فيه
 لأنه نعمة ولم لم يكن عللنا كله رجاء لاخوف معه فقال هنا - ويسبح الرعد بحمده - اشارة الى أن الله الحجة
 البالغة وأن الله منزّه عن خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا لأن ذاك عظم التكبرون بالنم لجهلهم
 أصولها وعلاوها ولم يدرسوا أصول الحكمة فإن ما هو شر أو ما غلب شره لا ظهوره فى الوجود وما هو خير
 محض أو ما غلب خبره هما الوجودان وهذا العالم الطبيعى من هذا الأخير فلما أن يخلق على هذه الحال ولما
 أن يبقى فى حيز العلم . إذن الله بهذا البرهان العقلى للذكور فى اشارات ابن سينا وشرحه اجالا هناك
 أفادنا معنى التسبيح للممتزج بالتحميد والحمد لله الذى عللنا وشرح صدورنا وأرانا بعض حكمه وه الحمد فى
 الآخرة والأولى وهو الولي الحميد

(تسبيح الرعد وتحميد ح)

سبح الرعد وسبح لله مافى السموات والأرض - يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم -
 - ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والغير صافات كل - قد علم صلاته وتسبيحه - - تسبح
 له السموات السبع والأرض ومن فىهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده -
 هذه الجمل وهذا الممزوج لم ترد فى كلام العرب . فم سمعنا هذه الجملة فى قول الشاعر

• سبحان من علقمة الفاجر • هذا هو التسبيح الذى نطق به العرب وهو تسبيح فى باب الشتم
 والتم لاجال فيه ولا كمال . المسلمون يسبحون ويحمدون فالأول فى الركوع والسجود وعقب الصلوات
 والثانى فى الفاتحة وعقب كل صلاة وهذا التسبيح إما بلفظ بلا حضور معنى وهذا لافتة منه ولما مع حضور
 المعنى وهذا نافع للتعبد لنفس الانسان وحده ولما مع العمل بالمعنى وهذا الأخير هو شأن العارفين والعلماء
 العاملين وقادة الأمم الاسلامية للفكرين

يقول المسلم . هاأناذا أسمع أن نبينا ﷺ بشره ابراهيم بأن غراس الجنة سبحان الله والحمد لله الخ
 وذلك فى نهاية عروجه فى السماء . الصلاة تسبيح وتحميد وبشارة الحليل للامة تسبيح وتحميد . ما هذا
 كله وماخرته . فمرة هذا كله لا ظهور لها إلا بالعلم

(بـ يكون العلم)

يكون بهم نظام هذا العالم من السحاب والسماء والأرض . هذه كلها مسجعات . انك عند البحث

نرى شرها لم يكن مقصودا لئانه كما تقدم هنا وفي سور كثيرة من أمها (آل عمران) عند قوله تعالى - يذكّر الخبر - . السحاب يسم بالبرق وينذر بالزهد وانذاره بالزهد سمي تسبيحا . وانما خص الزهد باسم التسبيح لأنه صوت والتسبيح يكون بلفظ واللفظ صوت . بماذا أنذر بالزهد . أنذر بقرع حلول المأثر لنستعمله . للمطر خير وشره وشره قد اغفر بالبرهان المتقدم . إذن الله منزه عن خلق الشر مقصودا لئانه ولأنه منه لم يكن هذا الوجود . إن مسألة الشر والخير في أول العلم وهي آخره . هناك دين أغرس بنى على الهين إله الخير وإله الشر وإله الخير غلب إله الشر فخلق الظلمة وجميع الشرور . هذه المسألة عقدة القدر . هي لغز الحياة . كيف يكون الله أرحم الراحمين ويخلق الآلام والنقص . بهذه المسألة ضل قوم فنبذوا كل دين وعاشوا ملحدين . والماتورية اعتقدوا الهين غلب إله الخير إله الشر كما تقدم . والدين الاسلامي جاء بأمر جديد فقال إن الله منزه عن كل ما يلبق ومالئق ومالئق إلا أمر لازم للخير ولوحدها لخلف ذلك الخيرة الناس يعيشون على هذا الأرض في ألم إذا كانوا مفكرين ماداموا لم يقولوا وجد هذا الشر ولم ينبت به المؤمن يسبح ويعتقد التنزه بمجرد الإيمان ولكن القين لا يكون إلا بالعلم كافي هذا التفسير الذي جمعت لك فيه لب الفلسفة القديمة والحديثة . تسبيح الزهد وتسبيح كل مخلوق لا يعلقه إلا أولو الأبواب بالحكمة والعلم . للزهد تسبيح على العقلاء بل هو مخ التسبيح . وإذا سبح الانسان ربه وهو ذكي ثم هوترك هذه المخالقات التي حوله فلم يعلقها ولم يدرك لم خلق شرها مع خبرها فخل هذا لا ينزه ربه بقلبه ألبت بل يقول هذا العالم ملأه شرًا لاحكمة فيه يقولها بقلبه وإن لم ينطق لسانه

(ماذا يقول الزهد)

يقول . للمطر أقبل بخيره وشره . فاحترسوا من شره . هذه المعاني يفهمها الناس فلما أنهم يفهمون أن هذا الشر من لوازم الخير ولواستأنا الأول حرمنا من الثاني . فهذا المعنى لا يدرك إلا حكماء الناس في هذه الأرض . ولا جرم أن هذا المعنى تسبيح ملتبس بمحمد فالحير محمود عليه والشر قد نزه الله عنه وهذا هو رجاؤه في ديننا أن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله مع أنه رحمن رحيم ومن تحقق هذا أى الجمع بين خلق الشر مع وصف الرحمة فهو من الموقنين . إذن كل العالم مسبح بمحمد لله ولا كمال لتسبيح الناس إلا بتسبيح الزهد والسماوات والأرض وإن كان فهم الحقيقة على ما هي عليه مستحيلًا علينا في الأرض بقوله تعالى - لا تفقهون تسبيحهم - أى على حقيقته فأما فهمه كما قلناه فهذا هو المناسب لعقولنا ولا نقدر على أكثر منه . المسلمون يسبحون باللفظ ومعناه القريب ولكن لا كمال لهم إلا بدراسة هذا النظام وفهم الخير والشر والافتقار بأن الشر تابع لأصل . فهذا هو تسبيح الزهد وتسبيح ماني السماوات والأرض وتسبيح الطير وقد تقدم في سورة هود تسبيح الطيور المختلفة فراجعها فهناك عجب والحمد لله رب العالمين . انتهى

﴿ ستة عشر مليون طائفة ﴾

(الزهد والبرق في العالم)

اقتطعت من بعض الجملات العلمية الصادرة في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٦ مائتي باختصار وحذف ما لا يلزم لوائج الزهد أن يراق الفناء ويحصى عواصف البرق والبرق التي تقع فيه (رأى أنها لا تقل عن ستة عشر مليون طائفة في العالم أجمع) (٤٤) ألفا في اليوم والاحصاء الدقيقة التي أجراها العلماء في جميع أقطار العالم تدل على أن الرقم الذي ذكرناه ليس فيه مبالغة على الإطلاق . وقد ذكر الاستاذ (تلان) مدير الأرصاد الجوية في حكومة الولايات المتحدة أن العلماء لم يوفقوا إلى احصاء عدد تلك العواصف قط بل

الى رصد مداها وشدةها أيضا وقد أعوتوا لها رسوما يائنة تدل على الأزمنة والأمكنة التي تنكسر فيها تلك العواصف أو تنقل . ولو علم الانسان بكمية القوة الكهربائية التي تذهب ضياعا في الجو كلما حدث عاصفة منها لأدهشه اسراف الطبيعة وتبذرها إذ يؤخذ من الأرصاد التي جمعها العلماء أن تلك الكهرباء تكفي لانارة نحو ستة ملايين نزل أي انه كلما أومض البرق في الجو وأعقبها رعدو ذهب من القوة الكهربائية ما يكفي لانارة نحو عشر مدن كدنة لندن . كل ذلك يذهب في الظاهر ضياعا ويدل على اسراف الطبيعة الى حد مفرط . ولا يخفى أن البرق والرعد يحتاج الكرة الأرضية على نطاق واسع جدًا وكثيرا ما ينشأ عنها أضرار بليغة كما حدث أخيرا في الترسانة البحرية بمدينة (نيوجرزي) بأمریکا فان صاعقة انقضت من الجو وألهمت تلك الترسانة وأهلكت أنفسا عديدة . وحدث قبل تلك الصاعقة بضيعة أيام أن صاعقة أخرى انقضت على بعض أبرار الزيت في (كليفورنيا) فالتهمت وأكثت الخسائر نحو عشرة ملايين دولار وما يجدر بالذكر أن الصواعق لا تنكسر بأشكال الأضرار التي ذكرناها بل كثيرا ما تنقض على الأحرار والغابات فتحرقها ولاتبقى منها إلا الأثر . نعم ان الأمر يدعو الى أشد الأسف ولكنها أي الطبيعة تهديم اليوم ما بنته بالأمس وتخرب في لحظة ما أقامت في الآلاف من السنين . وفي الواقع أن في الولايات المتحدة الأمريكية أراضي كثيرة كانت بالأمس مغطاة بالغابات والأحراش وهي اليوم بقلع قفر لأن الصواعق أنفقت كل ما فيها من شجر وأونبات . ثم ان الرعد والبرق كثيرا ما تصحبها أعاصير تحدث من الأضرار ما لا يقل عن اضرار البرق والرعد نفسها ولا سيما في البحر وكثيرا ما تنتاب الطيارات في الفضاء فتصعقها كما حدث للطيارة (شندوه) الأمريكية منذ عهد قريب . وقد تفترض أمواج الكهرباء بآلية اللاسلكية أيضا فتصلها أو توقفها عن العمل وقد ينظم الجوّ بسببها فتضطرب الآلات التي تولد النور الكهربائي الى مضاعفة جهدها وفي ذلك زيادة في الاثقال كما لا يخفى . وقد قدر العلماء الأضرار التي تنجم عن عواصف الرعد والبرق فاذا هي لا تقل عن مائتي مليون دولار أو أربعين مليون جنيه في العام . على أن تلك العواصف جزءا من اضرارها منافع كبيرة فهي السبب في هطل الأمطار الغزيرة التي تروى الأراضي القاحلة وتساعد على انماء المزروعات وهي السبب أيضا في (ترجة) الهواء أي اشباعه بالتروجين بحيث يصبح سهادا للترية . وقد قدر أحد العلماء الفرنسيين ثمن السداد التروجيني الذي ينشأ عن عواصف البرق والرعد في بلاد الهند الصينية وحدها فاذا هو نحو أربعة ملايين جنيه في العام . فلذا كان ارتفاع الهند الصينية بسداد يبلغ أربعة ملايين من الجنيهات فما بالك بالهند نفسها وما بالك بالصين وما بالك بالعالم كله . فلذا ينفع الناس بمئات الملايين بسبب الرعد والبرق فالضرر من قوله تعالى - خوفا - والنفع يرجع لقوله - وطمعا - والضرر والنفع بالرعد والبرق جار على القاعدة العامة في هذا العالم . إن النفع أكثر من الضرر في الماء والهواء والأرض والحيوان والانسان قال تعالى - وما كنا من الخلق غافلين - وهذه قاعدة عامة في الحرب والسلام والموت والحياة وهكذا اه

(اللطيفة للحادية عشرة في قوله تعالى - والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغشوق والأصال -)

يناسب هذه الآية قوله تعالى - وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين - الى قوله تعالى - وهم في لجوة منه ذلك من آيات الله - وأيضا - والله جعل لكم ما خلق ظلالا • وجعل لكم من الجبال أكنانا - الى قوله - وأكرمهم الكافرون - وقوله - ألم تر أني ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا • ثم قبضناه لينا قبضا يسيرا - وقوله - أولم يروا أني ما خلق الله من شيء شيئا ظلاله عن اليمين والشمال سجدا لله وهم داخلون - وقوله - والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة وللائنكة وهم لا يستكبرون • يخافون ربهم من فوقهم ويضعون أيديهم -

ترى من هذه الآيات أن القرآن كرر ذكر الظلال وسجودها وقد شرحت هذا المقام شرحا وافيا في كتاب **(نظام العالم والأسم)** ولوقتته هنا لطال بنا للنظام فلا نخصر ذلك اختصارا ولا نكتف به في آيات الظلال الآتية . إن الشمس كما علمت حسابها منتظم وجميع ظلال الأشجار تبع لها فهي بحساب منتظم أيضا فلن ترى من شجرة صغيرة ولا كبيرة ولا شاخص إلا وله حساب منتظم تمام الانتظام تابع لحساب الشمس وقد عرف هذا الفلاحون وأهل البو لجعلوا أعمالهم على حسب الظلال . وقد استعمل علماء الفلك نفس هذا الظل في معرفة مقدار الزاوية التي بين الدائرة الكسوفية ودائرة للعدل المسمى ميل الدائرة الكسوفية وذلك أنهم نصبوا شاخصا في الأرض في محل مستو مكشوف ونظروا ظله في يوم المنقلب الصيفي وقد تقم في هذا التفسير وفي يوم المنقلب الشتوي وقد تقم أيضا وقاسوا في هذين اليومين أعظم ارتفاع زاوي للشمس وتوضيحه أن الشاخص يعتبرونه ضلع مثلث وقياسه ممكن وظله على الأرض ضلع آخر والحط الواصل من نهاية الظل ورأس الشاخص الذي هو وتر المثلث المقابل للزاوية القائمة ضلعه الثالث . فالزاوية للمنحصر بين وتر المثلث والضلع الذي رسمه الظل هي الدالة على البعد الزاوي للشمس وهذه الزاوية كلما قصر الظل كبرت وكلما طال صغرت كما هو مبين عليه في الهندسة . فإذا راقبت ظل الشاخص فنهاية قصره يكون هناك أعظم ارتفاع للشمس . وإن علم من المثلث ضلعه والزاوية للمنحصر بينهما فيمكن رسم ومقاس تلك الزاوية الدالة على ارتفاع الشمس بكل سهولة على الورق بالرق المشهور في الهندسة أو بغيره واتسع هكذا في يوم المنقلبين الشتوي والصيفي وتقسّم الفرق بين هذين الارتفاعين فيكون ذلك النصف هو الزاوية الواقعة بين الدائرة الكسوفية ودائرة المعدل . ويمكنك أيضا أن ترسم خطا بين هاتين النقطتين اللتين وصل إليهما الظل في يوم الانقلابين فذلك الخط هو نصف نهار ذلك المحل وحينئذ متى جاء ظل الشاخص عليه أي يوم من أيام السنة كان وقت الظهور مدى العمركه . أفلا تذهب كيف أمكن الإنسان بشاخص بسيط أن يعرف أوقاته وأن يحكم على الشمس في السماء ويبين درجاتها . نعم نعم هذا من آيات الله

(حكاية مصرية في الظلال)

كان رجل يسمى (أراتوستنس) فلكيا عظيما ولد في القيروان سنة (٢٧٦) قبل المسيح وقد تعلم في الاسكندرية وفي أثينا ودعى للاسكندرية سنة (٢٣٤) قبل الميلاد وعاش فيها إلى أن مات سنة (١٩٤) قبل الميلاد . هذا العلامة لما علم أن الشمس عمودية فوق الأرض عند مدينة (اسوان) في آخر القطر للمصري جنوبا وذلك في وقت الانقلاب الصيفي وراقب عمودا هناك في ذلك الوقت فإذا هولال له طبعاً فنصب عمودا بالاسكندرية فوجد له ظلا شاملا في تلك الدقيقة الانقلابية فرسم خطا من أعلى هذا العمود الى طرف ظله فحدثت للزاوية التي تكون بينه وبين الظل سبع درجات وخمس درجة وقد تقم بقية هذا الموضوع في أول سورة يونس فراجع وهذا العمل أشبه بما فعله المؤمنون بعد بأربعة قرون في هذا العمل وهو معرفة الدرجات كما في جغرافية أبي الفداء المسماة **(تقويم البلدان)** قال ابن بطليموس صاحب الجسطي وغيره وجدوا حجة البرجة الواحدة من الدائرة العظيمة المنوطة على الأرض (٦٦) ميلا وثلاثي ميل ثم حققوها في عهد المؤمن وحضروا في بركة سنجار ببلاد ما بين النهرين واقتروا فرقتين بعد أن حورو ارتفاع القطب ففرقة أخذت كتبه جهة القطب الشمالي وأخرى جهة القطب الجنوبي فانحط هؤلاء درجة وهؤلاء زاد عندهم درجة فكان (٥٦) ميلا مع إحداهما بغير كسروم والثانية (٥٦) ميلا وثلاثي ميل فأخذ بالاولى (٥٦) ميلا وقد عمل ذلك العمل مرة أخرى ببلاد الشام بين تدمر والفرات . فانظر كيف قام الظل في ذلك مقام ارتفاع الشمس وقامت زاويته مقام معرفة ارتفاعها القطب . فإذا سمعت قول الله تعالى - وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه - فتأمل تر أنه تعالى جعل الشمس

وظلالها لها حساب معين لا يتغير وتلك قال بعدها - ذلك من آيات الله - ولاترى من حائط أو عماد أو خشبة منصوبة أو شجرة أو جسر أو جبل أو صخرة أو حجر في سهل ولا انسان أو حيوان إلا ولكل من ظلها حساب كحساب الشمس - والله يسجد الخ - ومعلوم أن السجود هو الاعياد فلما سجد ما في السموات والأرض سجدت ظلها ولولا ذلك لم يكن الاستدلال بالظلال ولا بالزول على سير الشمس ومعرفة انتقالها

هذا ملخص من كتابي ﴿ نظام العالم والأم ﴾ مع زيدات عليه . ثم جاء فيه بعد ذلك موضوع عنوانه ﴿ غفلة القلاء عن النظر في ظلال الأشجار ﴾ وجاء في ذلك مملخصه أن الانسان يجلس تحت الأشجار في البساتين النضرة والجمال الباهر والطلل ولرف والنصن مزهر ولا يفكر في أمر الظلال ولا يقرأ قوله تعالى - والله جعل لكم مما خلق ظللا - الى قوله - وأكثروهم الكافرون - وجاء فيه أيضا . ان من حكم الظل أن الناس اذا شئوا من الشمس لجؤا الى الظل فنجدوا من الحرارة وهذه هي الأقسام الثلاثة نور وظلعة وظل . وكما جعل الله الليل لباسا بظلمته والنهار مبصرا بنوره جعل الظل ملجأ من الحر وقوله تعالى - ألم ترالى ربك كيف مّد الظل - أى ألا تنتظر الى صنع ربك كيف مّد الظل - ويطع مع أنه قادر على سكونه ووقوف حركته بأن تقف الشمس التي هي الليل عليه والحركة له والملاذة له يبيننا ويسار . فنحن جعلناها دليلا عليه ندل عبادنا بحركاتها للنظرة المعروفة للناس على سطح الأرض ليرتبوا أعمالهم في مباحهم وأوقات فراغهم وراحاتهم من شغلهم على أوقات ذلك الظل فلانرى رجلا ولا امرأة ولا صغيرا ولا كبيرا إلا وهم ينتظرون الاستظلال في محل كن لاسيا للقفار وبلاد الفلاحين وعند الأعراب . فكل هؤلاء لا يتكلمون الراحة والجد في العمل إلا ينظرهم في أمر الظل لراحاتهم هم وأنعامهم ولولا سير الشمس بحساب ما أمكنهم أن يستولوا على مواقع الظل قبل مجيئها - إن ربكم رؤوف رحيم -

وجاء في الكتاب بعد هذا تحت عنوان ﴿ غريبة وعجيبة ﴾ ان هذه الآية - إن ربكم رؤوف رحيم - قد جاءت كتابتها صفوا ولم يكن في ذكرى ان بعدها قوله تعالى - أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتبأ ظلله عن العيين والشياطين سجدا لله وهم داحزون ٥ . يقول الله أغفل أولئك الجاهلون ولم يروا ما خلقنا من الأجرام ذات الظلال تميل ظلها عن الأيمان تارة وعن الشياطين تارة أخرى وتلك الأجرام خاضعة لنا جارية على التوالميس التي سنناها وهم صاغرون الخ . ثم قلت هناك بعد كلام . ولقد أطنبت في مسألة الظلال لأنى كنت أرى في نفسى شائقا لا أدري ماهو وأتأمل في هذه الظلال وأقول في نفسى لعل هذه حسابا . وإليت شمرى كيف يكون ذلك الحساب وعلى ماذا يدل وما نظامه وكنت أجد في القلب حرارة وشوقا ولا أدري كيف السبيل اليه ولا أى علم يدل عليه في ابتداء مجاورتي بالجامع الأزهر

ثم ذكرت بعد ذلك أن الظلال أضبط في معرفة الوقت من ساعات الجيب وأن كل شعير وحجر ونبت وشخص وجبل وبالجملة كل ما له ظل يدل ظله على جميع الأوقات أفضل من ساعات الجيب ولكن معرفة ذلك عسرة . وهنا ذكرت الزاويل في الكتاب وبينت المزاولة للمعدلة وكيفية عملها كما تقيتها عن أشياء مع برهنتها الهندسى وبينت هناك أن المزاولة في خط الاستواء تكون قائمة على الأفق وكلما مال العرض جنوبا أو شمالا مال المزاولة جهة خط الاستواء بقدر متمم عرض البلد ففي عرض (٢٥) تميل جهة خط الاستواء (٧٥) وفي ٣٣ كلسان تميل (٦٧) وهكذا وهنا ذكرت ما يقوله العلماء في الظلال فمن قائل انها أمراض ولكن ورد عليه أن العرض لا ينتقل ومن قائل انها أجسام ولكن ورد عليه أن الأجسام لاتزول بزوال أسبابها فلا يزول البناء بزوال البناء ولكن هنا زال الضوء لما زال المضيء وهو الشمس . ثم قلت الأقرب للصواب أنها أمراض وماهى إلا تموجات في الأثير والأمواج متى زال المحرك لها زالت . ثم بعد كلام ذكرت تحت عنوان ﴿ دلالة الظلال على الله ﴾ انه كما يستدل على الظل بالشمس هكذا استدل كبار العلماء على العالم بالله

وكما أن الشمس لو فرض زوالها زال الظل هكذا لو فرض زوال الله زال العالم بالكلية كما يزول الضوء والظل بزوال الكواكب ولا يبقى إلا الظلمة وهي هنا العدم المطلق ومن هنا تزول شبهة العاتية

يقولون إن الانسان بيني البيت ويموت ولم يعلموا أن المثل لم يكن الباقى فيها إلا جمع ما فترق بخلاف هذا العالم فهو كالظلال تنبع الشمس والكلمات لا توجد إلا عند تكلمه ومتى سكت لم يكن كلامه . فذلك ذكر الله الظل في عدة مواضع كما عبر بالكلام في قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي أح - بخلاف الخط الذى هو جمع ما فترق من الحروف بمادة على الورق فهذا أشبه بصانعنا تبقى بعد موتنا فالعالم مع الله كالكلام مع المتكلم والظل مع المضيء لا كالكتابة مع الكاتب وقد كرر الكلمات كما كرر الظلال فقال - إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون - وقال - وكلت ألقاها إلى مرمر - ثم جاء بعدها ولقد رمز إلى ذلك بقوله - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - إلى قوله - حلينا غفورا - وبقوله - ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم - وهذا بخلاف نباتنا فهو باق بعد بانيه وليس كالكلمات ولا كالظلال . ثم ذكرت بعد ذلك تحت عنوان (أعجوبة الظلال وملح الهندسة) فرسمت من فوق نخلة ووصل إلى الأرض بحيث يرسم في طبعاته خطا مستقيما أوله على الشجرة وآخره نهاية ظلها على الأرض وزيد أن نعرف طول هذا الخط بقاء الجواب تقيس طول النخلة وطول الظل الذى يمتد من أصلها إلى نهاية الظل وزيد كلا من الضلعين ويجمع المربعين ونحضرها فالجذر هو المطلوب فإذا كانت النخلة أربعة أمتار وطول الظل ثلاثة فربع الأول (١٦) والثاني (٩) ومجموعهما (٢٥) والجذر (٥) وذلك من قاعدة أن مربع وتر المثلث القائم الزاوية يساوى مجموع المربعين المشايين على الضلعين الآخرين ولها شكل في الهندسة يسمى (المروس) الذى كشفه اليونان . ثم قلت إن هذه القاعدة لا بد من نخلة ولا شجرة ولا زرع ولا أسفر من ذلك حتى النخلة ظلها يكون على هذه القاعدة وأن ذلك من الميزان الذى قامت به السموات والأرض وما بينهما . هذا إذا كان العمود أو الحائط قائما عموديا فإن كان مائلا فليزمن من رأسه عمود على الأرض فالساق المحصورة من أصل المرتفع وذلك العمود هي مسقط النخلة على الضلع وحينئذ تقول إن للمربع المنشأ على الضلع المقابل لزاوية حادة من هذا المثلث يكافئ مجموع المربعين المنشئين على الضلعين الآخرين منه ناقصا ضف المستطيل الذى قاعدته أحد الضلعين للمذكورين وارتفاعه مسقط الثانى عليه فإذا كان ذلك العمود أو الشجرة أو الحائط مائلا إلى خلف كانت الزاوية منفرجة فنضع ما تقسم قبله ونقول إن مربع الضلع المقابل لزاوية منفرجة في أى مثلث منفرج الزاوية يكافئ مجموع المربعين للنشأين على الضلعين الآخرين منه زائدا ضف للمستطيل الذى قاعدته أحد الضلعين وارتفاعه مسقط الثانى عليه ونجمله غير خاف

ثم قلت فتأمل هذا الارتباط العجيب وكيف أمكننا أن تقيس كل ظل بهذه القوانين الثلاثة فهكذا يكون الميزان والعدل والنظام المحكم في السموات والأرض وسواء طال الظل أم قصر أول النهار أو آخره فالنسبة محفوظة ثابتة لا تتغير وبهذا يفهم - وترى الشمس إذا طلعت تزلو عن كهفهم الخ - وختمت هذا الموضوع الذى اختصرته هنا اختصارا كثيرا قائلا وإعلم اننى وأنا أكتب هذا الموضوع وجدت نفسى فرحة به طلبة طائفة تحب أن لا يفتضى ولو أعطيت لم يقب البراع وسوقنى خوف سامة القارئ

ثم قلت وبالأجمال فإن مسألة الظلال وتبعيتها للشمس تشير بطرف خفى إلى أن العالم كله تابع لحركة واحدة منتظمة فانتظم كل ما تبعها كما انتظم سير الظلال تبعاً لنظام الشمس فالمادة العمومية متحركة منتظمة ظاهرا وباطنا والشمس جزء صغير منها وبمحركتها انتظمت الظلال فهذا الجزء دل على الكل للتشابه بين العالم كله - ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين - . - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا -

(العليقة الثانية عشرة في قوله تعالى - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الخ -)

شبه القرآن بالماء الذي ينزل من السماء لتسبيل به الأودية على قدر الحاجة و يمتضى المصلحة فينفع الناس والحيوان والنبات ويكتث في الأرض . فنه ما يكون فوق رؤس الجبال على هيئة تلج ومنه ما يخزن في باطن الجبال ومنه ما يسلك في عروق الأرض فيكون منه الجارى في باطن الأرض ومثل الماء في أنه مشبه به القار الذي يتنقع به في صوغ الحلى واتخاذ الأمتعة المختلفة ويوم ذلك الى حين وشبه القلوب بالأودية فكما أن الماء لا يسيل في جميع الأودية هكذا العلم لا ينزل على كل القلوب . وكأن الأودية لا تأخذ من الماء إلا بقدر هكذا القلوب لا تقبل من العلم إلا ما يناسبها وتأتى أن تقبل ما لا يناسبها . وشبه الباطل بالزبد في قلة النفع وسرعة الزوال . هذا هو المثل وإنما ذكرته هنا بعد ما تقدم لأسعك الحديث

عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فتملم ولم . ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله للذي أرسلت به)

(١) للكلأ الخشيش (٢) اجادب أرض لا تثبت الكلأ (٣) وقوله زرعوا رواية مسلم ورواية البخاري وزرعوا (٤) القيعان جمع قاع وهو المستوى من الأرض وقته كعلم وظرف أى فهم الأحكام وغيرها ومعنى هذا أن الناس لما كانوا مخلوقين من الأرض أشبهوها (١) فنها الأرض الطيبة تقبل المطر وتأتى بالنبات . هكذا منهم من ينتفع بالعلم وينفع غيره (٢) ومنها أرض لا تثبت زرعاً ولكنها تحفظ الماء لأرض غيرها . هكذا منهم من يقرأ العلم ولكن لأفهم له ولا يدريه فيقولون العلم الى من يعرف قيمته فيأخذونه عنهم ويعلم غيره (٣) ومنها أرض سبخة لا ماء تمسك ولا صرى تثبت . هكذا من الناس من لا قلوب لهم حافظه ولا أفهام لهم ثاقبة فهم لا ينتفعون بالعلم ولا ينفعون غيرهم . هذا ما أردت ذكره في هذه الآية من وجهة الأحاديث الشريفة

(نظرة في الآية من جهة العلم الحديث)

اعلم أن في العالم الانساني اليوم فكرة نبئت في انكسار كما يقولون وانتشرت في أنحاء المعمورة شرقا وغربا وهي (النشوء والارتقاء) وتلك الفكرة ترى الى أن كل شئ في هذه الحياة أخذ في الارتقاء موجه الى الخفاء وهذه الحياة مغالبة ومناخلة ولا يهزم إلا الأقوى والضعيف له النكال وعليه الوبال فلا بد للأقوى من الغلبة في الحياة . وقد عمت هذه الفكرة الأحوال الحيوانية والانسانية والسياسية وبنوا على ذلك قتل الأمم الضعيفة بحجة أنها لا تصلح للوجود وساعدتهم على ذلك البخار والكهرباء والنفعم والحديد والاختراعات والطائرات وأنه كلما كان الانسان أقوى استعدادا وأوفر عدة كان أبقي حياة وأوسع حالا وهذا التاموس هو الذى بنوا عليه سيادتهم وسعادتهم فلا يبقى في الوجود إلا الأصلح

(حكاية صينية)

منذ سنين قرأت في بعض الجرائد محادثة بين سفير (صيني) ومكاتب لاحدى الجرائد الفرنسية . ابتداء الكاتب يصف المكان والزمان وللتاع والنظارات التى على عيني ذلك السفير وابتسامه وأخلاقه وحسن بزمه ثم سأله مشاء أن يسأل قتال له السفير . لم تراكم يا أهل أوروبا خاتمين من رقى الصين ولماذا منتم بيع الأسلحة الى الصين . فقال له لانا نخاف أن يعظم أمركم فتأتون أتم وجيرانكم قسطنطين علينا . فقال له هون عليك إتنا ليس في تعالينا اهتمام حقوق الأمم . ثم إن كوتشويس وبودا ومحمد هؤلاء لا يحاربون

أوروبا كما تحاربون الشرق بل تكون سلاماً على الناس . على أنكم مهما كان الأمر وفهل تقفون حركة الفلك . فهب أننا نرتقي وهب انتاسقنا لكم وغلبكم فهل قدردون أن تمنعوا شيئاً من ذلك . كلا . أستم تفخرون بأنكم كسفتهم ناموس الارتقاء فإذا كان الارتقاء يعم العالم فكيف تصبوتنا عنه وهل في قدرتكم أن تمنعوا الشمس عن السير . إن التوليس العاقلة لا يقدر أحد أن يصدها فاما أسلحتكم فانتا تقدر أن تأخذ رجالكم بالمال ويصنعون الأسلحة لنا في بلادنا فاضلوا مايتناشون فلا تفرزون الصين . انتهت الحكاية إن هذه الآية ملخصها أنه لا يبيح إلا الأتقع فهي عينها نظرية الترقى وبقاء الأصلح فالما والفلزات أشبه بالأمم الراقية العاقلة الكاملة والزبد أشبه بالأمم الجاهلة التي تظهر غلبتها في أول الأمر ثم يستريها الاضمحلال والاحتلال . إن أكثر الأمم الراقية الآن كالأسبان والطلبان وأهل فرنسا والانجليز قوم قتلهم الشهوات واعتراهم داء الطمع واحتلت الأعصاب فهم أقرب الى الاحتلال والبرهان على ذلك ان ألفاً من عرب طرابلس وألفاً من عرب مراکش يظليون عشرة آلاف من الطليان وعشرة آلاف من أهل اسبانيا . إن أم أوروبا اليوم قد ضعفت أجسامها وخارت قواها . فأما أم الشرق فان قوتهم أمتن وعقولهم صالحة للارتقاء وقد جاء دورهم فحي قرأ العرب والترك والأفغان والصينيون علوم أوروبا واستعملوا مدافعهم حادوا عجلهم وقاموا مقامهم في رقى النوع الانساني فاهل أوروبا اليوم أشبه بالزبد لأنهم ظاهرون وأهل الشرق أشبه بالماء ولذلك غلب الترك أوروبا بمجتمعة منذ ستة وكذلك الأفغان طردوا الانجليز . وقد آن أولان أن يأخذ الشرق دوره وذلك من جلة الارتقاء وبقاء الأصلح وهذا هو الذي سيكون كما ظهرت اليابان والأفغان وقوم عبد الكريم بلغرب والسوسيون في طرابلس والترك في الأناضول والفرس في بلادهم . فهذه ست أم ظهرت في هذه الأيام . وسترى في المستقبل القريب رقى الشرق الزاهر ان شاء الله تعالى

(تنبيه) إن الأمتين المرتيتين المذكورتين عند طبع هذا غلبتا على أمرهما لاتحاد الاورو بين عليهم جاء في كتابي (مذكرات أدب اللغة العربية) في صفحة (٩٣) ما فيه (باب التشبيهات في كلام العرب والقرآن)

بذكر في هذا الباب جلا حوت التشبيهات في كلام العرب ثم تتبعها بأخرى من آي القرآن لعرف أنواع الكلام وليستدل للطالع على مقدار ماوصلت اليه البلاغة عند الجاهلية في أشعارهم وكيف تحضها القرآن وتجاوز تلك الدرجة الى ما هو أعلى منها وأسمى . قال ليد بن ربيعة العامري في معلقة

وَجَلَّ السُّيُولُ عَنْ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ مَجْدٌ مُتَوْنًا أَقْلَامُهَا
أَوْ رَجْعٌ وَارْتِمَاءٌ أَسْفَ نُورُهَا كَيْفَ تَمَرَّضَ قَوْهِنَّ وَشَأْنُهَا

يقول لما تاملت الأمطار على الديار وحملت منها السيول كشفت آثار الديار لفصل ما كان مترا كما عليها من التراب فكانت تلك الطلول كتب غابت فيها الكتابة لطول عيدها بالكتاب وكان تلك أقلام مجتد الكتابة وتظهر ماخفي منها والرجع الاعداء والوارثمة التي تسع الوشم وأسف ذر والنور السجل الذي ترشه الواشمة على الجرح والكشف دلالات تكون في الوشم وتعرض ظهر ووشم جمع وشم غرز الابر في اللحم حتى يظهر السهم ثم ذر السجل عليه (المعنى) وكان تلك السيول واشمة عمدت الى وشم قد ضف أثره على اليد فربحت وأعادته بذر النور على دلاته حتى كأنه جديد لا يضمحل وقوله جلا أى كشف والسيول جمع سيل الماء الكثير والطاول جمع طلل آثار الديار والزر جمع زبور الكتاب ومجد مجتد والمتون جمع متن وهو بمعنى الظهور في غير هذا المقام وهنا معناه الكتابة ويقول الله عز وجل - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - الى قوله - كذلك يضرب الله الأمثال - . يقول ان الله أنزل المطر فسالت به الأودية وأخذ كل واد قسطه وربا على الماء الزبد . هكذا ترى الناس يوقنون النار ويصهرون المادن فيعملوا على جواهرها

الأجسام الثرية كما يعلو الزبد على الماء . وهكذا كان الحق والباطل في الدنيا فان الحق في أول أمره يغلب الباطل ويغشيه بنشأه من الأضاليل ثم يتكشف النطاء ويصحص الحق ويتجلى للناس كما أن زبد الماء الراقى عليه وزد المعادن النفيسة يذهب ويزل بعد أن غلب وغشى على الماء والمعدن فاما ماينفع الناس من الماء والمعدن كالذهب والفضة فانهما يقيان . فهذا ينبت الكلا والعشب والمزروع والحدائق والجنات . وهذا تصاغ منه الخلى ويجهله النساء زينة لمن وجالا ويجهله الناس آلات ويعملون به أعمال الحياة . هذا هو الناموس الطبيعى العام الذى افتخر به الاورو يون وقالوا قد كشفناه ودرسناه وأبرزناه للعالم وهو ناموس بقاء الأصلح للوجود والأخف للانسانية والأفضل للحياة نطق به هذه الآية وجعلت أعمال المجاهدين والفضلاء والحكماء والمخلصين تشابه مآثره كل يوم فيها أماننا من الزبد والماء والخلى وأن الحق يعاوان غشيته الأباطيل والباطل يذهب جفاء وإن غلب بالتخليل . هذا هو الناموس المبين فهل ترى له مع قول لبيد موازنة .

أفرايت الفرق بين التشبيهن وكلاهما فى الماء . أليس من العجب أن يقتصر لبيد على الطاول واليسداء ويتعالى القرآن فيقيس به السياسة والحكمة والحق والباطل فيقول - فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض -

عجب عجاب . هذه هى التى غر بها الاورو يون وقالوا نحن لها عترةون . ألا فلينظر العاقلون وليعلم الذين لا يطمعون . انتهى القسم الأول من السورة

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ • أَفَنَنْفَعُ
أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ • الَّذِينَ يُؤْفُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتْقَضُونَ إِلَيْنَا • وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ • وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْنَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ • جَنَّاتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ
بَابٍ • سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ • وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَشَرٍ
مِثْلَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ النَّارُ وَلَهُمْ
سُوءُ الدَّارِ • اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي
الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ • وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ • الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَا بَ • كَذَلِكَ

أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ
 بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ • وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ
 الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ مَوْلًى بِهِ الْمَوْتَى بَلْ فِيهِ لَأَمْرٌ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَنْتَسِ الَّذِينَ آمَنُوا
 أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ
 تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ • وَلَقَدْ أَسْتَهْزَى رِيسُلُ
 مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابٌ • أَفَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى
 كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ مَبْعُوثٌ أَمْ تَتَّبِعُونَهُ بَلَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْرٌ
 بَظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا
 لَهُ مِنْ هَادٍ • لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ
 مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ
 اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ • وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنْ
 الْأَحْزَابِ مَنْ يَنْكُرُ بِمَعْصَةِ اللَّهِ إِنْ آتَا أَمْرٌ أَنْ أَحْبَدَ اللَّهُ وَلَا أَشْرَكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ
 مَأْبٌ • وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ أَتَّبِعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ
 مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا
 كَانَ لِرُسُولِي أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ • يَحْمِلُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ
 وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ • وَإِنْ مَأْرَتُكَ بِمَعْصَةِ اللَّهِ تَعِدُكُمْ أَوْ تَنْفِيكَ فَلَا تَأْمُرْ عَلَيْكَ الْبَلَاغُ
 وَعَلَيْكَ الْحِسَابُ • أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ
 لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ • وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَفِيهِ لَلْكَرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا
 تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ • وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا
 قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ •

(التفسير القفطي)

قال تعالى (الذين استجابوا) المؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) للنفعة العظمى في الحسن بأن
 تكون خالصة من الشوائب الفاسدة ومن الاقطاع (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة مبتدأ خبره (لو أن)
 لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لا تقوا به أولئك لهم سوء الحساب) بأن يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له

منه شيء واعلم أن في قوله تعالى - لا تدعوا به - سرا مصونا يحتج في القلوب والتشفاه لانتلقه محسوسا في النفوس والناس عنه في تبه . ذلك أننا في هذه الحياة لاحظنا لإفانوسا وحدها وكل ماعدا النفوس مضمحل الأثرى أن أحدنا لو أصابه مرض أضعف شديد أو هرم لأصبح لا يحسن بما كان يحسن به في زمن الشباب وقلت آماله وضاعت أحلامه ومنى ضخت قوة الطعام فيه لم تكن له فائدة من المال التي عنده فكل شيء دون النفس زبد يذهب جفاء وقوله (وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ) أي مرجعهم (وَبُئْسَ الْمِهَادُ) للكان للمهد والنصوص بالهم مخوف أي جهنم وقوله تعالى (أَفَن يَظُنُّ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَبُرَ هُوَ اكْهَمِي) الهمة لانكار أن يشك عاقل ما بعد ضرب هذا المثل أن يستوى الذين يصلون والذين لا يصلون وهم عمو البصائر مع أن البعد فيها بينهما كمعد ما بين الماء الصافي والابريز الخالص والزيد والنجب (إنما يذكر أولوا الأبواب) ذوالالقول الذين نبهوا الوهم والالف واستبصروا بالرأى ثم وصفهم فقال (الذين يوفون بعهده الله) التي عقده على أنفسهم بشهادتهم بر بويته وشهدت فطهرهم في هذه الحياة بصحته وأزل الكتاب بإيمانه (ولا ينقضون الميثاق) ما أوفوه على أنفسهم من الإيمان بالله ومن الموائيق بينهم وبين الناس من ذكر العام بعد الخاص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الأرحام والقرابات الخاصة وكذلك القرابة الدينية وهي تم جميع المؤمنين فهم اخوة فيحسن اليهم متى قدر ويذب عنهم ويشفق عليهم ويفضي السلام ويعود المرضى ويراعى حق أصحابه وخدمه وجيرانه ويرفقه في السفر . واعلم أن الانسان لا تخلو له إما أن تكون له قدرة علمية فهذا يجب عليه نشره بين أمته وهذا أعلى الدرجات ولما أن تكون له قدرة عملية وعجز عن العلمية فهذا ينبغي له أن يصرف أيامه في مواسة الفقراء وعيادة المرضى وفصل اللبرات والخبرات ولما أن تكون قدرته عاطلة فلا عمل عنده ولا قوة لديه وهذا ينبغي له أن يصرف أيامه في العبادة ويلتزم الحراب ولما أن تكون نفسه خلت من العلم ومن العمل التافع ومن العبادة فهذا خيره أن يدع الناس ويحتجهم لأنه لم يبق لديه إلا الفسقة والنجمة . فالثلاثة الأول أشبه باللائكة على اختلاف درجاتهم فالعالم العام النفع أفضل من المواسي لضعاف الأئمة وهذا الثاني أشرف من العابد الملازم للحراب والتارك للخير والشر العاكف على النوم وهو الرابع أشبه بالطير في البيداء لا يملك للناس قنعا ولا ضرا . فالما الخامس وهو من يضيع وقته في أذى الناس فهو كالحيات والعقارب والتباب والناموس وأمانها يؤذي الناس على مقدار ما أوتي من قوة وما نال من همة على درجات متفاوتة تفاوت الدرجات في المشبهين باللائكة وقوله (ويخشون ربهم) أي وعيده عموما (ويخافون سوء الحساب) بحيث يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) عن المعاصي وعلى ما أصابهم من مرض أو أذى من الناس أو فقر وعلى الطاعات ومشاقها (ابتغاء وجه ربهم) لا لينال ما أكل صبره أو لئلا يشتبه الأعداء أو لئلا يصاب من الأصدقاء وإنما يكون صبره خالصا لوجه الله لعله بأن ذلك رافع لشأنه مهذب لنفسه رافع لدرجته مقتر عليه لحكمة (وأقاموا الصلاة) داوموا على اقامتها (وأنفقوا) بما رزقناهم بعض ما رزقناهم واجبا أو متعوبا (سررا) فيما بينهم وبين الله وهذا أولى لمن لم يعرف المال (وعلاية) وهذا أولى لمن عرف بالمال (ويدعون إلى الحسنة السيئة) فيدعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم أو هم المطعون من حرمهم العافون عن ظلمهم الواسعون من قطعهم التائبون من ذنبهم المغيثون للسكر إذا رآه ويتبعون السيئة الحسنة فتمحوها فهذه (ثمان خصال) الوفاء والصلة والخشية ومحاسبة النفس والصبر وإقامة الصلاة والاتفاق وأن يدعوا السيئة بالحسنة فهي عدا بواب الجنة الثمانية ولذلك أعقبها بها فقال (أولئك لهم عتي النار) عاقبة الدنيا العاقبة التي تنفي لهم وأبدل من عتي النار (جنات عدن) أي بساتين إقامة . يقال عدن بالمكان إذا أقام به (يدخلونها) أي النار التي تقيم ذكرها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) عطف على الولو في يدخلون فالأزواج والذرية يقرنون بهم عند

دخولهم الجنة إذا استحقوها بصلاحهم وتكون للزينة إذ ذاك جمعهم معهم تكميلاً فيقرن بعضهم ببعض لما بينهم من الصلة والتقيد بالصلاح للدلالة على أن النسب لا يبعد في الآخرة (ولللائكة يدخلون عليهم من كل باب) من أبواب منازلهم في الجنة أومن أبواب الترحيب والتخفيف وبشارات الرضا قائلين (سلام عليكم) بشارة بدوام السلامة هذا (عما صبرتم) أي هذا الثواب بسبب صبركم بأقسامه للثقة ويصح أن يقال تسلم عليكم وتكرمكم بصبركم والأول أولى لأن الخبر فصل بين المتعلق والمتعلق به (فمن عتي القلار) الجنات . ولما أتم الكلام على صفات السعداء أعقبه بصفات الأشقياء فقال تعالى (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) بعد ما أوقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) أي من الرحم وحفظ الجوار والمساعدة العامة كما تقتض (ويضدسون في الأرض) بالنظم والمعاصي والتبذير وتفرق الكلمة (أولئك) أي من هذه صفته (لهم للجنة ولهم سوء الدار) عذاب جهنم وسوء العاقبة في مقابلة عقي الدار . ولما كان كل فئة وتبذير وقس عهد انما يكون لقصد الشهوات والحياة الدنيا أخذ يذمها فقال سبحانه (الله ييسر الرزق لمن يشاء ويعسر) يوسع ويضيق قوم فقراء وآخرون أغنياء وما الفقر والغنى إلا كالليل والنهار يمران على البر والبحر والصلح والظلم فليس الذي مرى الأنظار ولا الفقر غاية الأخطار بل هما حالان يعثوران الناس بأقدار غالبية وأحوال عارضة كما ينشئ النهار الليل والليل النهار فكيف يعرجون ييسر الرزق في الحياة ويعسر منه أكبر متاع وما الحياة كلها إلا سحابة صيف عن قليل تنشق فما بالك بنفس الغنى ونفس اللذة وما هما إلا حالان عارضان في الحياة فالحياة وشؤون الحياة لا وزن لهما ولا ثمن وهذا قوله تعالى (وفرحو بالحياة الدنيا) أي بما بسط لهم من الرزق فيها (وما الحياة الدنيا في) جنب (الآخرة إلا متاع) متعة لا تدوم كجباله الزاكب وزاد الراعي فهو لاء بطروا وأشروا بما نالوا من الدنيا واعتزوا بقليل المنافع سريع الزوال . ولما أثنى ولوعهم بالسراب واتخذهم الحباب وجه لهم بما حضر وغاب أخذ يبين ما تربى على ذلك القصور من اقتراح الآيات الناجم من بطرهم وأشهرهم فقال (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدى إليه من أناب) أقبل إلى الحق ورجع عن الضلال فمن أضله الله فلا هادي له وإن نزلت الآيات التي اقترحها فالقلوب تختلف باختلاف الأدوية كما تقدم . ثم أبان المهتدين فقال سبحانه هم (الذين آمنوا وطمأن) تسكن (قلوبهم لذلك الله) ففي الوحدة يسكنون بأنسه . وعند الحاجة بالاعتقاد عليه . وعند القلق من خشية يسكنون برحمته . وعند الشك في وجوده يسكنون بدلائل وحدانيته في آيات الكتاب ومعجائب الكائنات ولطمأنينة إلا باليقين والشك موجب القلق والاضطراب (ألا يذكر الله تطمئن القلوب) في جميع ما يناله ولما كان اطمئنان القلوب لا يتسنى إلا بعلم الحقائق وتهذيب الأخلاق أرفده وبين للطمئنين ونوابهم فقال (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) أي فرح لهم وهي جلة خير الذين وطوبى فعل من الطيب قلبت الياء ولوا بعد التثنية وهي مصدر كزني وبشري . وقول العرب (طوبى لك) أي أصبت خيراً . ومعنى هذا أن أهل الجنة منعمون بكل ما يشتهون فكل ما يسر النفس داخل في هذه القضية . فإذا سمعت حديث البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد لغمر السريع في ظلها مائة عام ما يطعمها) وسمعت أن البخاري زاد (واقرأوا إن شئتم - وظل عمنود) . وإذا سمعت الأحاديث التي ليست في الصحاح أن ثياب أهل الجنة تنخرج من أكمامها وأن الحلى والحلل تكون من أغصانها وأن في كل دار وغرفة في الجنة منها غصن وأن لله لم يخلق لونا ولا زهرة إلا وفيها منه إلا الاسود وانه لم يخلق فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها وأنه ينبع من أصلها عينان الكافور والسلييل وأن كل راحة منها تظل أمة فإذا سمعت هذا كله في الصحاح وفي غير الصحاح فاعلم أنه بعض ما أعد لأهل الجنة من الفرح الذي

تضمنته الجنة والجنة أعم من هذا كله صح أول صح وأما الحقيقة فهي أن أهل الجنة لهم ما يشتهون وهذا في الامكان بل ان العوالم التي كشفها علم الفلك بلغت عظمتها حدا لا يتخيله الفكر فاذا كان هذا في العالم الذي نحن فيه فكيف تكون الجنة بل ان كل روح من الأرواح لها قدرة نالقة على اختراع ما تشاء من ملابس وماكل من كل ما تشتهيه وهذا ثبت في علم الأرواح اليوم في الأمم الغربية فاذا كانت كل روح لها قدرة على نوع ما من اللباس والفنائس فذلك أكبر نعمة تفوق ما هو مشاهد في الخارج

إن الحديث أبان فناس ما يقدرون على فهمه وفتح لهم باب عظمة العالم ليستعدوا لما سيرونه بعد الموت وما بعد الموت فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - ولله يكون ما سمعناه في الحديث تقريبا لعقولنا المعبوسة في هذه العوالم الحسية - وإذا كانت الجنة فيها ما لا يتخطر ببالنا فهذا ربما يخطر بالبال فما فيها فوقه بما لا يحده الله وقوله (وحسن ما ب) أي ولم حسن متقلب . ولما كانت الآية أبانت أن ذكر الله به تطمئن القلوب وذكر من ذلك أن لهم ما يشتهون في الجنة أتبعه بأن هذه العقيدة قديمة العهد ليزداد الاطمئنان فليس النبي ﷺ بدعا بل سبقه أنبياء أرسلوا لأمتهم فهذا التسامع يدل على صدق الدعوة لأن الأمم تضافرت عليه وما كان باجتماع الأمم فهو حق والحق به الاطمئنان فوجدتهم بالسعادة أولا وحق أصول دينهم ثانيا وأي الاطمئنان بعد هذا وهذا قوله تعالى (كذلك) مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك (أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها) تقدمتها (أمة) أرسل اليها رسل فهل يكون بدعا إذا أرسلناك اليهم (لتتعليمهم النبي أوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحينا اليك (وهم يكفرون بالرحن) أي وحالمهم أهم يكفرون بالبالغ الرحمة العظيم النعمة قد أحاطت بكل شيء رحمة ووسعت كل شيء نعمته فلم يشكروا احسانه ولم يدركوا انعامه ولم يعرفوا منته في الهداية بإرسالك اليهم وانزال القرآن لتقرأه عليهم . وهذا القول عام لا يخص حالا بينها فكفرهم شامل وجهلهم عظيم . فاذا سمعت أن هذه الآية نزلت في صلح الحديبية وأن سهيل بن عمرو لما جاء للصلح وانفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب أكتب بسم الله الرحمن فقالوا لا نعرف الرحمن إلا صاحب الرحمة (يعنيون مسيلة الكذاب) أكتب كما نكتب باسمك اللهم وعليه تكون الآية مكية . واذا سمعت أن أبا جهل سمع النبي ﷺ وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحمن فرجع أبو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو إلهين يدعو الله ويدعو لها أتريسمي الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا الرحمن الجلالة فنزلت هذه الآية . واذا سمعت أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ - اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن - . اذا سمعت هذه الروايات كلها وأن الآية نزلت فيها فاعلم أن ذلك لا يغير من المقصود شيئا فكل هؤلاء كفروا بالرحمن فسهيل بن عمرو وأبو جهل وكفار قريش صدقت عليهم الآية . فأما اختلاف الروايات وكل من الرواة يقول نزلت للسبب الذي ذكره فانه من تصرفهم أو من استعمال النزل في معنى أنها تنطبق عليها . وأنت علم أن شراح البخاري نسوا على أن الحديث ظني فما بالك بما ليس بصحيح واليقين انما هو الآية والحديث للتواتر والآية هنا تشمل ما ذكره وغيره ثم أمره الله أن يصنع بالأمر فقال الله (قل هوربي) أي الرحمن ثاني ومتولى أمرى (لا إله إلا هو) لاعمبود بحق سواء (عليه توكلت) في نصرتي عليكم (واليه متاب) مرجعي ومرجعكم ثم ان قوله تعالى - ويقول للذين كفروا لو لا أنزل عليه آية من ربه - قد أجاب عنه بقوله - قل إن الله يضل من يشاء ويهدي الخ - فكانت الاجابة بقطع الاطماع عن إيمانهم مهما أنزل لهم مما اقترحوه . ثم ذكر الهداية وصفات للمهدين واحتاج اللقاه الى ايضاح تلك الآيات وزيادة البرهنة على عدم قبح اجابتهم فأفاد أنه لو ثبت أن كتابا - سيرت به الجبال - أي زعزعت من مقارها - أو قطعت به الأرض - وصعدت وتزابت قطعا - أو كلم به الموتى - فتسمع وتجبب لكان هذا القرآن ولم يؤمنوا فاذن هذا إما وصف لعظمة

القرآن وأما وصف لعنادهم فلا يتفهم ما يقترحون وهذا قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) وقد كان نفر من قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية قد جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خلف النبي ﷺ فأتاهم فقال له عبد الله إن سرنا أن تبعك فسيرجبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى نتفتح فانها أرض ضيقة لمزاولنا ولجلل لنا فيها أنهارا وعيوننا لغرس الأشجار ونزوع وتخذ البسائين فلست كما زعمت بأهون على ربك من دلود حيث سخره الجبال تسير معه أو سخرنا الربح لتركها إلى الشام ليرتنا وحوالحنا وزجع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست بأهون على ربك من سليمان أو أرحى لنا جنتك قصيا أو من شئت من موتانا لنسأله عن أمرك أحق أم باطل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله من عيسى فنزلت هذه الآية قال تعالى (بل لله الأمر جعلا) أي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه ولكنه لم يرد ذلك لأنه لا ينتج المقصود من إيمانكم • ثم أتبع هذا (١) بالتبئيس من إيمانهم تأكيذا لما تقدم (٢) وبالتهديد لهم بالقارة التي تحمل بهم (٣) وبسلبه النبي ﷺ على استهزائهم به • فالآول قوله تعالى (أفلم يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) أي أفلم يأس الذين آمنوا بأنه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ممن إيمان هؤلاء الكفار وهذا إذا بقي اليأس على معناه • وقيل يأس بمعنى يمل وهذا المعنى في لغة النخع والمعنى واحد أو متقارب على الوجهين والثاني قوله تعالى (ولا يزال الذين كفروا تصبيهم بما صنعوا) من الكفر وسوء الأعمال (قارة) داهية تفرعهم بأنواع البلايا كالطغيان والسلب والقتل والأسر (أو تحمل) قريبا من دارهم) فيفزعون ويتطايروا إليهم شررها • ويجوز أن يقال أو نزل أنت يا محمد مع أصحابك قريبا من دارهم وهي مدينتهم مكة (حتى يأتي وعد الله) فتح مكة (إن الله لا يخلف الميعاد) التي وعدك به من النصر والتأييد والبث بعد الموت وكل موعود به من موت وغيره والثالث قوله تعالى (ولقد استهزئوا برسول من قبله فأمليت للذين كفروا) لما أوعد الكافرين أنخذ يسلي النبي ﷺ ويزيد في وعيدهم وأفاد أن الرسل من قبله استهزأ بهم قومهم فأملى الله للذين كفروا أي أمهلهم والاملاء أن يترك ملأوه من الزمان في دعة وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) أي عقابي لهم هكذا هؤلاء الكفار أملى لهم ثم أخذهم وقد تم ذلك فانهم غلبوا ومن أبي قتل وأسليت جزيرة العرب كلها إلى الآن • ولما فرغ من الكلام على النبي ﷺ وتسلية ووعيد أعدائه شرع يذكر سعة علم الله التي يعلم النبي ﷺ وأعداءه ويجازي كلا بميله رفع الصادق ويخفض الكاذب فقال (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي أفمن هو حافظها ورزقها وعالم بها وبأعمالها خيرا كانت أو شرا وبجازيها على الخير والشر كما علم محمد والمشركون وأعطى كلا ما يستحقه أي أفمن هو بهذه الصفة لم يرحلوه (وجعلوا لله شركاء) أي وجعلوا له شركاء وهو اظهار في مقام الاضرار والهمزة للإنكار (قل سموهم) أي سموهم فهل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة (أم نقبؤنه) أي بل أننبؤنه (بما لا يعلم في الأرض) بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفتهم لهم يستحقون العبادة لأجلها لا يعلمها مع أنه عالم بكل شئ (أم) سموهم شركاء (بظاهر من القول) من غير حقيقة واعتبار معنى كما يسمى الناس الزنجي كافورا ثم أضرب عن ذلك فقال (بل زين للذين كفروا مكرهم) تخويهم فتخيلوا أنابيل ثم ظنوها حقا أو كيدهم للإسلام (ومدوا عن السبيل) أي وصرفوا بالبناء للجهول فيها أن قرئ بضم الصاد أو صرفوا الناس عن السبيل أي الإيمان أن قرئ بفتح الصاد (ومن يضلل الله) بخلافه (فأله من هاد) يوقه للهدى (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والأسر ومصائب الحياة وهمومها (ولعذاب الآخرة أشق) لشدة ودوامه (وما لهم من الله) من عذابه (من واثق) حافظ

(وصف الجنة)

ولما ذكر أن المؤمنين لهم فرح بقوله - طوبى لهم - فصله بعض التفصيل هنا فقال (مثل الجنة التي

وعد للتقون صفتها التي هي مثل في القرابة وهذا مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أى فيها قسمنا عليك صفة الجنة التي وعدها للتقون حال كونها (تجري من تحتها الأنهار) كلها دائم لا ينقطع ثمرها (وظلها) أى وظلها كذلك بخلاف ظل الشمس للثقل في قوله - وظلالهم بالقنوت والآصال - (تلك) أى الجنة (عقب الذين اتقوا) أى ما لهم ومنتهى أمرهم (وعقب الكافرين النار) لاغير فأقطع الأولين وأياس الآخرين وهذا القول في شرك العرب . ولما كان أهل الكتاب قد آمن بعضهم بكبد الله بن سلام وأصحابه وبعض النصراني وهم ثمانون رجلا من الحبشة واليمن ونجران وكفر باقهم ذكر الفريقين فقال (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب) وهم الذين كفروا منهم (من ينكر بهن) لأنه لا يوافق ما عرفوه من كتابهم أو شرائعهم (قل) يا محمد (إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) أى قل لهم إني أمرت فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله وأوحده وهذا أهم المطالب في الدين فأما ما عدا ذلك من الأحكام الجزئية الخالفة لشرائعكم فذلك ليس بشئ فالتكسب السالوية تنفق أصولها وتختلف فروعها لاختلاف الأزمنة والأمكنة والقول (إليه أذعنوا) وحده لا أذعنوا سواه (وإليه) لا لى غيره (ما ب) مرجى وأنا وأنتم على اتفاق تام فكيف تنكرون المتفق عليه (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أى وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب حكمة عربية ليسهل لهم فهمه وحفظه وقوله - حكما - حال ثم إن أهل مكة دعوه إلى أمور يشاركون فيها كتحريم دينهم فقال تعالى (ولئن اتبعت أهواهم بعد ما جاءك من العلم) ينسخ بذلك (مالك من الله من ولئ ولا وفاق) أى لا ينصرك ناصر ولا يبيك واق . ولقد كانوا يسيرون بالزواج والأولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) نساء وأولادا كما أنك كذلك (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله) فليس يقدر أحد منهم أن يأتي من الآيات بما يقترحه قومه وكيف يأتي لهم بما يقترحون وقد جاء لهم من الآيات ما فيه عبرة لمعتبر وغناء لمفكر ولكنهم أبوا إلا التنادى وازدادوا اقتراحا كما تقدم في مقال عبد الله بن أبى أمية والآيات المقترحات لاتأتى إلا على مقتضى الحكمة في أزمان علمها الله فلكل زمن حكم على العباد بمقتضى صلاحهم ولإصلاح فيما اقترحوه وهل من صلاح للمراق أن يرضع اللبن من ظئره فإذا لم يحسن في الحكمة أن يرضع الظئر شبا قويا وأن يجعل للمراق مهد يكون فيه . هكذا لاحكمة في ازال الآيات التي اقترحوها وهذا إيضاح قوله (لكل أجل كتاب) أى لكل أمد حكم لا يحسن سواء فيه فلا آية من المقترحات بنزلة قبل وقتها ولأعذاب بما خوفوا به يحصل في غير وقته ولانبؤة حاصلة في غير الزمان المقترها فوسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام كل حكم الله بوجوده في زمانه الخاص به لا يتقدم ولا يتأخر وهكذا انقضاء أعمال الناس ووقوع أعمالهم وأحوالهم كلها كتبت في آجال ومدد معلومة لا تحدى ولا تأخير . ألا إنما مثل هذه الدنيا من كواكبها وشموسها وأرضها وزرعها كمثل مدرسة تربت فصولها ونظمت بحجرها وأقيم كل مدرّس في درسه وجعل له علم مخصوص والتلاميذ لكل من هؤلاء سامعون وناظرين للمدرسة قد رتب لها مناهج وقوانين وأوقات لامتحان التلاميذ ونهايات لأعمالهم فترى للمدرّسين كل يوم معلوم وينصرفون إلى أمانتهم ويرجعون والنتيج الرسوم لا يتغير ولا يتبدل . فهكذا هذه الدنيا قد جعل الله لها في علمه التدرج نظما كأنها مدرسة وهذا النظام على مقتضى الحقائق الثابتة التي تعلق بها علمه وعلى ذلك العلم جرت الشمس والقمر والكواكب وظهر النبات والحياة والموت وتماثلت للحياة وظهرت نجوم ونبت أخرى ونبت زرع وحصد آخر وقام نبى ومات آخر وامتد دين وقطع آخر وكل كوكب من الكواكب التي تصلح للحياة كأرضنا صار كأنه صحيفة يكتب فيها ويمحى على مقتضى الهوى والانبث عند اللانكته وذلك تبع للمارس في المنهج الأسلى تتعاقب الأمم والأجيال والزروع والنبات والأحكام والنظم ويتعاقب قنماء المصريين واليونان والرومان والعرب والانتار

وأوروبا وأهل الشرق عليها كل ذلك محو وثابت على مقتضى المنهج للرسم . وهكذا تنسخ آية من القرآن ويؤتى بغيرها كما نسخ نزع بزرع وليل بنهار وقوم يقومون في بال آخر كل في وقته . وهكذا يتصنق زيد على رجه فيطول عمره ويجهد الرجل الهدى من الطائفة المسيلة (راجبوا) فيحصر نفسه الذي يتنفسه على هيئة مخصوصة كما في بلاد البغال وغير البغال هناك في الهند ويبتدع عن الناس فيسكن حركات قلبه دقائق كل يوم بالتدريج فيكون عمره أطول من أعمارنا عشرين السنين ويبطئ شبيه كما قرأته في كتاب (راجبوا) بالانجليزية مترجما عن اللغة الهندية وقد كان ألقى خطبا في نيويورك سنة ١٩٦٥ سنة ١٩٥٦ بعد الميلاد فهذا كله يحصل على مقتضى ما رسم في العلم القديم . وهذا التفسير جمع لك سائر الأقوال

(١) فإذا سمعت علماءنا رحمهم الله يقولون ﴿ بمحو الله ما شاء من الشرائع بالنسخ وثبت ما يشاء فلا ينسخه ولا يثبت ﴾ أوقرات حديث البخاري ومسلم عنه عليه السلام (٢) ﴿ ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وشفق أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله لا إله غيره ان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ﴾

(٣) وكذا لذا سمعت بعض العلماء يخص المحو بما ليس فيه ثواب ولا عقاب من قول الانسان أكلت وشربت والاثبات بما فيه ثواب وعقاب

- (٤) وكذا إذا سمعت آخر كل شخص يقول ﴿ بمحو الله من جاء أجله وثبت من بقي أجله ﴾
- (٥) أوقول عكرمة ﴿ بمحو الذنوب بالتوبة وثبت الحسنات بدلها ﴾
- (٦) أوقول السدي ﴿ بمحو الله القمر وثبت الشمس ﴾
- (٧) أوقول الربيع ﴿ يقبض الله الأرواح عند النوم فيبيت من يشاء ويمحوه ويرجع من يشاء فيثبت ﴾
- (٨) أوقول بعضهم ﴿ بمحو الله حكم السنة الماضية وثبت حكما آخر لسنة بعدها ﴾
- (٩) أوقول بعضهم ﴿ بمحو الله الدنيا وثبت الآخرة ﴾
- (١٠) أوقول آخر ﴿ بمحو الله المحن والمصائب بالنعاء ﴾

فإذا سمعت هذه الأقوال كلها فاعلم أنها لاتناقض فيها بل هي جارية على القاعدة التي ذكرناها داخلية فيها . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وأما ان الانسان يعمل بعمل أهل الجنة ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار وعكسه فذلك أيضا عما سبق به الكتاب وذلك مشاهد معروف كل يوم . ان الانسان يكون معتادا عوائد جميلة ثم يعمل عملا سيئا على غير عادته فتقلب العادة الجيلة عليه فيعمل العمل الصالح وتقلب حسنة على سيئته فيدخل الجنة وهناك رجل غلبت عليه العادات السيئة فلازمته فتكاف الأعمال الصالحة فعمل بها ولكن السيئات غلبت عليه فزحزحته عن الجنة لأن الصالح ليس من طبعه وذلك كرجل يصلي ويصوم وهودائب في رفع القضايا الكاذبة على أهل وجيرانه فهذا سبق عليه الكتاب وغلبت عليه سجيته . هذا تحرير للمقام في قوله تعالى - بمحو الله ما يشاء وثبت وعنده أم الكتاب - وإذا عرفت الحقيقة فسواء أكان أم الكتاب هو علم الله والتغيير في اللوح المحفوظ الذي قال فيه ابن عباس من باب ضرب المثل لما ﴿ إن لله لوما محفوظا مسيرة خمسمائة عام من دونه بقاء له دقائق من ياقوته لله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة بمحو الله ما يشاء وثبت وعنده أم الكتاب ﴾ أو أم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي لا تغيير فيه ولا تبديل والتغيير عند الملائكة في صحفهم التي يكتبونها فيمحون ويثبتون

فسواء أكان هذا أوداك فالخلاف لفظي والحقيقة لم تتغير فهناك أمر واقع وأمور مبتلة وتغير الأسماء لا يضيع الحقائق اه ثم قال تعالى (ولما نرينك بعض الذي نعهم) من العذاب (أو متوفيناك) من قبل أن نرينك ذلك (فإنما عليك البلاغ) أى ليس عليك إلا تبليغ الرسالة إليهم من الله فلا تنهم بما سينالهم ولكن اهتم بما أوحيناك عليك وهو البلاغ (وعلينا الحساب) أى أن نحاسبهم يوم القيامة فنجازهم بأعمالهم ثم أعلم أن الله عز وجل وضع هذا العالم على نظام التغيير والتبديل كما مر في آية - يحو الله ما يشاء ويثبت - وقد أوضحت في سورة البقرة مسألة نسخ الآيات القرآنية فم أعددها في آية الحوالاتيات هنا فاما هذه الآية فقد نزلت لحال خاصة وهي التغيير في أطراف الأرض بالحرب والمهارة وبغلبة قوم وغدلان آخرين وبانهيار شاطئ البحر بفض الماء ثم يزيد في جهة أخرى وببسط الكرة الأرضية عند القطبين وبانقلاب البحر برا بطول المدى وتطول السنين أو يموت العلماء فيقص العلم فهذا قص في أطراف الأرض وهذا عن الجوهري ومطلب أول الأطراف الأشراف • قال الفرزدق

وأسأل بنا وبكم اذا وردت منى • أطراف كل قبيلة من يفتح

وكذلك يفتح ديار الحرب بأذى المسلمين فكان لهم التصرف الغلبة وهذا قص من أطراف تلك الأرض والمقصود من هذا أن التبديل حاصل في أطراف الأرض فمن خراب وعماره وذلك وهز وتقصف وكال فهل أمن كفر مكة أن نبذلهم بعد عزهم ذلا وبعد غناهم فقرا وبعد حياتهم موتا • وإذا كان فتح البلاد بيد المسلمين قد أحاط ببلادهم وقد قصنا الأرض من أطرافها فهل أمنوا أن يمتد إلى بلدتهم والعاقل من يتدبر ويتفكر ويستر فافهم لا يستصبرون (وإنه يحكم لا محب لحكمه) المحب الذي يكره على الشيء فيعطيه • وقيل لصاحب الحق محب لأنه يقنوغر به بالاعتناء وهنا حكم الله للإسلام بالإقبال وعلى الكفر بالإدبار وما حكم به تعالى لا يمكن قصه كما حكم على أطراف الأرض بالنقص بمقتضى النظام الذي وضعه والقانون الذي سنه (وهو سريع الحساب) فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد العذاب بالقتل في الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) أى كفار الأمم الخالية والأجيال البائدة بأنبيائهم • والمكرار إرادة المكروه في خفية وما هذا للمكرشي إذا قيس بمكر الله (فنه للمكرجعا) وكيف يؤبه بمكرهم وهو (يعلم ما نكسب كل نفس) فيعذب جزاءها (وسيعلم الكفار لمن عقب الهار) من الخزيين أى العاقبة المحموده • وإذا علم الله عمل كل نفس وأعد لها جزاءها بحيث يقع العذاب على المذنب وهو في غفلة على خلاف ظنه وهو لا يدري فهذا هو للمكركه (ويقول الذين كفروا لست مرسل) لما أنكر الكفار كون محمد رسولا قال الله له (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) بالمجهزات وببلاغة القرآن (ومن عنده علم الكتاب) أمثال عبد الله بن سلام لعلمه بالتوراة والمسلم الذي عرف اعجاز القرآن فهو لاء يشهدون برسالي • انتهى التفسير اللفظي لسورة الرعد والحمد لله رب العالمين • وهنا (جوهرة ثان)

(الجوهرة الأولى في الكلام على البرق والرعد والسحاب والصاعقة فوق ما تحتم في الآيات)

اعلم أن هذه الآية ذكرت في أول سورة البقرة في قوله تعالى - متلهم كمثل الذي استوقد نارا الخ - إذ جعل القرآن كالطرويعه كالرعد وحججه كالبرق والملاك الذي يصيب الجرمين كالصاعقة فارجع إليه هناك ولكن هذا ملخصه وهذا لسان البيان للمعبر عن حال الوجود لأن اللسان (لسانان) لسان البيان ولسان الوجود • فأما لسان البيان ومنه لسان الوحي فهو للمعبر عن اللغاني التي كتمت في النفوس الانسانية لقصور الطبيعة البشرية عن اظهار ما كمن فيها فكان هذا اللسان لجميع اللغات السامية من عرية وعبرية وسريانية وجبشية الخ وجميع اللغات الطورانية كالتركية في الأناضول والقازانية في بلاد القازان الخ وجميع اللغات الآرية كاللغات الهندية والأوروبية • هذه كلها وأمثالها البالغة أربعة آلاف لغة لا تعمل لها إلا قتل ما في أفضة

الناس بعضهم بعض من اللعاني المقصودة لم يبتغوا بها ولو أن هذه الأقسام البشرية كانت قادرة على تفهم بعضها بعض احتياج إلى هذا الترجان وهو اللسان لم نستعمله . إذن احتياجنا للتصير ناشئ من هذا الجسد القبيح صائرنا عن الاطلاع على ما يجوز بالضاير من اللعاني . لهذا خلق الله اللسان فأخذ الناس يتكلمون ولكن أكثر هذا النوع الانساني قاصر لا يدرك الحقائق . ومعنى هذا أن قصور الناس ليس خاصا بالتصير مما يجوز يغواطهم . كلا بل نفس هذه الأقسام ليست كلمة العلم والعقل . فلذا عبروا باللسان عما في ضمائرهم لم يجدوا فيها ما يكفي لاسعادهم لذلك خلق الله فيهم أنبياء وحكماء . فالأنبياء يخاطبونهم بلسان الوحي والحكماء يخاطبونهم بلسان البرهان والحكمة . فأما لسان الوحي فنه القرآن القدي هو الكتاب الحكيم وقد جاء فيه - فبالحق الله حين نسمون وحين نصبحون الخ - يأمرنا الله بالتسبيح والصلاة فنعلى وقول سبحان الله ونحمد الله إلى آخره . هذا هو لسان الوحي وبيانه والوحي هو الذي جعل هذه الأربعة مشبها بها أحوال القرآن من حجج وعلم وإنذار الخ

أما لسان الوجود فقد ذكره الوحي هنا فأبان أن نفس الرعد يسبح بحمد الله والناس لا يفقهون تسبيحه الناس يسبحون والرعد يسبح - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - . الله أكبر . أنزل الله سورة سبها الرعد بعد أن ذكره في سورة البقرة بهيئة ضرب المثل وذكر معه اخوته الثلاثة هناك وهنا . جعل هذه الأربعة هناك ضرب مثل وجعلها هنا مقصودة بل جعل أحدها هو الرعد مسبحا وسيأتي في سورة الاسراء تسبيح كل شيء . هذا فتح باب لأن نفوس هذا الوجود . إن في الرعد وإن في الوجود حكمة وعلم وفي هذا العالم جلال العلم المعبر عنه بالبرق وإنذار من يتخاضى عن هذا العلم والمعبر عنه هو الرعد وفيه ثم يعبر عنها السحاب . وفيه هلاك يعبر عنه بالصاعقة . إذن هذا الوجود نفسه ناطق . هو هكذا من يوم أن خلقه الله . برق جيل ورعد منذر وسحاب مطر وصواعق مهلكة في هذه الأربعة حياة وموت وإنذار وحيمة أو خوف ورجاء . الرعد والصاعقة خوف اهلاك والبرق وللرعد رجاء وحياة . إن هذه الحياة كلها ترجع في مجموعها إلى لغة وألم وغنى وفقر وعلم وجمل وكبر وصغر ورجاء وخوف وعزّ وذل وبألجلة محبوب ومكروه . وهذه كلها يعبر عنها البرق للأول والرعد للثاني . هذه هي أحوال الحياة . ومعلوم أن الحياة ضدها الموت فالجياة كالسحاب ومطره وللوت كالصاعقة . فهذه الموجودات الأربع لسان هذا الوجود نطقت بما تضمنه

(انذار الرعد للمسلمين)

يظهر البرق في أكناف السماء كل حين والمسلمون ينظرون كما ينظره أهل الأرض . البرق جليل وبهيج . البرق يذكر بحال هذه الدنيا وبهجتها وحسنها ونظامها وبهاثها . يتحدث إليه في المسلمين حديثا عن ربهم أنه كامل وجبل ونور السموات والأرض وما أمره إلا كلح البصر أو أوالبرق الذي يظهر في جزء من ألف ألف من الثانية ولذلك ترى الأشجار في البرق ما كنه في حال الاعصار لأن البرق في جزء صغير جدا فأعرض متأخروهم عن هذا الجلال مع أن البرق بهيج وجليل كذا يأخذ بالألباب ويأخذ بالأبصار فلما أعرضوا أسمعهم الرعد كما أسمع غيرهم والرعد صوت الانذار الكامن في هذا الوجود . وقد ظهر ذلك الكامن في مقنونات المدافع القاصفة كالرعد للرمي بها من الطائرات التي اخترعها الناس في عصرنا فأهلكت الحرث والنسل . الرعد قد أشبهته الآلات الحربية الحديثة التي ظهرت في الحرب العاتقة من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨ هذه هي الرعود التي كانت كمنة في الطبيعة والرعد يعبر عنها بزجره فكان الرعد يقول للمسلمين إن لم تتركوا علوم هذه الدنيا الجلية البديعة التي تظهر لكم وقتا بعد وقت في آيات الوحي البركة لكم البهجة التي أفادتكم أن كل شيء يسبح وأن الرعد يسبح بحمد ربه فاستمقوا لفضب الله الدال عليه بزجره الرعد

أيها المسلمون إما حياة بالعلم الجليل الذي ينم عنه البرق الذي هو نور الكهرباء السارية في هذا الوجود وإما موت بالجهل الذي يبر عنه الرعد والصاعقة . وهذا التفسير آخر انذار للمسلمين والسؤل عن أم الاسلام هم الأذكاء لاسيما من يقاؤون هذا التفسير وأمثاله في بلاد الاسلام . هنا من سر تسمية السورة بالرعد إن الله تعالى قد اتجهت عنايته لنا فقال انه يرينا البرق فعلينا أن نراه ونفكر فيه هو وبامعه

(١) الانسان له قوى (ثلاث) فالمعاقلة كالبرق والفضية كالرعد والحيوانية كالسحاب (٢) البرق مظهر من مظاهر الكهرباء والكهرباء قد تدخلت في عموم الماء والهواء والأرض وكذا الحرارة وهناك ما هو أقل لطاقة من الكهرباء وهو الهواء فتدخله أقل وشمله أضف فهو يتدخل في الماء بدليل أن السمك يتنفس منه بما خالط منه الماء . ثم الماء تدخله أقل فهو يتدخل في الطين . فالتقاعدة أن كل لطيف يكون أعظم وأشمل لما تحته ويحيط به فالكهرباء والنوء يحيطان بما تحتهما والهواء يحيط بالماء والماء يحيط بالأرض والله فوق الكهرباء وفوق ما تحتها فهو بكل شئ محيط

(٣) النول لا يتم نظامها إلا بجيوش جرارة يمثل لها بالرعد وعلوم وعلماء وأمراء ونواب يمثل لها بالبرق الآتري أن المجالس النيابية ومجالس الملوك ورجال العلم أشبه بالبرق اللامع وإن كانت الحرب قائمة على ساقها (٤) البرق في علم الأخلاق كالين والرعد كالسنة فهو ذو بطش شديد وما قبله باسم التفرجيل الطلعة

(الجوهرة الثانية في قوله تعالى - لكل أجل كتاب -)

اعلم أن جميع الأشياء محددة آجالها وأصولها ولكنها في ظواهرها مشكلة غير منتظمة لأحوال وعوارض تطرأ عليها ومن ذلك أعمار الحيوان . إن أعمارها غير واضحة من حيث نهايتها لعوارض التي تعرض لها كما في أحوال الانسان ولكن نذكر طرفا منها على مقتضى ما ذكره (اللورد أفبيري) في كتابه (مسرات الحياة) وإن كان هو نفسه يقول ان ذلك لم يخرج عن حد التريب

الحيوان	عدد السنين	الحيوان	عدد السنين
الارنب	١٠	الخليل	٣٠
الغنم	من ١٠ الى ١٢	الفيل	١٠٠
الكلاب	من ١٠ الى ١٢	الببغاء	١٠٠
الخنزير	٢٠	الفراخ	أكثر من مائة

ويقول (مبولث) ان ببغاء كان يتكلم ولا يفهم كلامه لأنه كان بلسان قبيلة هندية منقرضة عن بكرة أيها . ويقول ان نوعا من السمك يقال له (النبي) سريع الفتى يعيش (١٥٠) عاما وأن سمكة من نوع الكراكي طولها (١٩) قدما وزنتها (٣٥٠) رطلا انكليزيا وجئت في (سوابيا) عام ١٤٩٧ حاملة خاتم نقوشا عليه هذه العبارة (أنا أول سمكة أقامها بيده في هذه البحيرة حاكم العالم (فردريك الثاني) في الخامس من اكتوبر سنة ١٧٣٠ إذ أن تكون هذه السمكة عمرها ٣٧٧ سنة والرحلات طويلة الأعمار وقال (غوثر) ان بعض السلاحف عاش ١٥٠ عاما وبعض السلاحف قدرها باعتبار عمرها فكان ذلك (٥٠٠) عاما . وقال (أرسطاطاليس) ان ملكة النحل تعيش (٧) سنين . ويقول (اللورد أفبيري) والعم لا يؤيد هذا أن ملكة النحل قد عاشت عند اللورد أفبيري (١٥) سنة

(لطيفة)

في سنة ١٩٢٦ نشر محل (رودف موس) في برلين الأجزاء الأولى من مؤلف غريب في بابه اسمه (في عالم الأرقام) وقد ذكر فيه أن عدد الذين تجاوزوا السبعين من العمر في ألمانيا سنة ١٩١٠ ميلادية

(٩٧٣) ألقا من الرجال ومليون (٤٠٠) ألف امرأة . والذين يصرون أكثر من سواهم هكذا على الترتيب الآتي

رجال الدين . رجال البساتين . الزراع . الصيادون . التجارون . الغزلون . الخياطون
الأطباء . الجزارون . الشحاذين

ثم قال إن مقابل كل مائة وفاة من رجال الدين مع مراعاة النسبة والعدد بطبيعة الحال يموت (١١٤) من الزراع و١٤٣ من صيادي السمك و١٤٨ من الخبازين و١٨٩ من الخياطين و٢٠٢ من الأطباء و٢١١ من الجزارين و٣٣٨ من الشحاذين . وبما ينسب هذا للقام مذكوره هو أيضاً أن عدد النساء يزيد في أوروبا على عدد الرجال كنسبة ٥ إلى ٤ وفي آسيا بنسبة أقل فكل ١٠٠٠ رجل يقابلهم ٩٧٣ وفي أفريقيا ٩٦٨ امرأة فقط في مقابلة ألف رجل وفي استراليا أقل جداً اهـ

(قائمة طيبة للصحة)

يقول العالم الياباني (فوكيسا) وصايا للناس كي يصمروا طويلا

- (١) امتنع عن شرب الشاي والقهوة والسكر ولا تدخن
- (٢) اشرب كل يوم ثمانية أقداح من الماء للقطر الصافي
- (٣) خذ في الاسبوع مرتين حماما بالماء الفاتر
- (٤) اغسل أسنانك وفك أربع مرات في اليوم (أقول عندنا في الاسلام ربما كان أكثر)

(٥) لا تنضب

(٦) لا تتأثر

(٧) لا تأكل مأكولات مالحة

(٨) ثم مبكرا واستيقظ مبكرا

هذا ما نقل عنه . أما أنا فأقول لك من أهم ما جربته في حياتي للصحة مضغ الطعام جيدا مع المحافظة على ذلك وأن تبرد في الهواء النقي كل يوم زمنا طويلا مع الرياضة وأن تفتسل كل يوم وأن لا تأكل كل ليلة البتة فإن لم تقدر فليكن الطعام خفيفا جدا هناك تكون الصحة التامة . انتهى تفسير سورة الرعد

﴿ تفسیر سورة ابراهيم عليه السلام ﴾

﴿ هذه السورة مكية سوى آيتين وهما قوله تعالى - ألم ترالى الذين بطلوا نعمة الله كفرا -

الى آخر الآيتين وهى ٥٢ آية وأقسامها ثلاثة ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ فى قصص الأنبياء الذين أرسلوا لأنهم نبيا قولة فى السورة قبلها - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الخ - وفى محاورات بينهم وبين أممهم الى قوله - ومن دلائله عذاب غليظ -

﴿ القسم الثانى ﴾ فى عاقبة المكذبين من قوله - مثل الذين كفروا بربهم - الى قوله - إن الانسان لظالم كفار -

﴿ القسم الثالث ﴾ فى دعاء ابراهيم من قوله - واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلدا آمنا - الى آخر السورة

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الر • كِتَابُ أُنزِلْنَا إِلَيْكَ تُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ الْحَمِيدُ • اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَقِيلَ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ • الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَمْنَعُونَهَا حِجَابًا أُولَئِكَ فِي صَلَاحٍ بَعِيدٍ • وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ • وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ • وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ • وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَتَنِي مُجِيدٌ • أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَحَادٍ وَهَامُومٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ • قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُبْنِيَ لَكُمْ مِنْ دُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَنْ كُلِّ مَسْجِدٍ آتَيْنَا قَانُونًا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ • قَالَتْ لَهُمْ

رُسُلُهُمْ إِنْ تَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ • وَمَا لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ • وَلَتُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَيْنِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ • وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَلَبَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ • مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ • يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِينُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ •

(التفسير القلبي)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

(الر) تقدم في آل عمران - وتمناه في جواهر إبراهيم . هذا (كتاب) والمراد به السورة (أنزلناه إليك لتخرج الناس) بدعائك لإيهم (من الظلمات إلى النور) أى من الضلالة إلى الهدى (بإذن ربهم) بتيسيره والاذن في الأصل تسهيل الحجاب فاستعير لما يمنحون من التوفيق ثم أبدل من إلى النور قوله سبحانه (إلى صراط العزيز) الغالب بالانتقام (الجيد) الذى يحمده على انعامه (الله) بلجر عطف بيان العزيز وبالرفع مبتدأ خبره ما بعده (الذى له مافى السموات ومافى الأرض) وهذه الجلة الجلية قد كررت في القرآن في كل سورة وكل قصة للدلالة على أن مقصود هذا الدين أن يخرج في العالم قوم نجباء حكماء ربانيون فضلاء • نعم سيكون ذلك وسيكون من هذه الأمة بعد ما استبان في كتب المسلمين المعاصرين لنا أمثال مانيته في هذا التفسير من عجائب السموات والأرض وبداهتهما وكيف كان القرآن يبحث على كل محجية وغريبة • واذ جاء في سورة يوسف - وكأين من آية في السموات والأرض الخ - ثم جاء في سورة الرعد واستبصر لما ذكرناه وتشويقا جاء هنا ذكر السموات والأرض مرة أخرى تذكيرا لما بيناه في سورة الرعد واستبصر لما ذكرناه وتشويقا لما خلقه في الأرض والسموات • فيعجبا لأمتنا الإسلامية يكرر على ألسنتهم صباحا ومساء في كل مناسبة وفي كل حالة - الذى خلق السموات والأرض - وكثير منهم يظنون أن مجرد الإيمان يكفي ولو كان ذلك كافيا لكان ذكر الخبز وسماحه عند الجمع كافيا في الشج فقله لم يكرر هذه الجلة رب السموات والأرض بلاسبب بل جعلها تذكيرا وترغيبا وتشويقا إلى صنعة الحكيم الخبير - الله تعالى له مافى السموات وما في الأرض - وتجب كيف أتى بدعاه قوله (وويل للكافرين) الذين غفلوا عن السموات والأرض وبداهتهما وهم غافلون بينهما وكيف يسلمون من العذاب وهم أتوا إلى الأرض وراحوا منها صفرا يدين فتروا عقولهم وشغلوا بالأمور المحسوسة التي اضطروا عليها قصد حياتهم وحياتهم انما هي بها لكاملهم فغفلوا عن الكمال ومالوا إلى الوقوف عند حد المألوف فحبسوا في سجن الشهوات إلى الممات فويل لهم (من عذاب عديد) معذ لهم في الآخرة بل ما أشد عذابهم في الدنيا حينما يسمعون أن قوما أعطوا علما وهم منه براء قد حبسوا عنه ونحسروا عليه وهم غافلون • والويل ضد الوأل وهو النجاة أى هلاكهم مبتدأ وخبر • ولما كان

هؤلاء المحبوسون في سجن الأنفس عن جبال السموات والأرض قد حصروا عقولهم في هذه الحياة أخذوا يصدون غيرهم عن معرفة الحقائق السماوية والأرضية وعن الإيمان ليكونوا مثلهم لأن النفس تحب أن يكثر أمثالها لذلك وصف الله الكافرين بقوله (الذين يستحبون) يختارون ويؤثرون (الحياة الدنيا على الآخرة) ويستوتون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها) يطلبون لسبيل الله (عوجاً) زيفاً واعوجاجاً والأصل ييغون لها خلف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير (أولئك في ضلال بعيد) هؤلاء ضلوا عن الحق وذهبوا عنه بمراحل وليس الضلال هو الذي يبعد وإنما البعد لنفس الضال فوصف الضلال بالبعد مبالغة لما بينهما من الملابسة (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) بلسنة قومه الذين نشأ بينهم (ليبين لهم) ما أمروا به فيفقهوه بسهولة وسرعة فإذا كان الرسول مرسلًا لقومه خاصة فلا مرء في ذلك فأما إذا كان دينه عامًا كديننا ﷺ فهناك مجال الترجمة والنقل وذلك داع إلى الاجتهاد والسكدة وذلك فيه ترقية لنوع الإنسان فارتقاء العقول على حسب الاطلاع وأعمال الفكر واستقامة الأعمال أي وهذا الكتاب أنزل بلسنة العرب وهو يتلى عليهم فأى عندهم ان لم يفقهوه وما الذي صدعهم أن يدرسوا ما نزل الله في الأرض والسموات حتى يصفوا صدق آياته انهم (فريقان) فريق هداه الله وفريق حق عليه الضلالة وإن كان القرآن بلسانهم جميعاً فلذلك قال تعالى (يفضل الله من يشاء) فيخلفه عن الإيمان (ويهدي من يشاء) بالتوفيق (وهو العزيز) فلا يطلب مثبته غالب (الحكيم) الذي لا يضل ولا يهتدي إلا على مقتضى الحكمة والنظام • وإما كان سيدنا محمد ﷺ قد أرسل لخراج الناس من الظلمات إلى النور ذكر الله قصة موسى مختصرة وفيها نص مجاه في أول السورة ليأمن الناس بقصص الأنبياء وأن الله لم يترك أمة من الأمم إلا وأرسل لها هداة يهديونها وهذا موسى قال الله فيه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) كآله والنص (أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) أن تفسيرية بمعنى أي لأن في أرسل معنى القول (وذكرهم بأيام الله) برواقته في الأمم السابقة • يقال فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم فما من أمة إلا ولها وقائع تشمل النعمة والنعمة فالتعفة للمؤمنين منهم والنعمة للكافرين ومنها وقائع بني إسرائيل أنفسهم فاتهم ابتلوا بالاستعباد قطة وبالنجاة من فرعون وقومه نعمة فبرجع الأمر إلى الترغيب والترهيب (إن في ذلك لآيات لكل صابر شكور) أي إن في وقائع الأمم الماضية وحوادثها وما أنعم الله به عليهم من السراء بعد ما أصابهم به من الضراء لآيات لكل من يصبرون على البلاء ويشكرون على النعماء هؤلاء متى عرفوا ما أصاب من قبلهم من الكوارث وكيف صبر قوم فقالوا أعلى الدرجات ولم يصبر آخرون فزولوا في أدنى للمركبات اعتبروا وقاسوا ما حل بأنفسهم على ما حل بمن قبلهم وجاهدوا في الحياة والعلم جهلاهم واذن ينالون مثل ما ملوا • فأما ما سوى الصابرين الشاكرين على النعم الذين يصرفون كل ما أنعم الله به عليهم فيما خلقوا لأجله فاتهم لا يتبعون بذاك • إن الإنسان في الحياة بين صبر وشكر أبداً فهو إما في مكروه ولما في محبوب فإن صبر على الأول وانتزعت فرصة العنة بالثاني وصبرها فيما حلت له فذلك هو الذي اعتبر بالقرن الحالية والأمم الماضية والاستعباد بغير الصبر والشكر ومن الشكر صرف الحواس فيما خلقت له وعدم ضياعها سدى ومنه انتهاز فرص الحياة فلا يمر وقت على الإنسان بلا عمل إن الوقت ذهب ومتى ضاع من حياتنا لحظة بلا عمل أسدبناه ولا عمل حررناه ولا بناء أقمناه ولا جدد بنينا فقد كفرنا النعمة وأضعنا الفرصة ولم نعتبر بالأجيال البائدة والأمم القابرة • إن الحياة لنا فرصة عظيمة فلنشكر الله والشكر صرف كل ما أعطيناه فيما خلق له فليخف كل امرئ من ضياع حياته بلا عمل يلحق به وليخف من نعم أبدى وحزن سرمدى على وقت يضيع وعذاب مرعب

ولما سمع موسى أمر ربه أمته وأخذ يذكر قومه بأيام الله فقال الله (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون) أي اذكروا نعمة الله وقت إنجائكم إذ لكم الخ فاذ متعلق بنعمة

وقوله سبحانه (يسومونكم سوء العذاب) يعذبونكم بأشد العذاب كما تقم في سورة يونس مما قتلناه عن اللغة (الميروغليبية) والآثار المتقولة عنهم يقينان الضرب والاذلال (ويدبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) هذه أحوال من آل فرعون (وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم) أى ابتلاء وهذا يوم من أيام الله معكم فيه نعمة التعذيب وغيره وفيه نعمة الانجاء ولذلك أعقبه بما هو كالنتيجة له فقال (واذ تأذن ربكم) أى أذن كتعود وأوعد وهو من كلام موسى أى واذكروا يا بني إسرائيل حين أعلم ربكم فقال (لئن شكرتم) يا بني إسرائيل ماخولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من نعمي كالسمع والبصر والسماء والأرض وما فيها بالعلم بما فيها والعمل الصالح كالصلاة والطاعات (الأزديتكم) فانه ثبت عقلا وعلما أن الضوء الذي يناط به عمل كلما من عليه ازداد قوة على قوة وكلما عطلناه عن العمل ضرر وانحل وضف . هكذا جيع النعم ان استعملت بما خلقت له بقيت وان أهملت ذهبت وهذا قوله تعالى هنا - لئن شكرتم لأزيدنكم - (ولئن كفرتم لئن عذابا لشديد) بحرمانكم من النعم وسلبكم للوهاب وثمراتها في الدنيا والآخرة فتعذبون في الدنيا بزوال النعم وفي الآخرة بمعهم وبس القرار على أن الله لم يطلب الشكر من العباد لمصلحة وللتسخير واذلال بل أمر بذلك رحمة منه فمن لم يقبل طبعه ما أهدى من النعم فانه غنى عنه مستحق للحمد في ذاته تنطق بحمده الثرات في جميع المخلوقات وهذا قوله تعالى (وقال موسى إن تكفروا إلى قوله (غنى) جيد) ولما ذكرهم موسى بنعمة الانجاء من آل فرعون وحذرهم من عقابه كفر النعم أخذ يذكّرهم بألم الله فيمن قبلهم من الأمم السابقة والأجيال البائدة بطريق عجيب وأسلوب بديع ونظام طلي ومقال جلي فذكر القول اجاليا وأوضح المحاوره ايضا حسنا بها إذ أرسل موسى عليه السلام القول كالمحاوره بين الأمم والأنبياء على التبع العام في هذا المقام فذكر أن قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من أمم جلت عن الاحصاء . غاب عن الناس علمها وعند الله احصاؤها (جاءتهم رسلهم بالبينات) كما جاء نبينا ﷺ بها وتليت على الناس ليعتبروا (فردوا أيديهم في أفواههم) أى عضوها غيظا مما جاءت به الرسل كما حصل من العرب للنبي ﷺ وغيرهم الخفد والحسد والعصب فنفقوا بما تكن قلوبهم (وقالوا إنا كفرنا بما أرسلكم به) بزعمكم وزادوا ذلك تأكيد فقالوا (وانا اني شكك مما تدعونا اليه مرعب) موقع في الزية وهي قلق النفس فرد الرسل عليهم وقالوا (أأنى الله شك) حمزة الانكار دخلت على الجار والمجرور لأن المقام مقام للشكوك فيه أى انما ندعوكم الى الله وهل هو محتمل الشك ووصفه بما هو برهان وهو عين البرهان المذكور في أول السورة فهناك يقول - الى صراط العزيز الخليل الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض - وهنا في محاورات الأنبياء جاء بنفس الوصف فقال واصفا الله (فاطر السموات والأرض) فالعبارة متحدة عند الأنبياء في كلام موسى وعند صاحب شرعنا ﷺ وكل نبي منهم جعل مطمح نظره توجه النفوس الى عالم السموات والأرض فأولا يؤمنون ثم بعد ذلك يزدادون بقبول النعمة التى فى السموات والأرض والا نزل بهم العذاب ثم قال (يدعوكم ليعفركم من ذنوبكم) لأنهم ملوثون بالجهالة والمعاصي فصر الله بمن هنا وفى كل موضع ذكر فيه مغفرة الذنوب للكافرين لأنه يغاثهم في أمر الإيمان وحده فأما للمؤمنون فان مغفرة ذنوبهم موجهة الى المعاصي فلذلك قيل لهم - هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم - الى قوله - يعفركم ذنوبكم - وهكذا كثير من الآيات في التسمين وعطف عليه قوله (ويؤخركم الى أجل مسمى) آخر أعمالكم فرد الأمم على الأنبياء (قالوا إن أتم إلا بشر مثلنا) لافضل لكم علينا فم اختصم بالنبوة دوننا وذلك كما حصل للنبي ﷺ فانهم قالوا - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - يريدون أن النبوة يجب أن تكون تبع القوة والنفي فكيف عكس الأمر هنا . ثم اقترحت الأمم على الأنبياء ما اقترحه العرب على نبينا ﷺ كما تقم في سورة الرعد وهذه السورة جاءت لاتمام هذا المقام وغيره كما جاءت سورة الرعد وأتم مقام الجانب السهلوية

والأرضية على مقتضى الحال وهذا قوله (تريرون أن تصقونا عما كان بعد آبائنا) ولا حاجة لكم عليه وليس يجوز في العقل أن نترك أمرا بدون أن نتحقق خطأه (فأتونا بسلطان مبين) على صحة ما يدعون من النبوة فأما ذكر السموات والأرض ومجاثيها فلما نخل بها وإنما القاهر القادر هو الذي يخرق النواميس ويغير النظام ويأتي بخوارق العادات . فأما المجاثب الأرضية والسبوية فلما نخلها وأن سائر البشر ليخضعون لمن يأتي اليهم بما هو خارج عن طور معتادهم فيعظمونه ويعلونه وهذه للشاهدات المحسوسات لازرى فيها شيئا خارقا للعادة فلا إيمان ولا تسليم إلا بما فوق طاقتنا كقلب الصاحبة وقل الجبال مثلا وما أشبه ذلك فأما السموات والأرض فذلك أمر لا يعطى دليلا ولا يبنى قتيلا ولا قطميرا وأن طباع جهلة الناس يحملهم على الخضوع للذين يفعلون كل ما خالف العادات ولو بطريق القوي به فردت عليهم رسلهم مسلمين أنهم بشر مثلهم ولكن الله من عليهم . فأما الآيات للمقترحات التي تفترحونها فلا تكون إلا باذن الله وعلى المؤمنين أن يتوكل على الله ويقتضوا إليه أمره ونحن أول المؤمنين في أمنا وكيف لا نتوكل على الله وقد هدانا إلى سبل المعرفة ومن أنعم الله عليه بنعمة قلبه شكر الله عليها بالعمل بها وليصبر على ما يصيبه في سبيلها كما نزل عليه وقتل الله وأيامه في الأمم . وإذا كنا نحن هذه الأمم فلنصبر على إيذاتكم ولنشكرن على الهداية فندعوهكم لله وهو شكر نعمة الهداية كما نصبر على إذاكم وهذا عين ما جاء في أول السورة - وذكرهم بألم الله إن في ذلك آيات لكل مبار شكور - فيها نجلي الصبر ونجلي الشكر على لسان الأنبياء أنفسهم فشكروا الله هدايته الناس وصبروا على أذاهم وهذا هو السكال الذي جاء في القرآن لنا معاشر المسلمين فلم ينزل هذه السورة إلا لانا . فمن عنده مال أو علم أو نعمة فلينع بها الناس كالنهر يسقي الزرع والشمس تضيء وليصبر على أذى الناس في جهادهم كما يرى الناس يفنون عن ذكر أكثر النعم التي حولهم فهكذا الأنبياء أرسلوا لأمتهم ولم يبالوا بإيذاتهم لأن الهداية خلقوا ليصالحوا ولم يطلب منهم أكثر من ذلك فهم هذه بطاعهم ولتنتهم في قلوبهم ومنهم تنقل إلى الناس وهذا قوله تعالى (قالت لهم رسلهم إن) ما (نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله) إلى قوله (ومائنا) أي وأي عشر لنا في (أن لا تتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) أي طرق المعارف والعلوم التي نعرفها بها (ولنصبرن على ما آذيتونا) جواب لقسم محضوف أي والله لنصبرن (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي فليثبت المتوكلون على ما انتصفا به من التوكل فلما أجاب الرسل بذلك هددتهم الأمم بالقوة بعد الجدال وأنذروهم بالخراج من أرضهم وهو بينه ما حصل لنبينا ﷺ بعد نزول هذه السور إذ أخرج من مكة فأوحى الله إليهم بهلاك الظالمين وأن الأنبياء وتابعيهم يرثونها فيكونون الأرض من بعدهم واستنصر الأنبياء ربه فصرهم وأفلح للمؤمنون وخاب كل عات متكبر وهذا أيضا عين ما حصل لنبينا محمد ﷺ فانه أخرج إلى المدينة ونصر في غزوة بدر وخاب كل عات متكبر من قومه . ثم وصف عذاب هؤلاء بعد الموت بعد ما وصف هلاكهم في الدنيا فأفاد أنهم يدخلون جهنم ويسقون فيها ما يسيل من الجلد واللحم من القيح ويتساء ذلك المتكبر مرة بعد مرة طراره وثقله ولا يقدر على ابتلاعه ويحيط به أسباب الموت من كل مكان وما هو بيت وله عذاب غليظ غير ذلك وهذا قوله تعالى (وقال الذين كفروا) إلى قوله - غليظ - ثم قال (فأوحى إليهم ربهم) أي قال (لهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم) تفسيره ظاهر (ذلك) أي للوحي به (لن خاف مقامى) موقفي وهو موقف الحساب (وخاف وعيد) أي عذابي (واستفتحوا) استنصروا الله على أعدائهم معطوف على - فأوحى إليهم - (وخاب كل جبار عني) أي وخسر كل عات متكبر (من وراثه جهنم ويسقي من ماء صديد) عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود أهل النار وهو القيح فهو شراب أهل النار (ينجرحه) يتكلف جرعه وهو صفة الماء أي يشربه جرعة بعد جرعة (ولا يكاد يسهه) أي ولا يقارب أن يسهه بل يفص به فيطول عذابه . يقال صاغ الشراب جاز على الخلق بسهولة وإذا لم يقارب أن يسهه

فكيف يسفه (ويأتيه الموت الخ) أى أسبابه (وما هو ميت) فيستريح (ومن ورائه) أى من بين يديه (عذاب غليظ) أى يستقبل فى كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه له التفسير اللفظي

﴿ جوهره فى قوله تعالى - وذكرهم بأليم الله إن فى ذلك لآيت لكل صابر شكور - ﴾

اعلم أن كلام الله عز وجل سيد الكلام ولذا كنا نجد الأم اليوم اذا سمعت قول وزير أو ملك فى خطبة موجزة لاتبلغ بضعة أسطر تهتز الأسلاك البرقية (التلفرافات) والمسرات (التلفونات) وتصدر الجرائد والمجلات فى العالم كله بشرح ذلك وفهمه بحيث يكتب على الجلة الواحدة ما لا يحصر باللغات المختلفة فى الشرق والغرب فربما بلغ ذلك حل بعير لوجه الناس أو أكثر فما بالك بقول الله الذى هو ملك للملوك

﴿ حكاية ﴾

اطلع أحد الفضلاء على ما جاء فى هذا التفسير فى قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - فرأى أنه ربما يصل الى (١٥) صفحة فقال هذا كثير . فقلت أتمرى كلام من هذا . هذا كلام الملك (فادرك) . قال صدقت فهذا إذا الآن أئين منزلة هذه الجلة من السورة التى نحن بصدد الكلام عليها وانهاهى المقصودة منها ثم أفتى ببيان وجيز لما كان من حوادث البحر وأفعال الله عز وجل بالأم الإسلامية المتأخرة ونحوها ثم أذكر أن العلماء بعدنا عليهم أن ينهجوا هذا النهج أى أنهم يؤلفون كتباً ورسائل يفهمون المسلمين بها أليم الله وأن هذا هو من أخص ما فى دين الاسلام والعناية به أفضل من العناية بعلوم الفقه مع فضله ونفعه العميم

﴿ منزلة هذه الجلة من السورة كلها ﴾

لله در العلم وما أجل الحكمة وأبدع البيان والبلاغة . ابتدأ الله السورة (١) بأنه أنزل هذا القرآن ليخرج الناس من الظلمات الى النور (٢) ونهى بأن كل رسول يعمل بلسان قومه (٣) وأبان أن موسى قبله يا محمد جاء ليخرج قومه من الظلمات الى النور (٤) وكأنه هنا قيل . بماذا أخرج موسى قومه من الظلمات الى النور حتى يخرج محمد أمته من الظلمات الى النور بالطريق الذى سلكها موسى فقال - وذكرهم بأليم الله - وهذا بيت القصيد فى السورة حوادث الله ووقائمه فى الأم ونعمه وبلائه بتذكرها يخرج الناس من الظلمات الى النور ﴿ ختمه موسى فى التذكير بأليم الله ﴾ (٥) ذكرهم بنجاتهم من فرعون (٦) وبأن الشكر يجلب المزيد والكفر يورث العذاب (٧) وذكر لهم وقائع الأم السالفة (٨) وهلاك الكفار منهم وحسن العقوبة لأنبيائهم بعد صبرهم على التبليغ والأيذاء

(٩) كل امرئ مسؤول عن نفسه فالضغائن مسؤولون وان زين لهم الشيطان أعمالهم وغرهم الرؤساء (١٠) وقصارى الأمر وسجاده أن الحكمة اذا بدئ بها فى أمته عمت فضي كشجرة أصلها فى العقول وفرعها فى الأم جيلا بعد جيل وهذا الاجال تفصيله فى ذكر خلق السموات والأرض وانزال المطر واخراج الفرات وجرى السفن وجرى الأنهار والشمس والقمر وما فوق ذلك من نعم لا تحصى . هذا هو أهم ما أليم الله وما تهمته مقتسمات له فهو أعظم التذكير بتلك الآيات . وختم السورة بثناء إبراهيم ألا يكون أبناؤه مقلدين جامدين وعبر عن هذا بعبادة الأصنام وختم السورة بما ابتدأها وهو انه بهذا يذكر أولو الأبواب يقول سبحانه أولاً ذكرهم بأليم الله وختم القول بأن هذا القول فى هذه السورة كفاية للناس أى ان الموعظة بمحادث الأم كاف لارتقاء الشعوب اذا تذكروه وعقلوه فبدأ بالتذكير وختم بها . إذن المقصود من السورة كلها هذا البلاغ وهو التذكير بأليم الله

﴿ كيف نذكر الناس اليوم بأليم الله ﴾

اعلم أن هذه السورة وحدها كافية لارشاد الأم الإسلامية على شريعة أن تكون لنا عقول وأفهام حتى

نعم الأمم الإسلامية . ألا وإن هذه جملة واحدة كافية لسعادة الأمم الإسلامية فوائده لو لم يكن هناك قرآن غيرها لكفت وهذا هو قوله - بلاغ - فهذه الجملة وتوابعها كافية لاسعادنا اذا كنا عاقلين فبشرحها وتذكر الناس بما حولنا وملسقي لنا نتخذ أماناً من الهلاك . فأما قراءة القرآن وعرابه والصلاة به وكثرة التضرع بآيات القرآن بليغ وأوضح فالاتصاف عليه صفة العاجزين فوائده مازل القرآن إلا لما هو أرقى من البلاغة والفساحة التي صارت مشهورة لاحتها الأنس وأنسها الطباع فلتنجم على المقصود من القرآن وقول . أنظر كيف قال أن كل رسول مرسل بلسان قومه . لماذا ذكر هذه هنا وأتبعه بقوله - ليعين لهم - وأي مناسبة لها بهذا المقام فاعلم انه أوردنا هنا ليفهمنا أنه ليس للمدار على مجرد القول بل للمدار على البيان والتفهيم . فإذا كان الرسل جاؤا بلسان قومهم فهذا معناه أن المدار على ما يؤثر في العقول ومن ذلك حوادث الأمم وأيام الله فإذا ذكر موسى بنى إسرائيل بما وقع لهم وللاهم قبلهم فليذكر علماء الاسلام وحكامه ووعاظه الأمم وأيام الله فإذا بالوقائع التي هي أقرب أظراً وأشد وقعاً . فإذا قال موسى لقومه أقم خلعتم من ذل فرعون ونجوتهم فاذكروا هذه النعمة فان لم تشكروها عذبتم فليس معناه أن عالم الاسلام يقول هذا القول حين يفسر للمسلمين . كلامهم كلا . عالم الاسلام الذي يقوم بنشر الدين يصطفي من الحوادث ما يؤثر في عقول الأمة حاضياً في ذلك حنو موسى عليه السلام إذ اصطفى ما يناسب قومه وذلك انما أخذناه من قوله تعالى - وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم - فللمدار على البيان الذي يعقله القوم فالقرآن نزل لتيسر على منواله وتذكر الناس بما يناسب عقولهم . وهذه هي عجائب القرآن التي يهجز عنها التصحاء والبلفاء والحكماء . كلام عام غامض حكماً وغرائب

﴿ هذا تذكري للمسلمين ﴾

هاأنذا أبدأ بتذكيري للمسلمين (١) ذل الأمم العربية قبل ظهور الاسلام (٢) عزهم باتباع الاسلام واجتماع كلمتهم (٣) فتحهم بلاد الله شرقاً وغرباً (٤) انتشار اللغة العربية التي صارت أداة التفهم بين أمم في الشرق والغرب (٥) ترجمة العلوم ونسبهم فيها (٦) انحطاط العلم في بلاد الاسلام بعد ارتفاع شأنه (٧) اضطهاد العلماء بنظام هذا الوجود الذي هو أحسن أيام الله في السورة كنظام الفلك والطبيعة وأخصم ابن رشد (٨) انتقال العلم بعد أن هجره المسلمون على يد تلاميذ ابن رشد الى أوروبا (٩) حقوق الأوروبيين على المسلمين فيها اليوم (١٠) اضمحلال الدولة العباسية في الشرق والأموية في الأندلس ثم هلاك المسلمين وطردهم من أوروبا وهلاك الأمم الجاهلة كأهل أمريكا الأصليين وأهل استراليا الأولين . كل ذلك لأنهم لم يستيقظوا من الغفلات . هذه هي الذكريات التي سأذكرها للأمة الإسلامية اجمالاً ليعلموا مستقبلهم ويقيموا المستقبل على الماضي اقتداء بموسى عليه السلام الذي قال الله لنبيه ﷺ فيه وفي أمته - فيهداهم اقتده - والتي ﷺ الآن عند ربه وقد جاء في سورة الأنفال وغيره تذكير المسلمين بأيام الله في أحوالهم انخلصه كما فصل موسى عليه السلام . فوسى أخرجه قومه من الظلمات الى النور بالكلام على فرعون ونجاتهم منه وهكذا ومحمد ﷺ ذكر الله على لسانه في سورة الأنفال ما يناسب المسلمين . أنظر هاهنا فقد ظهر (١٤) حادثة في وقعة بدر بينها الله كلمها تذكيراً للمسلمين فذكر البشارة باللائكة وكيف غشيهم الناس وقت الشدة وكيف نزل للماء لهم فطهروا وكيف ثبتت الأقدام وهكذا مما تحبه واضحا هناك في التفسير . فاعجب للقرآن كيف ذكر الله المسلمين بوقائعهم على لسان الرسول ﷺ وذكر بنى إسرائيل بوقائعهم وهنا من غرائب القرآن . أنا الآن أعتقد أنك ايها الذكر مقتنع . إلى اذا ذكرت المسلمين اليوم قائماً أذكرهم بما هو أحسن من الحوادث وأقرب لهم وذلك في كل زمان بحسبه . هذا هو دين الله

فلاشرح هذه الفصول على ترتيبها فأقول

(الفصل الأول من أيام الأمم الاسلامية)

لما وصلت الى هذا المقام اطلع عليه صديقي مخلص عالم فقال

(س) إن هنا خطوة واسعة لم أجدها في هذا التفسير من قبل . إن ما أزمعت على تسطيره اليوم من الغرابية بمكان لأتأكد هنا ستجمع ملخص ماوصل الى العرب من العلم وأهم مجاهد في الكشف للحديث لاجالا وما انتاب المسلمين من حوادث الدهر والقهر والجهل وسيكون هذا المقام حافلا بامور شتى . فخذني هل هذا تقتضيه هذه الجمله - وذكرهم بأيلم الله -

(ج) فقلت أرايت لوسم المسلم قارئا يقرأ - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا - وأخذ يكررها أني مرة كل صباح وكل مساء فهل يكون مصليا بهذا . قال كلا بل قارئا فقط . قلت وهكذا في الزكاة والحج . قال نعم . قلت هكذا هنا فإذا سمعت هذه الآية فليس معناه انك قارئها أو تفهم معناها أو تعربها أو تعرف بلاغتها فكل هذه صناعات لتعليم الصبيان كيف يفهمون ونحن الآن في مقام العلم والحكمة ومقاصد القرآن فإذا كانت الصلاة والزكاة غير الأمر بهما فهكذا التذكير للمسلمين غير الأمر به . وإذا كان للمسلمون ألفوا الصلاة وللزكاة كتبنا فأولى ثم أولى تذكير المسلمين بالوقائع التي حلت بساحتهم أو كانت قريبة منهم حتى يحترسوا عما وقع فيه أسلافهم كما أسفله قريبا وما دام المسلم لاهيا عما حدث له في نفسه فانه لا يعتبر ولا يتذكر في أخلاقه ودينه . هكذا البؤلة لذا جهلت ما أحاط بها من النافع والضار والحوادث التي جرت عليها وعلى أسلافها فانها واقعة في الهلاك عاصية ربها معرضة للعذاب في الدنيا والآخرة وهناك يقال لها - يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لمح -

(س) فقال كيف تقول ان التأليف في هذا أولى من التأليف للصلاة (ج) قلت ستعرف هذا من الحوادث التي مرتت بالمسلمين وانهم بالأندلس بعد ما استقروا هناك وعاهدهم للمسيحيون على تأدية العبادات وحرمتهم فيها غدروا بهم وأزموهم ترك الفصل من الجنبات وترك الصلاة فإذا أفاد المسلم من علم الصلاة وهو لواق له ولا حافظ يحفظ سلامته وأمنه فيدياره . وهكذا ستري قريبا كيف كان جهل المسلمين أيام (قطب أرسلان) وهجوم التتار والمغول على المسلمين فقد كانوا جهلاء بقوة جيرانهم فاقنضوا عليهم على غرمة وهم ساهون وهكذا بلادنا المصرية لما اقتضى عليها الفرنسيون في أوائل القرن الثالث عشر الهجري كانوا يجهلون قوة عدوهم ويفترون بأنفسهم بل كانوا يجهلون ما أمر به الدين الاسلامي من الجبر الصحي أيام الطاعون الذي ورد به الحديث والفرنسيون يأمرتهم به وهم لا يعلمون أنه في الحديث الشريف وفي أعمال عمر بن الخطاب وعنده عملا وحشيا . كل هذا ستراه قريبا . فإذا ذكرنا المسلمين بثل هذا فانهم يعرفون أن الدين الى الآن لم يدرس ولم يعرف إلا اقشوره ويؤلفون في كل علم وفق لجعل قوة الدول وجهل الامور الصحية التي ورد بها الحديث مثلا كالجبر الصحي . كل ذلك يدل الأمم فإذا تذكرناه احترس أنبأنا من الوقوع فيه بدالآن لاسيا أن هذه تعد في الاسلام من فروض الكفاية وفرض الكفاية قال جع من العلماء ان ثوابه افضل من فرض العين لعموم نفعه للناس قاطبة ولأن فرض العين ربما لا يتم إلا بكثير من فروض الكفايات فهو أشبه بالخيارس لفرض العين وكيف تبش في يتأكد ان لم تكن آمننا لذلك يكون القول بضله على فرض العين وجبها

(س) قال إذن ذكرني قبل أن تذكر المسلمين لأني أول من اطلع عليه فليكن محاوره بيني وبينك حتى تألفه النفوس وتأنس به العقول

(ج) فصل مآريد

(س) فإذا ذكر الفصل الأول من الفصول التي تريدنا وهو الكلام على ذل الأمم العربية قبل ظهور الاسلام

(ج) إن هذا المقام سهل المثال معلوم لقراء هذا التفسير إذ هم غالباً يعرفون أن العرب كانوا مترفين شرافهم مختلفين طرقاً ومشارب كانت آلهتهم كما قال سديو القنسى بهائم ونباتات وغزلانا وخيلا وجبالاً ومخلاً وأعشاباً وأجساماً معدنية لاضطام لها وصخوراً وأشجاراً وأصناماً كهيكل اللااتوالعزى ونجوماً كالبدران والشعري الميانية وسهيل ومنهم يهود تعلموا من اليهود الذين حلوا بلادهم بعد أن طردهم اليونانيون والسرانيون وذلك في بعض بلاد الحجاز واليمن ومنهم براهة في بلاد عمان ونضارى في غسان وفي العراق والبحرين ودومة الجندل وهكذا . ولا جرم أن تفرق العقائد والأخلاق ببقعه اضطراب السياسة ولذلك كانت بلادهم معرضة للأثم المحيطة بهم فكانت اليمن تغزوها الحبشة ولم تخلص منها إلا قبيل البعثة وغسلن في الشام تتبع راية الروم والناصرة في الحيرة وما والاها يتحكم فيهم الأكسرة بالفرس كما قال الله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلاسرة له وما لهم من دونه من وال -

(س) كفى هذا في الفصل الأول الذى هو كالقدمة لما يجب الكلام فيه

(ج) فلنشرع في الفصل الثانى وهو اجتماع كلهم مع الفصل الثالث والرابع وهو فتحهم البلاد وانتشار لهم العربية . لقد فتح المسلمون البلاد ونشروا الدين ثم تقلعت الفتوحات وجاسوا خلال الشام والفرس الى نهر السند والى بحر قزوين وجبج شمال أفريقيا ومعظم جزيرة اسبانيا وهددوا فرنسا بالغارة عليها ولكن ردهم ملكها (كلوس مرتيل) حين هجمت جيوش عبد الرحمن الأموى عليها وذلك في اقليم (لواره) وعظم ملكهم ونظام بلادهم حتى إنك ترى في كتاب (سديو) القنسى أنهم برعوا في الجغرافية الضبطية وانهم لما امتدت ملكتهم من المحيط الاطلانطقى الى تخوم مملكة الصين أنشؤا بالتدريج أربع طرق عظيمة تجارية توصل من مدينة (قانس) و (طنجة) الى أقصى آسيا (١) احداها تخترق اسبانيا وأوروبا وبلاد (سلاوونه) الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد (تجزز) كذا والثانية تخترق بلاد الغرب ووادي مصر ودمشق والكوفة وبلاد البصرة والأهواز وكرمان والسند هند . والثالثة والرابعة تعبران البحر الأبيض المتوسط وتبج احداها من الشام والخليج الفارسى والأخرى من الاسكندرية والبحر الأحمر للتوصل الى بحر الهند وساعدهم على ذلك علماءهم بالأزياج كتل (البتاني) بالركة سنة ٩٠٠ ميلادية (وابن يونس) بالقاهرة سنة ١٠٠٠ وهكذا ابن حوقل والأصطخرى والمعوى حوالى نصف القرن العاشر للميلادى . وهكذا الكوى سنة ١٠٩٧ ميلادية فكثرت بهذه الطرق السياحات وقل السياحون ما عهد العرب من الآراء والمدنية واستفاضت الأخبار الجليلية فتشورت أذهان الملاحين وعرفتهم الأخبار التى يخشى عليهم الوقوع فيها اذا سافروا في ولايات غير معروفة معرفة تامة

فقال صاحب كفى هذا في الفصل الثانى والثالث والرابع فقد حلت صورة واضحة تبين الاجتماع والمدنية بعد الافتراق والمجيبة في الأمم العربية خصوصاً ولاسلامية عموماً وفتح البلاد وانتشار اللغة

(الفصل الخامس في أمرين ترجمتهم للعلوم ونبوغهم فيها)

(ج) أما الترجمة فانها كانت في عهد العباسيين على (ثلاثة أنوار) الأول من خلافة أبى جعفر المنصور الى وفاة هارون الرشيد من سنة ١٣٦ الى سنة ١٩٣ ومن الترجين فيه يحيى بن الطبرى وجورجيس بن جوتيل الطيب وعبد الله بن اللقغ ويوحنا بن ماسويه وسلام الأبرش وباسيل المظران فترى المجسطى ترجمه الأول والثالث ترجم الكتب المنطقية لأرسطاطاليس وهكذا . والثور الثانى من ولاية المأمون سنة ١٩٨ الى سنة ٣٠٠ والترجمون فيها أمثال يوحنا بن الطبرى والحجاج بن مطر وقسطاس بن لوقا البعلبكى وعبد المسيح ابن ناعم وحنين بن اسحق واسحق بن حنين وثابت بن قرّة الصابى وهكذا في هذه اللمة ترجم أغلب كتب جرات وجالينوس وأرسطاطاليس وبعض كتب أفلاطون . والثور الثالث من سنة ثلثائة الى منتصف القرن

الرابع والمترجون أمثال متى بن يونس وسنان بن ثابت بن قزوة ويحيى بن عدى وأبى على بن زرعة وهلال بن
 هلال الحصى وأكثر اشتغالهم بالكتب للمنطقية والطبيعية لأرسطاطاليس وبالفسرين كالاسكندر الافروديسى
 ويحيى النحوى . هذه هى أدوار الترجمة ملخصة من كتاب الاستاذ (سنتلاه) الطليانى . أما نبوغهم فيها
 فاسع ما قاله (سديو) الفرنسى المتقدم ذكره . قال فى صفحة (٢٠٨) من الكتاب المترجم بالعربية
 ترجمه أستاذنا على مبارك باشا قال ماملخصه (اقتدى بالمصور من بعده فى نشر العلوم وتوسعة دائرتها ومن
 أهمها بجميع بلاد أوروبا بجلبهم من الأقاليم التى فتحوها علماء لترجمة أعظم كتب اليونان وإنشائها مكاتب
 علمية ومدارس يتعلم بها الخصاص والعلم مثل كتب أرسطاطاليس وسقراط وجالينوس ودسقوريدس وإقليدس
 وأرسيميدس وبطليموس وأبولونيوس مع تعليم مائة القرآن وتدریس تفاسيره وإنشاء جمعيات العلماء واغداق
 النعم من المهدى والرشيد على علماء الصارى الذين ترجوا الكتب اليونانية والفارسية الى السريانية والعربية
 واشتهر إذ ذاك (مخاض الله الفلكي) المؤلف فى الاسطرلاب ودائرته النحاسية وأجد بن محمد التهاندى وهما
 أقدم علماء الأرصاد من العرب وحجازى بن يوسف أول من ترجم كتاب إقليدس الى العربية وكفى بالساعة
 الدقاقة المتحركة الماء التى بنها هارون الرشيد الى (شرلمانة) ملك فرنسا شاهدا على رفعة درجة الفنون
 لدى العرب إذ ذاك الخ . وجاء فى البحث الثانى والعشرين من هذا الكتاب ماملخصه قال

أدرجنا فى الأبحاث السابعة مؤلفى العرب والعلم لانساب سائرهم الى مدرسة واحدة ولأن الاصطلاحات
 العلمية التى جرت عليها للشارقة كان سائرها ألفاظا عربية لتغير صورة اللغة الفارسية الى العربية منذ زمان
 طويل بممارسة القرآن والحركة العقلية الفاشية فى القرن الثامن بعد الميلاد منذ تولى بنو العباس منصب الخلافة
 وظهر الفهدين العربى المتسع به لطاق لسان العرب الذى أدخله مترجو الكتب اليونانية فى الاصطلاحات فسهل
 انطباقها على العلوامات التصورية التى عزا الفرج اختراع أكثر ما كشف منها الى علماء منهم كانوا فى القرن
 الخامس عشر والسادس عشر مع أن اختراع أكثرها ما كان إلا للعرب الذين اجتهدوا فى تقدم العلوم
 قال . ونلخص لك اجتهدهم فنقول . وههنا ذكر المؤلف الفرنسى للذكور مسائل تصعب على
 بعض قراء هذا التفسير لأنها اصطلاحية فى العلوم (الأول) مثل الكلام على حلّ العادلات التكميلية
 واستبدال الأوتار بالجيوب وتطبيق الجبر على الهندسة وإدخال الخطوط المماسية فى حساب المثلثات وهكذا وقال
 إنا شاهدا هذه جميعا فى مؤلفات العرب المكتوبة بخط اليد التى نظرنا بها (والثانى) أن العلماء الفلكيين
 يبتدأ ضبطوا بغياب الدقة حركة أوج الشمس وتدخل ذلك هذا الكوكب فى داخل أفلاك آخر ومقدار السنة
 (الثالث) أن تقدم الجغرافيا الرياضية وتصحيح أزياج بطليموس كانا على أيدي العرب (الرابع) أن
 القرن السادس وما بعده الى السادس عشر كانت خالية من الفلكيين الأوروبيين وإنما كانت الأرصاد العربية
 هى القائمة فى الشرق (الخامس) هو ما توجب منه فلكيو الشرق وهو (مرصد) رصدانة سمرقند التى
 أنشأ بعدها بقرن الخوارج (تيكوبراخه) رصدانة (أورنيبوغ) سنة ١٥٧٦ ميلادية (السادس) أن
 الفرج زعموا أن آلة الاسطرلاب من مخترعات (تيكوبراخه) مع أن تلك الآلة والربع ذا التنب موجودان
 من قبله فى رصدانة المراغة التى أسسها العرب العارفون للساعة ذات البندول (السابع) أن العرب شهرها النقص
 التبريجى ليل وسط فلك البروج قبل متأخرى الفرج بزمان طويل (الثامن) أن العرب قدروا مبادرة
 الاعتدال بمقداره الحق من ابتداء القرن الحادى عشر (التاسع) أنهم رصدوا اختلاف عروس القمر قبل
 (تيكوبراخه) بأكثر من مائة سنة الخ

قال صاحبى . إن هذه (وان) أفادتنا أن علماء أوروبا شهدوا بأن كثيرا من الكشف الذى نسب
 رجالهم لأنفسهم هو للعرب (وبعبارة أخرى) للآثم الاسلامية لايفيد القارى فائدة كبرى كما ذكرت أنت

لأنها اصطلاحات فلكية ليس يعرفها أكثر الناس فذكر بعض مانع فيه العرب على شريطة أن يفهمه الجمهور وقيل الانتقال الى الفصل السادس وهو انحطاط التعليم في بلاد الاسلام لتكون القليلة قليلة متشوقة لنا وللناس فقلت قال (سديو) للذكور ما لم يخصه ﴿انهم أنوا بالهيب الهباب (١) في الهندسة (٢) والحساب (٣) والجبر (٤) وعلم الضوء (٥) والنظر (٦) والميكانيكا (٧) وترجة هندسة اقليدس (٨) وغيره مثل تيودوس وأبولونيوس وإيسيقليس ومينيلوس (٩) وشرحوا مؤلفات أرشميدس في الكرة والاسطوانة واشتغلوا قرونا بدقائق الهندسة (١٠) وطبقوا الجبر على الهندسة وترجوا كتب (هيرون الصغير) في الآلة الحربية وقطزبيوس وميرون الاسكندري في الآلات المفرغة للهواء والرافعة للياه وألف حسن بن هيثم في استقامة النظر وانكساره في المرايا التي توقد النار (١١) وألف الخازن في علم الضوء والنظر كتابا في انكسار الضوء الخ (١٢) قال وليس للعرب مجرد نقل كتب اليونان حرفيا كما زعم بعض الفرنج فانا لانشكر علماء بغداد على حفظهم كتب علماء الاسكندرية قط بل مع ما اخترعوه في هذه الفنون نحو ما اخترعه البتاني الملقب ببطليموس العرب من استبدال أوتار الأقواس التي استعملها اليونانيون في حساب المثلث بأضلاع الأوتار للأقواس المضاعفة وهي جيوب الأقواس للصورة الى آخر ما ذكره مما لا طائل في ذكره . وهنا ذكر المؤلف أشياء اخترعها العرب وافقوا بها اليونان في علم الهندسة والفلك سبق أكثرها . وقال في موضع آخر صفحة (٢٤٠) ماضه ﴿زعم الفرنج أنه لم يكن فلسفة عربية وما ذلك إلا لجهلهم بأشغال العرب فان جميع النروس بمدارس أوروبا في القرون للتوسطة مستمدة من تأليف العرب الفلسفية ﴾ الى أن قال ﴿ولانظن أن العرب اقتصروا على تضيير كتب أرسطو بل كانوا يعرفون تأليف أفلاطون وعدة كتب منسوبة الى فيثاغورس الخ . أقول فاجب لعالم فرنسي يقول هذا وفي ديارنا بصمرين للتعليم نصف تعليم من ينكرون على آبائهم كل علم وكل فضل - واذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له - (١٣) يقول للمؤلف للذكور ان (إراتستينس) اليوناني أول عالم في عصره بالكرة الأرضية واختص بهذا العلم ومعلوماته الجغرافية كمعلومات معاصريه يسير ثم تقدمت العرب في هذا الفن كالفنون السالفة وكتبوا كتاب المجسطي لبطليموس الذي تنحى اللاتينيون عن طريقته وكتاب بطليموس عملاء بالخطأ وقد اعتمد علماء أوروبا أولا وبعثوا نموذجاً لرسم الخرائط وساروا شوطا بعيدا وكان أكثر هؤلاء العلماء يجهلون اصلاح العرب له فساروا على غير هدى والاصلاح العربي للذكور كان بأمر للأمان سنة ٨٢٠ ميلادية إذ عمل أرسادا جديدة ببغداد وصحح أرساد المجسطي بالزيج الجديد للفرز في خلافة وبهذا رسمت العروض والأطوال بهيئة غير التي كانت في كتاب المجسطي (١٤) وأكمل تصحيح للأمان الملك محمود الفزوي إذ أمر البيروني الفلكي بذلك سنة ١٠٢٥ م وقبل ذلك عمر الخيام والادريسي . وذكر المؤلف بعد ذلك تقدم العرب في مزايما بأرضهم من النبات النافع في الطب والصنائع وزينة للمباني والقصور . قال والعرب هم الذين اخترعوا (الأبخاخانات) الصيدليات الكيميائية وهم الموروث عنهم ما يسمى الآن قواعد تحضير الأدوية التي انشر بعد ذلك من مدرسة (سارنه) في الممالك التي في جنوب أوروبا قال واشتغلوا بعلم (الجياوجيا) علم طبقات الأرض ثم قال وبلغت الزراعة أقصى أوجها وكما لها وأحدثوا في أسبانيا السواقي ذات القواديس . هذا ما أردت ذكره في هذا الفصل الخامس ﴿الفصل السادس﴾ انحطاط التعليم في بلاد الاسلام ﴿والسابع﴾ في اضطهاد العلماء بنظام هذا الوجود . هذان الفصلان تتقما في سورة الأنعام عند قوله تعالى - نجعلهم قرطيس تبديلتا وتخفون كثيرا - وقد أبنت هناك كيف كان المسلمون بعد القرن الخامس يمدون للعلوم وسرى هذا الهاء الى الجيل السابق وابتداء النشاط الآن . ولكن لابد من ذكر حادثة محيية لتكون نوطته للفصل الثامن وهو انتقال العلوم لأوروبا هاربة من المسلمين الذين كرهوها وهامى نه

(اضطهاد ابن رشد في الأندلس)

اعلم أن الخليفة الحكم ببلاد الأندلس أخذ كتب الفرس والشام وغيرها وصار له في الاسكندرية وبمشرق وبنسداد والقاهرة أناس يتعنون له الكتب العلمية القديمة والجديدة بأغل الأثمان وكان في قصره النساخون والمجلدون والأدباء الصادرون والوردون وفي مكتبته (٤٠٠) ألف كتاب ولها ٤٤ مجلدا فهارس فقط وليس فيها إلا عنوان الكتاب وهو نفسه يحدث العلماء ويحاورهم في الفنون المختلفة . ولما تولى هشام ابن قام حاجبه بالأمر واضطهد الفلسفة والفلاسفة وأخذ الكتب الفلسفية والمنطقية والفلكية وأمر بإسراقها في ساحات قرطبة وطرح باقيا في آبارها فصارت الفلسفة تقرأ سرا . وإنما قصد بذلك استئالة الفقهاء إليه ليوجههم أنه ناصر الدين . وهكذا يقال أن سبب سقوط دولة الراشدين بعد ذلك وقيام دولة للموحدين إنما هو اضطهاد العلوم والحكمة والفلسفة . كل ذلك قبل ظهور العلامة ابن رشد فبلاد الأندلس كانت تسير حسب رغبات من يتولون الأمر ان أحبا العلم ظهر والا اختفى . هكذا لما تولى الخليفة عبدالمؤمن من دولة للموحدين نصر الحكمة والفلسفة كما فعل الحكم في الزمان الماضي فاجتمع في بلاطه ابن زهر وابن بجا وابن طفيل ثم ابن رشد في عام ٥٤٨ هجرية سنة ١١٥٣ ميلادية وقد عبر البحر الى بلاد المغرب (مراكش)

ولما توفي عبدالمؤمن خلفه يوسف وقرب ابن طفيل إليه فقدم إليه ابن رشد فارتفع ابن رشد عند الأمير يوسف وتولى قضاء أشبيلية سنة ٥٦٥ الى سنة ٥٦٧ هجرية . ولما تولى يعقوب للنصور بعد ذلك رفع ابن رشد وفي آخر الأمر وشوا به إليه ونسبوا له أمورا دينية وأخرى سياسية فقالوا إنه يجهد القرآن ويعرض بالخرافة وأنه قال ملك البربر لجمع للنصور فقهاء قرطبة وقرأوا كتب ابن رشد ثم قرأ الرأي عند الأمير أن يبنى ابن رشد فسكن (إبسانه) وهي قرية قريبة من قرطبة سكانها يهود وكتب منشورا للأئمة بأشياء كاتبه عبد الملك بن عياش لمح الفلسفة وهذا بعض ماضيه (قد كان في سالف الدهر قوم خاسوا في بحور الأوهام وأقرهم عوامهم بشغوف عليهم في الأفهام حيث لاداعي بدعوى الحق القويم ولا حاكم يفصل بين المشكوك فيه والمعلوم تظلموا في العالم محضا ما لما من خلاق مسودة للعاني والأوراق يؤمنون أن العقل ميزانها والحق برهانها) إلى أن قال (فاخذروا وفقكم الله هذه الشرزمة على الإعيان حذركم من السموم السرية على الأبدان ومن عثره على كتاب من كتبهم لجوازه النار التي بها يذهب أربابه واليه يكون مآل مؤلفه وقاره وما به) إلى أن قال (والله تعالى بطور من دنس للمحدثين أسقاعكم ويكتب في صحاف الأبرار تضافركم على الحق واجتماعكم إنه منكم كبير له) والحق نكتب في هذا مع ابن رشد محمد بن إبراهيم قاضي بجاية والقاضي أبو عبد الله بن إبراهيم الأصولي وأبو الريح الكفيف وأبو العباس الشاعر وقد قاضهم للنصور إلى بلد غير (إبسانه) منى ابن رشد . وكتب النصور بأمر الناس بإسراق الكتب سوى الطب والحساب والمواقيت مع أنه كان يدرس تلك الكتب في السر ويخفي أمره . وقد عني عن ابن رشد ولم يشع بمداغور إلا سنة واحدة وتوفي سنة ٥٩٥ هجرية وعمره ٧٥ سنة وكانت وفاته برا كش ثم حل إلى قرطبة فدفن بها في روضة بمقبرة ابن عباس وبعد ذلك قل اهتمام الطلبة بالعلم وأكبر تلامذته محمد بن حوط الله وأبو الحسن سهل ابن مالك وأبو الريح بن سالم وأبو بكر بن جهور وأبو القاسم بن الطليسانه وغيرهم

(الفصل الثامن في انتقال العلم إلى أوروبا بعد أن هجره المسلمون)

ثم هجر اليهود الأندلس إلى (بروفنسيا) والأقاليم النائية لجبال (اليريته) فراروا من الاضطهاد وخالطوا الفرنجة وكتبوا بالعبرية وتركوا العربية وذهبوا إلى (تول) في فرنسا وهم (أسرة طييون) أصلها من الأندلس وترجم اثنان منهم هما (موسى بن طييون وصموئيل بن طييون) بعض تلاميذ ابن رشد في فلسفة أرسطو فهذان أول من ترجم مؤلفات ابن رشد لأوروبا وكان الأمبراطور (فردريك الثاني امبراطور ألمانيا) من

عجى نشر الفلسفة ومخالفى الاسلام والمسلمين على الاكلبوس للسبحى فشهد الى بعض اليهود بترجمة فلسفة العرب الى العبرية واللاتينية فأنفد يهود بن سليمان كوهين الطلياني سنة ١٧٤٧ م كتابا سماه (طلب الحكمة) واعتمد فيه على ابن رشد فهو أول كتب لابن رشد صدرت بالعبرية وأيضا ترجم له يهودى من (بروفنسيا) كان مقبلا في نابلس وهو يعقوب بن أبي مريم بن أبي شمشون استولى حوالى سنة ١٧٣٣ عتقة كتب من تأليف ابن رشد . ويقال ان الفيلسوف ابن رشد فرّ من (الياسه) الى فارس وأن أهلها أسكوه ونصبوه أمام باب الجامع للبحث عليه عند السخول والخروج وقيل غير ذلك وأن ابن رشد قال أعظم ملأ رأيت في النكة أنى دخلت أنا وولدى عبد الله مسجدا بقرطبة وقد حانت صلاة الصبح فاعترضنا بعض سفلة العاقبة فأخرجونا منه . ثم إن الحق لم يدم فان المنصور عفا عنه وعن سائر الجماعة معه وعاد المنفيون الى بلدهم ولما نفذ في ابن رشد وتلاميذه سهم الحساد أخذ الشعراء المادون للفلسفة والفلاسفة يتهمون فقال الخاج أبو الحسين بن جبير

الآن قد أيقن ابن رشد • أن توافقه تواف
يا ظللا نفسه تامل • هل تجد اليوم من تواف
(وقال غيره)

لم نلزم الرشد يا ابن رشد • لما علا في الزمان جتلك
وكنتم في الدين ذاريا • ما هكذا كان فيه جتلك
الحمد لله على نصره • لفرقة الحق وأتباعه (ومنها)
كان ابن رشدنى مدى غيه • قد وضع الدين بأوضاعه
فالحمد لله على أخذه • وأخذ من كان من أتباعه
خليفة الله أنت حقا • فارق من السعد خير مرقى (ومنها)
حيتم الدين من عدله • وكل من رام فيه فقا
أطاعك الله سر قوم • شقوا العما بالنفاق شقا
تفسفوا ولذعوا علوما • صاحبها في المعاد يشقى
واحتسروا الشرع وازدروه • سفاهة منهم وحقا
أوسمهم لمنه ونزيا • وقلت بعدا لهم وسحقا
فابقى لدين الله كنهها • فانه ما بقيت يسقى

ثم ان كلونيم بن كلونيم بن ميقاتى ولد سنة (١٢٨٧) قد ترجم كتب ابن رشد الى العبرية . وترجم كتاب (تهافت التهافت) سنة ١٣٢٨ وفي القرن الرابع عشر بلغت فلسفة ابن رشد عند اليهود أعلى منزلة ثم كان (لاون) الافريقى اليهودى الذى شرح فلسفة بن رشد كلها وضع فيها ماصنه ابن رشد بفلسفة (أرسطو) من الشرح والتلخيص

وهاك ما قاله (سديو) في هذا المقام لتم الكلام في مسألة نقل العلوم العربية الى أوروبا . قال ولا يخفى أن الكشف السالف يمد علم الملك للشرق مزبة الاصالة والأولية التى لا يستطيع الاسماء عن الاقرار بها أحد من الفرع الذين كان كشفهم لمعلومات الكتب العربية شاهدا على تقدم العلوم الرياضية عند العرب الذين استفاد منهم اللاتينيون للمعلومات فان (١) (جويرت) الذى كان بابا رومه للملك (بيلوستر) للتانى أدخل من سنة ٩٧٠ الى سنة ٩٨٠ ميلادية عند الفرع العلوم الرياضية التى كتبها من عرب أسبانيا (٢) وهيلارد الانكليزى ساح من سنة ١١٠٠ الى سنة ١١٢٠ ميلادية في كل من إسبانيا ووالدى مصر

وترجم مبادئ اقليدس من العربية بعد ان ترجمها العرب من اليونانية وترجم أفلاطون المنسوب (لطيغوليا) وهي مدينة قرب روميه من العربية الرياضيات الكردية المنسوبة الى (نيودوز) كما ان الخولجا (رودلف) أحد أهالي (بروجس) البلجيكية ترجم مسائل بطليموس المتعلقة بالكرة الأرضية والسموية المصوّمة بسيطة على خريطة وهكذا (ليوزد) أحد أهل (يزه) ألف سنة ١٢٠٠ ميلادية رسالة في الجبر التي تعلمه من بلاد العرب وقيانوس من أهل تولوز في أسبانيا ترجم في القرن الثالث عشر كتاب اقليدس ترجمة جديدة وشرحه و (ويتليون البولندي) ترجم كتاب الخازن في علم الضوء والنظر (وجيراد) الكريغوي ترجم الجسطي وشرح كتاب جابر وغير ذلك فاشتهر في أوروبا بعلم الفلك الصحيح وشهر (الفنس) القسطلاني سنة ١٢٥٠ ميلادية الأزياج الفلكية المنسوبة اليه . وللك (روجير) الأول ملك (السيبيلين) كان مساعدا لعلماء (بيسبيليا) لاسبا الادريسي ثم أتى الطاهر (فردريك الثاني) بعد (روجير) بمائة سنة فلم يأل جهدا في المساعدة والبحث على كسب العلوم والمعارف الأدبية المشرقية . وكان أولاد ابن رشد مستخلصين في ديوانه ويلمونه التاريخ الطبيعي في النبات والحیوان . انتهى

وأیضا قال (سديو) ان القوانين وهي خمسة كتب لابن سينا قد ترجمت وطبعت مرارا وكانت مؤلفاته ومؤلفات الرززي تدرس بمدارس أوروبا نحو ستة قرون تقريبا وكانت وفاته سنة ١٠٣٧ م وكتب الفخر الرازي في الطب طبعت بمدينة البنادقة سنة ١٥١٠ ميلادية وكتب على بن عباس الفارسي وهي عشرون كتابا في الطب وهي التي أهداها الى عضد الدولة البويهی قد ترجمت الى اللاتينية سنة ١١٢٧ م وطبعها ميخائيل كابلا سنة ١٥٢٣ في مدينة (ليون) فرنسا

فلما سمع ذلك صاحي قال . هذا الذي ذكرته أطلعنا على علم جم غزير فلقد كنت مشوقا الى أن أعرف كيف انتقل العلم لأوروبا من المسلمين وكنت أظن أن هذه أقوال مبالغ فيها ولكني الآن أمام علم جم فاني رأيت من هذه الأقوال

- (١) إن اليهود بعد موته قتلوا علمه الى لفتين العبرية واللاتينية
- (٢) وأن فردريك أميراطور ألمانيا هو الأمر بذلك
- (٣) وأن يهوذا بن سليمان كوهين ألف كتاب (طلب الحكمة) معتمدا على ابن رشد
- (٤) وأن بابا رومه نفسه أدخل علوم الرياسة العربية بنفسه في بلاده
- (٥) وهكذا العالم الانجليزي ترجم الهندسة العربية
- (٦) والعالم البلجيكي والاطلياني والاسباني وهكذا كلف في هذا المقام فذكر لي الفصل التاسع وهو فوق أوروبا في تلك العلوم . قلت

(الفصل التاسع في تفوق أوروبا في العلوم جميعا بعد آياتنا العرب)

قد يظن ظان أن مقامه سابقا قلا عن العالم الفرنسي (سديو) من أن ما ادّعاء الترجمة من الكشف قد سبقهم به العرب بوجوب أن أعظمهم حقهم . كلا فنحن الآن في تفسير القرآن والقرآن حق ومن لم يجعل الحق دينه صرعه الحق فاعلم أن الفجر الكاذب يظهر قبل الفجر الصادق . قال الشاعر
وكذاب الفجر يبدو قبل صادق . وأول الفجر قطر ثم ينسكب
ادعى الترجمة في أول أمرهم أنهم كشفون لما سبقهم به العرب ثم جاء بعدهم علماء كشفوا عجائب عما خبأ الله في أرضه والمتأخرون من المسلمين سلّمون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يعمرون عليها وهم عنها معرضون - . هذه أيها المسلمون آثار آياتكم وأتم خلفكم فإذا علمتم . قلت أوروبا علومكم وأتم تأمّن . أفلا تعلمون . أفلا تفكرون . ألم يقل الله - قل سيروا في الأرض فانظروا -

أما أبونا فساروا ونظروا والفرنجة سلروا ونظروا عمل آبائكم فهل أتم لاتشعرون . انظروا أيها المسلمون أتم اليوم علة على أوروبا انها قد فتح لها كنز العلم وأتم تاتمون . هاأنذا أقص عليكم نبأ أهم العلوم التي حدثت في القرون المتأخرة من نحو القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر لتحتل لكم صورة من العلم قديما وحديثا وانكم ظلمتم انفسكم بالجهل وآباءكم بانفسابكم اليهم وهم في قبورهم عليكم عزونون

﴿ علماء القرن السادس عشر ﴾

منهم (١) (تيغوراهي) المولود في بلدة (نسترب) جنوبي اسوج في سبتمبر سنة ١٥٤٦ المتوفي سنة ١٦٠٩ أثبت أن نور الشمس سبعة ألوان وأن مواء الأجرام السماوية تشبه أكثرها مواء الأرض وقد دعاه (فردريك الثاني) ملك الدانمارك فأنشأ مرصدا فلكيا من أعظم المرصدين في عشرين سنة وزاره الملك (جس الأول) ملك الانجليز في هذا المرصد وأهدى اليه كثيرا من الهدايا ووفد بعد ذلك على امبراطور ألمانيا في مدينة (براغ) فأكرمه ولكن لم تطل مقته بعد ذلك فمات

﴿ (٢) وليم غلبرت ﴾

علم انجليزى أنشأ علم الكهربية الحديث ولد سنة ١٥٤٠ وتوفي سنة ١٦٠٣ فهو الذي عرف أن الكهربية تكون في الزليج والكبريت والشمع الأحمر والراتينج والماس . وهذه مبادئ علم الكهربية التي أكلها العلماء بعده وقال ان المغناطيسية والكهربية من نوع واحد

﴿ علماء القرن السادس عشر والسابع عشر ﴾

(١) غليلي . هو فيلسوف ايطالي ولد بمدينة (بيزا) سنة ١٥٦٤ ومات سنة ١٦٤٢ نسبوا له كشف رقائق الساعة وأنه خط ذلك في كنيسة (بيزه) إذ رأى القنديل مدلى من القبة وله خطرات متساوية وقد قال (سديو) . كلا . ثم كلا هذا اختراع الحسن بن يونس المصري قبل ذلك بقرون . فهذه مما سببناه الفجر الكاذب . وقد اضطهد لأنه قال يدوران الأرض ويقول العلماء . كلا انها معروفة قبل الفرنجة عند العرب كما ستره في كتاب ﴿اللواقح﴾ فيه دوران الأرض وذلك قبل الاوروبيين بمئة . وقد ذكرت هذاني كتابي ﴿في الفلسفة العربية﴾ وتقدم في يونس وقد أكره غليلو على الخسوف والرياح وهو شيخ ضعيف سنة ٦٩ سنة وأمر بالركوع أمام جمهور حاقل من المفتين وغيرهم وعاهدهم على الانجيل أنه يلحن ويكره دوران الأرض

﴿ كاشف دورة السم ﴾

(٢) هرفي . ولد سنة ١٥٧٨ في ولاية (لنت) ببلاد الانجليز وعين طبيا للملك (جيمس الأول) وخلفه وتوفي سنة ١٦٥٧

﴿ علماء القرن السابع عشر والثامن عشر ﴾

(١) اسحق نيوتن . ولد سنة ١٦٤٢ وتوفي سنة ١٧٢٧ من أكبر علماء الفلك زعموا أنه كشف الجاذبية إذ رأى نقاعة سقطت على الأرض ولكن هذا الكشف قد سبقه به العرب بنحو ستة قرون كما أثبتناه في كتاب الفلسفة ولكن ليس معنى هذا أنه لا فضل له . كلا فانه جعل هذه الجاذبية تمتد الى القمر وجها يدور حول الأرض

(٢) ديجرو . مؤلف دائرة المعارف الفرنسية وهو من عائلة سكنت ولاية شمبانيا بفرنسا والسنة ١٧١٣ ومات سنة ١٧٨٤ وقد ترك كل شيء في حياته إلا المطالعة ولما طرده أبوه دخل بيت رجل يعلم أولاده ثم كره ذلك وقال للرجل انظر الى فقد اصفر وجهي واصفرار الليمون أنا أحاول أن أجعل أولادك رجلا وهم يحاولون أن يصبحوني ولدا . لست أشكو قلة الراتب ولا سوء للعائلة لأن رائي أكثر مما أستحق ومعاملتكم لي على غاية الوداد ولا أريد أن أعيش أحسن مما أنا عائلتي هنا ولكني أريد أن لا أموت اه

(علماء القرن الثامن عشر)

- (١) بنيامين فرنكلن المتوفى سنة ١٧٩٠ وعمره ٨٤ سنة من أمريكا وهو الذى اخترع مائة الصواعق
 (٢) لافوازييه أبو الكيمياء الحديثة . ولد سنة ١٧٤٣ وحكم عليه بالقتل سنة ١٧٩٤ فى الثورة الفرنسية
 وهو الذى كشف خواص الأكسجين وحقيقة الاشتعال للنازونة السوائل والغازات والجوامد بعضها لى
 بعض ويبحث فى الحرارة وتمدد الأجسام وتقلصها باختلاف درجات الحرارة والضغط
 (٣) ماريا أغنيس الايطالية فاقته أهل عصرها فى العلوم الرياضية ولدت سنة ١٧١٨ وكان يحضر مجلسها
 فوق ثلاثين رجلا من عظماء أوروبا من أمم مختلفة وتوفيت سنة ١٧٩٩

(علماء القرن الثامن عشر والتاسع عشر)

- (١) كولون الكهربي ولد سنة ١٧٣٦ وتوفى سنة ١٨٠٦ هو أول من استعمل الرياضيات فى البحوث
 الكهربية فشهريته كلها ترجع الى ما كشفه فى الكهرباء والمغناطيس فهو الذى قال قوتها ونواحيها
 (٢) أدورد جنر عالم انجليزى ولد سنة ١٧٤٩ وتوفى سنة ١٨٢٣ هو الذى كشف تطعيم الجدرى .
 ذلك أن فتاة حلاية للبق سمعت أناسا يذكرون الجدرى فقالت انها آمنت على نفسها لأنها عادت مرة بجدرى
 البقر وسمع ذلك (جنر) فخطر له أن جدرى البقر قد يكون واقيا من الجدرى الذى يصيب البشر وأسلم عاقبة
 من التطعيم بالجدرى نفسه فاذا علم الانسان بمادة الجدرى من البقر ظهرت فيه بشور قليلة قبه الجدرى فى
 المستقبل وإذا أخذ الحصل من تلك البقرة ولم يبه أناس كثيرين وقاهم أيضا الجدرى
 (٣) فلطال الكهربي الايطالى . ولد سنة ١٧٤٥ وتوفى سنة ١٨٢٧ وهو الذى كشف البطارية
 الكهربية والوصف الكهربي أو الفلظاني كما هو موضح فى هذا التفسير فى غير هذا المكان شرحا ورسم
 (٤) (لامارك) صاحب مذهب التحول هو فرنسى ولد سنة ١٧٤٢ وتوفى سنة ١٨٢٩ وهو أول من
 أطلق على الحيوانات لادنيا اسم (عديمية الفقرات) وكانت قبل ذلك تسمى ذات اللحم الأبيض ودرس الحيوانات
 القديمة فى الأرض وله كتاب (فلسفة طبائع الحيوان)
 (٥) السرمهرى دلفى ولد سنة ١٧٧٨ وتوفى سنة ١٨٢٩ وهو الذى كشف الصوديوم والبتاسيوم
 والسترونيوم والباريوم والكسيوم والغنيوم . ولما كشف الصوديوم جعل يرقص من الفرح وكشف
 النور الكهربي واللون الكهربي كذلك

(مصباح يشرح على العلوم التى كشفها المسلمون والأوروبيون ومنها الكيمياء)

قال صاحبى . صوديوم بوتاسيوم . هذه ألقاب لاتفيد قارى التفسير فأى فائدة لقارى سورة ابراهيم
 من أن يسمعك تقول فى رجل أفرنجى انه كشف الصوديوم والبتاسيوم . أسمع للمسلمين أقوالا تفهمهم
 مقاصد ما ذكرته والاسم القراء من طول هذا الذى تذكره . قلت هذا من علم الكيمياء . قال وما فائدة
 الكيمياء أليست هى التى تجعل القضة والنحاس ذهباً . قلت الكيمياء علم به تحلل المولات فتعرف أصولها
 فتنتفع بها فى جميع أعمالنا والصوديوم وغير الصوديوم هى الأجزاء التى لها خواص متميزة فى منافعها . قال
 هذا كنه لايفيد . قلت فاسمع . قال سمعاً . قلت حياك الله وبياك انظر أنت فى كل أوقاتك رجل
 كئيب وأنت تنكر ذلك . قل لى رعاك الله ألسنا نحصد القمح . قال بلى . قلت وندرسه ونفروه ونطحنه
 ونخضعه ويهضم فى أجوافنا ويفرق على أعضائنا كل بقدره . قال ماعنى هذا . قلت نحن ندرس القمح
 فى الجرن بالنورج فيفروه نمتنا ثم نفروه فى الرمح فنصل الحبة عن التبن أما التبن فلهبائهم وأما الحب فهو
 لنا ولكننا لأناسكاه حتى نلطفه بالطحن ثم الحجن ثم الخبز ثم نخضعه هو وغيره أضراراً وأنياباً وأسناناً ثم
 يدخل فى المعدة فيهضم ثم تحتبذه العروق فيسير دماً يفرق على الأعضاء كل عضو يأخذ مايناسبه . إن هذا

هو التحليل ولولا هذا التحليل ما قدرت أعضاؤنا أن تناول أغذيتها من دمنا لأنه لا يكون دم إلا بالتحليل المذكور . فهنا (١) آلات من الخشب والحديد وهي التورج بحجرة الأنعام (٢) وبهذا يمكننا أن نذروه في الهواء فخل التمييز بين الحب والتبن بهذين الصلين . درسه مقدمة وذروه في الهواء فتبجة والنتيجة تميز القمح من التبن ليتناز غذاء البهايم من غذاء الانسان وكل يتصرف فيها هو له . فهذا أشبه بتحليل الكيمياء ثم حب القمح يحتاج أيضا الى عمليين الطحن بالأحجار الذي يشبه الررس بالتورج والمضغ الذي يشبه ذرو القمح فالمضغ يفتت الطعام وهكذا أعمال المعدة في هضمه ليأخذ كل عضو من الدم ما يناسبه كما ان ذرو مدارس بالتورج يعطي البهايم ثمنها والانسان حبه . فهنا مقمتان ونتيجتان ولكل نتيجة عمل فالنتيجة الأولى فصلت طعام الحيوان من طعام الانسان بالحكمة . والنتيجة الثانية وهي للمضغ المضغ وغيره أعطت لكل عضو من أعضاء الانسان ما يستحقه من العناصر التي سميناهم (صوديوم وبرتاسيوم) وهكذا فإذا قلنا هذا تبن وهذا قمح بعد القرو في الهواء للحيوان والانسان فهكذا هنا نقول هذا بروتاسيوم وهذا صوديوم وهكذا في الطعام فكل من الأعضاء يأخذ حصة منه بعد المضغ كما أخذ كل من الحيوان والانسان حصة بعد الررس والقرو في الهواء . فقال حسن قد فهمت إذن ما عدد العناصر . قلت عدد العناصر سيأتي في سورة التنكيوت فوق ٨٠ وستذكر بأسفلها في جدول هناك . قال ولكن الكلام لم يتم . قلت نعم لم يتم لأن الذي سمعت أنت إنما هو مثل ضربته مما زاه في أخفنا وما الأمم إلا كالأفراد . الأفراد تحلل القمح بدرسه وذروه وطحنه ومضغه والأم تحلل جميع المواد التي زارها فجميع المواد أشبه بالقمح في المثال المذكور والتبن والحب أشبه بالعناصر والآلات التي اخترعها العلماء في معاملهم أشبه بالخشب والحديد في التورج والخشب وحده في المنزى وحجارة الطاحون والأنابيب والألسان والأضراس لتفتت الطعام وبالعناصر التي يستخرجونها يرقون الصناعات واللب وجميع أعمال الحياة فلذا أخذ كل عضو بعد المضغ في أجسامنا ما يناسبه . هكذا يحصلون عناصر خاصة تناسب للزرع كالقمح والقطن وغيرهما يسمونه (السداد الكيائي) وما السداد الكيائي إلا عناصر استخرجوها كما استخرجت أعضاء أجسامنا عناصر مناسبة لها كما فصلنا التبن عن الحب فأخذ الحيوان والانسان كل حظه . فقال هذا حسن أنا الآن أدركت معنى الكيمياء وفهمتها فهما تعقليا زدي زدي . قلت أما الآن فاني متهيج بأنك أدركت ما أردته . وبهذا ارتقوا في الحرب والتجارة وكل أعمال الحياة . واني أذكرك بما قسّم في آل عمران . فقال لا أذكر فاني لم أقرأ الجلد الثاني من هذا التفسير ما الذي هناك . قلت لا أريد التكرار . قال ولكن ذكرى والذكرى هنا قيد قلت علم الله قبل أن ينزل القرآن أن المسلمين سينامون كما عادت فأنزّل القرآن وجعل في أوائل بعض السور (الم . الر) وهذا يشير الى ما قوله الآن . علم الله أن أكثر الناس لا يعقلون ما أملهم فجميع بني آدم يشاهدون الررس والقرو والطحن والمضغ ولكن لا يفقهون وإنما أكثرهم أشبه بالآلات الميكانيكية مسخرون في طعامهم . مسخرون في ذريائهم . مسخرون كما تسخر الأنعام . هكذا أكثر الناس في أرضنا يشاهدون هذا التحليل الذي يشبه التحليل الكيائي بل هو قس كيائي ولا يفكرون في العالم الذي يعيشون فيه فيلرسوه كلا وهو معنى قوله - واعلموا أن الله يحول بين الرزق وقلبه - وقوله - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون - فذلك أنزل هذه الحروف في أوائل السور كأنه يقول أيها المسكرون جهنم الكيمياء التي تحلل الأشياء وتحققها فأننا ذكركم بالقراءة والكتابة إن الطفل لا تتسنى له الكتابة ولا القراءة إلا اذا حلل الكلمات الى حروفها كما تحلل المركبات الى عناصرها . فكما ان القراءة والكتابة لا يأتان إلا بتحليل الكلمات الى حروفها . هكذا هذه المادة وقواها لا تنتفعون بها إلا بتفصيلها ولادراك حقايقها قال تعالى - وكل شيء عنده بقدر - وقال - إنا كل شيء خلقناه بقدر - وقال - وأنبأنا

فيها من كل شيء موزون -

أعمال الناس لا تتم إلا بالتحليل والقراءة لا تتم إلا بالتحليل فلماذا لا يحققون هذه العوالم بالعلوم ومنها الكيمياء ولن شئت فارجع لما قسم في سورة آل عمران . قال أما الآن فقد فهمت سخا
(بقية العلوم كالكيمياء ما لا تفصيل وتحقيق)

ثم قلت ومثل الكيمياء جميع العلوم فلماذا سمعت العالم (كوفيه) الآتي ذكره قد قسم المرتبة الدنيا من الحيوانات الى (ثلاثة أقسام) ولم تقسم قبله فهذا يسمى تقسيما والتقسيم لبيان التقسيم كما ان التحليل لبيان الحال وهكذا بقية العلوم كلها لا تخرج عن التقسيم والتحليل وما أشبه ذلك وما هو إلا تحقيق الحقائق كسألة التمتع للتقدم وكسألة الحروف المجانية في أول السور . فقال صاحبي حسن لقد أضاع هذا الموضوع وأشرق وصار ما ذكرته من كشف العلوم المختلفة واضحا بهذا المثال فارجع إذن لبقية الكلام على علماء أوروبا فقلت (٦) (جورج ليوبلد كوفيه) عالم فرنسي توفي سنة ١٨٣٢ ألف كتابا اسمه (النظام المتحجرة) وآخرا اسمه (المملكة الحيوانية) وهو الذي قسم مرتبة الديدان التي تشتمل على كل ما يعرف بذوات السم الأبيض (وهي تقارب نصف المملكة الحيوانية) الى ثلاثة أقسام وهي الحيوانات الصدفية والحشرات التي لا قلب لها والقسم الثالث هو الشبيه بالنبات

(٧) (جان شامبليون) فرنسوي الذي كشف لنا كنوز الآثار المصرية توفي سنة ١٨٣٢ م . ان علوم مصر بقيت غزوة قديما وكان علماءها يقولون لليونانيين (أيها اليونان أتم أطفال) وكان يصردا ركتب في عهد ملوك اهرام الجيزة . وقال مابيتون المؤرخ في القرن الثالث (ق.م) ان عددا للوفات المنسوبة الى هرمس ٣٥٥٢٥ ولما غرمد المصريون على الأمبراطور (ويكليسيانوس) في القرن الثالث (ب.م) أسوق جميع المؤلفات المصرية القديمة التي في علم الكيمياء مثلا يقاوموه بهذا العلم ولكن بقي في المعابد والأعجار والمباني علوم كثيرة لم يعرفها أحد حتى تعلم اللغة القبطية شامليون وللغة الهيروغليفية وساعده على ذلك حجر رشيد وسيلة (فيلا) للكتوب عليها أسماء الملوك بالفتين الهيروغليفية واليونانية التي يعرفها فتوصل بها الى معرفة اللغة الهيروغليفية وساعده اللغة القبطية وكلفه لويس الثامن عشر ملك فرنسا بطية من الذهب منقوش عليها ما يأتي (هدية من الملك لويس الثامن عشر الى شامليون لكشفه الأحرف المجانية الهيروغليفية) فياسبحان الله ويسعدانه . كل هذا حاصل وللشعوب ساهون لاهون . وكأين من آية في السموات والأرض يبرزون عليها وهم عنها معرضون . هذه أيها الشامليون أعمال آياتكم الأولى . وهذه أوروبا ارتقت فأما أنتم فتمتم لأن ملوككم قتلوا رجال الإصلاح وأهانوهم واكتفيم بالشعر والغلاظة . هذا لويس الملك الفرنسي يكافئ علماء فرنسا على ماذا . على أنه كشف رموز المصريين والله في القرآن يقول - فالיום ننجيكم بيدك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون -

عيرنا الله بالفضة عن علوم الأمم المصرية التي خباها في أبدان وقبور القراعنة . اللهم أنت الحكم العدل أنت القاضي على كل شيء . ينم أهل الشرق جميعا فتسلط عليهم الفرنج فينتحون بلادهم كبلادا المصرية ثم يتقربون على آثار قد عيرنا الله بجهلها ورومانا بالفضة والجود . اللهم إنك عدل سلطت العلماء على الجهلاء . أليس هذا هو ديننا فكيف نمنع عنه . نحنما هما أشرا اليه من آثار الأمم ومنها آثار مصر والله يقول - أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور -

أقول وبعد هذا التفسير وأمثاله وانتشاره سيقوم أكثر المسلمين قومة واحدة لدراسة هذه العلوم كلها وتكون للدراسة بوجدان عقلي وديني معا وهناك يكون طور المسلمين لم يعلموه من قبل لأن الاسلام دين

جديد بكر لم يدرس الآن حق دراسته ولم تبين مقاصده تبيانا تاما وبعد هذا التفسير وأمثاله سيظهر رجل أقوى شكيمة وأعظم قدرا وأغزر علما من علماء أم الأرض ومن يش به اه

(٨) (جورج ستفنسن) ولسته ١٧٨١ ومات سنة ١٨٤٨ هو عالم انكليزي وهو الذي أنشأ السكك الحديدية في العالم . وقد أنشأ عملا للركبات البخارية وأخذ في اصلاحها وكان للهندسون يشكرون في عمل مركبة نارية تسير على قضبان الحديد بدل مركبات الخيل ولكن ظنوا أنها تنزلق عن القضبان ولكنه قال ان تقل الآلة تبتها ولو كانت عجلاها ملساء فله الفضل على جميع نوع الانسان وقد صار سنة ١٨٣٧ م رأس للهندسين لأكثر السكك الحديدية

أيها المسلمون . أليس من العار عليكم أن يكون (ستفنسن) قد نفع العالم كله وأتمم تأمونه وتركبون القطار وأتمم عالة على أوروبا والله انكم قوم ساهون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يبرهن عليها وهم عنها معرضون - والله عار وجهل واتم أن يكون هذا السر ورد به القرآن وأتم تجهلون أليس القرآن هو الذي جاء فيه كما سيأتي في سورة النحل - ويخلق ما لا تعلمون - بعد أن ذكر الخيل والبالغ الخ يخاطب الناس أئيم النبوة فيقول ذلك لأنه لم يأت أوانه ولكن ما عدنا نحن قبح الله الجهالة أم الخبايا ولكن إن شاء الله قد جاء وقتكم فافرقوا علوم القوم وزيدوا للانسانية علما حتى تصلوا الأمم كما أعطاكم والا فاني أذكركم صاعقة العذاب الهون بنومكم أجمعين . أيها الناس - أليس منكم رجل رشيد -

(٩) (فرايداي) عالم انكليزي ولد سنة ١٧٩١ وتوفي سنة ١٨٦٧ وهو عالم عظيم قد كشف البنزين باستطاعته من الفحم الحجري سنة ١٨٢٥ وكشف قوانين التيارات الكهربية بآية الحديثة أيها المسلمون هل يجوز أن يكون أئولا هم الذين علموا أوروبا كما فهمتم من هذا المقال ونمسي عالة على علمائهم . اليوم هذا البنزين أتم تستعملونه في مركباتكم وفي الآلات الدائرة النافعة . أفلا تفعل المسلمون أن يعيشوا ولا يعمل لهم إلا أنهم جاهلون . يقول الله - ويخلق ما لا تعلمون - بعد الكلام على الاتفاع بالحيوان أكل وملبس وسفر ويكون البنزين مما يساعد على السير كالبنزين والمسلمون لا يعمل لهم اللهم ضاعت عقول في الشرق عاشوا وماتوا وهم لا يعقلون صم بكم عمي فهم لا يرجعون ولكن سيعرض أبنؤنا ما قد ناه ويرجعون من الجهد والشرف ما أضناه

(١٠) (اربان لفريه الفلكي) القرنى ولد سنة ١٨١١ وتوفي سنة ١٨٧٧ هذا العالم هو الذي كشف السيار (نيتون) الذي بعد السيار (أورانوس) الذي ذكر في مواضع من هذا التفسير . هنالك تسابقت جميعات أوروبا إلى تسجيل اسمه بين أعضائها وأرسل له ملك الدانمارك بربة عظيمة تشرفه ومنح جلدول لتسيير السفن في البحار

أيها المسلمون . أوليس مما يؤلني جنة الأمم أن الله يذكر لنا في القرآن أنه سخر لنا الفلك في البحر لنبتني من فضله ويقول - وعلامات وبالنجم هم يهتدون - فأين الهداية التي استخرجناها وهل نكون جميعا عالة على أوروبا برا وبحرا . أليس هذا كتاب ربنا . إن المسلمين ساهون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يبرهن عليها وهم عنها معرضون - . يخرج الأوروبيون جميعا بعالم نبع فهم والشرقيون متعلمون لا يبرهن أهل مصر ملنا في الأقطار الأخرى فلا تعارف ولا تواف ولا تناصر بل الجهالة مستحكمة ولكن هذا أول النصر - إن مع العسر يسرا - وهذا التفسير من مبشرات النهضة والاصلاح والمسلمون قريبا جتم سبتيقظون في جل الأقطار

{ علماء القرن التاسع عشر }

(١) (تشارلس داروين) ولد سنة ١٨٠٨ ومات سنة ١٨٨٢ مذهبه مكمل لمذهب (لامارك الفرنسي) وملخص للمنهجين معا. يرجع الى أن عالم الأحياء من النبات والحيوان سلسلة واحدة متصلة أسلاها بأداتها وهل هي مشتقات بعضها من بعض أم هي مخلوقة خلقا أوليا . وهذا النزاع تجد العمل فيه في سورة آل عمران في أوائلها فارجع اليه إن شئت

(٢) (بوسنفولت الكجاوى الفرنسي) ولد سنة ١٨٠٢ وتوفى سنة ١٨٨٧ كشف العناصر التي تتألف منها النباتات المختلفة وكيفية دخولها في تركيبها . فقال صاحب هذا مثل ما فهمنا فيما تقدم عند الكلام على الكيمياء . قلت نعم كمثل مسألة الطحن والحبز والمضغ الخ . فقال الأمر واضح

(٣) (مارية منشل الفلكية) الأمريكية ولدت سنة ١٨١٨ وتوفيت سنة ١٨٩٨ برعت في الفلك وكشفت نجما جديدا من ذوات الأذنان وكانت تقضى الليالي على سطح بيتها ترصد الأفلاك وترقب السماء وانتخبته عضوا في أكاديمية العلوم والفنون الأمريكية

(٤) (شليمن الأثرى الألماني) توفي سنة ١٨٩٠ عشق في صغره كشف خراب (ترواده) التي وردت في أشعار (هوميروس) فوجد أسلحة وأمتعة وحل فضية ذهبية وعرف قبر (أنا منون) في جهات ميسني التابعة لبلاد اليونان وذكر أنه رأى عجائب ذهبية وأواني وحل كثيرة جدا لاجل لتكرها

(٥) الاستاذ (نندل) عالم انجليزي ولد سنة ١٨٢٠ وتوفى سنة ١٨٩٣ قد كشف خواص عجيبية في النور والحراة والتغير والاختار والمغناطيس والحيوانات القرية (المكروبات)

(٦) (هتري رولنسن الانجليزي) ولد سنة ١٨١٠ وتوفى سنة ١٨٩٥ هذا العالم أشبه بالعالم (شامبلون الفرنسي) كشف عجائب في الشرق والمسلمون تابعون ككأنهم لم يقرأوا القرآن فهم ساهون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يترجون عليها وهم عنها معرضون - وهذا التسيران شاء الله وأمثله سيكون مثيرا للعزائم مرقيا للشعوب الشرقية نميا للعلوم . أنا بذلك موقن أشد الايقان ولا أدري ماسبه ولكن هكذا هو الوجدان ولا يعلم الغيب إلا الله . كان يعرف اللغة الفارسية والبابلية والمادية قرأ بهذه اللغات على صغر عظيم في باغستان على بعد (٢٢) ميلا من (قرمان شاه) الى الشرق منها . وهذا الصخر ارتفاه (٧٠٠) قدم فوجد أنها من أيام (دلريوس هستاسيس) سنة ٥٩٦ قبل المسيح ووجد في الكتابة اسم (داريوس) ونسبه وغزواته وممالكه وصورته وقوسه وتاج ملوك الخ وحصل في الآثار الآشورية مثل ذلك فخر المناصب الرفيعة واشتغل بالعلم وحل رموز الكتابات الآشورية والبابلية المكتوبة بالقم السفني وعلماء انكلترا وألمانيا مجمعون على أنه أول من حل الرموز السفينية

(٧) الاستاذ (دانا) الأمريكي توفي سنة ١٨٩٥ كان من المقتنين في علم طبقات الأرض (الجياوجيا) و (اللقولوجيا) أي علم المعادن . له كتابان في علم المعادن وكتاب في (الجياوجيا) وعرف مذهب داروين وقال ان الانسان لم يرتق إلا بقوة فوق القوى الطبيعية لأن الكون متوقف على ارادة خالقه

(٨) (لويس باستور) هو فرنسي توفي سنة ١٨٩٥ وهو كيميائي وله الفضل في البحث عن التولد الثاني والاختار والجراثيم المرضية

(٩) (السرجون لوز) المتوفى سنة ١٩٠٠ وهو انجليزي عالم مفره بعلم الكيمياء وقد خدم بها الزراعة وعجن في الشرق لاهون . وقد لمنحن الأسمدة المختلفة بالزروعات فرأى أن العظام تفيد الملق اذا كان في أرض ضعيفة بخلاف ما اذا كان مزروعا في أرض قوية فانها لاتفيد فصالح العظام بزيت الزاج (حامض الكبريتيك) فزادت فائدتها للأرض . ثم عالج الأتربة الصغورية بزيت الزاج فصارت سيدا نافعا جدا

هذه سورة مما يتضمنه قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - وقوله في آخر السورة - هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب -

هاتنا ذا أيها المسلمون ذكرناكم بأيام الله في العرب قبل البعثة وكيف كانوا مترفين أذلاء ثم كيف جمعهم الاسلام . ثم كيف فتحوا البلاد . ثم كيف ارتقوا في العلوم والصناعات وترجوا الكتب . ثم كيف اضطهدوا العلم والعلماء . ثم كيف فرّ العلم منهم على يد تلاميذ ابن رشد وغيرهم الى أوروبا مثل بابا رومة وعلماء الأمم من الانجليز والبلجيكيين الخ . ثم كيف لاذى قوم منهم أن ماقلوه عن آبائكم كشف لهم ثم كيف ارتقى القوم في فروع الحياة كلها عما لم يعلم به آبائنا كقطرات السكك الحديدية والآلات البخارية وكنحو البنزين والسماد وقتل الحيوانات القوية وما أشبه ذلك . أما أنتم أيها المسلمون فانكم قوم ساهون لاهون - وكان من آية في السموات والأرض يرمون عليها وهم عنها معرضون -

قال صاحبى . كفى هذا في الفصل التاسع الذى جاء في ذكر ارتقاء أوروبا وأمريكا في العلوم . قلت

(الفصل العاشر في نتائج جهل المسلمين وغفلتهم)

اعلم أن نتائج هذا الجهل الفاضح في الأمم الاسلامية المتأخرة ظاهرة للعيان فهانحن أولاء في مصر قد أصبحت الأمم كلها آخذة في الرقي وقد ألغيت الامتيازات الأجنبية من بلادهم لإعندنا . قال صاحبى زيد أن تذكر ماضى في التاريخ . قلت لأقتصر على (ثلاث حوادث) وهى سقوط الدولة العباسية وسقوط الأندلس واحتلال الفرنسيين أولا والانجليز ثانيا لبلادنا المصرية

(١) (سقوط الدولة العباسية)

إن الدولة العباسية انما سقطت لجهل المسلمين وقلة تبصرهم . وأذكر لك حديثا في ذلك سيأتى في آخر سورة الكهف عند الكلام على يأجوج ومأجوج وأسباب هجوم الفول والتار على البلاد الاسلامية وأن قطب أرسلان قتل باغراء التجار من أرسلهم جنكيزخان من التجار العظام بخطاب من عنده للتعامل معهم وكان معهم أموال كثيرة . فلما قتلهم وأخذ ما لهم أرسل له جنكيزخان رسلا آخرين قطع أذانهم فلم يسع جنكيزخان إلا أن أرسل جيشه كالجراد للنشر . ولما بدت طلائفه وظهروا للمسلمين أنصبا جيوش الاسلام هناك سقط في أيدي عظماء الدولة وعرفوا أنهم لاعلم عندهم بالقوم وانهم يحرقون لجهلهم بهم وكان ما كان من خراب تلك الممالك الشاسعة وجلست تلك الجيوش خلال العير وكانوا كثيرا ما يهلكون الرجال والنساء والأطفال والبهائم والآلات التى تستعمل في البلاد انتقاما كما ستره هناك في سورة الكهف

أتمرى لم هذا كله . لأصريح الظلم والجهل لأنهم لو عرفوا جغرافية البلاد التى تجاورهم لكانوا قدروا القوم حتى قدروهم . إن علم الجغرافيا فرض كفاية فلاكان في البلاد طائفة تعرف الكرة الأرضية معرفة جيدة سياسة وزراعية الخ لكان هؤلاء العلماء قدّموا للأمر تقيروا عن قوة تلك البلاد وأهملوه الحقيقة ولكنهم كانوا قد تركوا العلوم كما قدّمناه وعندوها من سقط للناع واقتصرأ غالبا على علم الفقه فنزلت بهم الطائفة وهم لا يشعرون - وكان من آية في السموات والأرض يرمون عليها وهم عنها معرضون -

(الحادثة الثانية سقوط الأندلس)

علت عما قدّم أن المسلمين في الأندلس أسقطوا كرامة ابن رشد وأن الملك أسدشر منشورا بدم العالم الحكيمية وقد أخذت ربح العلوم في الشرق والغرب تركد وكان المسلمون بحال واحدة فهم في الشرق والغرب سواسية . وكما نزلت صاعقة العذاب الهون بالمسلمين في الشرق أخذتهم الرحمة في الأندلس . وسرى من أسباب ذلك في سورة الشعراء عند قوله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاللون * ألم ترأنهم في كل واد يميمون - انهم عكفوا على الشعر وقضتوا فيه وأهل إسبانيا عكفوا على الفكر والعلم والحكمة

ولما تحاذل ملوك الأندلس في أواخر أيامهم واختلوا وصار كل منهم يلجأ إلى من جلوسهم من ملوك الأسبان حلت بهم الأوصاب (من ذلك) أن الملك فرديند أتى بثمانين ألفاً أمام أسوار غرناطة وطلب من أبي عبد الله تسليمها فقام الرجال والنساء والأطفال والشيوخ وجثوا في التحصين إلى أن يسوا فخرجوا لحرب النصارى مجازفين فهزمهم عسكر فرديند فرجعوا فطلب هذا الملك من أبي عبد الله أن يسلمه للمدينة بعد شهرين إن لم يأت إليها مدد فلم يأت لهم إلا من التسطيطية إذ جاءت سفن ضربت السواحل ولكن أبا عبد الله لم يصبر حتى يحى للوعد إذ خاف من قيام أهل البلد عليه ولم يسلم المسلمون إلا على شروط مثل حفظ الحرية والأموال والاعلان بشعار الدين والخراج ولكن قد هض ذلك كله فرديند وأتتهى ملك العرب للممتد من سنة ٧١٠ إلى سنة ١٤٩٢ ميلادية أى ثمانية قرون

ولما ولي شرلكان كركوس الخامس سنة ١٥٢٤ أزم أعيان النصارى المسلمين بالتصبر وما زالوا في أخذ وردة حتى أخذ رئيس أساقفة غرناطة أمرا من الملك فيليبس الثاني بمنع اغتسال المسلمين من الحدين والرقص المغربي واستعمال اللسان العربي وخروج النساء مبرقعات فأبى المسلمون وشهروا السلاح وعقدوا مودة مع مغاربة أفريقية فجعلهم النصارى فالتجوا إلى الجبال مع قائمهم محمد بن أمية من نسل الخلفاء الأموية واستمرت الحرب سنين حتى ظهر شقاق بين المسلمين وذبح محمد بن أمية وخلفه عبد الله فأخذ منه النصارى سنة ١٥٧٠ معظم عساكره وبضهم ذهب إلى أفريقية وشقت النصارى شمل المسلمين في الأفطار تحت المراقبة ولما اشتد الكرب على المسلمين دفعوا سنة ١٥٩٢ إلى الملك فيليبس الثاني ثمانمائة ألف دينار ليخفف عنهم فقبضت الحكومة يدها عنهم ولكن الرعية مازالت وفي يدها النجى السيف وفي اليسرى الصليب فطرده المسلمين . ثم أمر الملك فيليبس الثالث سنة ١٦٠٩ بطرد مسلمي (والنساء) و (مرسبه) فنقلهم السفن إلى سواحل أفريقية وبضهم اجتاز جبال (برنيه) فقبل نزولهم في فرنسا ملكهم (هنرى الرابع) وباد على بضهم بالسكن وللزراعة وعلى بعض آخر بوسائل السفر في البحر إلى (مينا غينه) و (مينا لنجدوق) ويقول (سديو) إن المسلمين الذين بقوا في اسبانيا بعد فتح غرناطة أى من سنة ١٤٩٢ إلى سنة ١٦٠٩ ثم طردوا بعد ذلك كانوا ثلاثة ملايين وهم كانوا نخبة المسلمين وأعظمهم صناعة . ثم قال مانه (فدرست معالم عز اسبانيا وكذا فرنسا بطردهم من مدينة (ننننس) سنة ١٦٨٩ المعتزلين مذهب (القائولية) ذوى الصنائع العظيمة تتأمله)

هذه هي النتائج التي وصل إليها اخواننا للمسلمون من أبناء العرب ذلك لأن الله لا يضر ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

(الحادثة الثالثة دخول الفرنسيين مصر)

طاح للممالك الاسلامية في الشرق وضاعت في الغرب ومصر في الطريق بين البلدين ولكن الأمم الاسلامية في تلك القرون ذهب منها للمسلمون . ذلك أنه كلما نبغ تابع أصبح بين فكي الأسد بمنه الحاكم للسبب ويجرحه العول الجهاد فالحكم يخافون على ملكهم من طلاب الإصلاح والعامة جهال لا يدرون شيئاً فيقول لهم الفقهاء ان هذا مارق من الدين فيضج بينهم . إن الله خلق في كل أمة وكل جيل ناصيين وهؤلاء في الاسلام كانوا لا يجسرون على رفع أصواتهم من صولة الحكم وجهل الفقهاء الثائمين بأمر الدين ولكن هذا هو الزمان الذي رضع فيه صوتنا ولا راد لأمر الله ولا بد من رقي أمة الاسلام في هذا الزمان . لهذا كله لم يعتبر المسلمون وكيف يعتبرون وقد مات المسلمون إذ كفرهم الجاهلون فانظر ماذا حل واعتبر وفهم المسلمون ذلك . إن ما حصل من دخول التتار والمغول بلاد الاسلام في القرن السابع الهجري هو نفسه الذي حصل بمجد دخول الفرنسيين مصر في القرن الثالث عشر الهجري . ذلك أنه كما أن المسلمين كانوا يجهلون

الممالك المتاخمة لهم مساحة وسياسة وعددا وعددا • هكذا كان القوم في مصر واليك البيان
جاءت مراكب انجليزية يوم الثامن من محرم سنة ١٢١٣ الى قنصل الاسكندرية وأرسلوا رسولا الى السيد
محمد عبد الكريم الذي هو القائم بالأمر فقالوا لما علمنا أن الفرنسيين يريدون مهاجمة بلادكم فجئنا لنمنعهم
ولعلمهم قادمون بمد قليل ونحن نريد أن نثقي في البحر بعيدا وتأخذنا زاد بالنقود منكم فردهم محمد عبد الكريم
بخشن القول فتركوهم وسافروا والأمر لم يهتموا بشئ من ذلك اعتادا على قوتهم وأنه اذا جاءت جيج
الافرنج لا يقفون في مقابلتهم وانهم يهوسونهم بخيلهم

وفي يوم (٢٠) منه جاءت المراكب الفرنسية وطلعت الى الاسكندرية فانهمز للمصريون حالا وأحرق
مراكب مراد بك ورئيس الطليحة خليل الكردي فولى مراد بك هاربا • أما في الجامع الأزهر فكان
للمشايع يترقون البخاري وجميع مشايخ الطرق يذكرون اسم (لطيف) أنحوه ثم دارت الحرب ثلاثة أرباع
ساعة بجوار القاهرة ففرق كثير من الخيلة في النيل وهكذا سلت البلاد لهم
وقد جرت حادثة وهو أن الطاعون فشا في البلاد المصرية فأمروا بأن الناس لا يدخلون بيتا فيه مصاب
ولا يخرجون منه وأرادوا جعل الجرحى الصحي • ولا جرم أن هذا نهب هو الوارد عن عمر رضى الله عنه وقد
سمع الحديث الشريف في ذلك أي أن الطاعون اذا كان يبلى لا يدخله ولذا كما فيه لا يخرج منه
فلما أمر الفرنسيون بأجبر الصحي اعتبر المصريون أن هذا عقاب وقد أرسل لهم قائد الجيش خطبا
يتضمن الجبر الصحي (ذكره الجبري في تاريخه) • ولما شرع الفرنسيون ينظمون الأعمال الصحية بحيث
يحرقون ثياب المظنون وفرشه ثم لا يقرب من الميت أحد قال العلامة الجبري فاستبشع الناس ذلك وأخذوا
في الحرب والخروج من مصر الى الأرياف

هذا ما أردت نقله لنظم أيها النكالي أي حد بلغ جهل المسلمين ونومهم العميق فلا العدو يعرفون قوته
ولا العمل بالحديث في أمر الصحة قاموا ومسألة الجبر الصحي حتى بلاجدال والمسلمون إذ ذلك ساهون لاهون
- وكأين من آفة في السموات والأرض يمررون عليها وهم عنها معرضون - • هذا ما كان في حادثة الفرنسيين

(أما دخول الانجليز مصر)

فانه معلوم مشهور ولكن أذكر حادثة واحدة أخبرنا بها أستاذنا الشيخ حسن الطويل رحمة الله عليه
قال كان الشيخ أبوخطوة جالسا في مجلس عراي باشا الوطني الشهير وقت الحرب مع الانجليز • فقال الشيخ
أبوخطوة يجب افعال القتال • فقال عراي باشا إن السياسة ليست في المصلحة • فقال الشيخ أبوخطوة
أنا أخذ المصلحة وأقوم • ثم ان الانجليز لم يدخلوا إلا من القتال • والسبب في ذلك أن رجال فرسانهم
لعرابي عدم دخول الانجليز بما أجبرهم من القتال فوثق عراي بذلك ولم يثق الشيخ أبوخطوة • ولقد قرأت
في كلام (البلات) الانجليزي في هذه الحادثة أن المصريين لو أنهم أقتلوا القتال لم يدخل الانجليز مصر الى
الأبد • وانما دخلوها بحيلة فوهبوا السفن لحديرو مصر وبعد أن دخلوا استرقوها منه حتى يقولوا ما دخل بلادكم
إلا سفن الحديري لاسفن الانجليز • هذه عواقب الجهل بالأمم وبالعلوم - والله عاقبة الامور -

أيها المسلمون • حالانذا ذكرتمكم بأيام الله فينا وفي أسلافنا فلتذكروا أمكم بدنا بكتب ورسائل وتفتنوا
سكن القرآن إذ ذكر بما وقع في غزوة أحد وغربها علمين يقول الله تعالى - وذكرهم بأيام الله إن في ذلك
لآيات لكل صبار شكور - اه

(تحفة وشرح لما تقدم • تذكير المسلمين بالقرآن)

قلنا فيما تقدم أن سورة ابراهيم مبدوءة بالتذكير بأيام الله وعظومة بقوله تعالى - وليذكر أولو الألباب -
والألباب جمع لب - واللّب غير القشر فالقول (قسان) عقول في القشور وعقول في الألباب وهذه الثانية

تبحث في حقائق الأشياء • فليرجع من بعدنا من المسلمين إلى أسباب زوال الممالك الإسلامية • السبب
(أمران) الجهل وترك الشورى • أنظر إلى ما يقوله المؤرخ الفرنجي المنصور • يقول إن الأساطيل
الإسلامية وصلت إلى مصاب نهر السند وأخذ عبد الله بن عامر بلاد كرمان وسجستان إلى أن قال وبعث إلى
ملك الصين اثني عشر سفيرا وهدده بالآخرة فغضبهم بطايب الذهب الوافرة لشرهم وانتشرت اللغة العربية
ودين الإسلام بالتسريح حتى زالت ديانة البوذية وقد ظهرت الجيوش الإسلامية على شواطئ نهر الكنج
هذه حلم في الشرق • فأما حلم في الغرب فانهم توغلوا في فرنسا وأخذوا إقليم (برغونيا) وبلغوا
مدينة (ملاو) تحت تلك البلاد سنة ١٠٣ • فهزموا فارتدوا إلى شواطئ نهر الرون والصين وأخذوا مدينة

(بون) ودفع الجزيرة أهل (سنس) و (البيجو) الخ
إنا لست الآن في مقام الاستحسان أو الاستقباح إنما أنا الآن أذكر ما حصل لأبائنا شرقا وغربا ثم ماذا
حصل بعد ذلك • هأت ذرايت كيف أصبحت حالهم بعد ثمانية قرون • هاهم أولاد في البادية كما
كان آبائهم قبل النبوة ومن تحضر منهم فانه تحت حكم دولة من دول أوروبا • ثم انظر هاتين الحالتين حال
المرّة أولاً والثانية ثانياً وولزن بينهما وبين حال العالم أولاً وثانياً • أنظر كيف يقول في صفحة (١١٠) من
الكتاب المذكور • ان للمؤمن لما تولى استدهى من القسطنطينية علما يسمى (ليون) فأبى (توفيل)
ملك القسطنطينية فكان بينهما سنة ٨٢٥ ميلادية حروب نصر فيها (توفيل) وتوفيل هذا هو الذي طمع
بعد ذلك في ارجاع ما أخذه العرب منه فحارب المعتصم سنة ٨٣٦ وخرب مدينة (سوزويترا) مسقط رأس
المعتصم وذبح جميع رجالها فسبب ذلك أن أخذ المعتصم جمهورية سنة ٨٤٠ ميلادية وقفل ما فعله (توفيل)
فانظر وولزن بين المؤمنين وبين يعقوب النصور فالأول حارب الروم لأجل عالم منهم والثاني طرد وأهان العالم
وهو ابن رشد فارتقى الملك في أيام الأول وانحط بعد زمن الثاني • إذن

(ما السبيل لرق المسلمين)

السبيل أن تعدل الأمة عن النظام الحالي فان كل مصيبة حلت بالأمة نتجت من جهل الملوك والأمراء
وعلم اعتنائهم بالشورى حتى مات الأمير وخلف الملك لولد غير رشيد ضاعت السلطة فهي أبدانيع الأمير جهلا
وعلم فلا سبيل لرق الشرق إلا أن يكون النظام في الملك قانون مسنون وأن يكون هناك مجلس له الكفاءة
النافذة في أمر الولاية ونظام الملك وأن يقيد الملوك كما قيد ملك الانجليز بحيث يكون الأمر لأهل الحل والعقد
هذه هي السبيل لنظام الأمم الإسلامية في مستقبل الزمان • هلموا يا أبناء العرب واسمعوا قولي •
انظروا إلى أخلاق آبائكم الأقدمين وأخلاقكم اليوم • آبائكم كانت لهم السلطة على أم في الشرق والغرب
كما بنا فما زالت دولهم الملكية بقيت دولهم الطيبة • فانظروا ماذا يقول العلامة الفرنسي للمنصور في
(البحث العاشر وغيره) إن مدينة العرب لم تغرب بنهاب دولهم فذكر في هذا المقام أن الأتراك والمغول
لما أغلوا من شمال آسيا على غربها وشرقها حفظوا مدينة العرب وعوامهم (١) فقد أحضر السلطان محمود
الغزوي إلى ديوانه العلامة البيروني من سنة ٩٩٧ إلى سنة ١٠٣٠ • (٢) وبع جلال الدين ملكشاه
السلجوقي أفضل العلماء من سنة ١٠٧٢ إلى سنة ١٠٩٢ • (٣) وأحضر (هولاكو خان) المغولي إلى
ديوانه حين قلب على بغداد سنة ١٢٥٢ ميلادية نصير الدين الطوسي الذي قلده لادلة المرصد الجديد
بالمراغة (٤) وقتل جمال الدين الفلكي مع الخان (كوبلاي) عزم العرب إلى مملكة الصين (٥) وحت
محمد التاتاريين قلاوون أحد السلاطين للمالك بمصر رعاه على اكتساب المعارف من سنة ١٣١٠ إلى سنة
١٣٤١ ميلادية (٦) وأسس (أولغ بيك) التاتاري في القرن الخامس عشر مرصدا بدمشق وأبقى في
أزياءه من الآثار الفلكية ما يشهد بعلومه وحسن قريحته (٧) وقد كان بعد هلاكو بقرنين عائلة تجود

لنك إذ كان ولده (شاه رويخ) وحفيده (أولغ بك) للثقتهم ذكره وارثن لما في المدرسة البغدادية العربية من العلوم والفنون (٨) ثم كان زمن الأولين من السلاطين العثمانية علماء برعوا وألفوا كتباً باللغة العربية والقارسية فكان لهم أثر أشعة شمس العلوم إلى ختم بها ذلك العصر للمديد (٩) وإن تعجب فجب ما نسمع عن (هلاكو) للثقتهم التي أغدق على العلامة نصير الدين الطوسي المال لجلب الكتب الفلسفية من خراسان والشام والموصل وبغداد وبني للمرصد للثقتهم وجعل في قبة قباب تدخل منه أشعة الشمس وبهذه الأشعة تعرف الدرجات والمقادير في سيرها اليومي وارتفاعها كل فصل وجعل في هذا المرصد دوائر رصد كبار أو أرباع دوائر وكرات سماوية وأرضية وسائر أضاف الاسطرلاب (١٠) هذا ما كان من امر آبائكم العرب خاصة والمسلمين علة النبي أصبح علماءهم علماء عربية بغض النظر عن الأصل

كان لهم الملك أولاً فلما ذهب دولهم صار العلماء قائمين بالعلوم عند المتغلبين . فغذا تم بعد ذلك (١١) قال المؤرخ المذكور (تأخر العرب الآن من التدخل في انقلاب الممالك الشرقية وسكنوا المدن المتباعدة عن بعضها في بحث جزيرتهم وزعم عرب الشام ونجد عوائد الاجلاف كأنهم نسوا ماثر آبائهم) . ثم قال (وأخذ أهل حضرموت وعمان والبحرين يمتصون ثمرات الحملات التجارية مع أهل الهند ويفوضون على المرجان بقرب سواحل الخليج الفارسي ووفد السباحون وتجار العرب إلى شرق أفريقيا وجزائر بحر الهند وسواحل مالابار والممالك الممتدة إلى ملقا بل ذهبوا إلى الصين . قال ولم يزالوا إلى الآن ينشرون فيها عقائدهم وعواظهم وتصوراتهم) (١٢) من آثار الجهل في أم الاسلام زمن الانحطاط أنك ترى أن البربر في شمال أفريقيا كانوا هم والعرب اخواناً أيلم موسى بن نصير وطارق بن زياد . ولما طرد النصارى في اسبانيا العرب سنة ١٦٠٩ من بلادهم إلى بلاد البربر بشمال أفريقيا لم يأذنوا لهم أن يتوطنوا في البلاد حتى أخذوا مادمهم ثم عاملوهم معاملة الأعداء ولم يزالوا كذلك تحت حكم الأتراك وهم قريب من ثلث أهل البلاد حتى سكن قليل منهم مما كش تحت حكم الأشراف واختار أكثرهم العيشة البدوية والاستقلال بحكم أنفسهم فسكنوا الصحارى ولته الأمر من قبل ومن بعد . هذه صفحة ثالثة من تاريخ آبائكم حفظوا الملك ونشروا العلم إلى زمن قريب ثم دالت دولة العلم بعد دولة الملك وسكنوا الأكوخ بعد القصور . فهل من أبناء الاسلام والعرب من فتيان صدق يربصون مجداً مضى وباريحاً قضى ويمسكون التاريخ . هأنذا بينت لكم في هذا التفسير خلاصة العلوم وخلاصة الدين وخلاصة تاريخ الآباء وخلاصة ما لحظ بكم من رفعة وضعة . أفلا يكون هذا تضييراً لقوله تعالى - وذكرهم بأيلم الله - . أفليس منكم يا أبناء العرب وبأ أبناء الاسلام رجال ينطبق عليهم قوله تعالى في آخر السورة - وليذكروا الألباب - فهذه هي ذكرى أيلم الله ومن اطلع على هذا التفسير وفهمه فهو حقا من أولى الألباب . إن من أعجب العجب أن تشتمل هذه السورة على قصص إبراهيم الخليل وعلى ذكر آبائه العرب وعلى الرسول العربي ﷺ وعلى مادعا به ربه من قوله - ربنا إني أسكنت من ذريتي الخ - ومن قوله - واجنبي وبني - أن نعبد الأصنام -

(التهى عن عبادة الأصنام)

دعا الخليل عليه السلام أن يجنب الله أبناءه عبادة الأصنام . إن عبادة الأصنام تحصر الفكر في العبود والله عز وجل خلق الكواكب والنبات وكل ما على الأرض فالانحصار على مخلوق واحد والتغريب به إلى الله دلالة على قصور العقول فعبادة الأصنام منمومة لأن الله له هذا العالم كله فليقرأ للمسلمون العلوم كلها كل بقدره منهم والاقصار على القصور من العلوم وترك بقيتها تشبه من بعض الوجوه عبادة الأصنام من حيث حصر الفكر . إنا معاشر المسلمين الآن مؤمنون بالله ولكننا حصرنا عقولنا في علوم ضئيلة فلذلك فرغنا شغراً من حركتنا الأم التي كنا نحكمها وطاعتنا من العلوم ونهيت إلى أوروبا وأمريكا واليابان والله يقبل الليل والنهار

والتهار وسيرج همد العرب والمسلمين اوفى وأعظم وأشرف من عهد السابقين والله عاقبة الامور اهـ

(لطيفة في قوله تعالى - وما لنا ألا نتوكل على الله الخ -)

اعلم أن التوكل له (فائدتان) كما قلناه علمائنا (الاولى) أنه يورث راحة القلب في الحال (الثانية) أن الله يتولى تدبير الأمر المتوكل فيه بشرط أن يضل المبدكل ما يقتر عليه فيه علما وعملا . ويعين على التوكل لمأنيته في كلام علماء عصرنا تحت هذا العنوان

﴿ التلق واضطراب البال وأثرهما في الصحة والعمل ﴾

كان الدكتور (الابن ينشر) يقول (لا يبعث المرء من الجذب في العمل ولكنه يموت من الهم) والتلق كما أن الآلة لا تؤذيها الحركة ولكن ييلها الاحتكاك ويلحق بها ضررا عظيما . وما لا ريب فيه أن التأتبات والشدائد الجسيمة لا تقوى على تمكين صفاء الحياة بغير الأكدار والخاوف والوسوس الطفيفة التي تم بالمرء من يوم الى يوم فتتفص عيشه وتهدم دعائم توازنه العقلي . وقد كتب الدكتور (جورج جا كوبي) وهو من جهابذة المتفلسفين من علم الأعصاب عن فصل التلق فقال (إن ضحايا الهم في القرن الأخير أربت على آلاف القتلى في ساحات الوغى . وإن أمهش ما توصل اليه علم الأعصاب في الآونة الأخيرة اثباته أن التلق قتال مود بالحياة . ومباحث الأطباء لم تقف عند هذا الحد لحسب بل إنها اخترقت المحجب التي كانت تكتنف هذا العارض وأملكت القلم عن غوامضه ودقائقه فأظهرت أن كثيرا من الوفيات المنسوبة الى أسباب شتى ناشئة في الحقيقة عن التلق واضطراب الأفكار . فالتلق يضل فعله التوزيع في خلايا الدماغ الحيوية مشبها نقطة الماء المساقطة على بقعة واحدة لاتعتلها فانها مع صفوها وضغطها اذا وقعت على الصخر الأصم لاثبت أن تشقه وتغريه . فلابد اذا كان التفكير للمؤلم المستمر للنحصر في موضوع واحد متلفا خلايا الدماغ مقوضا لبنائه اللين المشي- البش . وفصل التلق ميكانيكيا هو كذلك أشبه بصل مطرقة صغيرة لاتزال دائما أبدا تهوي على الدماغ ضرابا حتى تمزق أغشيته ويختل نظامه . فتتيم العاشق وهم المضطرب وحزن الحزين مالم يبذل هؤلاء الجهد العظيم في مكائنها تصبح كالطرفة للشار إليها فلا تهم أن تدرك أركان الدماغ وتذهب بالرشد وتضي الى اختلاط العقل واختلاله . وقد أظهر البحث أن التلق والغم والفكر لراسخ اللزيم تنتاب الحصاب بها حتى لا يجد نفسه منها الى اتلاص سبلا ثم انها لا بد بتناج وقوعها ومعاودتها من أن تهدم جزأ ولو يسيرا من خلايا الدماغ إذ ليس شيء أشق من مقاومة الأفكار المزمنة التي لاتنتفك تخالجه وتساوره . ولما كانت أجزاء الدماغ متصلة بعضها ببعض بواسطة الالياف اتصالا محكما كان من الهم أن يتطرق الفساد من الجزء الحصاب الى سائر جوانب الدماغ . والتلق يحد ذاته شبيه بالوسوس وليس من حالة عقلية أخرى أومح عاقبة وأفسح ضررا بالإنسان من حيث غموضه وسعادته ونشاطه من التلق وشريكه الانكسار . وطيباب هذه العلة هو توطيد العزيمة على طرح الفكر المتلق جانباً وتناسيه وترويع البال وتسلية . وعلى المرء متى شعر بتعب فكري أن يبادر الى ابدال عمله بعمل آخر يطلق به نفسه من عقال الضجر والسامة لأن التسل هو أعدى أعداء التلق وأنجع دواء يعالج به . ولازمه أنا اذا استسلمنا للهموم والأكدار قدقنا بأفئسنا قرنا كلاما الى الوراء وتراجسا الى عصر الآلة البخارية في أوّل عهدنا حيناً لم يكن مستعملها ينتفع منها بسوى عشر ما ينتفع عليها من الوقود فكانت القوة للاستفادة توازي عشرة في المائة والقوة الزاهية سدى تسعين في المائة . وكثيرون هم الأولي يشبهون تلك الآلات النبوة إذ يهدرون قسما وافرا من نشاطهم بالاضطراب والازعاج والتنهم والتشكي . بينما نرى أناسا آخرين يستكثرون جل قواهم إن لم يكن كلها فيما يعود عليهم بالغير المقيم والنفع الجزيل . فطوبى لمن تعلم أن يحيا الحياة الهنيئة للتلى فاستفاد من كل ما أوتيته من نشاط وقوة ولم يبدد شيأ من مواهبه في ما لا يعيده نفعاً

قال شيخ وقد أدركته الوفاة لأولاده ﴿اعلموا يا بني أنه قد خمرتني في أثناء حياتي مخاوف جمة لم يصق إلا التز اليسير منها﴾ • وحث تاجروجه عن أبيه قال ﴿كان أبي مدة عشرين سنة يوجس خيفة من حدوث شر لم يقع أبدا﴾ فكثيرا ماتوقع حوادث الحياة وتفسرها ابتسارا بدلا من أرجاسها لأوامها واجترأنا بشؤن اليوم الذي نحن فيه • فهام اليوم قلما يتأتى عنها عظيم ضنى ولكن ليست كذلك للمبالاة بأمور المستقبل التي تضمنك العقل وتوهن الجسد فأغماها مشاغل الفد والاسبوع القادم والعام المقبل التي تشيب الرأس وتجمد الوجوه وتحني الأجسام وتهلك القوى

وجدرا بالإنسان الماقل أن يقيم حوالى حاضره سورا منيعا حائلا بينه وبين ماضيه وآتيه فيعيش في حظيرة خليا مطعنة النفس ناعم البال • وقد كان (ناكرى) الكاتب الانكليزي يقول ﴿إن كل امرئ يخلق لنفسه البيت التي يشتهيها لأن الدنيا شبيهة بمرآة تعكس له شكله وصوره فإذا أقبل عليها مقبلا قطعت وإذا بش لها واقسم بشت واقسم﴾

ويحكى أن (دوايت مودي) الواعظ الأميركي تقدم يوما الى تلاميذه بأن يقبلوا في استنباط المعاني فن جاء منهم بأحسن فكر أجزه بخمسةائة ريال فكان المجلي في هذا المضمار من قال ﴿يتدمر الناس من أن الباري جلّ وعلا أنبت مع الورد شوكا أفعا كان أحرق بهم أن يحمدهم إذ أنبت مع الشوك وردا﴾ • ولاشك في أن مما يساعد الفتى على الفوز في معترك الحياة قبوله للعالم بما فيه من الأشواك والأسواء فقد قال (فونتنيل) ﴿إن الاسراف في الأمل والرجاء هوجر عثرة في سبيل السعادة والهناء﴾ وقال السرجون لبوك ﴿لو أن الموكول اليوم أمرت به الشاقة علموهم للسرة بمهامهم بقدراتهم بهم بمرتهم لآل ذلك الى ترق العالم وسعادته﴾ وكان (أوليفر وندل هولز) وقد بانته الكبر لا ينفك أبدا يذكر جميل مريته التي علمته صفيرا الاغضاء على مساوي الحياة فكانت اذا جرحت أصبعه تصرف نظره عن ألمه بدمية تهديها اليه أو حكاية تقصها عليه وكان يعزوا اليها اغتباطه للعالم المستمر • الاغباط الذي يسهل اكتسابه على الضالام ويعسر على البالغ أشده وأما في الشيخوخة فهذه لا يناله أحد أبدا

وقال أحد للمشاهير ﴿لما كنت أرض أصبى في أيام طفولتي كان القامون بأمرى يعزوني ويطمنون بالي بتوجيه نظري الى ابن الجيران الذي بترت ذراعه بأجمعه • وحينا كان القذى يسرب الى عيني كانوا يذكرونني بابن عمي الذي فقد عينه ولارجاه له باستردادها فكنت أرى نفسي إزاء هذا وذلك سيذا محفوظا فينبني إذن أن يعود الأطفال الانبساط والارتياح الى كل ما يعرض لهم في الحياة ناظرين الى الأشياء من وجهها المشرق المنير لا المظلم القاتم حتى اذا شربوا على هذه الخلطة شاربوا عليها ورافقتهم من المهد الى المجد • انتهى تفسير القسم الأول من سورة ابراهيم عليه السلام

(القسم الثاني)

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَنَّهُمْ كَرَّمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ بِمَا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ • أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُدْهِمِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ • وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ • وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا هَلْ أَنتُمْ مُّقْنُونَ هَذَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصٍ •

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا أَنتَ بِعَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَمَلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ • أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ • تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ • وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ • يُمَتِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ • أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ • جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ • وَجَعَلُوا لَهُ أَمْتًا دَايِمًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتُّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ • قُلْ لِّبَيَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُحْمِيهِمُ الصَّلَاةُ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ • اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلُكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ • وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ • وَأَنَّا كُنْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ •

هذا القسم قد أبان الله فيه أحوال الأمم وكيف يتبدد بالجهالة ونحيا بالعلم وجعل ذلك في أربعة أمطاط (الخط الأول) أنه شبه أعمال أولئك الذين كفروا وقد نظروا السموات والأرض الذين ذكرهم الأنبياء جميعا وجاء بها التوبيخ لقومهم كما في أول السورة ثم أعرضوا ولم يقولوا إلا اقتراح خوارق العادات فشبه أعمالهم بتراب عصف به الريح فذهبت به في كل ناحية فلا يبالون ثوبا وذلك هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب

(إيضاح لقوله تعالى في أول السورة - الذين يستحيون الحياة الدنيا - إلى قوله - أولئك في ضلال بعيد -) (الخط الثاني) أنه خاطب كل واحد من الناس فقال • أليس ترى أيها الإنسان أنا خلقنا السموات والأرض بالحكمة وعلى وجه يليق أن يخلقا عليه وكيف ترون هذا وأتم عنه غادون • لعمري لئن لم تمم الأمم بما عليها من حسن النظام وجمال الاتقان وتعميم العلم وتقوم بالأمر وتحافظ على كتابها وتتخلق بأخلاق في سواها وأرضى وأعمالها فيما لا تترعن للملك منها أنزلنا ولأجعلن أمرهم ضياعا ولأصينهم بدءا صياء

ولاجلنا جميعهم كالماء . وكيف أبقي في ملكي من لا يهتدون . أو يعمروا أرضي من لا يعقلون . وهل خلقت السموات والأرض بلا ذللك ظن الجاهلين فويل للجاهلين من قربي جوعهم وتشتيت شملهم وذهاب ملكهم ذلك يوم شؤمهم ثم يرجعون إلى جميعا فيجدال للروسون الرؤساء ويحاور الرؤساء الرؤسين ويلقي الأولون التبعة على الآخرين ويخضع ويخضع للآخرين ويسلمون بالمقادير ويقولون - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص - ثم يقف الشيطان بين الحزبين خطيبا وأتى خطيب فيقول أيها الحزبان ويا بني الانسان ما قضى كان وليس في الامكان أبدع عما كان - قضى الأمر الذي فيه تستفتيان - لقد وعدتكم فأخلفتكم والله وعدمكم فلم يخلفكم وقد اتبعتموني إذ دعوتكم بلا برهان مع انكم اقترحتم على أنبيائكم أن يأتوك بما ليس في الامكان فالقوم واقع عليكم فهو منكم واليكم فلا أنا مفيشكم ولا أتم مفيشي قد كفرت بكم . وملخص هذه المحاورات أن خراب الأمم وضياع الدول وذهاب عزها وجمعها من الرؤساء واستبدادهم بالرجال وظلمهم في القضايا فيقلدهم للروسون وهذا التقليد هو الخرب للأمة المنيع لهم لأن المتقليدين يشكون على المتقليدين بالفتح والأساس لذا كان واهيا انهيارها فوقه فرجع الأمر إلى أن الله لا يفر لآدم خطاها في التقليد ويوجب عليها النظر والعلم الرشيد والرأى السديد والتجديد في الرأى والابديع في العمل وهذا قوله تعالى - ألم تر أن الله خلق السموات - إلى قوله - يحيطهم فيها سلام -

﴿ تفسير بعض الألفاظ ﴾

قال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم) أي فبا يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في القرية ثم استأف لبیان هذا المثل فقال (أهمالم كرماد اشتدت به الريح) حلة الريح وأسرت النهاب به (في يوم عاصف) وصف اليوم بما يوصف به الريح فان الصف اشتداد الريح كقواك نهارة صائم ولبه قائم . فاذن صلة لرحم وإغاة للملهم وما أشبهها لانواب فيها مع كفرهم كالترب المذكور (لايقدرن) يوم القيامة (عما كسبوا) أي من أهمالم (على شيء) أي القصد أنهم لا يجلبون ثواب أهمالم (ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق) أي لم يخلقهما بلا ولاعبا بل خلقهما قصد صحيح وأمر عظيم (إن يشأ يذهبكم) أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعني سواكم أعلم بالسموات والأرض الذين خلقناهم بالحق فيكونون مؤمنين وموقنين (وماذلك على الله بعزيز) أي بمتنع وكيف يمر على الله وقد أهلك الأمم الغافلة في الاسلام نفسه فأزال ملك الدولة العباسية بالتسار لما كانوا غافلين حتى جهلوا علم الجغرافيا فلم يعرفوا قوة التسار كما سيأتي في سورة الكهف وأزال ملك أهل الأندلس لما انكبوا على الغزل والتخثن ولولا الوظائف أهل الخيال والشعر ولم يولوها أرباب العقل والفكر وتركوا عاداتهم وأخلاقهم واتبعوا الفرنجة وأهلك أهل أمريكا الأصليين وأهل استراليا القدماء فكل أمة نامت أميتها عن استكناه هذا العالم فان الله يزيلها على أي دين كانت وأي محلة فان الله خلق السموات والأرض بالحق ولا يبقى إلا الأصلح في الوجود (وبرزاه الله جميعا) أي يبرزون من قبورهم يوم القيامة واذن يتجادلون بمجالة اللصوص اذا أحضروا بين يدي القضاء فان كلا منهم يقول نفسى نفسى لأن - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين - وقوله (فقال الضعفاء) جمع ضعيف أى ضعاف الرأى (الذين استكبروا) لرؤسائهم الذين استغفروهم (إنا كنا لكم تبعا) في تكذيب الرسل (فهل أتم مضنون عنا) دافعون عنا (من عذاب الله من شيء) أي فهل تقلدوني على أن تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذى حل بنا فمن الأولى للبيان والثانية للتبخيص (قلوا لوهدانا الله لمهديناكم) أي لو أوردنا الله لأرشدناكم (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) يعني مستويان علينا الجزع والصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب من العذاب والحيص المنول لأجل الفرار وهو مصدر كالغيب أو مكان كالليت . ثم قال (وقال الشيطان لما قضى الأمر) أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (إن الله وعدمكم وعد الحق) وعدا أنجزه وهو

الوعد بالبعث (ووعدتكم) وعد الباطل (فأخلفتكم) قلت لكم لا بعث ولا حساب وإن صحت فالأصنام
شفعاء (وما كان لي عليكم من سلطان) تسلط فأخلفتكم به إلى الكفر والمعاصي (إلا أن دعوتكم فاستجبتم
لي) أي إلا دعائي إياكم بنسوبي وزيتني فأسرعتم بجانبي بلا برهان (فلا تلووني ولوموا أنفسكم) فلا تلووني
في وسوستي وإنما اليوم عليكم إذ أنعمتوني (ما أنا بمصرخكم) بمنيتكم من العذاب (وما أنتم بمصرخي)
(إني كفرت بما أشركتمون من قبل) أي كفرت اليوم بأشراككم إياي من قبل هذا اليوم أي
في الدنيا أي تبارأت منه واستنكرته • ثم قال الله تعالى (إن الظالمين لهم عذاب أليم • وأدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بأذن ربهم) بأذن الله تعالى والذين يدخلونهم هم
للأنكة (يعتيم فيها سالم) أي تحييمهم للأنكة فيها بالسلم (الخط الثالث) أعلم أن النملين السابقين
يخالفان النملين اللاحقين • ذلك أن الأولين جاء لتبيان ما يصور الأمم الجاهلة من تفرق الخلق وضياح الأمر
وذهاب مجدهم ودنور عزيم • وعنى جمعهم لما كانوا جاهلين • ألم تركب صور أعمالهم أن الرياح تذرهم
وكيف نسوا حظهم من السموات والأرض فحكم عليهم بالنهب من الوجود ثم يؤتى بدلهم من هم أشرف
نفوسا وأقوى قلوبا وأعقل للعلم وأولى بالفهم • وكيف كانوا متواكلين يسوقهم الرؤساء كما تساق الأنعام
ويذوقون سوء النكاح فالرؤساء والشهوات التي يستخدما الشيطان في اغواهم لهم ولها السلطان عليهم •
ذلك ملخص النملين فاسمع ما ينسب عليك من النملين اللاحقين واحجب للأمرين الجهل والعلم وإذكر ذلك
لمن يليك (الخط الثالث) فأما الخط الثالث فهو واسطة القيد ويت القيد ولأقسم لك مقدسة لأجله فأقول
أجلس ساكتا فريدا لا أصوات بجانبك وفرغ قلبك مما يليه وانظر إلى العالم العلوي وإلى العالم السفلي
وتصور أنك عقلمها ومم على ذلك طويلا وكرره في نفسك مرارا على شريطة أن تلم بالعلوم المعروفة للملأ
من الرياضيات والطبيعات حيث تدبج لك اشراق في النفس وبهجة في القلب وضياء في العقل وأنوار
بهجات كاشفات ويصور لك خيالك العجيب صورة علمك بهيمة أنوار مختلفة الألوان بحيث تبهج النفس بها
وتقر العين • تلك الأنوار تشرق من الأرض وتنبعث من سطحها وأصلها من قلبك وتخترق طباق الجوى
وتعاولى العلا حتى تصل أطباق السموات فتحلق هناك وتحاول الاحاطة بالنجوم ولا تخاف من الرجوم
ولا الوجوم • فهل حضر في خيالك هذا اللثال • نعم حضر لأنني أقيمت في خيالك وكأنك كنت هناك •
فاذا تصوّرت هذا كله الآن وما أسهل صور الخيال فانه يمثل جبال العلم الحاضر في النفوس الكاشف للعوالم
التي درستها والمعلومات التي قرأتها من المعادن والنبات والحيوان والانسان والجوى والسحب والسموات
هذا هو الخيال الذي يحاكي هذه الصورة العظيمة • اذا عرفت هذا فانظر بتخيل القرآن لهذا العرفان
قد أراد الله أن يرينا بهجة العلم بهيمة تدل على النبات والبولم فبعد إلى أنواع النبات قسمها قسمين
قسم لا نبات له ولادولم بل هو خضراء العنن التي تنبت أول الثمار في السموات حتى اذا علت الشمس في
السماء نشفت وذوت وزدتها الريح وبقيت أرضها جرداء حتى اذا ما أشرق الليل سدوله وظهر الصباح نبت
مرة أخرى ثم يبس نحي وهكذا دواليك • هذا قسم من أنواع النبات • القسم الثاني هي النباتات القوية للينة
كالنخل والأشجار الباسقات التي تعيش عشرات السنين ولها فروع في الجوى وجنود نازلات في الطين وأوراق
وأزهار وأثمار ولها فاكهة ينالها الناس كل حين • فانظر كيف جعل هذا القسم الأول مثلا للعالم المثبته
والآراء الزائفة الثابتة بحيث لا تنفع جارا ولا توري نارا ولا تدفع عارا وجعل القسم الثاني منها مثلا للعالم
الشرقية والآراء المنقبة وثبات الامور ونظام الجهور

وبالتأمل في المثبتين ترى عجبا عجبا • ذلك أن الناس على اختلاف تعلمهم وألوانهم ومنهم مختلفون في
آرائهم كاختلاف النبات فلعمريه أين خضراء العنن التي ذكرتها لك وأنت تشاهدها غير مكثرت بها كل يوم

تخرج في الأرض الندية لاصقة بالأرض وهي نباتات حقيقية تزهر وتثمر ونحن لانشرعها وتم نفاذها في بعض يوم ويكون لها بذور وتلك البذور تنبت في اليوم الثاني . فأين هذه وأين النخل والسرور والأثل وكَم من نبات بين هذين . إن النباتات لم يحصرها العلماء إلا على مقدار طاقته قد أوصلها بعضهم إلى ثمانين ألف نوع و بعضهم زاد كثيرا وهم جميعا يقولون إن في العلم ما غاب عنا فهذه الأنواع كلها مختلفات غير متفقت . هكذا عقول الناس فيها عقول لاصقات بالأرض كخضراء البسم . ومعنى البسم الأرض التي تكون حول البيوت وفيها ما يرميه الناس مما يزدري ومنها عقول مرتقيات قليلا قليلا حتى تصل إلى أعلاها كالأنبياء هذا هو اللئلي الذي ضربه الله لعقول بني آدم وعلومهم . قرن عقول الناس وعلومهم بأنواع النبات بل إنه أراد فوق ذلك سبحانه أن يقول للناس لدرسوا هذه الأنواع وعلى مقدار الدراسة لها ولغيرها يكون ارتقاء العقول . ولكن ليس هذا مضرب المثل بل هو يؤخذ من طريق التعقل . أما المقام مقام اختلاف العقول في العلم . وإذا كان الخطان الأولان دالا على السحاب والتشيت وعدم الثبات فهنا ضرب المثل لأنواع العلم فنه ما هو من التسمين السابقين لاثبات له ومنه ثابت له قرار وعبر عن الثابت بالكلمة الطيبة وعن غير الثابت بالكلمة الخبيثة . وهاك تفسير ألفاظه قال تعالى (ألم تركب ضرب الله مثلا) أي ألم تر أيها الانسان بين قلبك فتعل علم اليقين بأعلى إياك كيف بين الله شيئا والمثل قول في شيء يشبه قولنا في شيء آخر بينهما مشابهة لينبين أحدهما من الآخر ويتصور وقوله (كلمة طيبة) بدل من مثلا و (كشجرة طيبة) صفتها أي بين الله شيئا كلمة طيبة موصوفة بأنها كشجرة طيبة (أصلها ثابت) في الأرض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها (في السماء) فتمتد فروعها في الحق (تؤتي أكلاها) تعطى ثمرها (كل حين) كل وقت والحين يطلق على القليل والكثير (باذن ربها) بمرادة خالقها وتكوينه (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) لأن في ضرب الأمثال زيادة الافهام (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) أي كمثل شجرة خبيثة (اجنت) استولت وأخذت جنتها بالكلمة (من فوق الأرض) لأن عروقه قريبة منه كخضراء البسم أو لاعروق لها في الأرض كنبات الكشوثى الذي يعيش على غيره كما يعيش البرغوث على جسم الانسان (ما لها من قرار) استقرار . ولقد علمت الكلمة الخبيثة والكلمة الطيبة فيا بيناهما فالتقيدون في العلم وأرباب الشهوات وأصحاب النفوس النسيعة كلهم أصحاب الكلمة الخبيثة لأنها لاثبات لها كنبات الكشوثى وخضراء البسم وأصحاب النفوس العالية والحكماء وكبار المفكرين في السموات والأرض هم أصحاب الكلمة الطيبة فعلمهم ومعرفتهم تعلو أعمهم ونما ويزقا ونظما في هذه الحياة الدنيا والعلم مستقر في قلوبهم وباستقراره فيها امتدت فروعها إلى العوالم العلوية والسفلية وأثمرت إثمارا كل حين على أبناء أمتهم وعليهم وعلى غيرهم وصار نوراً يهتدى به المهتمون ويمثل قلبك بالنخلة التي أصلها مستقر وفروعها عالية وثمرها دائم لأن الناس يأكلون منها صيفا وشتاء الجار والطلع والبلح وهو ضارب بالصحة . والحلال والبسر والنصف والربط ثم الثمر اليابس إلى العلم للقبول . ثم قال تعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذي ثبت بالحق عندهم وتمكن في قلوبهم (في الحياة الدنيا) فيكونون راسخين في عقائدهم صابرين على ما أصابهم كزكريا ويحيى عليهما السلام (وفي الآخرة) فلا تلهثون إذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يمشيهم أهوال يوم القيامة (ومثل الله الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بأن لم يشكروا وصاروا كالنسي الثاني الذين هم أصحاب الكلمة الخبيثة أو قلندوا فهم لا يهتدون ولا يثبتون (ويفعل الله ما يشاء) من تثبيت بعض واضلأل آخرين . هذا هو اللئلي وهذا تفسير ألفاظه ولقد عرفت مرعاه وفهمته مغزاه وليس يراد من آية الاسلام أن ينطقوا بالشهادتين حسب ولا فالنطق بهما متيسر للبقاء فهذا الطائفة علمناه النطق بهما نطقا ولا أن يتصور السلم للنبي حسب . كلا . إن الأمر عظيم فليفكر المسلمون بقولهم ولينظروا كم بين نخلة

مشرة وحشائش ذاهبة ما لها من قرار . والنظر لما كان الأمر عظيماً ضرب الله له المثل ولا يضرب للمثل إلا العظم
فالاتقاد بنبوّة النبي ﷺ . وبوحداية الله سهل عند الجحاز والجهد . ولكن الأمر ليس مجرد الاعتقاد
بل إن الله أنزل هذا القرآن لأمر متعرف هذا الوجود وتدرس هذه الدنيا (تنبيه) أذكرك بما قسمت في
سورة التوبة لما وقف أبو بكر رضى الله عنه مجتمعاً على الأنصار قاتلهم (أيها الأنصار قال الله تعالى - أولئك
هم الصادقون - ألم تكن فينا نحن المهاجرين فقلوا بلى فقال ألم تقرأ - يا أيها الذين آمنوا الله
وكونوا مع الصادقين - فما نحن أولاء الصادقون فلتكونوا معنا) فانظر كيف استدلت على أن الخلافة في
المهاجرين بهذا . أفلا يحق لنا أن نقول للمسلمين الذين ضربتهم أوروبا ومزقت شملهم وضجعت على
أذان عظمائهم . أيها المسلمون لم كرر الله ذكر السموات والأرض ولم ضرب للمثل بشجرة تمتد من الأرض
إلى السماء ولم ذكر السموات والأرض في كل مناسبة في أول السورة على لسان نبينا وفيها على لسان موسى
وعلى ألسنة جميع الأنبياء من أمهم وها هو يعيدها في ضرب الأمثال وها هو ذا يكررها كل حين . إن ذلك
لما قلتمته وكرره في هذا التفسير

(نتائج في هذا المثل)

(١) فإذا سمعت بعض العلماء يفسر الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد أو دعوة الاسلام أو القرآن والكلمة
الخبيثة بالاشراك بالله أو البدع أو التكذيب الحق قد دخل كل ذلك وأمثاله فيما قررناه
(٢) وإذا سمعت أن الشجرة الطيبة هي النخلة أو شجرة في الجنة أو شجرة تخيلها امتدت من الأرض
إلى السماء فلا . وأن الخبيثة شجرة الحنظل أو الكشوثي أو الثوم أو الكافر فكل ذلك داخل فيما قررناه
وعرفت المقصود

(٣) وإذا سمعت حديث البخاري ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله ﷺ
فقال أخبروني عن شجرة شبه الرجل للسلم لا ينحنا ورقها تؤتى أكلها كل حين ثم وقع في نفس ابن عمر
أنها النخلة ولما عرف أن أبا بكر وعمر لا يشكمان كره أن يتكلم هو فقال رسول الله ﷺ هي النخلة ثم
انصرفوا فقال ابن عمر لأبيه ما قام بنفسه فقال ما منعك أن تتكلم فقال لم أركم تتكلمون فكرهت أن
أنتكلم فقال عمر لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا

(٤) وإذا سمعت رواية الترمذي مرفوعاً وموقوفاً أن الكلمة الطيبة هي النخلة وأن الكلمة الخبيثة هي
الحنظلة . إذا سمعت ذلك كله فقد سهل الأمر عليك وعرفت الحقيقة وكل ذلك تبيان لها . فإليست شجرة
كيف يكون هذا شأن القرآن وشأن الحديث . يجلس الرسول ﷺ ويبحث أصحابه في علم النبات ويمضون
في الشجرة التي تؤتى أكلها كل حين بأن ربها وأمة الاسلام نائمة . أفلا يقرؤون علوم النبات كما أشار لذلك
الحديث وكما مثل به القرآن

(٥) وإذا سمعت حديث البخاري ومسلم أن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وأنه يسمع قرع
نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل (يعني محمداً ﷺ) فأما
للؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له أنظر إلى مقعدك من النار أبدائك الله به مقدماً من الجنة
قال النبي ﷺ فبرأهما جيماً . وأما المنافق أو الكافر فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له
لأدريت الحديث ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصبح صيحة يسمعون من يله إلا القليل
لفظ البخاري . وهناك روايات أخرى تزيد على هذا لمسلم وأبي داود والترمذي فإذا سمعتها فاعلم أن ذلك
العذاب على الجبل للطلق لأنه إذا لم يستبق أصل الدين فكيف يدرس عوالم الأرض والسماء التي أمر بها
الدين وتأمل في الحديث كيف عبر بأثر الضربة بين أذنيه كأنه يقول له هلا سمعت سماع تفهم وهلا عقلت أما

السماع فالأذنين وأما الفهم فبالقل الذي هو بين الأذنين . وإعلم أن هذه الضربة التي تصيب الجاهل في قبره يحس بعضها في حياته فإن الأمم الجاهلة للتفرقة الكلمة بصيها العذاب في الدنيا باغتصاب بلادهم وذهاب مجدهم وضائع شرفهم

ولكم بعد الجاهل في نفسه وكذا الشرير في ضميره من أنواع التوبيخ والتعريض والحزن على ما فاتته من العلم ومن صنع المعروف . وهذه الهواجس علة في الناس جميعا فما من امرئ إلا ويشعر بنقص علمي حين ينظر ماحوله من الكائنات وزجر نفسه حين يعلم أنه مقصر في أغلثة من حوله وأعاتهم فيما يطلبون هذا مبدأ العذاب ويزداد هذا العذاب بتفرق الكلمة بين الأمة ثم اذلالها وقهرها فإذا ماتوا وجدوا العذاب الأكبر على التقصير بتبكيث الضمير وعذاب السحر والمقنع من حديد ولله عاقبة الأمور جاء في كتاب (مذكرات أدبيات اللغة العربية) في صفحة ١٠٤ تحت عنوان (للوازنة السادسة . التشبيه بالشجر والنبات وغيرها)

وقال عنتره العبسي يشبه راحته عيلة برائحة روضة آف

أَوْ رَوْضَةً أَشْأَا تَضَمَّنَ بَنَتَهَا غَيْثٌ قَلِيلُ الثَّمَنِ لَيْسَ بِمُحْمَلٍ
جَاءَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بَكْرٍ حُرَّةٍ فَتَرَكْنِ كُلَّ قَرَارَةٍ كَاللَّزْهَمِ
سَعَا وَتَسْكَابَا فَكُلَّ عَشِيَّةٍ يَجْزِي عَلَيْهَا الْمَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمِ
وَحَلَا الدُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِأَرْحَ فَرِدَ كَفَعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنَّمِ
هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعُهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمُكَبِّ عَلَى الزَّانَادِ الْأَجْنَمِ

هذا نموذج من ذكر الشجر والنبات والبساتين في كلام العرب تأمله وانظر كيف ذكره طرفة لمكان محبوبته وبنت طريف لثناء أخيه وامرؤ القيس طورا بذكر الصلاة الحجرية وأخرى بذكر الم في صدر فرسه وأونة غزاة شعر محبوبة وعنتره ما وصف الحديقة والورق والسحاب والنبات والأجنم للمكب على الزناد إلا لتشم أنفاس محبوبة عاقبة الريح طيبة النشر

إذا حققت هذا فتأمل حال ذكر الشجر في القرآن وتعجب من تنوع المعاني واجلدة التشبيه والارتقاء به إلى مستوى تسمع فيه صرير أقلام الحكمة وذلك فيما يأتي

يقول الله عز وجل مستدلا على الإيمان حاضا على النظر في العالم للشاهد وبهجة ونظامه - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فصبح الأرض مخضرة إن لله لطف خبير - إذا نزل ماء فأنتبت النبات فأصبحت الأرض مخضرة . ولا جرم أن ذلك دلالة على لطفه وتديره وعلمه وأنه خير بجميع الشؤون . وتعجب كيف مثل كلمات الحكمة والإيمان الثابت بالعمل بالشجر وكللت الكفر والجهل بما لا يثبت منه كالخضرة إذ قال - ومثل كفة طيبة كشجرة طيبة - إلى قوله - ما لها من قرار - شبه كلمة الحكمة والإيمان بشجرة ثبتت عروقها في الأرض وعلت أغصانها إلى السماء ذلت ثمر في كل حين . ولا جرم أن الهداية إذا حلت قلبا فاضت منه على غيره وملأت قلوبا كثيرة فكأنها شجرة أثمرت كل حين لأن ثمراتها دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة وكل قلب يتلقى عما يشاء به ويتقدم بما يلائمه أسرع من إيقاد النار في الحطب والكهرباء في المعادن والضوء في الأثير . وشبه الكلمة التي تثبت كفة الكفر وما شاكلها بشجرة خبيثة كالخضرة لا أصل لها من الجنوع ثابت بل عروقها لاتجاوز سطح الأرض فلا تترقع في الجوّ ولا هي تمتدّ يمينورها في باطن الأرض . هكذا

لا تلبث للبطل ولادولم فهو زائل ذاهب وما أقوى الحق وأثبت وأكثر نفعه فالحق قوى الأركان ثابت الدعام مرتفع إلى أعلى مشر كل حين كالنخل والبطل لا تلبث له وليس له استطلاعة وعلاق ونغم مرتكبه كالخنظل في أحواله الثلاث اهـ

ثم إن ما نقتم في هذا المقال من ذكر طرفة بن العبد وامرئ القيس فهو ماسأ ذكره هنا فقد جاء في صفحة ١٠٣ من الكتاب هذا البيت * قال طرفة

وفي الحلي أحوى بنقض المردشادن * مظاهر يسمطي لؤلؤ وزبرجد

وقد معنا معنى البيت أن في الحلي حبيبا أسمر الشفة يشبه غزالا طويل الرقبة يتناول أغصان الأراك وينفضها . وأما الثاني فهو ملجاء بعد ذلك وهذا نصه

وقالت اعرابية أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

وفي هذا مجاز عقل أوكناية * وقال طرفة

تبسم عن الغيا كن منقورا * نخئل محر الرمل دعص له ند

وقد قلنا أن الاقوان شبه به الثغر في الصفاء والبهجة والحسن والنور . وأما الثالث فهو ملجاء بعد ذلك وهذا نصه . ويقول امرئ القيس

كان على المتنين منه اذا اتحنى * مذاك عروس أو صلاية حنظل

والمراد بالصلاية الخمر القدي يشق به الخنظل والحنظل معروف * ثم قال

كأن دماء المهاديت بنحره * عصارة حناء بشيب مرجل

يقول كأن دماء المهاديت وهي أوائل الصيد من الوحوش على نحر هذا الفرس عصارة حناء خضب به مرجل أي مسح يشبه دم الصيد الذي اقتنصه وهو راكب على نحر فرسه بصرة الحناء في شعر الأشيب * وقال يشبه شعر عجبته وهو أسود فاحم بقنو النخلة المتشكل أي الذي خرج عن رأس نخلة فظهر خارجا عن أغصانها وألقافها إذ قال

وفرع بزین المتن أسود فاحم * أثبت كفتو النخلة للمتشكل

(التمط الرابع) وفيه تبيان أعلى مقام في العلم والعرفان والأخلاق الجلية أي تبيان الكلمة الطيبة وأصحابها والكلمة الخبيثة وأربابها أيضا لما قبله وتبيانا لما تهتمه فذكر سبحانه أن ذوى الكلمة الخبيثة هم الذين - بتلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار - وأن ذوى الكلمة الطيبة هم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويتصدقون سرا وعلاية وينظرون في خلق السموات والأرض وانزال الماء من السماء وكيف أخرجت به الغمرات وكيف سخرت الفلك للبحرى في البحر بالتجارة . وكيف كانت الأنهار تخرج من البحار بالبخار الذي يعتقد مطرا فيزل على اليابسة وكما سخر الفلك في البحر سخر الشمس والقمر وهما مستمران دائران لا يفتران . وكيف سخر الليل والنهار . وكيف آتانا من كل ما سألناه . وكيف كانت النعم اللطاة لنا لا يحصيها أحد ولا يقطع لها مدد فهو لا للصون المنفقون هم أصحاب الكلمة الطيبة أي يكونون علماء بما في الأرض والسماء دارسين النبات والبحار والأنهار . وكيف سخرت السفن والعلين بما سخر الله من شمس وقمر وكواكب . هذه هي الكلمة الطيبة وهؤلاء هم أربابها . وهاك تفسير الكلمات قال تعالى (ألم ترأى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) كأهل مكة لهم حرم آمن ورزق واسع وشرف بمحمد ﷺ فكفروا وخطبوا سبع سنين وقتلوا وأسروا يوم بدر وذلوا لأنهم بدلوا شكر النعمة كفرا بها (وأحلوا قومهم) الذين شايعهم في الكفر (دار البوار) الهلاك بعملهم على الكفر (جهنم) عطف بيان على دار البوار (يصلونها) حال منها (وبئس القرار) أي وبئس القرى جهنم (وجعلوا لله أندادا

ليصلوا عن سبيله) الذى هو التوحيد (قل تتصوا) بشهواتكم ومنها عبادة الأوثان والأمر بالتهديد (فإن مصيركم إلى النار) أى مرجحكم إليها * قال ذو النون التمتع أن يقضى العبد ماشاً من شهوته (قل لعبادى الذين آمنوا) أقيموا الصلاة وأقسطوا (يعموا الصلاة ويقفوا عما رزقناهم) فقول القول محذوف كما فهمت (سرا ولا علانية) اتفاق سرا وعلانية ويستحب الأول فى التطوع والثانى فى الواجب (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) فينباع المقصر ما يندرك به قصيره أو يفدى به نفسه (ولا خلال) ولا محالة فيشفع لك خليلك * قال مقاتل إنما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا محالة ولا قرابة إنما هى الأعمال إما أن يثاب أو يعاقب عليها * قال الشاعر

لأنسب اليوم ولا خلة * اتسع الخرق على الرافق

فليست القرابة بغنية قتيل هناك فإن الأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا للفقير فإن التقوى هى الرابطة بين الناس هناك لا النسب فيقوم الخلق والعلم مقام النسب * وفى الحديث القدسي (اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى) ولقد نشاهد هذا فى الدنيا * ألا ترى أن من قرأ تاريخ أمته وتغلغل فى معرفتها وهو خلو من علوم أمته وآدابها يكره أن يعيش بين قومه ثم يعيش مع أولئك * ولقد لقيت من ذوى الفضل والعلم والأخلاق الكريمة والجلاء فى أمتنا المصرية من نشأ فى فرنسا من صفره ثم جاء مصر وهو متحسب لدينها ومجدها ولما لم يجد للقول متسعاً هنا بمصر غادرها ذاهباً إلى فرنسا عائلاً بين أهلها وهو لا يزال يجاهد فى عمله وإن لم يكن مفيداً * وهكذا ترى الذين تعلموا فى بلاد الانجليز بمصر اليوم يحبّ بعضهم بعضاً ونجد أهل فرنسا قد علموا أهل الشام لفتهم على طول السنين وعلومهم حتى إذا جاءت الحرب الكبرى قابلوهم بالترحاب فلما دخلوا بلادهم قبلوا لهم ظهر المجن وبدأ لأهل الشام من فرنسا ما لم يكونوا يحسبون فكان التعليم أشبه بالحب (بفتح الحاء) يضعه القانص لاقتناص الطير * والقصد من هذا المقام أن العلم والأخلاق أمان رابطة * وهى ذى أمته الترك لما رأت أهل بلادها على أحوال شتى وكل يتعلم على نمط غير الآخر حرمت هذا ووحدت التعليم فإن لم يكن توحيد اختللت الأمة ودخل العدو * وهكذا بلادنا المصرية كانت أيام دخول الانجليز فيها ذات مشارب متخالفة فالعامة متدينون والمتعلمون يحقرون الدين فانفكت العرى وسامت العاقبة فدخل الانجليز البلاد

وإذا رأينا العلم هذا شأنه فى الحياة الدنيا فما بالك بالآخرة يوم تنحل القوى كلها وتجرد النفس من كل ما خرج عن دائرة العلم والأخلاق فلا بيع ولا شراء ولا نسب ولا أخلاء وتنجلي النفس بطبيعتها يشير لك تلك الحديث الشريف (أنت مع من أحببت) فالحب والمجانسة العقلية هى الحاكم فى ذلك اليوم * ثم قال تعالى (الله) مبدئاً (الذى خلق السموات والأرض) خبره (وأزله من السماء ماء) من السحاب مطراً (فأخرج به من البركات رزقاً لكم) أى أخرج به رزقاً هو الثمرات فمن الثمرات بيان للرزق (وسخر لكم الملك) أى السفن (لتجبرى فى البحر بأمره) بإذنه وإرادته لتنتقل تلك الثمرات من بلد إلى بلد (وسخر) ذلل (لكم الأنهار) تجرونها حيث شئتم (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) أى حال كونهما دائبين أى يدأبان فى سيرهما وإتارتهما ودرهما الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات والحيوان والشمس تعرف الفصول وبالقمر تعرف الشهور (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان بزيادة وتقصان (وأنا كم من كل ما سألتموه) أى وأنا كم شيئاً من كل الذى سألتموه أى من كل الذى هو حقيق أن تسألوه سواء أسألتموه أم لم تسألوه لأن هذه الدنيا قد وضع الله فيها منافع يجعلها الناس وهى معدة لهم ولم يسأل الله أحد فى الأمم الماضية أن يعطيه الطيران والمغناطيس والكهرباء بل خلقها وأعطاها للناس بالترجيح ولم يزل هناك فى العالم عجائب تستظهر لمن يعبث (وإن تموتوا نعمة الله لا تحصوها) لا تطبقوا عدد أنواعها فضلاً عن أفرادها فالأفراد لانهاية لها (إن الإنسان لظالم) يظلم النعمة بإغفال شكرها ويظلم نفسه بجرماتها وإهمالها (كفار) شديد

الكفران لنعمة ربه . ومن ذلك أنه يجمع ويجمع إذا أعطى النعمة والواجب أنه يحسن ويتصدق . انتهى
التفسير اللفظي لهذا الخط

(جوهره في ذكر نعمة بية وهو الحرير الصناعي)

اعلم أن الانجليز والأمريكان قد اخترعوا حريرا صناعيا لا يكون من البود ويسمونه في أمريكا (الريون)
وقد كثرت صناعته في فرنسا وإنجلترا وأمريكا . وما هو هذا الحرير . هو مأخوذ من خشب التوت وحطب
القطن وشعر القطن بحيث يجعل ذلك كله عجينة وذلك العجينة تصير خيطوطا . إن هذا من عجائب هذه الدنيا
إن هذه الدنيا كلها عجب . فبالت شعري أي مناسبة بين خشب التوت وحطب القطن وشعره .
ثم نعم خشب التوت هو الذي يخرج منه الورق الذي تأكله دودة الحرير فكان فيه الاصول الحرية وخشب
حطب القطن فيه الاصول القطنية والقطن أمره معروف . تخطت الثلاثة مع مولد أخرى لانعرفها بكنهما
أصحاب الصناعة عن الناس . بجل الله وجل العلم . الأرض هي التي يستمد منها غذاء تلك الأشجار .
أشجار القطن وأشجار التوت ومن التوت يأكل دود القز . عجب هذه الدنيا وأي عجب . توت خالق
ثم دود يأكل منه مناسب له . اللهم إن الناس يعيشون ويموتون وأكثرهم لا يفتنون . يتخذون الحرير
من البود ويلبسونه . أما المفكرون فانهم يا الله يسعدون في فكرهم بحياة أرق من حياة الجاهلين .
ينعمون بالحرير ويقفون عند هذا الحد وما أضيغ من حد ولكن العقل الانساني أبعد مدى . العقل
الانساني له الحق أن يقول نحن أولاد لبنا الحرير وهذا الحرير من البود فلم اختص هذا البود بأكل
ورق التوت ولماذا لما أكله ألم أن يجعل له كرة تلف عليه ولم جعلها مكبرة وكيف ألم الناس أن يربوه
ثم كيف ألموا أن ينسجوه . ثم لماذا كان ذلك الحرير نادرا جدّا وهاك أكثر القطن . ولماذا لم يخرج
تلك الخيطوط الحرية في نفس شجر التوت كما خرج القطن من نفس الشجر . ولم كان القطن أقل قيمة
من الحرير وجالا ثم أيضا كيف كان خشب القطن والتوت مع القطن يصنع منها الحرير . ثم يقال أيضا ان
الأرض فيها هذه المواد التي تكون قطننا وحريرا فإذا لم تكن هناك عناية بهذا الوجود فهل هذه الطبيعة
أنتجت ذينك الصنفين رمية من غير رام وأوجبت الحرير في التوت والبودة المحتاجة اليه بدون عقل . هل
المصادفات العمياء التي كثرت ذلك كله ووضعت محكما بلا عقل . اللهم ان هذه المباحث جنات للمفكرين في
هذه الحياة وساعات لأولى الألباب الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ويقولون - وان تصدّوا
نعمة الله لانصوها -

أنعم الله علينا بالقطن والتوت ولم يكتف بذلك بل جعل في خشبهما حريرا يضي عن عمل البود .
تلك البود التي أرسلها الله لنا فرسمت خطة الحرير فنهجنا منهجها واتخذنا من خشب الشجرتين حريرا
وقطنا ياويلنا أجهزنا أن نكون مثل هذه البود فليس من عملنا بدل أن نكون عالة عليها . إن هذا
الإنسان جاء الى الأرض ليتعلم الصبر ومزاولة الأعمال بالكسب والاستقلال بعد أن يقتبس من الحيوان الذي
جعل الله له مثالا ينسج على منواله . الناس أصناف . صنف يفرح بأنه لبس الحرير . وصف يفرح بأنه
اخترع حريرا آخر . وصف فوق الفريقين يفكر في هذا الانسان ولماذا خلقت له الأرض على هذه الحال
ولماذا جعلت له هذه الدنيا مراتب ودرجات بعضها فوق بعض ولماذا حب في أول أمره عن السر في الخلوقة
ثم يتجلى لها جلالها شيئا فشيئا ثم كيف كانت هذه الأرض وما عليها جنة للمفكرين ونعيم الحكماء وسعادة
الأولياء الذين يعرفون بفكرهم جلال هذه التنوعات ويميّز صفات المقول من بني آدم باختلاف المناظر
ملبسا وسكنا ومشر بأوقوعهم في غفلة وقوسهم في محبس وهم هوا

سبحان من قسم الخطوط . فلا عتاب ولا ملامة

وهالك صورة من جبال هذه الدنيا يستبين بها اتحاد العمل واختلاف المقاصد من بني آدم بالحكمة المصاعفوها هي هذه

- (١) قح شعير أرز ذرة فول
(٢) نخل قناح برقال موز

الانسان

- (٣) سناسكي ونحوه الحبة السوداء الخ
(٤) قطن . كتان . توت . تيل . دودة الحرير

هذه الجداول تريك صورة مما يتعاطاه الانسان من النبات فنه لما كل في جدول (١) ومنه الفاكهة جدول (٢) ومنه السواء جدول (٣) ومنه لللابس جدول (٤) والانسان في وسطها يتعاطاها جميعا لأحواله المختلفة . ياغبيا لهذه الدنيا . وياغبيا لهذا الانسان يعنى حتى لا يسقط ويبصر حتى يدرك الوجود على ما هو عليه . هأنت ذا ترى الانسان وسط الجداول وهو محتاج لها كلها وهو في ذلك على (ثلاث درجات) أعلى وأوسط وأدنى

(شرح هذه الدرجات)

اعلم أن نظام هذه الدنيا نظام مزدوج محكم مبناه الاقتصاد التام والحكمة الصادقة . وأضرب لك مثلا للسان به تذوق الطعام ونلفظ الكلام وتحرك ما تحضنه وقت تعاطى الأكل . إذن اللسان له وظيفة داخلية وهو أن يميز أنواع الطعام لصحة الأجسام ووظيفة خارجية وهو أن يفهم الناس الكلام . وهاتان معنيتان ووظيفة عملية عضلية وهى تحريك الطعام فاللسان لم يدع النظام الداخلى حتى حوس ما يدخل فى الجوف من الفسق والضرر وأوصل للمعانى من نفس لأخرى وأفاد فائدة عضلية . هذه هى الحكمة والنظام ولولا الاتقان فى هذا الوجود لكان للإنسان عضو للفوق وأخو لدائرة الطعام وثالث لإظهار الكلام . فمن جبال هذه الأجسام التى نسينها وإن كان أكثر الناس يجهلون ذلك أن تتعدد منافع العضو الواحد والا لاحتاج الانسان الى أجسام كبحسه هذا حتى تؤدى وظائف الحياة . اذا عرفت هذا فانظر فى هذه الدائرة النباتية والانسان فى داخلها . إن لهذه الدائرة ثلاثة أعمال (أولا) انماء الانسان بقوته وفاكته ودوائه وملبسه (ثانيا) حله على العمل الشاق لتحريك عضلاته وشغفه ليقوى جسمه ويعيش أمدا مقبلا (ثالثا) تغذية عقله بالحكمة والعلم . هذه ثلاث درجات تظهر درجات اللسان . فكما حرك اللسان الطعام هكذا ترى الانسان يعمل فى الأرض للغذاء والفاكهة والدواء ولللابس فانتفع هو بهذه الحركة . وكما ترى اللسان يتذوق الطعام وهو عمل جسمي داخلي هكذا ترى الانسان يتعاطى تلك المنافع ليعيش الى أمد معلوم . وكما ترى اللسان يكون سببا فى معرفة الناس ماتكنه صدورنا . هكذا ترى هذه المخلوقات كأنها الستة تنطق بالحكمة والعلم وتفتنى عقولنا كما انها تغذى أجسامنا . هذه حكم مراقبة مثبتة . فترى الفلاح وهو فى حقله لا يفتأ يجتد بالحراث والعمل وهو يريد بذلك قوام الأجسام بالغذاء والدواء وبالفاكهة وباللباس وهو فى الوقت نفسه قد قوى جسمه بالحركات ففائدة الفلاح فى عمله مزدوجة ولكنه هو لا يقصد تقوية الجسم وما قصد إلا الغذاء

وترى الحكيم والفيلسوف ينظر إلى النبات فيمته دهنًا شديدًا ما يرى من حكمة ونظام متى فكر في أي ناحية من نواحي هذا الوجود فيقول مثلاً . لماذا كان هذا النظام . أرى أن دودة الحرير لم تخلق إلا لشجر مخصوص فتراها تأكل ورق التوت ولم تراها عرجت على النخل ولا الموز ولا التين ولا البرتقال ولا غيرها لماذا هذا النظام . ههنا يسحر عقل المكر ويقول جاءت هذه الدودة فنسجت خيوطا ولعل الانسان كان أولاً لا يعرف استعمال للاباس فربما كان أول ما لبس الجلود إذ رأى الحيوان يبشش بها قتيه الحر والبرد . ولعله كان يجهل استعمال القطن والصوف ونحوهما . ولعله لما رأى خيوط تلك الدودة الحريرية تعلم غزل القطن والصوف والكتان ولذلك ترى كوة الخيوط على المنازل الآن تشبه كوة الدودة ثم لما برع في الصناعات والعلوم استخرج الحرير من خشب التوت ومن حلب القطن كما قدّم أي أنه استخرج تلك اللباس من نفس الشجر ولم يقتصر على الشجر ولا على عمل الحيوان . إن هذا من الانسان انتقال من حال إلى حال إن الانسان كان في أول أمره عالة على الحيوان يلبس جلده . ولما ارتقى تعلم منه الغزل والنسج كما يرى في العنكبوت فلما ارتقى اليوم أخذ يعتلى عليه وهذه هي وظيفة الانسان فأول أعماله احتياجه إلى قس الجلد ثم ارتقى وعقل ففهم وتعلم من الحيوان ثم ارتقى ففاته اليوم . إن للانسان حالا أخرى سيمثلها فيستغنى عن الحيوان ويستخرج الأشياء من أصولها . إن القطن والكتان والحرير كلها من مواد في الطبيعة فإذا زاد عقل الانسان استخرج ذلك كله بصفه وحكمته . إن هذا الوجود فيه السعادة عجنومة والانسان ملازم أن يجدد ويبحث عنها ويستخرجها وما هو فيه الآن ضعف ظاهر يتقدم القوة المقبلة

ينظر الحكيم ذلك في هذه الدنيا فيذهل ويسهر عقله هذا الوجود ويقول . لماذا خست دودة الحرير بالتوت واستخرجت الحرير منه وهناك من الأشجار آلاف وآلاف ثم ينظر نظرة أخرى فيقول عجب الانسان بالجوع وبالمرى فالجوع ألم والبرد والحر يؤلمان والمرى أشد إيلاماً فلماذا رأينا تلك الأنواع في الجدول المتقدم مقسمة على أنواع المطلوب للانسان فتخذى ولبس وتداوى . يذهل الفيلسوف من هذا النظام هو وحده الذي يفهم ويرى الناس حوله تأمين يقول يا عجباً هذا الفلاح والتاجر والصانع والأمير لا يعرفون من هذا الوجود إلا ما ينفع آلامهم . سلط عليهم ألم الجوع وألم الحر والبرد ثم زادت آلام أخرى بأسباب غرضة فالقلاح لا يعرف إلا ما يحفظ جسمه وكذا التاجر والصانع . هكذا رجال الحكومة لا يهتمون إلا لحفظ الرعية كما يحفظ الفلاح زرعه وكلاهما غالباً لا يعقل الحكمة . أما الحكيم وما أدراك ما الحكيم فانه هو الذي يرى الله في الأرض يليق بالملأ الأعلى بعد . فهذا هو الذي بدعته هذا النظام ولا يقتصر على ما اقتصر عليه من قبله من تقوية عضلاته وغذاء جسمه ولباسه وفاكهته ودوائه بل تصيب هذه كلها عنده دروساً وأبى دروساً . عجيبة . يسهر عقله أن يرى جميع الناس وهو منهم أطفالاً ضعافاً ويفهم قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفاً - ومن ضعفه أنه لا يعقل منافاه ولذلك لما كلمه الله هو والحيوان كلمهما بلفظة تناسبهما وهي لغة الألم من جوع وضرب الخ فأقول ذينك الألمين عليه أودينك الجنديين الضارين له صباحاً ومساءً وهما يقولان له لا تحرف ولا صوت أبها الانسان قم فكل وقم فالبس والآنك جميع بني آدم وجميع البهائم يساقون سواك كما تساق الأنعام لأن علما الذي نعيش فيه عالم فيه قصور ولكن صانه أظهر لنا أنه يحكم الصنعة جداً . كيف لا وهو قد جعل هذه النباتات معللة للعقول وحافطة للأجسام وموجبة للحركات لبقاء القوة في الأبدان . ولولا هذه الحكمة لاحتاج الناس إلى عوالم يتعلمون فيها وعوالم أخرى يأكلونها ويلبسونها الخ وعوالم تالته تعلمهم الحركة كالجنيد فالحكمة التي أرسلها صانع هذا العالم الحكيم أرتنا أن الدرس واحد فيه الحركة وبه الغذاء والماء الخ وبه العلم فالعالم واحد وحكمته متعلّقة لنا كما أن اللسان واحد وحكمته متعلّقة . هذه روضات الجنات في هذه الدنيا . إن الله خلق هذه الروضات لنا واستخرج من درسها قليل من بني آدم وهم هم الذين ينظمون

هذه الدنيا وسيتشون في شبانها الهمة والحركة العلمية فإذا عارقوا هذا العلم استحقوا أن يدونوا في عالم أجمع من علما هذا الذي جمع ما بين خسة الحيوانية وشرف الملكية والجدة التي بنعمته تتم الصالحات اه

(نكمة في الكلام على قوله تعالى - ألم تركب ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت الخ -)

اعلم أن هذا المثل من أعجب ما في القرآن فالإسلام كشجرة والشجرة لها أصل وفروع والفروع قسبان أصول وأطراف فالتى سينها أصولها هي الفروع التي تنمو في قلب الشجرة صاعدة والأطراف هي التي حولها فأعجب لهذا المثل وانظر لحال المسلمين اليوم وذكروهم بأيام الله وقل لهم أيها المسلمون حياكم الله . أليس الذي ﷺ وأصحابه كأصول الشجرة . أليس المسلمون قرنا بعد قرن وبيلا بعد جيل هم فروع والفروع تمتد وتكثر على طول الزمان فالإيمان أيام النبوة لم يكن له كتب لاني حقائق هذا الوجود من الطبيعة والخلق والسموات والأرض ولا في فروع الفقه والجبل والخلاف في علم الكلام . ولما كان الإسلام كشجرة حدثت الفروع طبعاً ففترعت علوم الفقه وعلوم الجدل التي هي أطراف الدين لآقله . وهكذا الأصول التي امتدت وطالت من القرون الأولى الى القرن الخامس عشر كما تقدمها ثم عُدَّتْ إلى تلك الأصول ففقطعتوها بضم العلماء واحتقارهم كابن رشد والغزالي وأضرابهما . أما الفروع فأبقيتموها فإذا ظنتم أن فروع الفقه كافية فأنتم مغمضون مغضون . وإذا ظنتم أن عدم دراسة العلوم الكونية زمن النبوة حجة على تركها اليوم فذلك مردود بأنكم جريتم على سنن الله في التحيز بالشجرة وفروعها إذ ألغيت آلاف الكتب في الفقه وفي علم الكلام وإن لم يؤلف ذلك الذي ﷺ وأصحابه ولم ينكر ذلك منكر لأنكم فروع لك الشجرة . وفي الفروع من الأوراق والطول والكثرة ما ليس في ساق الشجرة فأنتم تجرون على السن ولكن فرطتم فيها هوأهم وهو أصول تلك الفروع التي في وسط الشجرة وهي التي عليها المعول فإذا اكتفى ﷺ وأصحابه بما يعرفون في قوسهم فذلك لأنهم ساق الشجرة فأين الفروع إذن ولم يرعتم في بعض الفروع التي هي أدنى وجهلت في بعضها الذي هو أهم وأكمل وهي العلوم الكونية . ألا ساء مثلاً الجاهلون . فبقا تقوم لجاهلون . وبهذا تقوم لاضهمون . وسياقي تمام الكلام على ذلك في سورة الفتح إن شاء الله عند قوله تعالى - ومثلهم في الانجيل كزبرج أخرج شطاء فآزره الخ - . هذا واعلم أن هذا التمثيل سيحققه الله عز وجل بعد ظهور هذا التفسير وسيكون في أم الإسلام رجال لم يحل بهم الدهر وهم موتنون ولتنوع الانساني نافعون اه

(ذكرى ليلة ٤ نوفمبر سنة ١٩٠٩ من كتابي سوانح الجوهرى)

﴿ اللوف والنخل ﴾

اللوف نبات يعمل ثمره مستطيلاً متى نضج صار آلة لفصل الأجسام لينظفها ويزيل عنها اللون أشبه باليف ولكنه أبيض ناعم . هذا النبات ينمو سريعاً في الفصول الحارة والمعتدلة ويمتد سريعاً على النخلة الباسقة (الطويلة) رأيتُه التف على نخلة لجلل سائر جذعها وجميع أفرانها وأوراقها وتسلق على أخرى فاخذ بخناقها وسار معها علواً حتى شارف أغصانها العليا وهي بأسقة جداً . ذلك في هذا الفصل أنها ستذبل قريباً ولكن النخلة لا تذبل ربما كان عمر النخلة ٤٠ سنة وعمر اللوفة لا يكاد يجاوز ستة أشهر . سارت اللوفة حيناً وأطأت النخلة . ما أسرع ما أغرت اللوفة وما أبطأ ثمر النخل . هذا مثل ضربه الله للناس والأهم . ضربه لهم لتعلمم يتذكرون . أراهم عياناً كيف أعطى معظم نعمه وجل قدره وحلا ثمره وبقي أثره . عناية أشد واحكاماً أوسع وأهمل وأبهر . أبطأ سيرها وأخر ثمرها ولكن أطال عمرها هكذا ترى أهل الريه والنفاق الكاذبين أسرع الناس سيادة وأكثرهم مالا وأقر بهم من الأشرار مجلساً يشنون على عقول الناس فيسودون . وهكذا أولئك القرائون المتخفقون يتبجحون بالعلم ويحفظون مسائل يحاجون بها خصماءهم وإن هم إلا عجادلون فذلك بهائم الناس وبخافونهم . وهكذا أولئك السابون

الذين يحاجون اقراءهم بحجج مائنة بالشم وملطخة بالتم الغضب فأولئك لهم حظ قليل حتى اذا حصص الحق وزحق الباطل ووقف الناس على مراتبهم واطلعوا على دخالهم وأغراضهم وموهبهم من خلق وزجوا بهم في سجين الاذلال كأنهم زبد احتمله الماء فيذهب جفاء لا يتفجع به . وأما من ينفع الناس ولا يراني فذلك سيلاني في إبان عمله عوائق جنة ويعداه المجهون فإذا سار في اخلاصه ووجه في أعماله فله عقي الدار وهو السيد الذي أشبه النخلة الباسقة طال أمدها وكثر ثمرها إلا أن الثمرات على مقدار الأعمال ولعلك ترى رجال الحروب من القواد العظيم والملوك الكبار تسير بذكرهم الركبان سريها وتخبو وتنغني سريها أما الحكماء والملاسفة فما أبطأ ذكرهم وما أدمو فضلمهم فهم كالتخلات الباسقات وكللاء . وأما ما ينفع الناس فيمكن في الأرض . ليسقي الحرت وروى النسل ذلك مثل اللوكة والنخلة ضربناه مثلاً للناس لعلهم يتذكرون اه إلى أذكرك أيها الذكر بالقم الذي نحن فيه وأرجسك إلى الموضوع نفسه . إن الكلام في النقط الرابع وهوتبيان حال ذوى الكلمة الخبيثة وذوى الكلمة الطيبة فتغير الكلمات لا يشكك عن أصل المقام وقد بينا فيما سبق أن النقط الأول مبين لضياع الأمم بالجهالات والنقط الثاني تثبيت له وأن غفلتهم عن عجائب السموات والأرض أورثتهم النكال والثالث تبيان الحقيقة الناصية لتبيان الكلمة الخبيثة والكلمة الطيبة وأن الناس (قسماً) ثابت وغير ثابت كالزروع والشجر وهذا النقط الرابع أظهر الأمر وأوضحه . فأما ذوى الكلمة الخبيثة فقد ذكرهم في قوله . ألم ترى الذين يتولوا - إلى قوله - قل تمنعوا فإن مصيركم إلى النار - وأما ذوى الكلمة الطيبة فشار إليهم بقوله - قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة - وأنت تعلم أن الأمم إنما تعيش ويعمل فعند هذا هو العمل والعمل بالنفس وبالمال فأشار لهما بأقامة الصلاة والانفاق . وأما العلم فأشار له سبحانه بقوله تعالى - لله الذي خلق السموات والأرض - إلى قوله - إن الإنسان لظالم كفاً - فهذا النقط كله كأنه إيضاح لذوى الكلمة الخبيثة وذوى الكلمة الطيبة . ولما أبان تقصير الأمم التي يذمها ويأني خلق جديد في معرفة السموات والأرض في النقط الثاني إذ قال - ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق أن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد - إذ جعل استبدالهم بعد ذكر السموات والأرض لجهالتهم بما خلق فيها فلا يعلمون ما ينفعهم في حياتهم الدنيوية والأخرى . أقول لما أبان ذلك هناك في أصحاب الكلمة الخبيثة أفاد هنا أن ذوى الكلمة الطيبة هم الذين ينظرون في خلق السموات والأرض وما بعده فأخذ يفضل بعد الاجال حتى انتهى إلى ما لا يحصى من العجائب . واعلم أن مما أقصد هم الأمة الاسلامية أن أمثال هذه الآيات ترك وشأنها فلا تحرك بها اللهم ولا تستأثر المنافع بها . ولعمري الله كم من عالم ديني غفل عن طائع ذك القواد قوى العزيمة قد حبس في سجين من الألفاظ والأحكام وأحكم عليه فلا يستطيع فككا

أيها العلماء . أيها المصلحون في الاسلام . أيها الذكر القارئ لهذا التفسير تفاعم الأمر على أمة الاسلام قولوا لهم هذا كلام ربكم هو الذي أنزله وهو الذي حفظ على فهم ما في السموات والأرض والسحاب والمطر والثرات ومنافعها والسفن في البحر والأنهار والليل والنهار والبحث في كل دقيق وجليل . هذا وإني أجد الله عز وجل إذ كتب خطاباً لأمتنا الاسلامية وقد نشر منسختين في كتاب سميت (القرآن والعلوم العصرية) وهاك مجاهد فيه في هذه الآية

عبر الله بكاف الخطاب ست مرات لجعل الماء لنا والثرات لنا وتسخير الفلك لنا وتسخير الأنهار لنا وتسخير الشمس والقمر لنا وتسخير الليل والنهار لنا وقد آتانا من كل ما سألناه في ضائرنا وما تمنته نفوسنا أي إن النفس كانت تمنى أن تطير وأن تجلس في مكان وهو يجري بها من غير أن يعلم الناس أن ذلك يمكن فكانت الطيارات في الجو والقطرات على الأرض وكان الانسان يتجنى أن يكلم أخاه وهما متباعداً ويتشوق لذلك فبرز هذا . واعلم أن الله كما فطر النفوس على حب ذلك جعل في الطبيعة استعداداً له ثم أبرزه في الوجود

ثم قلت هناك فهل هذا الخطاب استثنى منه المسلمون فهل جعل الله الثمرات في الأرض خاصة بغير المسلمين أم الخطاب عام وهل الفلك التي تجري في البحر ما بين آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا هل هذه السفن خاصة بالافرنج وكيف نام المسلمون عن علوم التجارة فأصبحت بأيدي غيرهم من الفرنجة وأهل أمريكا وهم صفر اليمين فالسفن التي تمخر عباب الأنهار والبحار في سائر أنحاء الكرة الأرضية بيد الفرنجة وهم هم الذين يدرسون المعادن والكهرباء والبخار والتلغراف البرق الذي لا سلك له والذي له سلك . أليس من العار عليكم أيها المسلمون أن تكونوا (٣٥٠) مليوناً ولا سفن لكم في البحار كما لغيركم وقد خلقكم الله قاتلاً - وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره - على قواعد علمية بعد معرفة صناعة الحديد لبنائها واخشاب لتكملها والبخار لتسييرها والكهرباء والمغناطيس لمعرفة الأخبار فيها وقراءة علم الفلك والكواكب السيارة والثابتة للاعتداف بها في طرق البحار ودرس علوم البحار وطرقها ومناطقها وما فيها من مسالك حتى لا تضل السفن سواء السبيل فتغرق ويهلك ما فيها وبعد دراسة علوم السحب والرياح والواصف حتى يلبس الریان لكل حال ليوسها وينجى التبع الذي ينجى السفينة . ثم قال - وسخر لكم الأنهار - ولا جرم أن الأنهار تسقي الزرع ولها في جريها قوة تسخر منها الكهرباء فتقضي عن الضخم والبعول والمسلمون في بقاع الأرض غافلون عن أنهارهم ونكاد تصبح يد غيرهم وقوله (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار) الليل والنهار والشمس والقمر لها حساب دقيق لا يهتدى إليه إلا بعلم الحساب والهندسة والجبر ثم الفلك فلا تطلع الشمس ولا تقرب ولا يشرق النجم ولا يغرب ولا يطلع سيار ولا يافل إلا بمواعيد موقوفة لا تخس ثانية بل كل ذلك بمقدار . فهذه سفن البحار وقطرات اليابسة كلها تسير بحساب الشمس والكواكب . ولو أغفل الناس ذلك بعض يوم لاختلفت مواقيدهم ولتصادمت قطراتهم ولتات كثير منهم . يعرف ذلك كل من اطلع على طرف من علم الفلك في هذه الأيام . انتهى

هذا هو الذي قلته من ذلك الكتاب وأحد الله إذ رأيته قد نشر بين المسلمين في أقطار الأرض . أفلمست ترى معي أيها الذي أن المسلمين إذا قصروا في هذه النعم فانهم يمدحون في الدنيا والآخرة كما هو الحال الآن وكيف يقول الله سخر لكم بكاف الخطاب ثم هم يعرضون عن نعمه وهذا عينه كفر النعمة لأنه إذا أعطاك رجل عظيم عطية وقال لك خذها ثم انك تقابلت عنها أو نذتها له غضب عليك بل انه يسره أن تأخذها ويسره أن تتعجب بها ويسره أنك تكون غنيا بما أعطاك . هذا كله في المتداول المعروف فأما المسلمون اليوم فان هذه النعم بعد ما قال الله مخاطباً لهم لى سخرتها لكم ينامون ويقولون فلنتركها للفرنجة . إن هذا أوان العلم والعمل وهذا هو الوقت الذي فيه ابتدأ استيقاظ المسلمين ولكن لا بد من نشر مثل هذه الآراء . إن الله أراد رقيهم واسعادهم وارتقاءهم - ولتصلن نبأه بعد حين - وليقومن في هذه الأئمة من فضائل العلماء واكابر الحكماء من يرثون الأرض من بعد موت أهلها الغافلين ويزنون هذه الدنيا وتبدل الأحوال ويصبح الناس اخواناً على قدر الامكان اه

﴿ ست تنبيهات . التنبيه الأول ﴾

يقول الله في الأنعام السابقة - ويضل الله الظالمين ويضل الله ما يشاء - . وكيف يفعل الله ما يشاء وقد أضل الظالمين وأبى الحكمة في اضلال الظالمين اذا ظهرت الحكمة في هداية المتقين فلها لم تظهر في اضلال الظالمين وانما قد أمرنا أن نعرف الحقائق وأن ربنا أغدق النعم علينا وآتانا من كل مأسأناه ونجيناها أماني - ثم يأتي لأعز شيء وأعظمه وهو الهدى فيمنعه ويقول أنا أضل الظالمين وأضل ما أشاء . هذا هو السؤال الذي خطر لي وهو حقاً يحضر لكل انسان على هذه الأرض . فأين الجواب . قد علمت أن هذا من سر القضاة والقدر وهذا السر أفضل بابه على جميع الأمم وهناك أكابر الحكماء نالوا من العلم حظاً فخلعت صدورهم وسعدوا بفتحهم

وكنتموا عن الناس . ولكن ألا أرى كأيها الذي عجبنا في هذه الآيات . ألم تر أن جواب السؤال قد ظهر في قص الآية إنشبه قوما بشجرة طيبة وقوما بشجرة خبيثة ثم ختم بأنه يمثل الظالمين وهو يضل ما يشاء إن الجواب قد تجلّى ولكنه غيبوه مكنتموا لايمسه إلا المطهرون الذين طهرت نفوسهم من الفلّ والحقد والحسد والكبرياء ف هؤلاء هم الذين تمتد أيديهم إلى تلك الخزان فيفتحونها وينالون منها طمطمهم . ألم أذكر لك هناك أن الزرع أصناف شتى يتبدى بخضراء السمن التي لا تلبث إلا نخوة النهار ثم تفعب في العتية . لك ذلك . وأن النبات يرتقي درجة فدرجة حتى يصل إلى مستوى النخل وأشجار أخرى تعيش سنين وسنين بدل دقائق وساعات . ألم أقل لك ذلك . فهل ترى أحدا من نوع الإنسان وجد في نفسه حرجا من خلق الأنواع الكثيرة . ألم تر أن الناس فرحوا باختلاف هذه النباتات وأنهم امتنعوا باختلافها . فإذا زرعوا القمح وحصدوه في بعض فصول السنة وكذا القرة والشعير والبرسيم وما أشبه ذلك وكذلك الملوغية والباية والقطن والكتان من كل نبات يتم في أقل من سنة فانهم قد تمتعوا بامتعا تاما بها وعاشوا وأن هذه لو كانت كالنخل لآثر إلا بعد سنين لشق ذلك على من لم يجد عنده القمح مثلا فانه يجده بعد أشهر من زرع

ألا ترى أن هذه النباتات كان اختلافها لاختلاف حاجتنا . وإذا كنا نرى الحاجة لبناء المنازل والمحصول ليست كل يوم بل انها مسألة سنين لا شهر أى إن الإنسان لا يبنى منزله بعد بئانه الأول إلا بعد عشرات السنين فلذلك كان أعظم الحش لسمقه يتكوّن في عشرات السنين وأقل الخشب في سنين معدودة . كل ذلك يقتضى حاجتنا وانتفاعنا . وإذا وجدنا هناك حنظلا ونمرا فما راعنا لأن القر فاكهة وغذاء وحلوى والحنظل دواء فنحن معاشرين آدم لم نجد في ذلك حرجا في نفوسنا . في عذناه نعمة وأى نعمة . فنرى عندنا زيت الخروع لسواتنا كما نرى زيت الزيتون لفدائنا والسنا المشكى لطبنا وهكذا فنحن لم نر من الاختلاف إلا ساعدة هذا هو الذى قرأه في الكتاب الذى كتبه الله يده وهو كتاب الطبيعة وما أجله من كتاب وما أشوق النفس إلى الوصول إلى مؤلفه الذى أرانا جلاله وعجيب حكمته وبديع صنعه . هذا كله كامن في قوله تعالى ومثل كفة طيبة كشجرة طيبة ومثل كفة خبيثة كشجرة خبيثة

فهاتان الكلمتان المذكورتان فيها هذه اللعاق وفيهما ما يحتاج إلى مصنف كبير حتى يقف الإنسان على تمام الحقائق هنا . اذا فهمت هذا قص للنسبة على النسبة به فكأنه يقول ها أنتم أولاء رأيتم أن الاختلاف في الأشجار نافع لكم . أفلا يكون هكذا الاختلاف في العقول فيه ثمرات ومنافع لكم أولئك من العوالم وأنتم لا تشعرون . إلى خلقت حنظلا قتلتم حسن نافع وخلقت كافرا وعاقبه . إن هذه العقول مزارع زرعتها في الأرض وجعلت مقرها أجساد بني آدم وهذه العقول مختلفات لاختلاف النبات فإذا رأيتم أن اختلافها بلغ عددا عظيما فكذلك العقول اختلافها عظيم وإذا رأيتم منافع في الاختلاف وانكم لا تعيشون إلا بهذا الاختلاف أى إن حياتكم لاساعدة فيها إلا أن يكون لديكم الحنظل والخروع والسنا المشكى كما يكون عندكم القر والعنب والرمان فهكذا أنا زرعت العقول مختلفات مريدا ذلك كما زرعتم أتم الأشجار مختلفات مريدين ذلك . فأما منافع اختلاف عقولكم لكم فهذا لا تقفون على حقايقه إلا بدرس طويل أو بعد خروجكم من هذه الأرض أو تخرجون من عداد العاقل وتدركون سرّ البيانات ولماذا خلق العالم ولماذا خلقت النفوس . ولك أيها الذي قد أدركت شيئا من ذلك في غضون هذا التفسير ولكن الناس جميعا إلا نادرا لا يدركون سرّ اختلاف العقول كما أدركوا اختلاف النبات وحكمته إلا بعد خروجهم من هذا العالم ولعمري ملوحت النفوس في الأرض إلا لرفقتها كما لم توضع النباتات إلا لاعمال أعمالها وما أمراض الناس وعذابهم إلا كما تضرع الشمس النمل اه

(التنبيه الثانى . عبادة الأصنام)

يقول الله تعالى في هذا الخط - وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار - ثم قال - قل لعبادى الذين آمنوا الخ - فهاهو ذا ذكر الأصنام وحرمها . فبالت شعري لم حرمتم الأصنام وما قصد من تحريمها . الصنم حجراً أو أى مادة أخرى وليس في الملة حرمه لأن جميع ما في الأرض مخلوق لا يستغنى به وإنما المحرم هو عبادتها ولم تحرم العبادة لأن الله سبحانه يحتاج الى عبادتنا . ولقد نرى في نوع الانسان من يحقر أن يعظمه العامة لأنه ليس يرى ذلك لئله له . ولقد كان الفيلسوف (سفسكا) الرومانى وهو في الوزارة قبل أيام للسليح كما حكى عن نفسه يسمع إعجاب العامة به وهو في الاحتفال فلا تنعرك نفسه لهذا الاعظام ولا لهذا الاجلال ويرى أن في جلال الشمس والقمر وجلال البحر وزول للمر وللعن والبرق ودوى الرعد والبرد والثلج والتأكل في عجائب الطبيعة . يرى في ذلك وفي غيره ملك السعادة وهذا كلامه عن نفسه . وهكذا في أمتنا الاسلامية كثير في هذا الزمان وفي كل زمان فهل لله تعالى اذا أمرنا بترك عبادة الأصنام يريد أن تنصرف اليه وهو يحبه ذلك لنفسه . كلا فليس يعقول البتة ولا هو يحق لأنه منزّه وغنى عن العالمين . وإنما عبادة الأصنام تحصر العقل في المحسوسات فيمغر العقل البشرى وعبادة الله تجعل النفس مشرّبة الى أعلى أى ان الانسان تفك قيوده من الوقوف موقفاً حاسباً له فالعبادة والعلم على هذا يكونان متفقين على أن يطلب العبد من الاله الذى لم يره ويعبده واذا لم ير الله ولم تطلع عليه حواسه فاذن أصبح حراً في هذا الوجود يسخره لنفسه . أما تقديس بعض المخلوقات فانه يقفل عليه أبواب العلم وأبواب العمل إذ يرى اعجاب العقل أسدل عليه فغمه أن يتأذى في للباحث العلمية والعملية فاذن يجد في هذه الكائنات باحثاً متعباً حتى يصل الى ما يتصوره عباد الأصنام

﴿ التنبيه الثالث . كيف يدخل الضلال على أرباب البيانات ﴾

لقد علمت أن عبادة الأصنام إنما أفضت لأنها سبيل الى حصر الفكر والوقوف بالعقل الانسانى وأن الآيات التي وردت بفسدها كما حذت على الأعمال حذت على النظر في السموات والأرض والفلك في البحر والشمس والقمر والميل والنهار وأن عابد الصنم العاكف عليه لا يتجه نظره لشمس ولاقمر ولاضياء ولانور أفلا نرى أن للتدين الذى أوقفه معلمه في موقف شائن بأن أعطاه من الدين بعض الأعمال وقال له قف هنا فهذا هو الدين وصرف فكره عن السموات والأرض الخ قد أصبح في موقف كعباد الأصنام . نعم هذا موحّد لله ولكنه في العلم أصبح كالجهال عباد الأصنام فكفره قد أصبح محبوساً وأقنعة هذه الطائفة هواهم وهم يطعون مقنوع رؤسهم لا يرتدّ اليهم طرفهم . أليس هذا هو السجن الذى سجنتم فيه عقول عباد الأصنام وهو لم يخلف في الدنيا إلا للدراسة فأين هي وهو عابد الحجر سواء ولتلك أعقب هذا الخط بدعاء ابراهيم عليه السلام وفيه أنه يطلب من الله أن يعصّب الأصنام هو وأبناءؤه . فبالت شعري هل يتوهم أن نبيا من الأنبياء يخاف من عبادة الأصنام . إن ذلك غير مقبول وأنا وأنت أيها الذكر القارى لهذا التفسير لا تخاف من عبادة الأصنام ولم يحضر بالي يوماً أن أقول يا لله أغثني من عبادة الأصنام وأنت لم تطلب هذا في حياتك يوماً لأنه ليس بـ قول أن تطلب رفع شئ هو مرفوع عنك فهل نحن أعلم من ابراهيم الخليل الذى أمر الله نبينا ﷺ أن يهتدى بهداه إذ قال - فبهدهم اقتده - واذا كنت أنا وأنت والعامة والخامة في الاسلام نرى أننا نحق لانساوى نبينا ﷺ في العقيدة الدينية ونحن هذه حالاً لا يحضر ببالنا عبادة الأصنام فهو أولى منا بالعقيدة لأنه هو الذى كسرهما في الكعبة ونحن لا قدرة لنا على تغيير هذا المنكر اذا رأينا خوفاً من عباده وكذلك ابراهيم الخليل كسر الأصنام التي كان يعبد ملك جبار هو غرود فكيف يقول - اجنبي وبني أن نعبد الأصنام - وهو الذى سبنا للمسلمين من قبل وفي هذا سيدنا محمد ﷺ جاء بشريعة مطابقة لشريعته إذ قال - ملة أبيكم ابراهيم حوساً كم المسلمين من قبل وفي هذا -

إن الجواب على ذلك ما أشرت إليه أن عبادة الأصنام غالبا يقعها حصر الفكر وقصر القلب والأبصار عن عجائب الدنيا فيخلف العقل الانساني عن كل شئ فرجع الأمر الى أن العقول تقصر وهو المراد محاربه فكل دين وكل علم انما يراد به رقى لفكر الانسان فاذا طلب التحليل ذلك فاعلم ان لا يشغل القلب بما معه من ازدياد الحكمة فالحال شاغل والوجد شاغل والعلم اللغوي شاغل والخوف من تغيير الناس شاغل والوقوف على بعض مسائل الدين وترك الباقي شاغل وعكوف العالم الديني على علم الفقه وحده وترك النظر في هذا العالم وجهه شاغل واشتغال المرء بمسح الناس له شاغل . كل ذلك أدى الوظيفة التي أدّاها الصنم فأنتجت المطالب وهو الجهالة العمياء

(جوهره في قوله تعالى - وجعلوا لله أندادا الخ -)

اعلم أن الأمم القديمة كلها في الهند ومصر وغيرها قد أظهرت الكشف الحديث أن لهم (تعليمين) تعليميا علما وتعليميا خاصا . فالتعليم العام هي الأعمال الصيبانية والوثنية والطقوس والصور الرمزية وتعليميا خاصا يتناقضونه كبرا عن كبر ولا يباح إلا لمن هذبوه في المعابد ووقوا به واذ ذاك يلتقون له السر فهو في نفسه يمد لها واحدا يراه في قلبه ويحبه حبا جادا وهو مع الناس يشاركونهم في طقوسهم فيعبد (برهما) في الهند (واذريس) في مصر (وجوبيتر) في ألبانيا معتبرا هذه الآلهة اللغظية رموزا ضمنية جدا الى القوة العلوية المدبرة لهذه العوالم فلا فرق في اظهار الحقائق بين خريستا وبودا وزروستر وهرمس وغيرهم . فكل هؤلاء قالوا ان الله واحد ولكن أتباعهم رأوا من مصلحة كبريائهم أن يضفوا الشعب ويضاهيه معتقدين أنه ليس كنوا هذه الحقيقة . وقد كان كهنة المصريين لا يطلعون أحدا على سر الوحدانية إلا بعد العناء الطويل والتجارب الصعبة ويحفظونه القسم بحفظ السر والقتل . وكانوا يرون أن أبا الهول للمركب من رأس امرأة على جسد نور بأظفار أسد وجناحي نسرمز الى هذا الانسان الذي فاق كل حيوان ولم آلفه غريبة لمأقرس وحوش وطيور وأفاع يرمزون بها الى الحياة في تعدد مظاهرها وهم فيما بينهم يعتقدون لها واحدا لا يتكلمون عنه إلا بالخوف وصوت منخفض . كل هذا جاء به الكشف الحديث . وبما عرف عنهم رؤيا هرمس وقد تقدم ذكرها في هذا التفسير في سورة آل عمران . وملخصا أن هرمس وقت الاختطاف رأى الكون والعالم وانتشار الحياة في كل صقع فصاح به صوت النور العالي للكون بأسره وكشفه بالسر الالهي قائلا (إن النور الذي رأيته مثل نور الله المحيط بكل شئ وهو الذي يحيط بكل الكائنات . وأما الظلمة فهي العالم المادي الذي يعيش فيه الناس على الأرض . وأما النسياء المتدفق من الأفاضى فهو كلمات الله . فأما روح الانسان فأما محبوسة بذنوبها وأما راجعة الى مقامها في عالم النور في السموات وماسفرها في هذه الأجساد إلا لتجربتها في الأربع وهووم الحياة . ومتى استنارت خرجت من سجنها الى علها الجليل في الملا فثبت قلبك إذن يا هرمس وسكن روعك عند تفرك الى الأنفس الصاعدة في معارج الأفلاك العلوية توصلنا الى العالم الالهي الذي منه بدأ كل شئ واليه ترجعون ثم سبحت الأفلاك السبعة هاتقة معاء الحكمة . الحب . العدل . الهاء . الظلمة . الخلود)

ثم يقول الخبير بعد ذلك (تأمل يا بني هذه الرؤيا تجد فيها سر كل شئ وكلما توسعت في ادراكها اتسعت لديك حدودها لأن ناموسا نظاميا واحدا يدير العوالم كلها . إن الحقائق الطيعة مستورة تحت حجاب السر ولا يكشف بالمرقة التامة إلا من جاز في التجارب التي جزأ فيها . إن من الواجب أن تقاس الحقيقة على قدر مبلغ العقول فلا يجوز افشاؤها الاضفاء لثلاث يتوسوا بها ولا الاشرار لثلاث يتسلحوا بها للسر فاحفظها إذن في صدرك وانتشرها بلسان أعمالك وليكن العلم قوتك والناموس سيفك والصمت تركك) انتهى هذا ما كشف في عصرنا الحاضر من علوم قدماء المصريين عرفه الاوروبيون وجهله كثير من علماء

الخطوط المصرية القديمة في مصر وغيرها

فانظر كيف كان الله واحدا في الهند والصين والمصريين عند خواصهم ومتعددا كثيرا عند عابثهم وكان هؤلاء الرؤساء يعتقدون أن إفساء السر ضرر بالشعب فلماذا كتبوه وبالكتمان عظموا عند الرعية ومن عجب أن التثليث الذي تظاهر به كهنة الهند ومصر تخطى إلى الأمم النصرانية وهذا الظاهر أخفى تحت الحقيقة المكتومة - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - فانظر ما قاله أحد آباء النصرانية في القرن الرابع وهو الأسقف (سبنسيوس) اليوناني الذي تولى في آخر حياته أسقفية عكا ومات سنة ٤٩٠ ميلادية قال إن الروح السرى الذي نراه ساريا في الأديان القديمة انما جاءه من كون الشعب يحقر دائما ما سهل عليه ادراكه فلماذا يفضل أن يكون مفضوشا مغالطا . هكذا فعل كهنة مصر الأقدمون أما أنا فساكون دائما فيلسوفا مع نفسي وكاهنا مع الشعب وقد تقدم هذا) انتهى يقول مؤلف هذا الكتاب إلى أحد الله عز وجل إذ علمنا ما لم نعلم ووقفنا على أسرار الأوائل التي لم تظهر إلا في هذا الزمان والله هو الولي الحيد

(التثليث عند الأمم القديمة)

قد شاع التثليث عند الأمم القديمة بلبية الكهنة بلفظهم وهم في قلوبهم موحدون ولقد أخذوه من تثليث هذا الوجود فهو كله جوهر مادي وجوهر عقلي وجوهر نفسي أي للمادة والعقل والنفس فالكون كله إما مادة فيها الأثر وأما نفس بها الحياة وأما عقل به التدبير . وقد جمعوا العقول عشرة وهكذا النفوس وجمعوا العقول والنفوس الانسانية كأنها آثار للنفوس العلوية . هذا كله في كتب الفلسفة فليست هذه الثلاثة آلهة بل هي مخلوقات والفلاسفة في كتبهم يقولون إن الله هو خالقها فترى الكهنة يقولون الخالق لهم ويقولون انه ثلاثة يريدون المادة والعقل والنفس . ثم منهم من عبد للملائكة وهي المعبود عنها بالعقول فما تقدم هنا كالصائبين كما تقدم في أول سورة البقرة وفي سورة الأنعام - ومنهم من عبد الكواكب بالبيابة عن الملائكة ثم عبدوا الأنعام النابتة عن الكواكب . كل هذا تقدم في أول سورة البقرة . فكان الآلهة تقاومها عن الله إلى أول غلوق وهو العقول للمعبود بها عن الملائكة فالكواكب فالأنعام الأرضية وكل هذا لاضلال الشعوب والحمد لله رب العالمين والتوحيد لهم خاصة . انتهى القسم الثاني من السورة

(القسم الثالث)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ • رَبِّ إِنَّهُمْ ضَلُّوا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَلَا تَكُ غَفُورًا رَحِيمًا • رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ يَتِّكَ الْحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ • رَبَّنَا إِنَّكَ تَنَلُّمَ مَا نَحْنِي وَمَا تُلْنِي وَمَا يُحْنِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ • الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ • رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ • رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ

الْحِسَابُ • وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَتَّبِعُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ
الْأَبْصَارُ • نَهْطِلِينَ مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْثَدْتَهُمْ هَوَاهُ • وَأَنْذِرِ
النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْمَذَابُ فَيُقْوِلُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ
وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمُ مِنْ ذَوَالٍ • وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ • وَقَدْ
مَكْرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَرُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ • فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ
مُخْلِطٍ وَعَدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ قَرِيرُ ذَوَاتُنْتِقَامٍ • يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ
وَيَبْرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ • وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ • سَرَّابِلُهُمْ مِنْ
قَطْرَانٍ تَتَنَمَّى وَجُوهُهُمُ النَّارُ • لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
• هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ •

(التفسير اللفظي)

واذكر (إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد مكة (آمنا) أي ذا أمن أي أخرجه من صفه الخوف
إلى صفه الامن (واجتنبى وبني) بعتى وإياهم (أن تعبد الأصنام) من أن تعبد الأصنام (رب إنهم أضلن
كثيرا من الناس) اسناد الاضلال اليهم باعتبار السببية كقوله تعالى - وغرتهم الحياة الدنيا - (فن بعنى)
على دينى (فانه منى) أى لا ينفك عنى فى أمر الدين فهو بعضى لفرط اختصاصه بى (ومن عصانى) فما دون
الشرك (فانك غفور رحيم) وان أريد عصيان الشرك كان الفخران والرجة ان تاب وآمن (ربنا إني أسكنت
من ذرتى) بعض أولادى وهم اسماعيل ومن ولد منه (يودا) هو وادى مكة (غير ذى زرع) لا يكون فيه
شئ من الزرع (عند بيتك المحرم) هو بيت الله محترم عظيم الحرمه لاجل اتها كها ويحرم التهاون به (ربنا
لبقيموا الصلاة) الام متعلقة بأسكنت أى ما أسكنتهم بهذا الوادى البلع إلا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم
(فاجعل أقدسة من الناس نهوى اليهم) أى أقدسة من أفئدة الناس تسرع اليهم شوقا وودادا (وارزقهم من
الغمرات) وهم يسكنون واديا لانبات فيه (اعلمهم يشكرون) تلك النعمة وقد أجاب الله دعوته فجعله حرمآ آمنا
يجب اليه ثمرات كل شئ (ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن) تعلم سرنا كما تعلم علنا (وما نخفى على الله من شئ
فى الأرض ولا فى السماء) فالعالم كله بالنسبة اليه سواء ومن للاستغراق (الجدد الذى وهب لى على الكبر)
أى وهب لى وأنا كبير آيس من الولد (اسماعيل واسحق) • يقال إنه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة
واسحق لمائة وانتهى عشرة سنة (لأن ربي لسميع الدعاء) أى لجمييه وقد سأل إبراهيم الولد بقوله - رب
هب لى من الصالحين - فلما استجاب الله دعاءه قال - الجد لله الذى إلخ - (رب اجعلنى مقيم الصلاة) أى
متأركتها وسننها وحاضرا بقلي عندها ومواظبا عليها (ومن ذرتى) أى واجعل بعض ذرتى من يقيم
الصلاة (ربنا وتقبل دعاء) أى وتقبل عبادتى (ربنا اغفر لى ولوالدى) لأبوى وقد جاء فى السور المتقدمة
عشره فى دعائه لهما - وما كان استغفار إبراهيم إلخ - (وللؤمنين يوم يقوم الحساب) أى يوم يبدو ويظهر -

أويوم يقوم الناس للحساب وإلى هنا انتهى دعاء الخليل عليه السلام . ثم قال الله تعالى مخاطباً لكل إنسان (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور وهذا القول تسلية للظالم وتهديد للظالم (إنما يؤخروهم ليوم تشخص فيه الأبصار) أى تشخص فيه أبصارهم فلا تفرق في أماكنها من هول ما تشاهد هناك (مطمعين) مسرعين إلى الدنيا أو متبليين بأبصارهم لا يظفرون خوفاً وربة وأصل أطمع أقبل على الشيء (مقنى رؤسهم) رافعيها فن صفه أهل الوقت أنهم رافعو رؤوسهم إلى السماء فلا ينظر أحد إلى أحد (لا يرتد إليهم طرفهم) أى لا يرجع إليهم أبصارهم من شدة الخوف فهى شاحنة (وأقشنتهم هواء) خالية فارغة لاترى شيئاً ولا تقبل من شدة الخوف والجبين (وأثذرا الناس) أى خوف الناس يا محمد (يوم يأتيهم العذاب) وهو يوم الموت وهو مفعول ثان لأنظر أى ما يقع في اليوم فلا تذر باليوم انذار بما يحصل فيه (فيقول الذين ظلموا) أى الكفار (ربنا آخونا إلى أجل قريب نجيب دعوتك وتب علينا) أى ردتنا إلى الدنيا واملنا إلى أمد قريب من الزمان تتدارك ما فرطنا فيه من أجله دعوتك وتابع رسلك فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أى أنكم حلظتم في الدنيا أنكم إذا منتم لا تخرجون لبعث ولا حساب وقوله - ما لكم من زوال - جواب القسم وقد جاء به بلفظ الخطاب ولكن لوجه بلفظهم هم قتال ما لنا من زوال (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر أى أقنم فيها ولما أنتم طيبة قوسكم وأنتم سائررون سيرة من قبلكم في الظلم والفساد لا تفكرون فيما معصتم من أخبار الذين سكنوها قبلكم فلا تنبهوا بأيام الله فيهم وأنه أهلهم بظلمهم وأنكم إن سرتهم سببتهم لحكم ما لحقهم (وثنين لكم كيف فضلناهم وضربنا لكم الأمثال) أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى في غرابتها كالأمثال المعروفة لكل ظالم (وقد مكروا مكرمهم) أى مكروهم العظيم الذى استغفروا فيه جهدهم لتأييد الكفر وإبطال الاسلام (وعند الله مكرمهم) أى مكتوب عند الله مكرمهم فهو مجازيهم عليه وهو عذابهم الذى يأتيهم من حيث لا يشعرون (وان كان مكرمهم لتزول منه الجبال أى أمر الدين الذى أنزه الله على عهد صلى الله عليه وسلم فهو ثابت ثبوت الجبال فليس مكرمهم من زلا تلك الثواب التى لاتزول من الأرض فهو كقوله تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - فاللام هذه تسمى لام الجلود أى ما كان الله مريداً تعذيبهم وما كان مكرمهم معداً لازالة الجبال . * وقرأ السكاني - لتزول - بفتح اللام الأولى ورفع الثانية أى وأنه أى للحال والثنان كان مكرمهم الخ وتكون اللام فى - لتزول - هى التى يسميها النحويون الفارقة لأنها تفرق بين ان المؤكدة وان النافية وهى هنا غفقة من التثنية وتلزمها غالباً هذه اللام أى وان مكرمهم تزول منه الجبال لظلمت وكثرة احتياهم فيكون معنى الجملة عظم مكرمهم وعلى الأول ليس مكرمهم من زلا الاسلام (فلا تحسبن الله مخلف وعده ربه) إذ قال - إنا لننصر رسلاً كتب الله لأغلبن أنا ورسلى - وإذا كان الله لا يخلف للعباد فكيف يخلف للعباد مع الرسل (إن الله عزيز ذو انتقام) غالب ينتقم من أوليائه لأعدائه ثم أبطل من - يوم يأتيهم العذاب - فقال (يوم تبذل الأرض غير الأرض والسماوات) بأن تتطير هذه الأرض كلها وتصير كالسنان المنتشر ثم ترجع أرضاً أخرى بعد ذلك كما سيأتى بيانه من الحديث الشريف ومن العلم الحديث (ويبرزوا لله الواحد القهار) أى وخرجوا من قبورهم لحكم الله والوقوف بين يدى الواحد القهار القاب بتشديد اللام الثانية أى فلامستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار ثم قال تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) قرن بعضهم مع بعض لاشتراكهم فى العقاب والأعمال كقوله تعالى - وإذا النفوس زوجت - وقوله - فكذبوا فيها هم والعاون - وقوله عليه الصلاة والسلام (أنت مع من أحببت) ثم قال تعالى (فى الأصفاة) متعلق بمقرنين . والأصفاة القيود . * قال أبو زيد قرن أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاة وهى القيود (سرايلهم) قمهم واحداً سرابال . * وقيل السرابال كل ما ليس (من قطران) القطران دهن يتحلب من شجر الأبل والعرعر والتوت كلزفت

تدخن به الأبل إذا جربت ويقال لهنا فتقول هنأت البعير أحنؤه بالهنا وهو القطران ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منقن الریح • وقرئ • من قرآن • وهما كلمتان منقوتان • فالقطر النحاس للذباب • والآني التي انتهى حرقه فتكون قصم لأن من نحاس مذاب شديد الحرارة (وتفشي وجوهم النار) تعالها بشتعالها (ليجزى الله كل نفس) مجرة جزاء (ما كبت إن الله سريع الحساب) بحاسب جميع العباد في أسرع من لمح البصر ولا يشغله حساب عن حساب كما لا يشغله رزق زيد من رزق عمر (هذا) القرآن (بلاغ للناس) كفاية لهم في الموعدة ليحفظوا (ولينفروا به) أي بهذا البلاغ (وليعلموا أنما هو إله واحد) بالنظر والتأمل يعرفون وحدانية الله تعالى (وليدكر أولوا الألباب) فيريدعوا عما لا يليق • فهذا البلاغ (ثلاثة أمور)

(١) أن الرسل يعون بتخويف الناس لتكاملهم

(٢) وأن الناس ترتقي وتكمل قوتهم النظرية

(٣) وتكمل قوتهم العملية بالتذكر • انتهى التفسير اللفظي

(مقاصد هذا القسم)

اعلم أن هذا القسم الذي قصه إبراهيم الخليل وماتلاه من مخاطبة الله أنسى ﷺ وسائر الناس تتم للسلام وجمع ما مضى من أول السورة قصصاً ثيرة وتلويحاً أخرى • ولقد قمت أن الخليل عليه السلام لا يخطر بالبال أنه يعبد الأصنام وأن ذم عبادة الأصنام إنما كان لما فيه من حصر الفكر ومتى عبد الناس ربهم خلعت عقولهم من التقيد بالأصنام • ناهيك ما علم من أن الخليل لما كسر الأصنام نظر نظرة في النجوم ونظر الكوكب والقمر والشمس وارتقى إلى الأفلاك وفوق السبع الطباق وقال - إني وجهت وجهي إلح - وهكذا العرب لما كسرت أصنامهم فكثت عقولهم وانطلقوا في الأرض فأذبوا أهلها ثم هم اليوم حالم كحال العرب الجاهلية الأولى فهم في انقسام واشتقاق وتناذب ورواؤهم أصحاب شهوات وزولت ظلموا وأفسد كثير منهم وهم ظللون • وقد قلت إن جود الفكر وحجته هو الذي تحجب عمارته وإذا وجدنا أهل دين من الأديان وثقت عقولهم وجب علينا إقناعهم • وهذه أئمة الإسلام لاسيما العرب منهم حالم اليوم أسوأ من حال آبائنا أيام الجاهلية فنحن مقلدون متناهبون • وإعمرى لقد جاء في القرآن في آيات سبقت في هذا التفسير أن القرآن انذار للمسلمين كما هو انذار للكفار وهو واضح في سورة الأعراف وغيرها

ولذا كانت عبادة الأصنام بحسب نتائجها داعية للتفرق والاقسام من جهة ومن جهة ثانية داعية للجهالة وقيد الفكر فليكن دعاء الخليل لقصد فك القيد عن أبنائه العرب وأن يسهل الله له السعوى التي قام بها فلا يقوم عائق في سبيلها فتنب وتحمصر كما تحمصر العقول بعبادة الأصنام ولعل في قوله - ربنا إنك تعلم ما نحن في وما نحن - ما يشير إلى ذلك فكأنه يطلب من الله أن تلك القيود عن أبنائه والعرب منهم وقد أرسل لهم ﷺ وبمد مدته قيدا قتيلا شديدا كما قيدت عبادة الأصنام عبادها وكان هذا للمنى مما قصده وإن لم يستجب في العرب الجاهلية الأولى لأنهم عبدوا الأصنام وذلك لم يمنع استجابته في باقي ذريته وإنما يتلى علينا الآن لتدبر كيف كان أبونا الخليل يدعو الله أن يجنبنا عبادة الأصنام ونحن لانبدها ولكننا مقيدون في أصفاد القيد لانظر إلى لسانه كما نظر هو ولا تفكر في الطبيعة كما فكر هو يوم قال - ولكن ليطمئن قاي - ففكر في الخروج من هذا المأزق وتلك القيود التي قيدنا بها • وفي هذا المقام لطائف

(اللطيفة الأولى) إيضاح كيف كانت قصة الخليل عليه السلام جلسة ماني الكلمة الخبيثة والكلمة الطيبة

وانها ملخص ملجأ فيها

(اللطيفة الثانية) بيان أن مابعد القصة من قوله تعالى - ولا تعبدن الله غافلا إلح - قد اشتمل على ما هو

كالنتيجة للتذكير بأيام الله الذى جاء فى أول السورة فهذا القسم جميعه أشبه بالتطبيق على السورة كلها فأولها على أولها وآخرها وآخرها على أولها

(اللطيفة الثانية) فى قوله تعالى - ربنا إني أسكنت الخ -

(اللطيفة الرابعة) - يوم تبدل الأرض غير الأرض الخ -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

إن الخليل عليه السلام طلب من الله أن يتجنب هو وبنوه الأصنام لأنها أضلت كثيرا من الناس الخ وهذا هو الكلمة الخفية التى اجتثت من فوق الأرض فهو كالتطبيق عليها وطلب من الله أن يجعله مقيم الصلاة وبعض ذريته وجاء فى كلامه - وما عني على الله من شئ فى الأرض ولا فى السماء - وهذان هما القسيان العلمى والعملى المذكوران فى الكلمة الطيبة للبيئة فى قوله - قل لبعادى الذين آمنوا الخ - فيها العمل بأقامة الصلاة الخ والعلم بقول الله الذى خلق السموات والأرض الخ

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

إن قوله تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون - الى قوله - أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال • وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال الخ - فهذا هو نتيجة ما جاء فى أول السورة فانه هناك ذكر موسى قومه بأيام الله بعد ما أمره الله إذ قال له - وذكرهم بأيام الله - وقال - ألم يأتكم نيا الذين من قبلكم الخ - وهنا جاء ذكر ذلك فى يوم الحساب على مقتضى أول السورة من التذكير بتلك الأيام فى القرون الخالية

﴿ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى - ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع الخ - ﴾

روى أن أم إسماعيل جاء بها إبراهيم وابنها إسماعيل وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى أعلى للسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بهما ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقا فبعثته أم إسماعيل فقالت له يا إبراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه ائیس ولا شئ ثم أفادها أنه بأمر الله فسلت الأمر لله وعلمت أن الله لا يضيعهما ثم رجعت ودعا إبراهيم هذه الدعوات فقال - رب إني أسكنت من ذريتي - حتى بلغ - يشكرون - ورجعت أم إسماعيل ترضعه وتشرب من الماء الذى عندها فلما فرغ عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو يتلطم فتوجهت الى الصفا وهو أقرب جبل اليها ثم استقبلت الوادى هل ترى أحدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة وفطمت ما فطعت فوق الصفا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات فلذلك سعى الناس بينهما ثم سمعت صوتا وهى مشرفة على المروة فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبعت بقمه أو بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحمضه وتقول يدها هكذا وجعلت تفرغ من الماء فى سقاها وهو يغور بعد ما تفرغ فشربت وأرضعت ولها وكان البيت كالأية تأتيه السيول ثم مررت بهم رفقة من جرحهم فقلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عاتقا فعرفوا أنه على ماء فاستأذنوا أن ينزلوا عندها فأذنت على شرط أن لا حق لهم فى الماء فقلوا وأرسلوا الى أهلهم فقلوا معهم وشبه العلم وتعلم العربية منهم وأنسهم وأهيجهم حين شبه فلما أدرك زوجوه بأمرأة منهم وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل وكان ما كان من سؤاله لزوجته ابنه وردّها عليه بما لا يحسن فقال لها قولى له غير عتبة الباب الخ وانتهى الأمر بعد ذلك أن اجتمع معه وتعاقا وبنا البيت كما فى سورة البقرة عند قوله - سولذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل - وفى التفسير هناك تلخيص ما يناسب ذلك من حديث البخارى وجئت هنا باختصار الحديث الذى يوضح ما فى هذه السورة ويجوعها مقصود ما فى حديث البخارى بطوله

(اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات)

اعلم أن هذه الآية من المعجزات للقرآن فانك ترى العلم الحديث منطبقا عليها تمام الانطباق . ألا ترى أنهم يقولون ان الأرض والشمس والسيارات كانت في قديم الزمان عبارة عن كرة نارية حارة طارئة في الفضاء ودارت على نفسها ملايين من السنين ثم تكوَّنت الشمس وبعد ملايين فصلت منها السيارات ومنها الأرض وبعد مئات الألوف من السنين انضمت عنها الأقمار ثم ان هذه العملية نفسها ستعاد مرة أخرى أى ان الأرض والكواكب والشمس بعد ملايين السنين ستحل هذه الأجسام كرة أخرى وتدخل معمل الطبيعة مرة أخرى وتعاد من جديد فتجدد أرض غير الأرض بعد ما يذوب ذلك كله وينطير في الفضاء ملايين السنين ولا يبقى لها أثر ويعاد العمل من جديد وتصبح شمس غير الشمس وأرض غير الأرض وبالطبع السماوات غير السماوات . وإذا سألت علماء الفلك ما برهانكم على هذه المسألة أجابوك كما في كتاب (الدنيا الواسعة) في علم الجغرافيا صفحة (٨) باللغة الانجليزية وهاك ما ترجمته (كيف يعرف الفلكيون أن تلويح بدء الأرض على هذا النوال كان حقا وما برهانهم على ذلك فكان الجواب أن هؤلاء الفلكيين وصلوا بمناظيرهم الكبيرة المسمى كل واحد منها (بالتركوب) وشاهدوا أجساما كبيرة بخارية على هذا النوال الذى قتروه للأرض وقد كشفوا أكثر من ستين ألف كوكب مختلفة فيها ما لا يزال كرة نارية ومنها ما بدأ يتكوَّن ومنها ما اقترب من الكمال في التكوين وبقيتها بين هذين الحدين مختلفات البعد والقرب منها اهـ)

فهذا قتروا أحوال أرضنا وشمسنا فكانهم بهذا عرفوا سير كوننا وتاريخ تطورها في التكوين اهـ أليس هذا بينه هو قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - فانظر كيف أصبح العلم يشاهد تبدل الأرضين بالأرضين والشموس بالشموس لاشمسا وأرضا فقط . وانظر قول ابن كعب قال في معنى التبديل (إن الأرض تصير نيرانا) وقال بعض المفسرين (تخلق بدل الأرض والسماوات أرض وسماوات أخرى)

وروى عن عائشة قالت سألت رسول الله ﷺ عن قوله - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - فابن يكون الناس يومئذ يارسل الله فقال على الصراط . أخرجه مسلم فانظر كيف صارت الأرض نارا وجعل الناس في عالم غير عالم الأرض . وروى ثوبان أن حبرا من أجبالي اليهود سأل رسول الله ﷺ أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال هم في الظلمة دون الجسر . فانظر كيف اتفق العلم الحديث مع الآيات والأحاديث وأن الأرض تصير نارا وأن الناس لا يكونون عليها . ثم اسمع ما هو أعجب وهو ما روى عن ابن مسعود وأنس رضى الله عنهما (يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخلق عليها أحد خلقة) وإذا كان كذلك فهي أرض جديدة من تلك الأرض التي تجهز الآن في هذه العوالم ولم يكن لها أحد بل خلقت حديثا . ولست أذكر هذه الأحاديث إلا للوازنة بين ما جاء في الدين وما جاء في العلم الحديث مع العلم أن هناك أحاديث تخالفها ولكن ظاهر الآية يوافق هذه الأحاديث ويوافق العلم الحديث وهذا من عجائب هذا الزمان

وهنا أربع جواهر (الجوهرة الأولى) في قوله تعالى - وإن تعلموا نعمة الله لا تحصىوها - وفيها قبلها من الآيات المذكورة بالإنتم (الثانية والثالثة) في قوله تعالى - واجتنبوا أن تعبدوا الأصنام - (الرابعة) في قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض -

(الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وإن تعلموا نعمة الله لا تحصىوها -)

(وفي تذكير المسلمين بما قصروا في نعم الله المذكورة في هذه الآية وحرموا من (٢٣٨) ألف ألف جنيه من (البحر الميت) فلسطين)

أيها المسلمون جاء في أول السورة أن موسى عليه السلام ذكر قومه بأيام الله وأن نبينا ﷺ كذلك ذكر أمته وكتب هذا التفسير ذكر الأمة بعد مذكر العلماء السابقون . أنا حينما كنت أكتب ذلك التذكير لم يكن ليحسب لي أن هذا يرجع للأرض رجا ويس الجبال يسا ويكون حدوثه أثناء طبع هذا التفسير لم يكن ليخطر لي ذلك ولم أكن لأعتقد أن المسلمين قد وصلوا إلى درجة محزنة عجزية عظيمة مفزعة مرعبة من الجهالة والفتنة عن هذه الآيات

أيها المسلمون . إن الله ملككم فلسطين منذ أيام الخلفاء الراشدين وأراد الصليبيون أن يفتحوا تلك البلاد ويفتحوا مصر فلم ينالوا حظهم . أتدرون لماذا حاولوا ذلك . أرسلهم الله سابقا ليقولوا للمسلمين بلسان الحال نحن قد بعث الله همما لتقاتلكم . ولماذا هذا . لأجل أن نذكركم بقوله تعالى - الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء - إلى قوله - وإن تعلموا نعمة الله لا تحصىها إن الإنسان لظالم كمار - أتم ملككم الهند والشام والفرس والعراق ومصر والسودان والأناضول وشمال أفريقيا وبلاد الأندلس . وفي هذه البلاد ما جاء في هذه الآية من الأنهار الجارية والملك للسخرات والثمار البائعات والبحار الواسعة فيها السفن للمنازل

وكان الله يقول لكم فإن شكرتم بحفظها واستعمالها أبقيناكم وإن أنتم تركتم الأمور على غارها وأهملتم أهاركم بلا استعمال وبحاركم ورجالكم فاني أغضب عليكم . وكيف لا أغضب عليكم وأنا الذي لا تصد نعمتي ولا تحصى . ومن أعطى النعم العظيمة فأعرض عنها فقد كفر بها والكفر بالنعم مضيع لها - إن الإنسان لظالم كفار -

هذا هو الذي أفهمه في محاربة الفرنجة للمسلمين أيام الحروب الصليبية فهو انذار للمسلمين وقد طردهم صلاح الدين الأيوبي فرجعوا وهم يعملون علما جا . أما للمسلمون فناموا بعدها نومة أغضبت ربنا فأرسل الفرنجة هذه المرة فنادا فعل . أدخل الانجليز فلسطين . فنادا فعلاوا . فعلاوا ما جاء في جوائدا المصرية يوم (١١) سبتمبر سنة ١٩٢٧ قبيل طبع هذه السورة وهذا نصه

{ امتياز البحر لليت }

(٧٣٨) بليون جنيه

تؤكد صحف لندن وأمريكا وفلسطين خبر منح امتياز باستغلال البحر لليت في فلسطين لشركة الانجليزية وتروى تلك الصحف عن المولاة التي يشتمل عليها ذلك البحر ويمكن استخراجها منه روايت مدهشة حتى ان بعض الصحف الكبرى كجريدة التيمس ترى أنه سيكون مصدرا من أعظم مصادر الدخل للحكومة الانجليزية فكأنما هو بمثابة منجم ذهبي عظيم كان مهملتا حتى الآن فقد كانت الحكومة التركية في زمن حكمها في تلك البلاد ترفض كل طلب أجنى يرى إلى استغلال ذلك البحر واستخراج محتوياته وقد ذكرت (الأمريكان هبرو) أن عالما جيولوجيا انجليزيا قصد ذلك البحر للاستطلاع والبحث بعد ما دخل المارشال اللهي فلسطين وبعد الاختبار قدر ثروة ذلك البحر على الوجه التالي الذي يتفق مع تقدير خبراء آخرين لها وهو كما يلي

١٣٠٠ مليون طن من البوتاس قدر بمبلغ (١٤) بليون جنيه انجليزي

٨٥٣ مليون طن من البروم قدر بمبلغ (٤٢) بليون جنيه

١١٨٩٠٠ مليون طن من الملح قدر بمبلغ ١١٨٥٠٠ مليون جنيه

(٨١) مليون طن من الجبس قدر بمبلغ (٢٤) مليون جنيه

(٢٢) مليون طن من كلورو المنفسوم قدر بمبلغ (١٦٥) بليون جنيه

وينتظر امضاء عقد الامتياز قريبا من جانب الشركة الكيميائية الامبراطورية التي يرأسها المستر (بروزوا - موند)

ويشترط في هذا العقد منح الامتياز لمدة محدودة من الزمن يمود بعد انتهائها الى حكومة فلسطين وتتعهد هذه الشركة بانشاء مدرسة لتهيئة طلبة من أبناء فلسطين لهذا العمل في اليوم الذي تنتهى فيه مدة الامتياز وتعهد كذلك بأن تقيم الى أهل فلسطين الحاصلات اللازمة لهم من محتويات هذا البحر بحر لا يتجاوز كلفة استخراجه

ويرى بعضهم أن هذا المشروع سيكون أعظم منافسة من جانب الانجليز للفرنساويين والألمان في كلورات البوتاس واللواذ الأخرى التي يعدّ الفرنسيون والألمان أصحاب المقام الأول في سوقها اه
هذا هو نص ماجاء في جوائذنا . والتي آتني وأوقع في قلبي أشد الحزن أتى لم أر من أهل العلم ضجة أو أسفا على الجهل العلم في أم الاسلام وإنما هذا الخبر لما انتشر مر كضيقه . وأنا أقول إن الأمر لعظيم هذا البحر سميناه ميتا وإنما سميناه ميتا لأتأ ميتون ولو كنا أحياء لاخذنا من موائده الفزيرة لنا حياة ولكان لنا أجل ذخيرة

أيها المسلمون . هل تظنون أن ربنا الذي يقول في هذه الآيات - وسخر لكم الفلك لتجروا في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار - يحاطبنا بقوله لكم ثم هو اذا رفقنا نعمته يترك تلك النعمة في أيدينا . هل الله يعطي النعم للبهائم والطير والسمك أم يعطيها للإنسان . إن الله لم يهبهم الآساد البحث عن القمح والفضة وهذان المعدنان ليسا نعمة على الآساد . فليس يقول الله للآساد أنعمت عليكم بالنعم ولكنه قال لنا أنا سخرت لكم الأنهار وسخرت لكم الفلك في البحر وفطرنا حتى لا نحتاج بأنه لم يذكر البحر الميت في فلسطين فقال - وإن تصفوا نعمة الله لأخصوها - فان لم يدخل البحر الميت فما تقدم من المياه فقد دخل هنا . لم يبق عنر الله بعد هذا البيان اذا فهم أن البحر الميت ليس نعمة وهذه النعمة مسخرة لنا وقد تقدم في أول هذه السورة - لأن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد - وشكر النعمة استعمالها فما خلقت له والبحر الميت بعد أن أنفدنا الله بالحروب الصليبية لم قطعهم ولم فهم سواء بل تركنا الأرض للباركة وغير الأرض للباركة فلم نستخرج المنافع منها لجهلنا وأن كاتب هذا التفسير لم يعلم أن في البحر الميت هذه الفوائد إلا من هذا الخبر فتحن قوم جاهلون خلق علينا القول . فغذا حصل لما كفرنا النعمة . أرسل قوما آخرين مستعدين لما فهمهم أولاد يستخرجونها . ومماثل للمسلمين مع ربهم إلا اكمل الديك قتمت له جواهر وقطع من ألماس ليأكلها فنبذها ظهريا وقال أين حب القرة والقمح فما نحن أولاد لما نبذنا النعمة بجهلنا تسلمها غيرنا وهذا عذابى الحزى في الحياة الدنيا . وقد تقدم في سورة الأعراف أن عذاب الدنيا يشمل المؤمنين وغير المؤمنين فارجع اليه إن شئت

وانظر الى قول الكاتب (فكأنما هو بنبابة منجم ذهبى عظيم كان مهملا) وقوله (إن علما جيولوجيا انجليزيا قصد ذلك البحر بعد فتح فلسطين الخ) وهذا مثل الذي حصل أيام دخول الفرنسيين مصر منذ نحو ١٥٠ سنة فان القوم مكثوا فيها نحو ثلاث سنين ومباحثهم التي قاموا بها فوق متناول للمسلمين كلهم وقد ملؤوا مجلدات كثيرة في منافع أرض مصر وحيواناتها ونباتاتها والمسلمون لم ينتفعوا بشئ من ذلك ولم يدوروا في وجه الجهل . اللهم إني أذكر المسلمين بهذا التفسير وأذكرهم بما قاله (جنكيزخان) كما سيأتى في آخر سورة الكهف عند قصة يأجوج ومأجوج من أنه لما أرسل تجارا من بلاده الى بلاد الاسلام فقتلهم (قطب أرسلان) ثم أخرجهم فقتل بهم وأخذ ما لهم لجهل المسلمين إذ ذاك بجغرافية جيوانهم . اختل ثلاثة أيام وهو لا يذوق فيها طعاما فقال اللهم إني أردت عمارة أرضك وأردت للمسلمون خرابها فانصرتي اللهم عليهم ثم

أقتض على بلاد الاسلام فلم تقم لها قائمة بعدها كما قلته من كتاب ﴿فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء﴾
فسواء صبح هذا أول صبح فهذه تضها سنة الله وهلهوذا صبح عندنا أن البحر الميت جهة المسلمون
وعرفه النصرى . إذن نحن الآن جهال بنعمة الله وهذا الجهل هو مبدأ الكفر بالنعمة . ومن الخجل أن
يقول الكاتب (إن هذا المشروع سيكون أعظم منافسة من جانب الانجليز لفرنسيين والألمان) ولم يذكر
دولة اسلامية تنافس الانجليز في هذا . فهل رأيت يوما عميقا كهذا . وهل عند المسلمين جميعا عربا
وتركا وفرنسا وغيرهم ثروة قدر يبلغ (٣٣٨) ألف مليون جنيه . ومعنى هذا أن المسلمين جميعهم لا يمكنون
ما يبادل عن محصول البحر الميت . فهل رأيت موتا أشنع من هذا
فالذا قال (جنكيزخان) للمسلمون خربوا بلادك . فهاهوذا لسان الصل ولسان الحق ولسان الدول
جماء ناطقات بأن المسلمين أكرمهم لم يصعروا أرض الله تعديا فلما ولم يقوموا بحفظ الأمانة التي استودعوها
أيها المسلمون . ان هناك بقية أمل فهل أتم منتهون . انتهى
﴿حكمة إلهية ونور على نور﴾

استيقظت صباحا في يوم من الأيام فرأيت في النفس ميلا قويا وناظرا هاجبا في اليقظة والنمام لا كمال
هذا للوضع فلم أجد بدا من التوسع فيه حتى أتم ملو قرفي النفس من بدائع القرآن . وبينما أنا كذلك
إذ حضر صديق العالم الذي اعتاد أن يجاذبني أطراف الحديث في مثل هذا المقال فقال
(س) ماذا تريد بعد ما قمت في مسألة البحر الميت وأنت أسرار للقرآن في ذلك
(ج) فقلت سأذكر عجائب العناصر في البحر الميت وسر الحروف في أوائل السور في القرآن
(س) فقال وما المناسبة بينهما

(ج) إن البحر الميت قد حلل لثة فيه العناصر مثل المغنسيوم والكلور والبروم وجعل فيه مركبات
مثل للملح والجبس فيه المركبات وفيه العناصر . هكذا الحروف في أوائل السور والجل في القرآن في القرآن
آيات تحت على العالم وفي القرآن حروف في أوائل السور تشير الى قراءة جميع العالم كما قلنا ذلك في سورة
هود وفي أول سورة آل عمران . إن العالم كلها لا يعرفها الناس مالم يحلوا مركباتها الى مفرداتها كالخسب
والهفنة وهكذا العالم الطبيعية كلها كمثل جميع اللغات فلا تعرف اللغة إلا بالتحليل وارجاع المركبات الى
الكلمات والكلمات الى الحروف والله هو الذي أنزل القرآن وهو الذي خلق البحر الميت

فهو الذي حلل في البحر الميت البروم والكلور والمغنيس . وهو الذي ركب الجبس والملح فيه وفعل
مثل ذلك في القرآن فجعل فيه حروفا كما جعل هنا عناصر . ولما غفل المسلمون عن آتى القرآن ماتت القلوب
عن بحث هذه العوالم واستخراج منافعها للمركبات من عناصرها فهم كما جهل أكرمهم القرآن فلم يعرفوا
إلا ألفاظه . هكذا جهلوا منافع أرضهم وبحارها ومنها البحر الميت فالذا سماوا البحر في فلسطين ميتا ولولت
أما هو في أكثر قلوب الجاهلين فيهم ففسبوا ملحت بنفوسهم من الجهل وللوت الى البحر . فهكذا القرآن
لما هجره ماتت النفوس عن معانيه وعن العالم الذي خلقنا فيه . وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا
القرآن مهجورا -

(س) لازال للناس بين العناصر في البحر الميت وبين الحروف في أوائل السور يحتاج الى ايضاح فان
نسى غير مطمئنة الى هذا البيان فان كون الحروف في أوائل السور كالعناصر في البحر الميت وغيره أمر عام
لا يخص هذه السورة

(ج) إن أول السور من يونس الى الحجر وجميعها سبع سور كلها مبدوءة بحروف (الد) ويزيد الزهد
بأن بين (ال والراء) ميا فوجود (ال) أولا و (الراء) آخرها علم في الجميع وهذه الخاصية محققة في قوله

تعالى - ألم تر إلى الذين بقلوا نعمة الله كفرًا لم - فإنه ذكر سبع كلمات في معرض الذين بقلوا نعمة الله كفرًا كلها فيها هذه الخاصية أي ان (ال) في أولها (والراء) في آخرها وهي (البوار - القلوه - النار - البحر - الأنهار - القمر - النهار) . وسلام أن السورة مذكورة بنعم الله كما ذكر موسى عليه السلام ونبينا ﷺ قومهما بذلك والنعم كثيرة فبين أهمها هنا في معرض توبيخ وضم الذين بقلوا النعمة فلهم البوار والنار وهي لهم قرار وعليهم البحث في البحار والأنهار والقمر والنهار وكل موجود . فهذه ذكرت هنا كالنمذج للنعم التي يجب شكرها تفسيرا لقوله تعالى في أول السورة - لنن شكرنم لأزيدنكم - ولاجرم أن البحر الملت من البحار . وقد جاءت في هذه الكلمات السبع مشاكلة للسور والسبع التي في أولها (الر) فأول البحر (ال) وآخره الراء فدخل في التي طلب تحليله من النعم التي قد يبطل كفرها بعض الناس وأن من حكمة الله أن يكون طبع تفسير هذه السورة أليم انتشار خبر البحر الملت حتى يدخل في أسرار (الر) وتحليل عناصره المعلوم عليها بحروف أول السورة . فالتن جهل المسلمون القرآن واحتجوا مدركهم ليس معناه أنه لا يرق الانسانية كما أن البحر الذي سموه ميتا ليس بميت وإنما هو حي يسلي الحياة قوم يعلمون . فما مثلهم إلا كمثل قوم حلوا رجلا غنوه ميتا على النعش فلما أنزلوه ليغن عرف الطبيب حياته فألقى له بالأدوية للنعش ففاض إلى حين

(من) فقال هناك (أمران) أرجو إضاحهما (الأول) ما صفات العناصر التي في البحر الملت في علم الكيمياء (الأمر الثاني) وهل في التاريخ أن رجلا مات ثم كشف الطبيب أنه حي . إذا صح هذا في التاريخ كان خبر مثال لخال المسلمين مع مملوكوا من بحار وجبال وأنهار لمع ومع ما حفظوا من دين وقرآن (ج) فقلت إن هذا البحر جمع من العناصر النافعة لتنوع الانساني أمثال (١) البوتاسيوم من مركبات (البوتاسيوم) الذي هو فلز لونه أبيض فضي لماع لين كشمع الصل ولون بخاره أخضر جيل وهو أخف من الماء ولذا أقيت قطعة منه في الماء فإن كرات منه تحمر بسبب شدة ارتفاع الحرارة ويحصل التهاب وتور كرات (البوتاسيوم) بعضها على بعض سابعة على بعد من سطح الماء ثم يصير البوتاسيوم مع ما اتحد به (بوتاس) . والبوتاسا جسم كاو شديد اذا لامس الأنسجة أحدث فيها استرخاء وأتلفها

(٢) الصوديوم هو معدن فضي اللون لين اذا ألقى في الماء الحار أو ألقى قليلا يشتعل بنور لامع أصفر فاقع وكل أملاح (الصوديوم) نورها عند الاشتعال يكون أصفر وهو كثير في الوجود لدخوله في ملح الطعام (٣) الكلور أكثر وجوده في ملح الطعام مركبا مع الصوديوم فهو مركب من الكلور والصوديوم وهو غاز مفلطس لونه مصفر مخضر له رائحة مفسدة خافتة يحدث سعالا شديدا وهو سام . وقد تقدم في آخر سورة آل عمران

(٤) للفسسيوم هو معدن فضي لين قابل أن يسحب خيطا ولم يخلق وحده في الوجود بل مركبا مع غيره ويكون في ماء البحر مركبا مع الكلور المتقنم والبروم واليود هالان إذا بحمد الله قد وصفت لك أكثر المعادن التي خلقت في البحر الملت . فانظر إلى جسيمين ضئيلين لون بخارهما متقارب وهما الصفرة والخضرة وكل منهما يشتعل في النار اذا ألقى فيها وبجسم ثالث لونه أشبه بلونهما وهو ميت وجسم رابع وهو فضي كالفضة من الأولين . هذه العناصر بعض ما في بلاد الاسلام مما جهلوه وهذه هي التي تتركب منها الأجسام ويكون منها خير كثير ولاخير منها إلا بالعلم والعناصر في هذه الدنيا تبلغ فوق ثمانين فما في البحر الملت مثال يقاس عليه ما في سائر بلدان الاسلام كما ان حروف الهجاء في أول السور مثال لغوي تقاس عليه جميع العلوم

(س) فقال همت مسألة العناصر ومركبتها وعرفت خواص أكثر ما ذكر في البحر الميث منها
شواهد التاريخ التي طلبتها منك

(ج) قلت إن في التاريخ (ثلاث حوادث) وكلها من كتاب الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن
القاضي الأشرف يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦

(الحادثة الأولى) ذكر أن طيباً رأى ميتاً محملاً على النعش ولمح قدم رجله بهيئة خاصة لا تكون
من الأموات بل هي من خواص الأحياء فأعلم أهله فأنزله ودأواه فرجع إلى الحياة فكان ذلك للطبيب عزا
وعزاً وشهرة إلى آخر أيامه

(الحادثة الثانية) جاء في ترجمة صالح بن بهلة المندى أليم الرشيد أن جبرائيل بن يحيى شوع أخبر الرشيد
أن ابن عمه إبراهيم بن صالح في آخر رمق وأنه ينقض عمره وقت صلاة العتمة فترك الرشيد تناول الطعام ويكي
فأخبره جعفر بأن صالح بن بهلة يعلم في الطب علم الهند وعلم الروم مما فأخضره ودخل على إبراهيم بن صالح
ورجع إلى الرشيد فقال له لن يموت وإني أخرج من مالي وسأؤتيك طوائف ثلاثاً إن مات فأكل الرشيد وهو مسرور
فلما كان وقت العتمة ورد له الخبر بموت إبراهيم بن صالح فلمن صالح بن بهلة وطبه وطب الهند وتقاباً الطعام الذي
أكله ووقف متكئاً على سيفه فجاءه صالح بن بهلة وقال له أطلق زوجتي وتضيع مالي وتدفن ابن عمك حياً
وكرر ذلك فأذن له بالدخول فدخل ورأى علامة الحياة فدخل الرشيد فأدخل صالح بن بهلة ابنة كانت معه
بين ظفر إبهام يده اليسرى وطه جنب إبراهيم يده وردها إلى يده فقال صالح يا أمير المؤمنين هل يحسن
لبيت ثم خلع عنه ملابس الكفن وألبسه ثيابه ونفض في أنفه (الكندس) فكث مقدار سدس ساعة ثم
اضطرب بدنه وعطس وجلس فكلّم الرشيد وقبل يده وعاش زماناً وتزوج البسة أخت هرون الرشيد وولي
مصر وفلسطين وتوفي بمصر وقبره بها

(الحادثة الثالثة) روى أن ثابت بن قرة اجتاز يوماً إلى دار الخليفة فسمع صياحاً وعويلاً فقبيل له إن
القصاب الذي كان في هذا الدكان قد مات فجاء فقال كلا فتوجه به الناس إلى دار القصاب فأمر النساء أن
يتمكن من الطعام والصباح وأمر غلامه أن يضرب القصاب (الجزار) على كعبه بالعصا وجعل دواء في ماء ووضعه في
فم القصاب فشره فوَقعت الصيحة في الدار والشارع بأن الطيب أحيا الميت وسرعان ما وصل الخبر إلى دار
الخليفة فاستدعاه فذهب والدنيا قد انقلبت وراعه بسبب أنه أحيا الميت فلما دخل عليه قال له يابا ما هذه
المسيحة (يريد أن السحاح أحيا الموتى) فأخبره أن هذا القصاب كان يشرح الكبد ويطرح عليها الملح
ويأكلها كل يوم وأنا أمر عليه ففرغت أن سكتة سئلته فلما أخبرته خبره دلوت له

(س) فقال ما وجه الشبه بين البحر الميت وهذه الثلاثة

(ج) الشبه من ثلاثة وجوه (الأول) أن كلا من الحوادث الثلاثة فيها حيي ظنه الناس ميّا وحل
في الأولى على النعش . هكذا هذا البحر ملوكه المسلمون فكأنهم حلوه وهم يظنون موته (الثاني) أن
الأطباء الثلاثة كثابت وصالح بن بهلة عرفوا أن هؤلاء الثلاثة أحياء وهكذا علماء (الجيلوجيا) من أوروبا
قالوا إن البحر فيه حياة (الثالث) أن الخليفة قال يابا ما هذه المسيحة فأخبره بأن هذا أمر علمي لا
دخل للدين فيه . هكذا علماء (الجيولوجيا) من أوروبا عرفوا أن هذا البحر فيه حياة وهذه للمرة علمية
(س) فقال ولماذا تريد بعد ذلك

(ج) قلت أريد أن لا يكون للمسلمون بعدنا مثل المسلمين اليوم فلا يكونون مالكين لأرض الله والبحار
والأنهار إلخ وهم يجهلون منافعها كأنهم يحملون أمواتاً بحسب أعمالهم وهم أحياء في الحقيقة . أو كمثل الذين
حلوا التوراة ثم لم يحملوها فتعبوا في حملها وهم لا ينتفعون بها فشيئوا بالحار يحمل أسفارا . بش مثل

القوم الناعمين الغافلين . فمن الخسران أن يكونوا كالعاقبة الذين لم يفرقوا بين الليث والحى بل يجب أن يكونوا في علوم الحياة ككثابت بن قرة في الطب والطبيب الذى أنزل الليث من نفيه فهاش حيناً فقد عد على النعش بالجمل من الأموات ولما أنزل عنه بالعلم عد من الأحياء فليكن المسلمون بعد اليوم كهؤلاء الأطباء (س) فقال وما ظنك بهم بعد اليوم

(ج) فقلت قد سبق القول في هذا غير مرة في هذا الكتاب وانهم بعد انتشار هذا التفسير وأمثاله في زماننا ستسرى فيهم الفكرة سريان الكهرباء في المعادن ويكونون كما قال الله تعالى - اعملوا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد ينال لكم الآيات ان كنتم تعقلون - وكما كان الناس يظنون البحر ميتا اذ الحياة كامنة فيه . هكذا الأمم الاسلامية الحياة كامنة فيها وستظهر اليوم . وأكثرتهم اليوم مثلهم كمثل ذلك المحمول على النعش يملئه الناس ميتا وما هو بميت فاذا قرؤا أمثال هذا التفسير كسروا القيود ورموا بالنعش واستبدلوا بلباس الأموات ملابس الشباب والقوة وساروا في الأرض وعمروها بعد ما ظن الناس أنهم مفارقوها وخلعوا سواد الحداد ولبسوا ثياب القوة والشباب والنخوة والعز والكمال . انتهى

(الجوهرة الثانية في قوله تعالى - واجنبى وبني أن تصبد الأصنام الخ -)

اعلم أن هذه الكرة الأرضية التى نعيش عليها من عالم متأخر فان هذه الكواكب التى نراها لىلا عظيمة الأحجام والأقدار . ويظن العلماء في عصرنا ويوقن علماء الأرواح أن محولها من السيارات التى تعد بمئات الألوف فيها سكان أرقى منا أخلاقا وعقولا . ويقال ان رقى العقول والأخلاق والأعمال على حسب أهمية الكوكب عظمة وضعفا . هذا كله لم يخرج عن حيز الظنون فأرضنا هذه ليست من تلك العوالم العظيمة لذلك نجد أهلها أقرب الى الجهل منهم الى العلم . ألا ترى أن العقول للغرسة في بني آدم تضعف وتنام بأدنى حادث . فترى التنويم المغناطيسى يفضله والوهم ويلهبه وعلماء الديانات يتصرفون في العقول كما يشاؤون والناس في ذلك غافلون ناهيون . ترى الناس يصنعون الأصنام ويعبدونها واذا نزل دين بالتوحيد وأشرك العلماء أتباعهم العاتية كما في الدين المسيحي . هكذا المسلمون أيضا تراهم متفرقين وكل فرقة لا تلتصق إلا ما تنتفع من الأشياخ كما نرى في رجال الصوفية فان أكثرتهم يستقنون في شيوخهم العصمة وكأنهم مؤمنون وهؤلاء الأتباع مؤمنون (بالفتح) ومن الفرق المشهورة الطائفة للساجدة بالباطنية فهؤلاء من فرق المسلمين ظاهرا وقد قرأنا عنهم في كتب كثيرة ولكن لم يكن يخطر بالبال أن هؤلاء الذين بنوا الجامع الأزهر والقاهرة وحكموا في مصر فوق مائتى سنة ينحط أتباعهم في زماننا الى دين وثنى فتنهم يعبدون الرئيس الدينى عندهم وما كنا نصدق ذلك . وذلك الرئيس ينسب لآل البيت الكرام . ومن عجب أن سيدنا عليا كرم الله وجهه نبد هؤلاء الذين كانوا يستقنون فيه الالوهية خارجهم واتصرو عليهم فكيف يرضى من ينسب اليه أن يرجع أتباعه الى حال مزعجة اذا صح ماستقرؤه الآن من شكوى أتباعه منه في الجرائد وكيف يجعل ذلك الرئيس نفسه ندا لله ويكون من اللذكوريين في الآية أو يصبح كفرعون وأمثاله . اللهم إن العالم الانساني في الأرض سريع النزوع للجهل غارق في بحار العماية والضلال . فهناك ماباء في إحدى الجرائد المصرية للشهيرة بتاريخ الجمعة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٧ م و٤ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ الى سمو أغان خان ﴾

(خطاب كه شكوى وقضايع)

تلقينا في البريد الوارد علينا من الهند صورة خطاب مفتوح موجه الى سمو أغان خان الزعيم الهندى المعروف من بعض أتباعه يلفتون نظره فيه الى حال الطائفة التى يهيمن عليها سموه والتي بلغت من التأخر والانحطاط حدا كبيرا . تلك الطائفة هي طائفة الاسماعيلية وأغان خان معروف للصريين فهو الذى قيل عنه أن الحكومة

البريطانية أرادت أن تقيم سلطانا على مصر في بداية الحرب في حالة رفض المنصور له السلطان حسين كامل عرش مصر . وأما خان يقضى أغلب وقته في أوروبا حيث تراه في كل بلد من بلاد الحايك والمشاوي حيث له عشرات من الجياد تجري في السباق في لندن وباريس وكل مركز من مراكز الترف والظهور ولما كان الخطاب طويلا أقرنا أن نلخصه للقراء وهو يحوى فضاء عتة مؤلة بين طائفة من المسلمين وهو يوجه خاص قد موجه الى زعيمهم أبا خان وقد استله كاتبه بما يأتي

يا صاحب السمو . نحن للواقعين على هذا أعضاء طائفة (خوجا) نرفع الى سموك الخطاب التالي واثقين أن ينال لديكم ما يستحق من الضاية والاهتمام . اسمح لنا يا صاحب السمو في مستهل خطابنا هذا أن نقول ان السبب الوحيد الذي جعلنا على أن نسلك هذا الطريق الخطر هو الحالة الصعبة التي عليها اخواننا اليوساء ونقول ان الطريق التي سلكها الآن خطيرة لأنه حدث غير مرة أن الذين يجرؤون على الاحتجاج ضد المظالم السائدة التي جرت هذه الحالة التي يرى لها كل نصيبهم الموت من جراء عملهم هذا . ومع أن الخطة التي نسلكها هي في نظر العقلاء الخطة المثل والطريقة المستورية المشروعة للاعراب عن مظالم يراد اصلاحها فانه مع ذلك لا بد من ان كانت نتيجة عملنا هذا الذي نقوم به بحسن نية أن يكمن لنا القديميون من اتباع سموك ويقضوا على حياتنا . على أنه اذا حدث شيء من ذلك فانه يحتمل أن يشور للرأى العام ويقوم ولاية الامور بتعديلات في الأمر زجوا أن تنتهي عاجلا أو آجلا باتخاذ تدابير تضع حدا لحالة يكاد يتعدى صديقتها في هذا العصر عصر اللدنية والفرقان . نعم نترك حق الادراك ما لسموكم من للمكانة الرفيعة والمقام السامي في العالم . غير اننا نجد ما يشجعنا على توجيه هذا الخطاب الى سموك علين أننا نبر عن شعور عدد كبير من أنصاركم لا يبعد معظمهم من أنفسهم الشجاعة على الاعراب عنه السبب الذي ذكرناه آنفا

وقبل أن نشرع في تنفيذ نيتنا وهي وصف الحالة الصعبة للتأخرة التي عليها نحن أنصار سموكم نود أن نشير في البداية الى العلاقة التي تربط أسرة سموك بطائفة (خوجا) وهذه العلاقة هي ما يقال من أن أسرة سموك من سلالة الامام علي ومن سلالة الحشاشين في جبل الموت ورئيسهم حسن بن الصباح المعروف باسم شيخ الجبل وأنصار سموكم هم اسيا طائفة من الطوائف الاسلامية ولكن المبادئ التي تسربت اليهم اليوم انتهكت حرمة المذاهب الاسلامية الجوهرية وقد جاء هذا من الاختلاط القديم بالطوائف التي أشرنا اليها لأن المعروف أن شيوخ الجبل يعترفون جهارا بأنهم من أدق المحافظين على المبادئ الاسلامية ولكنهم في الواقع اعداءها في الباطن . ومن البديهي أن الذين الاسلامي يقضى على معتقده أن يعتقدوا به واحد ويؤدون ما فرض عليهم من صوم وصلاة وحج . فكيف يستطيع أنصار سموكم أن يعملوا بلوصية الأولى الهامة في حين أن مرسلهم الذين يتقاضون أجرهم من خزائنكم والذين يعملون بلشاداتكم ينادون في كل جمعية (دار العبادة) في الناس بأن سموكم الله التقدير الذي يجب أن تقم اليه وحده كل عبادة وصلاة

والواقع أن ما ينادى به وعاطفكم يعمل به أنصاركم فيقتضون صلاتهم الى شخص سموكم بصفتكم الله الأعلى . أما فيما يتعلق بالقرآن الكريم فان سموكم لا يستطيع أن ينكر بأن اليهود الذين تقدموا في قضية (هجي بيبي) وهم من أنصاركم جعلوا بأن لاشأن لهم بالقرآن وقرئ ذلك فقد نصحتكم سموكم أنصاركم باتباع تعاليم (ميرسرودين) وهي تعاليم تشير بصرح العبارة لأنصاركم أن القرآن لم يوضع لهم . وهناك أيضا فرمان الذي وجهتموه الى أنصاركم منذ بضع سنين وخوله أن القرآن الحالي ليس صحيحا

وزكاة الاسلام التي هي هبة اختيارية قنرها ٢ ونصف في المئة من الدخل تعطى حسب أوامر القرآن صلوة للقراء والمعوذين وأبناء السبيل وغيرهم ولكن اخواننا القراء يرغمون على أن يعطوا نصف دخلهم لله في شخص سموكم وهذه الجبايات تدفع قدا وعينا ويدفع أهل كراتشي وحدهم (٢٠٠٠٠٠) روية

ناهيك بالبلدان الأخرى التي تدفع مثل هذا المبلغ . وهذا معناه أن الجزء الأكبر من الأموال التي حصل عليها أنصاركم يهرب جيئهم تدفع بانتظام لصد نفقات سموكم الشخصية . ويضاف إلى هذه الاعانات المنظمة ما تستولون عليه سموكم في كل زيارة من الأموال والحلى وغيرها من الهبات القيمة وقد تكرر من سنة ١٩٢٠ فزرم أنصاركم في كراتشي وحلتم معكم خمسة عشر (لكا) من الرويات بعد إقامة لم تستغرق (٢٩) يوما ولما عدتم سموكم إلى كراتشي بذلك بملين لمقابلة ولي عهد إنجلترا دفع اخواننا لكم المبلغ عن ١٥٤٠٠٠ رويية مع أن سموكم لم تمكنوا معهم أكثر من ساعتين . ولا تغال سموكم بجهلون أن العالم اليوم يعتمد على المال فإذا كانت الأموال تنز من طاعتكم بهذه الحيلة فكيف تنتظرون منها أن تثبت في وجه منافسات الطوائف الأخرى أو كيف تستطيع السير مع ما يقتضيه الزمن من الرقي والتقدم

أما فيما يتعلق بغير معنى الصوم والحج فلسنا في حاجة إلى القول بأن أنصاركم لا يقومون بهاتين الفريضتين وإنا إزاء الأبتزاز للمستمر ونضوب الموارد الاقتصادية للطائفة نود أن نسأل سموكم عن التدابير التي اتخذتموها لاعلاء شأن الطائفة ورفقها وهل لكم أن تجربونا عن البالغ التي تنفقونها في سبيل التعليم وإعانة الفقراء وهي المبالغ التي ابتزت من أفراد الطائفة وهل لكم أن ندلوها على قرية واحدة أو مكان شديد في جامعة أو مدرسة عالية أو مستشفى أو ملجأ لاعلاء شأن طاعتكم وترقية شؤونها الفكرية والجسدية والروحية وهل يجد أبناء أنصاركم الذين يرغبون في ترقية مداركهم من سموكم ما يساعدكم على الالتحاق بأي معهد علمي في العالم .

أما للدارس الوحيدة التي توجد هنا فلا تخرج عن مدارس ابتدائية تقوم الطائفة نفسها بد نفقاتها وفي هذه المدارس لا يتلقى الأطفال التصام من التعاليم إلا ذلك المذهب للروع الذي يعلمهم أن سموكم هو الإله القدير الذي يجب أن تقم إليه كل عبادة وقربان . أنكم تطلقون على أنصاركم وتدعوهم باسم أولادكم ولكن هل خطر ببالكم أن تقوموا بولايكم لأبوي بما يكفل لهم حاجتهم في الحياة . ألم يؤنكم ضميركم وأتم ترفلون في حلل السعادة والمناة في أوروبا فأنتم أنفسكم عما إذا كان أطفالكم الذين خلفتموهم وراءكم في بلادكم ليسهم ما يصد الرقي . وهل تحوّل أفكاركم وأتم تعيشون علما بعد علم في قصور شائعة بالبلدان الأجنبية فذكرتم أولادكم وقدمتم إليهم ما هم في حاجة إليه من مأوى . ألم يخطر ببالكم وأتم تبعثون الملايين من الجنيتات في ميادين السباق بالبلدان الأجنبية وتنفقون عن سعة لسيانة الجياد وتكاليفها . إن الأموال التي تبعثونها ذات الميئين وذات الشلهي من دماء أولادكم وأنها السبب في ما هم فيه من الفقر المدقع والشقاء قد ساعدكم الحظ وحلتم من العلوم والمعارف على قسط يساعدكم على معايشة أرق الهياث ولكن أليس من نكبات الدهر أنكم تستخدمون هذه اللميزات نفسها بمهارة وحقق لحرمان أولادكم من العلم لكي تحبلوهم دائما يتخبطون في دياجير الجهل . إنا نتأشد سموكم أن تبرؤوا دعواكم بأنكم الرئيس الروسي لالوف من أتباعكم بعمل ما يخفف عنهم عب الجهل ويرفعهم إلى مستوى أعلى . ولما كنتم الرئيس الروسي لطاقتنا . ولما كنتم تدعون أنكم من سلالة التي نفسه فهل لنا أن نسألكم عما تصنونه لاعلاء شأن الاسلام في أوروبا حيث تقضون معظم حياتكم هناك . وهل لنا أن نعرف هل تقفون محاضرات عما في الاسلام من مبادئ سامية . وهل تبرؤون مركزكم الذي تشاؤون بما تقدمونه من المثل الأعلى في حياتكم وإذا كنتم لاتصلون شيئا من ذلك فهل لنا أن نسألكم عن الغاية من اقلتمكم الثلاثة في أوروبا ببسدا عن أنصاركم . وهل السبب الوحيد في ذلك ولوعكم بميادين السباق وما في أوروبا من ملاهي ومسررات ومع أن سموكم لم تؤسسوا معهدا علميا أو طيبا لتثقيف عقول الطائفة إلا أنكم قطعتم خطوة واحدة لتخفوها دليلا على اهتمامكم الشخصي بشؤونها فأنستم مجلسا غايه الظاهرة ادلة شؤون طاعتكم ولكن الواقين على بواطن الامور لا يسعهم إلا القول بأن الغاية الحقيقية من هذه المجالس إنما هو القبض بيد من

حديد على زمام الطاقة . ولا أدل على ذلك من أنه لا يجوز لهذه المجالس أن تدخل تعديلا إلا بموافقة سموكم كما أن لكم السلطة الوحيدة في تعيين وإقالة أعضاء هذه المجالس الذين لا يسعهم في هذه الحالة إلا أن يكونوا معبرين عن رأى سيدهم طائعين له طاعة عمياء . - وبعد أن أشار للواقعين على الخطاب إلى الأوامر القاسية والقوانين المجحفة التي يخضعون لها ومنها حرمانهم من أن تكون لهم علاقة بالمشيقيين على الطاقة سواء في أفراهم وأحرانهم قالوا ان الغرض من هذه المجالس والنوابين هو جعل الطاقة على الاعتقاد بألوهية سموكم وبذلك كل مجهود للقبض على زمام الطاقة روحيا وجسديا والمحافظة على الأموال والطائفة التي تحصلون سموكم عليها بهذه الطريقة

وفي الختام نلتصم من سموكم بالخارج أن تأمروا بإدخال التغييرات التالية إذا لم تكن لديكم رغبة أو سلطة للقيام بعمل صريح يعود بالنفع على طائفتكم

(١) أن تتنازلوا وتتصلوا من جميع الألقاب المقدسة التي تطلق عليكم . وهي في الواقع من حق الله القدير وحده

(٢) أن تقبلوا (الجمعية خانات) إلى المساجد التي تضح فيها وحدها إقامة الصلاة

(٣) أن تضعوا الوسائل اللازمة لكي يتلقى جميع أنصار سموكم التعاليم الإسلامية

(٤) أن تمنعوا معنا بانا وترضوا جميع الهبات سواء كانت نقدا أو عينيا

(٥) أن تتكرموا بالقاء المجالس والقوانين الداء تماما . ونلفت نظر سموكم بكل احترام إلى أن هذه الأمور من حق الطاقة التي لها وحدها حق حكمها بنفسها وإدارة شؤونها . فإذا فضلت سموكم فقبلتم طلباتنا هذه فائنا نكون مقتبطين أشد اغتباط . وتقبل يا صاحب السموات احترامات خدامكم المخلصين اه

(جوهره في أديان القدماء)

ولما كتبت هذا المقال حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يتحدثني في مواضيع هذا الكتاب . قال أنا أعجب لأهم الاسلام كيف يظهر فيها أمثال هذا وكيف يزعم قوم منهم أن الانسان إله . فقلت إن هذا فرع امتد من ديانات القدماء ودخل في دين الاسلام وقد حل بالاسلام ودخل فيه مائل بالديانات السابقة ولكن الاسلام لمئاته وقوته قد فعل تلك الضلالات ما يفعله البحر بما يرمى فيه من جيف الحيوانات . فقال هذا اجال ونحن يعوزنا التفصيل بالدليل من التاريخ . فقلت قد بحث العلماء في عصرنا عن أصل كل دين من أديان القدماء كالبراهمة في الهند وأتباع الديانة الهرمسية في مصر والوثنية في اليونان وهكذا النصرانية عند نشأتها . فهذه الديانات كلها بعد البحث عنها والتنقيب في آثارها وجد أن لكل منها (وجهين) وجه ظاهر وهو الرموز والطقوس . وجه باطن وهو للعبود الحق . خذ مثلاً كتاب (الفيدا) وهو المركب من أربعة أسفار المكتوب باللغة الفيدية وهو السفر المقدس عند الهنود وهو أقدم من كتب البراهمة فهو يقول إن الله واحد ويسمونه زيوس (الجوهر النقي غير المكشوف) وهذا في ديننا بمعنى (القدوس الباطن) ويصفونه بأنه القيوم بذاته الموجود في جميع الكائنات وكل كائن يستمد منه . ولقد ذكرت في غير هذا المكان شرح الفيلسوف المسمى (ماتو) الهندي لهذه الآية فقال (الكائن بنفسه الذي لا يمكن أن تصيبه الحواس المادية بل الروح فقط وهو المنزه عن الأجزاء المظورة أزل سرمدي روح الكائنات الذي لا يمكن العقل أن يدركه على ما هو عليه) ولزال هذا الدين على بساطته وسهولته كالاسلام في الصور الأولى حتى نشأ البراهمة والكهنة وتألفت مرانهم ونحوا أنفسهم بالاطلاع على الحقائق العلمية ودراسة العلوم الطبيعية والرياضيات ومرتاخي النفوس بحيث يملكون الجنبات والغرائب أمام شعوبهم فوجدوا أنهم بذلك أعلى وأسمى من تأصيلهم فاتهزوا القرص ليأتمسوا الأيصار بلمس الحقائق حتى يقتسمهم الشعب فأخذوا يأمر ونهيم بذي الحيوانات

وانتقلت منهم هذه العادة الى المصريين والعبرانيين . وكان النسك قبل ظهور أولئك البراهمة والكهان ينقسمون الى النسك والعبادة و يفسرون لتلاميذهم غوامض أسفار (التيدا) وما فيها من التعليم السرى ويدرسون لهم قوى الطبيعة العامة التى تظهر اليوم بعض أسرارها على أيدي بعض نساك من الهند ومن على شاكلتهم عن سأتكم عنهم فى سورة الاسراء عند مسألة الروح . إن هذه العلوم التى كشفها القوم كانت فى أقدم العصور بابا من ابواب السعادة وبقى النوع الانسانى ودام الأمر على ذلك قرونا وقرونا ولكن اطلب لم يكونوا كالكلف فان البراهمة الذين جاؤا أخيرا بعد الأولين جعلوا هذه القوى التى كسبوها ذريعة لاستعباد العامة واستخدمهم فى شهواتهم فاحتط الشعب الهندى . إن هؤلاء جعلوا ما كان سلبا للرق الانسانى سببا لملوهم هم واحتطوا شعوبهم وذلم واستعبادهم وقد ابتدع هؤلاء البراهمة (التثليث) ولقد ثبت كما قلنا أن دينهم القديم لبث أحقابا وأحقابا وهو دين توحيد لا شرك فيه . ولما طال عليهم الأمد قالوا إن هذا العالم الذى نعيش فيه مركب من (ثلاثة جواهر) جوهر زاه وهو المادة وجوهران لازما هما العقل والنفس . وهذه الثلاثة حاصلة فى الانسان فله جسم وعقل ونفس فالعقل به التدبير والنفس بها الحياة وهذه الثلاثة احدى . فهنا تثلث وتوحيد . ويجعل بعضهم بدل النفس الجسم الأثيرى اللطيف لأن النفس تدبره فهذا الجسم الظاهرى له نظير لطيف يبقى بعد الموت وما لكون كله إلا روح دائمة الابق وما الحياة إلا عبارة عن ترقى ذلك الروح وبالمادة إلا رمز تلك الروح وصورتها المتغيرة وبما الانسان إلا عالم صغير أشبه العالم الكبير فهو يترقى ويرجع الى الله الذى هو الموجد لهذه الكائنات

ولما أخذوا يبحثون فى الله قالوا ان دياننا البرهية مؤسسة على التثليث أى تثلث (برهم) أى الجوهر الأزلى المزمع عن المادة الذى منه صدرت الأقسام الثلاثة وهى (براهما) و (فيشنو) و (سيفا) فهذه صفات برهم الثلاثة فبراهما (الخلاق) وفيشنو (الحفيظ) وسيفا (التحول والتغير) هذه هى الصفات الثلاث لبرهم فهو خالق وهو حافظ خلقه وهو محوّل هذه الخلائق من حال الى حال وهو على ذاك دائما يخلق ويحفظ ما خلق الى أجل ثم يحوّل تلك الخلوقات على سنن دائم فهو ذو أقانيم (صفات ثلاث) وهو واحد فهو ثلاثة من وجه واحد من وجه كما أن هذا العالم ثلاثة من وجه واحد من وجه . وهكذا الانسان الذى روحه شعاع من الله عندهم ثلاثة من وجه واحد من وجه وهذا الانسان يسير فى العوالم المحسوسة والعوالم الفيزية أجيالا وأجيالا ثم يرجع الى ربه ثم توسعوا فى ذلك فجعلوا الشعب الهندى ثلاث طبقات وحدوا الله سرا وأظهروا التثليث للأمة وأتوا بطقوس مذابة وأحاديث وهمية وحكايات خرافية وسلبوا الشعب قواه العقلية فاحتط بما انحطاط هنالك ظهر (خريستا) أو (خريستوس) ٤٨٠٠ ق م ومعناها المسيح وقد تقطعت تعاليمه فى سورة آل عمران ومن قوله (إذا انحلت الجسم بالموت فان كانت الحكمة متغلبة على النفس نظير الى تلك الأقطار العلوية التى يمان فيها الأتقياء لله ويدركونه وان كان الهوى متملكا بسلطانها يدخلها الله فى عوالم تناسبها وتلائق جزاءها فى أسفل سافلين)

والسر الأعظم عنده أن من رام بلوغ الكمال فعليه أن يكتب علم الوحدة التى هى أجل من الحكمة فيستألى الى الموجود الأسمى الذى هو فوق النفس والفهم وهو مع كل نفس . إن فى باطنك نورا إلهيا ولكن قل من يكشف هذا النور فى قلبه فطوبى لمن يضحى شهواه للموجود الأزل الذى نشأت منه مصادر الأشياء كلها وبه كان العالم بهذا المضحى يجد فى ذاته سعادته وفرحه . إن النفس التى وجدت الله تعاق من الموت والشيوخوخة والألم وتشرّب من ماء الخلود اه

وقال فى الأخلاق (ليعلم الصديق أن ما يجب تفضيله على كل شئ احترام النفس وحسب القرب فلاغية ولا خداع ولا نعمة . وتلك عينه أبدا مبسوطة للموزين ولا يتخزن قط بحسناته وليحذر من حياته كلها

من إبداء أحد بوجه من الوجوه فإن من حجابة القريب وإسعافه تنشأ الفضائل التي هي أكثر قبولاً عند الرب جلّ وعلا اهـ

هذه هي تعاليم (خرستا) المتمدلينهم . ولما تقدم العهد على هذا الدين ألحقوا به أيضاً أحاديث مضحكة خرافية ورتبوا طقوساً مرسحة لأجل أن يبقى الشعب على الجهالة وملؤا البلاد بالأصنام وأحاطوها بانحرافات ليقى للكهنة السلطة على القلوب

ثم بعد ذلك بنحو أربعة آلاف سنة ظهر (بودا ساكياموني سودودانا) ابن ملك كايلا فاستو فرأى ما أحدثه البراهمة والكهنة من التغيير في المبادئ كما حصل قبل ظهور (خريستو) إذ اتفق الكهنة مع الأشراف على التسلط وهضم حقوق الضعفاء فكرهت قسه العظمة الدنيوية وشئت ملاذ الحياة فغادر بلاط أبيه وتوغل في الغابات الكثيفة وبعد سنين كثيرة رجع وله من العمر ٣٥ سنة وأخذ يبط كما وعظ كريستا فأبىد كتاب (الفيدا) وأخذ يزعزع دين البراهمة ويرفع الحواجز القائمة بين طبقات الأمة . وقد امتدت هذه الديانة في الصين واليابان فضلاً عن الهند ويدين لها الآن ثلث النوع الانساني . ثم إن هذه البوذية لحقها مالحق الفيدا أولاً ودين خرستا ثانياً من محوم الأوهام والأحاديث الخرافية فتولدت تعاليم بودا وقامت مقامها القرابين والأعمال الصيبانية حتى إن بعض كهنة البوذيين اخترعوا آلة تنشر من قسها في أوقات معينة تسيبحات الصلاة على حسب طلب المؤمنين بشرط أن يدفع قدراً من المال . ولقد بدت البوذية اليوم عن مؤسس بودا كما بدت للمسيحية عن مؤسسها الناصري . وأخفت عادة الأصنام تنشر في طول البلاد وعرضها حتى أنك لترى الهند والصين واليابان ملاءى بالأصنام . وفي هذه الأدوار الثلاثة كان رؤساء الدين في كل الصور يرفون وحدة الله ويكتمونها . قال (كولوكا) الهندي وهومن أشهر مفسري أسفار (الفيدا) وهو ذو مقام عظيم سلم جداً عند الشعب الهندي مانسه

(إن المؤمنين القدما مع أنهم جعلوا قوى الطبيعة آلهة متعددة لم يكونوا يستقنون إلا إلها واحداً مبدع الكائنات أزيلا غير هبولى حاضراً في كل مكان منزهاً عن كل كدر وهم وهو الحق بالذات ومنبع كل عدل وحكمة للدبر لكل شئ والمرتب نظام العالم لاشكل له ولاصورة ولاحد ولانسبة) اهـ

(دين النصرانية)

وأما دين النصرانية فإنه قد قطن في نايأ هذا التفسير مثل مريم في سورة البقرة وآل عمران وأواخر المائة وغيرها وقد أخذوا أقانيم الهند الثلاثة وشوّهوها وقالوا ثلاثة وواحد حذوا القذة بالقذة

(دين الاسلام)

هناك حدث في الانسانية أمر جديد . اعلم أيها النبي أن الله يعلم ضعف الانسانية وأنه كلما نزل دين سرف الناس في الأرض على مقتضى جبلاتهم . وممثل الهيئات إلا كاء المطر ينزل من السماء فيختلط بنبات الأرض ويصبح في الحنظل حنظلاً وفي النخل نخل وفي البربراً وهكذا . ذلك أن أرضنا التي نسكنها ليست من أعلى العوالم بل يظهر لها من عوالم متأخرة . أفطر الله ما قد في سورة الرعد مما ورد في الحديث (أن الله خلق شجرة يسير في ظلها الراكب مائة عام) وهذه يراد بها فتح باب البحث في العوالم المحيطة بنا فقد أظهر الكشف الحديث أن أرضنا وشمسنا بالنسبة للكواكب التي نراها لا شئ . اقرأ ما تقدم في سورة آل عمران وغيرها من أن القوم كشفوا عوالم يصح أن تخلق فيها أمثال هذه الشجرة وما هو أعظم منها . ولما كان نور الله يشمل العوالم كلها نزل منه شعاع إلى الأرض وهو العلم والدين فأخذ الناس ينزلون الحقائق على مقتضى قسهم في الأرض . هنالك جاء الاسلام خلّ قيود الوثنية وهو الذي عتلت التعاليم للمسيحية وبسببه انحلت الروابط والعوائق التي حبست عقول الآدريين كما قطن في سورة التوبة فانك تجد

هناك ما فعله البابوات ورؤساء الدين من قتل النفوس وحق الأبرياء وظلم اللوك والسوقة فظهر أولئك الكتاب مثل (روسو) و (فولتير) وقبلهما (لوتر) فزعزعوا صروح الأكاذيب في السياسة وفي الدين وتناقص بالتدريج بيع الغفران والتسلط على العقول . كل هذا بدين الاسلام كما هو منقول هناك عن نفس النصارى الذين أسلموا

﴿ أم الاسلام للتأخرة ﴾

اعلم أن الأم الاسلامية للتأخرة اعترافا ما اعترى الأم قبلها حنو القنعة بالقنعة ولكن بأشكال أخرى فهذا الدين الذى دفع المسلمين الى الانتشار فى الأرض شرقا وغربا فى قرنين اثنين وحوز علوم الأم فى قرنين أيضا أخذت البدع والمخرفات تنتشر بين أهله حتى انحطوا كما انحطت النصارى قبلهم والبودية من قبل الطاقتين . ولقد دخل الاعتقاد بألوهية أفراد من النوع الانسانى كما حصل زمن سيدنا على كرم الله وجهه إذ أعلن جماعة أنهم يعبدونه إلها فقام هو فخار بهم وأخذت هذه الفكرة بعد اقتراسهم تظهر حيناً بعد حين ومن قرأ كتاب (الملل والنحل) للشهرستانى يهيج كيف يكون فى أمتنا من المخرفات والدسائس الخفية للسفالة التى ترى الى التسلط على عقول المسلمين ما يضارع ما فعله النصارى والبوديون قبلهم وكذلك كتاب (الفرق بين الفرق) واذتركنا أصحاب تلك القرون جانباً وأخذنا فى دراسة أهل السنة والشيعه المعتدلين رأينا أمورا محزنة . اننا وان لم نعبد الأصنام التى تقيد العقل وتوقف النهن قد وقفت عقولنا على بعض القشور الدينية وتركنا الحقائق وجوهر العلوم والدين فرجعنا القهقرى وأخذت الأم حولنا تمخرنا فليحنا بأمة الهند القديمة . إذن نحن المسلمين جئنا الى الأرض وبسبب تعالينا أعتقت أوروبا واليابان وأمريكا لأنهم تخلصوا من تعاليم رؤساء دينهم وأصبحوا أسورا يسجدون فى الدنيا بنم ربهم . أما نحن الذين انتشر على يدنا عتق الأم من النبل فانا وضعنا أغلام القديمة فى أعناقنا . فهم يعلمنا أعتقوا ونحن ببهملم تمسكنا فكان ذلنا وأصبحنا فى سجن وفى عذاب المون . فلما سمع ذلك صاحبى قال هذا حسن ولكن هل هذه الآراء يعرفها علماء أوروبا مثلاً . قلت ألم أقل لك ان هذا منقول عنهم وان شئت فارجع الى ما تقدم فى سورة التوبة . فقال قد تقدم أنك قلت ان الروح شعاع من الله وهل أنت توافق على هذا . فقلت أما أنا فأنى لا أوافق على هذه الكلمة للوهمة وأن الذى أعتقده اعتقادا حقا أن الروح أمر الى الآن لم يعرفه أحد . ومن عجب أن علماء الأرواح قالوا هذا القول بعينه . فمل الأرواح المنتشر الآن يقول كما جاء فى نص القرآن ان أمر الروح مجهول أما كونها شعاعا من الله فهو فيه معنى الوثنية لأن الله لا يرى ولا شعاع له ينظر لنا لانه لا يرى البتة إلا اذا أصبحنا فى عوالم أخرى كما تقدم فى سورة الأنفال فى أوائلها . قال أنت قلت عنهم أن العالم عندهم مركب من (ثلاث) مادة ونفس وروح . فما معنى هذا . قلت لا احب الاطالة فى ذلك ولكن القوم رأوا أن الانسان أشبه بالعالم الكبير . فكما أن الانسان مركب من جسم ونفس وعقل . هكذا هذا العالم وهذا جاء عندهم بقياس التخييل . وإذا كان هذا ليس راجعا إلا للعالم فهو أمر على يحتاج للبحث فأما الأقاليم الثلاثة التى ترجع لخالق العالم التى قالها المنيود وتبعمهم للمسيحيون فان الاسلام أقول من هدمها وهكذا علم الأرواح قد سخر منها وانظر هذا المقاتل فى سورة التوبة فى مشاهدات (عمانويل) إذ قال ان للمسيحيين حين يموتون يحشون عن الآلهة الثلاثة فلا يجدون غير واحد . فانظر كيف ذكر هناك أن للمسيحيين معظون معذبون وهو من خواصهم . فقال لقد جاء فى هذه الآيات من آخر سورة ابراهيم ست مسائل (١) اضلال الأصنام (٢) واقامة الصلاة (٣) وقوله . مهطعين مقفى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم - (٤) - وأقتدسهم هواه - (٥) وكون الجرمين مقرنين فى الأصفاذ (٦) وكون - سرايهم من قطران ونفسي وجوههم النار - فأرجو ايضاح هذا المقام . فقلت أما اضلال الأصنام فقد شرحتة الآن فى هذا

المقام . فقال نعم حسي . فقلت وأما إقامة الصلاة فإني أن الصلاة قائم لذكر الله . ولا جرم أن الله عز وجل هو المدير للعالم الذي ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم وكل شيء يسبح بحمده فعبادة الأصنام تعبس النفس على شيء خاص . أما الصلاة فلخصها أن الانسان يحمد رب العالم كلها ويطلب منه الهداية ومن قرأ هذا التفسير أدرك أن الصلاة كتاب يقرأ كل وقت ليذكر الناس بالعبادة العامة وذكر الله عند كل حجر وشجر وهذا قوله تعالى - فأين أتولوا فتم وجه الله - فالمسلمون بعدنا سيعلمون أن القلة ﴿ قلائن ﴾ قبله الصلاة لعموم المسلمين لتحفظ وحدتهم وتذكرهم بربهم وهي السكينة . والقلة الثانية هي هذا الوجود كله فيتفكر المسلم قلبه في جلال الزهر والنجم والشجر والبحر والجبل . وسيعلم المسلمون أنهم إذا صلوا وانتشروا في الأرض إنما ينتنون من فضل الله معاشهم وعلومهم في هذه العوالم المشاهدة . فهؤلاء هم الذين على صلاتهم دأبون . إن من قرأ هذا التفسير يرى ويعلم حق العلم أن المؤمن كل المؤمن من يأخذ به هذا الوجود ويعرف الحكم العجيبة فهذا لآلهية تجارة ولا يبيع عن ذكر الله . وكيف يلهي ذلك وهو أينما توجه فإنه يرى بهجة وجمالا في البر والبحر والشجر والحجر والماء تذكره بربه وهذا هو القرب . وأي سعادة أرفع من هذه . يكون للمسلم في حقله ويحده في الشجر جلال ربه ومستحيل أن يكون هذا إلا بالعلوم كما بيناه آنفا . إن المسلم في الأعصر التي بعدنا إذا قرأ قصة سيدنا موسى وأنه سار بأهله في جهة طور سيناء وقد فارق شعبا وأخذ زوجته معه وأنس نارا - فقال لأهله امكثوا إلى آتت نارا الخ -

سيعبد المسلم بعدنا أن هذه القصة أنزلت لتعاليننا . يقول الله لنا إن موسى كان عند شعيب ولاكنه لما سافر أخذ شجته بقلبه إلى مطالبه ولم يمنعه الاهتمام بزوجه إذ جاء لها الخاض من أن يكون قلبه متعلقا بالوجهة الإلهية فرأى النار تشتعل في شجرة الطيق ونودي ياموسى إلى أنا ربك فهو يريد قبسا من النار لينفذ زوجته المسكنة الفريدة وقلبه يريد نورا إلهيا فرأى النور الإلهي . هكذا يكون المسلم بعدا يدرس الوجود كله من علم الطبيعة والتلك . فهذا كله للامور الدنيوية وهو نفسه لمرة الله تعالى بل للانسان به بل السعادة والبهجة والحبور . أضاء النور في شجرة الطيق أمام موسى عليه السلام . وهكذا نور العلم والمعرفة يشرق في كل شجر وكوكب وحجر وبحر وير هذا هو الذي سيفهمه المسلمون بعدا فتكون العلوم كلها للدنيا والأخرى فأنه تجل فيها والحياة الدنيا بها . إذن يطارد المسلمون طيرين بحجر واحد وهذا قوله تعالى - وآتيناه أجره في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين - فهذا هو العمل المزدوج الذي جمع الدنيا والدين معا وقد تكفل به القرآن وظهر في أمثل هذا التفسير . وأما كونهم - مهطعين مقنن رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفتدنتهم هوا - فهذا نظير ما كانوا عليه في الدنيا فإن أكثر الناس في الدنيا تأسروهم للمادة ويستحوذ عليهم النهم والهم والحزن على ما فاتهم أو الفخر بما آتاهم . فأما أجسامهم ففي نصب وتعب . وأما عقولهم فهي غاوية من العلم والحياة الجلية . وهذا شأن كثير من نوع الانسان . إن منه الشرّحزع . وإن منه الخير منع فالطافتان في ذل وهوان من جزع وحوص . وأما كون المجرمين مرتين في الأصغاد فهذا أيضا ما كان حاصله لهم في الدنيا فإن أكثر الناس مصفدون الآن في شهواتهم وعداوتهم وجشعهم وحوصهم وطمعهم قد ملك عليهم سمهم وأبصرهم تراء قد غابت عك جميع قواه العقلية لشهوة أولطمع أولخذ أو نحوها . فهذه أصغاد أشد ألف مرة من الأصغاد المحسوسة . إن الناس مصفدون وهم لا يعلمون ولا يشعرون . ومن أكثر مصائب هذا الانسان أنه مسجون ولا يعلم أنه مسجون . محقور ولا يعلم أنه محقور . ذلك بسبب الجهل العام فجاءت البيانات قشت فيها الخرافات والأوهام أيضا . وأما كون - سرايلهم من قطران وتفشى وجوههم النار - فهذا اشتق مما هو حاصل في الدنيا كسوابقه لأن اشتعال نار العدوات وقطران الغيوم لأجل الحسد والخذل وما ذا كلها والاطماع التي لا سبب لها إلا الجهل هو قسه الذي ينقلب نارا تظلي في القلوب

إذا عرفت هذا فهت قوله تعالى بعد ذلك كله - ليجزى الله كل نفس ما كسبت - .. هذا هو المعنى بحسب عقولنا نحن في الأرض فلم تكن السرايل من القطران ولا النار المنسية للوجوه ولا الأصم فادولا الأغلال إلا نفس ما كانوا عليه في الدنيا قد اقلب بهن الصورة فم مصفون لأن محترقون بنيران ليل ونهارا وهم لا يشعرون . ولقد ورد في بعض الآثار أن المنكبرين يخلقون يوم القيامة كالقتر تلوهم الأقدام . فلنكبر واحترار الناس والافتراء عنهم بالقلب هو الذي اقلب في الآخرة إلى صورة الحشرة التي لا يأنفها الناس ولا تألفهم بل يدوسونها بأقدامهم بل جاء في كتاب ﴿ الحسبة في الاسلام ﴾ ما منه

وفي الحديث ﴿ يحشر الجبارون والمنكبرون على صور القتر يطوهم الناس بأرجلهم ﴾ في صفحة ٢٧٠ طبع عيسى بن ربيع من أهالي نجد

فقال صاحبي ماذا تقول في قوله تعالى - يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها - . قلت له إن الناس في الدنيا يطلبون الخير ولكن الخير قسه عليهم كمثل دودة الحرير تفتله ثم تموت فيه تريد أن تخرج فلا تقدر . قال أوضح هذا المقام . قلت إن هذا يوضح جسم الانسان الذي هو كتاب مفتوح . قال وكيف ذلك . قلت له ﴿ ثلاث طبقات ﴾ وهي الرأس والصدر والبطن . وفيها (١) العقل (٢) الناب (٣) البطن والفرج . ولكل من هذه الثلاثة فضائل وذائل قد تفقمت في سورة آل عمران عند قوله تعالى - هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء - فلهوة العاقلة ذائل كالخنق والسفه وبقوة الغضب السلطة على دم القلب بالفلان يحصل الغضب . واللهم والحمد وهكذا واللهوة للسلطة على البطن وأفرج ذائل مثل الحرص والادخار وهكذا . إن الانسان يملك المال فيملكه المال إذ يطمع في غيره ويحرص عليه فما مثله إلا كمثل السمك يود أن يدخل في الحوض الذي بجانب البحر المملع ليعيد حتى إذا دخله لم يقدر على التخلص منه فالانسان يتعاطى الطعام لبقائه وشهوة الفرج ليبقى له نسل بعد موته يحمل صورته التي هي ظل لوجوده وبقوة الغضب المهيجة للدم الذي يديره القلب يدافع المدو الداخلي في أمته والخارجي عنها بحافظة على شخصه بالأولى وعلى أمته بالثانية وقواه العاقلة تدبر الأمور كلها الشهوية والغضبية . فقال صاحبي إذا جعلت هذه الشهوات كلها أغلالا وأصفاذا فأين أصفاد العقل وما الذي وقع فيه المسلمون منها . قلت إن أصفاد العقل أصعب مراسا وأقوى وأشد . قال أوضح ما تقول وأرجو أن توجزه . فقلت إن المسلمين أقرب إلى الفضائل وأبعد عن الرذائل وما أوقعهم في الذل إلا أصفاد العقل وأغلاله . ألا ترى أنهم عكفوا على قصور العلوم وتركوا مواهبهم . فترى الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية والامامية والزيدية والشيعة وجميع فرق المسلمين أصبحوا أسرى التقليد لأقوال الأئمة رضوان الله عليهم ولكنهم لا يتزحزحون عنها قيد أنملة . فقال أريد أن يترك الناس للذهاب . إن هذا يناقض كل هذا التفسير . قلت كلا ثم كلا بل أقول إن الأئمة رحمهم الله وكتب السلف والخلف بمثابة لبن الأم فإذا ترعرع الطفل وبلغ سن الطعام حتم عليه أن يأكل من نبات الأرض وحيوانها . فما مثل المسلمين مع أئمتهم ومشايخ طريقتهم إلا كمثل الأبناء مع أمهم فانهم راضعون لسن معلومة . فإذا بلغ الطفل منهم سن الرضاع فعلى مربيته أن تنمى الرضاعة . فإذا قرأ المسلمون للذهاب الشائعة في الاسلام أوقروا تقليد الصوفي أوراد شيخه اكتفى كل من هؤلاء هؤلاء أطفال رضع وهل الأئمة صرعوهم في هذه العلوم وهل أحد منهم قال إن هذا هو كل دين الاسلام . كلا ثم كلا وإنما هي أحكام لأمور تقع بين الناس وبعض الواجبات . أما بقية الدين فهو باق بحاله كالاعتبار بتاريخ الأمم والتذكير بأيام الله وجميع العلوم الملكية والطبيعية والأخلاقية فهذه هي الدين وهي متروكة . ألا ترى ما ذكرته لك من أن موسى نزل عليه الوحي بعد ما فارق شعبا . فقال نعم أنا كنت أريد أن أسألك عن هذا . قلت إن هذه

درس لنا كأن الله يقول لنا أيها المسلمون هذا نبي - أيده بالوحي ولم أنزل الوحي عليه إلا لما انفرد في طور سيناء فليس تحت نظر شعيب . هكذا لا يجوز لشيوخ الطرق ولا لعلماء الدين أن يهملوا الطالب أنه دائما محتاج اليهم بل لابد أن يطلقوا لهم الحرية فيرتقوا وعلى ذلك يجب أن تولف كتب جديدة في كل جيل وقبيل وأن تجعل الكتب القديمة مجرد المراجعة وعلى المسلمين في أقطار الاسلام أن يكون لهم مجلس عام يتبادلون فيه الآراء وهذا المجلس يكون أهله مطلعين على سائر العلوم كرجال أوروبا ويدهم شهادات عالية فهولاء هم الذين ينظرون في نفس المذاهب وفي طرق الصوفية وغيرها . هذا هو الذي به تكسر الأغلال من أعناق المسلمين وتفك الأصافد عنهم ويخرجون من نار الذل وعذاب الجهل . هذا مافتح الله به والحمد لله رب العالمين . انتهى

﴿ الجوهرة الثالثة في قوله تعالى أيضا - واجتنبوا ما بني أن تعبد الأصنام * رب انهم أضلأن كثيرا من الناس الخ - ﴾

يدعو ابراهيم الخليل ربه أن يجنبه عبادة الأصنام لأنها أضلت كثيرا من الناس . عبادة الأصنام مبغضة لماذا . لأنها تقل كثيرا من الناس . إذن الضلال هو الذي يجنب وكل ماسب الضلال فهو مبغض . إذن دين الله يجب أن يجنب فيه كل مايورث الضلال . إن الأصنام قد تقم الكلام عليها في قوله تعالى - فاليوم نتجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية - فقد جاء هناك ذكر الاهرام الثلاثة بمصر لأنها بنيت مقابر وعرة للمسالك ضيقة الطرق لتقي الجثث وتكون آية للناس . فمن آيات الله في الاهرام اننا نلاحظ أنهم كانوا يرسمونها على الأحجار ومما نجم الشجرى المقدس عندهم للتبرك بها ويضعون هذا وهذا مع البيت إن عبادة الأصنام فيها الضلال من وجهين وجه على ووجه اجتماعي . أما الوجه العلمى فان عابد الصم يترك جمال الوجود ولا يرى كالا إلا في معبوده . وهذا حصر للفكر الذي خلق قابلا لكل كمال . فأما الوجه الاجتماعى فان السنة والقائمين بأمر الصم وماحوله يكون التقديس راجعا اليهم محصورا فيهم كأنهم خلفاء وهذا يقمدهم الشعب عن للمالى كما اتفق لقضاء المصريين الذين كان العلم غالبا محصورا في كهنتهم والشعب كان خاضعا وزملا الحكم بأيدى هؤلاء القادة فالوجه الأول حصر العلم والوجه الثانى حصر القيادة في طائفة خاصة . أما الاسلام فقد جاء ليشوع العلم ويكون القواد حسب الاستعداد . ولما كان ديننا دين علم كان أول منازل قوله تعالى - اقرأ باسم ربك الخ - لتلك شرع ﷺ يأمر بتعليم القراءة والكتابة بعد أيام الهجرة أيها المسلمون لم تفعلوا ما فعل نبينا ﷺ هو أراد تعميم التعليم ولكن أتم لم تفعلوا وهو أرسل رجة للعالمين ولما انتقلت الفكرة الى أوروبا فأعموا ما ابتدأه المسلمون وعمموا التعليم اجباريا . أفليس من الضلال ترك الشعوب الاسلامية بلا تعميم تعليم . أليس أيها المسلمون ترك تعميم التعليم ضلالا كالضلال الناتج من عبادة الأصنام . رحماك اللهم ما عرف المسلمون قدر الاسلام ولا قدر القرآن

أيها المسلمون . أيها الامامية . أيها الزيدية . أيها الشيعة . أيها السنون . إلى اقرأ عليكم قوله تعالى - ولكن منكم من يدعو الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين فزقوا واختلفوا من بعد ما جعلهم البيئات وأولئك لهم عذاب عظيم * يوم يبيض وجوه وتسود وجوه فأما للذين اسودت وجوههم - الى قوله - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر الخ - يأمرنا أن تكون منا أمة يدعو الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم يقول لا تكونوا كالأمم التي فزقت ثم يهدنا بقوله - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر - أمرنا الله بأن تصف بهذا الكمال وأمرنا بالاحتراس من التفرق وبشرنا أننا سنكون متعفين بهذه الصفات التي هي صفات خير الأمم

وها أناذأ أنها للمسلمون أنظر في أمرنا . ها أناذأ في البلاد المصرية وجدت في القرن الرابع عشر وآخر ما قبله فوجدت الأمة متفرقة وإن قاربت ديارها متباعدة وإن اقرب دينها متشاكسة غير متجانسة وإن اتحدت دينها . ياليت شعري أما قرأتم هذه الآيات . أين الجماعة الأمرين بالعروف الناهون عن المنكر فيكم . أيها المسلمون أوليس من المألوف ولكل عاقل أن هذه الأمة اختصت في إيمانها هذه أن علماءها يجعل بعضهم بسنا وكتب الشيعة مجهولة عند أهل السنة والعكس بالعكس أمة متقاطعة . كان للسابقين عن في التقاطع لأمور حاصلة في زمانهم فأبى عنرنا الآن

أيها المسلمون . إن الزمان قد استدار واستيقظ أهل الصين واليابان شرقا واستيقظ أهل أوروبا غربا أم ودول وعمالات وأتم بينهم فواته لأن لم يبق فيكم حكماء وعلماء يجمعون شمل التعليم والتربية بينكم ليحصلنكم الله من أرضه حصدا وليذيقنكم العذاب الهون بما كنتم تجهلون

(حكاية مع العلامة (دولرد براون) الانجليزى)

حدثني العلامة (دولرد براون) الانجليزى المستشرق الشهير في أوائل القرن العشرين للمسيحى قال وكنت لى الحكومة الانجليزية أمر البحث في أمة الاسلام أيمكن اتفاهم أم هم يحكمون عليهم بالفرق والانحلال . قال فتوجهت الى بلاد الترك والفرس أيلم السلطان عبد المجيد وعاشرت طلبة الفرس وعلماءهم فرأيتهم يكرهون أهل السنة كراهة شديدة وسمعت تلميذا متصوفا يقول لقد حاربت بسيفي مع الروس ضد الترك وائى أفضل الروسى على التركى الكافر لأنه من أهل السنة . قال محنتى وأنا كنت موقنا أنه ما من دجلة مدة حياته لأنه جبان وانما الذى أخذته من كلامهم جميعا أن الاتحاد بين الأمتين مستحيل وكثرت تقريرا للحكومة الانجليزية بهذا . أما هؤلاء فإن العباوة قد ملكتهم وكيف يتذكرون حوادث مضى لها (١٣) قرنا قتل الحسين وكأمر الخلافة ويتكروا الروس يتفعلون في بلادهم هذا ما قاله لى ذلك العلامة . وها أناذأ أنصحكم جميعا فاذكر (أمرين) طرق التعليم في بلاد الاسلام

وبيان الأمة التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

(أ) ليكن التعليم في ديار الاسلام عاما بين الرجال والنساء والفقير . إن سبب انتشار التعليم العالم كله ديننا كما تقم من العباوة والجبن أن ينم به غيرنا ونعري منه نحن

(ب) ليكن مبدأ التعليم مماثلا لسير القرآن ومعنى هذا أن الرسول ﷺ ابتداء الدعوة بالسور للكية (١٣) سنة وكلها حث على النظر في الشمس والقمر والشجر والنهر وانسحاب والمطر والجبل والحجر والحجون وهكذا . كان الصحابة رضوان الله عليهم حين يسمعون هذا النوع من العلم ينظرون هذه المخلوقات بأنفسهم لأنهم أقرب الى الخلاه والجبال في أسفارهم وحضرهم أحسن الصور الجبلية من نبات وحيوان وكوكب في الكتب لتكون مشوقة لهم فلانكون قراءة بعض آى القرآن حفظا بلا عقل ولا فهم ولا هدى ولا نور . وبالجملة ليكن تعليم الناشئة شاملا لجمال الطبيعة كلها اجالا وللأخلاق بطريق القدوة الحسنة وقراءة الآيات وفي القرآن من النوع الأول (٧٥٠) ومن الثانى مثله

(ج) في غنى أن (٧٣) سنة كافية لتعليم المسلم كل ما يحتاج اليه . إن النبي ﷺ دعا (٧٣) سنة وكما كان يدعو أولا للعلوم والأخلاق وآخرا بعد الهجرة للنظام والاجتماع وحفظ الدولة . هكذا يكون تعليم الشبان فيكون في الصغر تشويق لهذا الجمال المحيط بنا في الأرض وفي السماء وفي آخر التعليم الاختصاص بفن من الفنون لمنفعة الأمة كهندسة أو زراعة أو تجارة أو سياسة أو فقه وهكذا . فلذا أضيف اليها (٧) سنين التى هى مدة الطفولة كان تمام التعليم في سن (٣٠) سنة

بهذا نكون مماثلين للأمم حولنا . انهم يقرؤن كل العلوم التى أمر بالنظر فيها القرآن . إن تلك

العلوم أساس لدينا خلافا لما كان يقوله النصارى أنها ضد الدين . هذا خطأ اليوم لأن الذي هو ضد الدين العلوم المشحونة بالكفر باب . أما علم الطبيعة والرياضة والفلك وما وراء الطبيعة فهي علوم القرآن فليتعلم المسلمون كما فعل الأمم التي خنت العلوم عنا فنحن أولى أن نقودهم لأنهم يقودونا (د) ليدرس القرآن بطريق مشوق بحيث يعرف الطالب خلاصة السور وخلاصة القرآن كله مع السهولة ثم سيرة النبي ﷺ وبجملته وصور أحكامه وأعماله وأعمال أصحابه ثم ينظر الطالب علم الفقه نظرا عاما مع ملاحظة خلاف الأئمة كيف اختلفوا في أهم المسائل ومن أى طرق اختلفوا ليكون ذلك تبراها به يهتدون في درس الحياة الدنيا التي نحن فيها

(هـ) هناك يتخرج في بلاد الاسلام من الشيعة والسنية رجال متبحرون في العلوم وفي الدنيا وهؤلاء

يكونون مجتهدين

(و) ثم ليتخذ كل قطر من أقطار الاسلام جماعة وهؤلاء جميعهم يجتمعون بمكة لينظروا في شؤون الأئمة كلها فهؤلاء هم الأئمة التي قال الله فيها - ولتكن منكم أئمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر - وهم هم الذين يمنعون الفرق بعلمهم وهم هم الذين تكون بهم الأئمة - خير أئمة أخرجت للناس - أما اليوم فاننا لسنا الأئمة التي هي - خير أئمة أخرجت للناس - والقرآن حق فلا بد من تحقيق مقصوده والعمل بأوامره وإواهيه

(ز) بهذا أيها المسلمون تكونون - خير أئمة أخرجت للناس - أما الآن فاسم متفرقون متناكسون مختلفون متابعون أئمة اليوم طحين الرعي يكنفكم من الشرق الصين واليابان ومن الغرب دول أوروبا ان لم تقوموا بما ذكرته لكم فأنتم أول منضعة يصفها الأوروبي والاسيوي

(ح) إن المتعلم على الشريعة التي يدينها لا يكون متعصبا لمذهبه بل يكون متعصبا لنفس الاسلام . الاسلام اليوم أكثر أهله جامدون وناجود تفرقوا وانحصرهم كل طائفة فيما قرأته من المذاهب فأنتم إذن متفرقون والله يقول - ولا تفرقوا -

أيها المسلمون . أئمة متفرقون إذن . أئمة مغالطون لكتاب الله . أئمة متقاطعون . إن أوروبا المسيحية متالفون مع اختلافهم . متاضدون مع تباعدهم . أما أئمة فلاأمر بالعكس . فالطائفة التي أشرت لها هي التي تجمعكم بعد التفرق . نعم قلمينا الوهابية الذين يملكون الحجاز ونجد الآن وهي وان أزالت الخرافات فقد وجب عليها أن تنظر في مثل ما نظرناه ألا وهي مناظر هذه الدنيا ومجانها

إن الوهابية برعوا في القسم السليبي من الاسلام واكتمهم لم يراسوا القسم الايجابي منه أي أنهم حصروا فهم فيما ذكره العلامة ابن تيمية وفاتهم أن العلم أوسع وأوسع . إن في القرآن (٧٥٠) آية تحت على النظر في علوم الأرض والسماء وهذه العلوم لا يكفي النظر بالعين لها كما لم يكف أحد من أمم الاسلام في أركان الاسلام الخمس بمجرد التلاوة بل ألفوا جميعا كتبها فيها . فلماذا يؤلف المسلمون في الفقهيات ولا يؤلفون في عجائب الكائنات . هذا التقص لم يترك أئمة من أمم الاسلام قديما وحديثا والوهابية وان أسلمحوا القسم السليبي فهم ناعمون عن القسم الايجابي نجحوا في ترك الخرافات ولم يفكروا مطلقا في معرفة جلال الله

(ط) اللهم إني وصحت لأتقي وبذلت جهدي في النصيحة ولم أكن في ذلك متكفلا وانما أكتب بأعانتك وتسهيلك السبيل لي . وعلى القارئ لهذا الكتاب التبعة اذا قصر في النشر والتعليم والتربية . إن هذا المبدأ هو الذي به ترقى أمم الامم . هذه لأئمة التي جعلها الله - خير أئمة أخرجت للناس - تأسر بالمعروف وتنبى عن المنكر . هذه الأئمة التي جاءت فكسرت الأصنام وأعطت العالم (درس) درس تعميم التعليم ودرس عدم الاستبداد بحيث يكون النوع الانساني كله حرا وتكون الرئاسة تبع البسطة في العلم

والجسم لا بالنسب ولا بالحسب كما كان يفعل قسما المصريين وغيرهم والله هو الولي الجليل
(ي) فمن ذا الذي يقوم بهذا الأمر في الاسلام . إن أول أمّة قوم بهذا في الاسلام وأول ملك أورثس
جمهورية يقوم بهذا العمل هو المجدد للاسلام وهو القائم مقام النبي ﷺ وهو الفاتح الأعظم . يناصر المسلمين
إذا قامت فيكم أمّة بهذا وسبقت غيرها وجب عليها أن تنصح أخوانها بهذا والا طربها على ذلك حتى تخضع
إن الزمان قد استدار . وإذا كان من قبلنا لا يهتدون بهذا فنحن نهنّ به . إن المسلمين لم يكن
هناك قديما أم تناوهم . أما الآن فالأمر شرقا وغربا يحيط بهم - والله من وراءهم محيط * بل هو قرآن
مجيد * في لوح محفوظ - وقال تعالى - وقل اعلموا فيسمى الله عملكم ورسوله والمؤمنون * وستردون إلى
عالم العيب والشهادة فينشكم بما كنتم تعملون - اهـ

(ك) يا الله إني قرأت آيتين في القرآن كتابك (إسلامها) للعموم وهي - يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - (وثانيتهما) للمسلمين وهي قوله تعالى - إنما المؤمنون
إخوة - ومثلها - ولا تنازعوا فتشظوا - ومثلها - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا -
وها أنا ذا ألفت كتاب (أين الانسان) لأجل أولاهما ونشر في الشرق والغرب . هذا الكتاب لأصلاح
نوع الانسان كله وتعاونهم كما نصحت في كتابك وإني أجدك أن أهل أوروبا قابلهوا بالقبول وكتب عنه علماءها
في إيطاليا وفرنسا وغيرها وسترأى أيها القارئ في سورة الطهرات ملخصا بأقلام علماء أوروبا مترجا
أما الأمم الاسلامية فهذا هو تفسير القرآن فهل من ممثّل وهل من مجيب لي . يا أمّة الاسلام أوروبا
المسيحية قرأت دعوتي للاتحاد ولا يدري ماذا يصنع الله بها فإذا أتم صانعون في دعوتي هذه اليكم لتتلم
العام والنظام التام ولست أقول إلا ما قاله الله تعالى - فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو
ربّ العرش العظيم - له

(الجوهرة الرابعة في قوله تعالى - يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات -)

(آراء قسما المهند في أدوار هذا العالم)

إن هذه الآيات تفتح بابا لجمال الفكر والنظر وتذكرنا بما قوله الأمم حولنا . إن هذه الأرض التي نعيش
عليها صرّت بها أم وأجيال وعلماء ولم آراء في هذا الوجود . فترى الانسان متى فكر في هذه الدنيا يقول
في نفسه متى خلقت ومن أين خلقت وماذا يكون بعد هذا الوجود . هذا سؤال يسأله الناس ولا يجيب .
أرض وسياه وأحياء وأموات . الى متى هذه الحال . وكيف خلق العالم وبعد ذلك ماذا يكون . وهل
للأرض آخر . وهل لتلكواكب نهاية وما عدها . أما سؤال الأرض وهل لها آخر فقد أصبح معلوما
ولكنها أيضا لاتزال لتزا فترى الناس يسارعون الى القطبين ليدرسوها وإلى البحار والجبال ليكشفوها
إن الانسان خلق مغرما بالعلم والحكمة لا يفتأ يبحث ولا يقف في السؤال عند حدّ ويظهر أن عقله قد صيغ
من النور وخلق من الجمال فانا لا نرى للنور آخر . هكذا لا نرى لعقولنا نهاية ولا لبجتها غاية . فطرة الله
التي فطر الناس عليها فهي فطرة نورية . الله لانهاية له وعقولنا تريد أن تسير الى مالا نهاية له . إذن هي
من نور أشرف من ذلك الجمال الأكمل والجناب الأقدس فهي تستوفى الى كل جديد وتفرح بكل رأى سديد
وعمل شريف وحكم منيف حتى انك ترى رجال السياسة يكذبون ليهكوا الناس بما أحبت فطرهم فيقولون
نحن نحب ترقية الشعوب والانسانية وهم يعلمون أنهم كاذبون ولكن يريدون أن يسموا الناس النعمة التي
نحبها فطرهم فهو باطل أشبه الحق . وملخص هذا أن عقولنا لانهاية لمقاصدها فهي تريد أن تعلم كل شئ
ولا تقف عند حدّ . ولما كان الله هو الذي خلقنا وهو يعلم عقولنا وإنها تسأل عن الماضي والمستقبل أجاب
نداء ضمائرنا فقال مرة - كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا - وقال هنا - يوم تبدّل الأرض غير الأرض

والسموات - فاذن هو صنع في السموات والأرض ما يصنع بالنبات والحيوان والانسان يموت الأبوان ويبقى الأبناء كما تبدل سماء السماء وأرض الأرض

هذا هو الذي جاء في القرآن وأيده الكشف الحديث كما عرفت هنا فأصبح الناس يدرسون النجوم من أنوارها وتحليل تلك الأنوار زواياها تدل على عناصر كائني في أرضنا . إذن هي مركبة والركب من شيء ينحل إليه . وهكذا رأوا شمساً ابتدأت تتكون وأخرى قربت أن يتم تكوينها . هذا هو الكشف الحديث وهو دل على ما كانت عليه أرضنا وكواكبنا قبل هذا الوجود . إذن أصبح خلق العوالم في المهور أشبه بخلق الليل والنهار كل منهما ينبع صاحبه فلو لا هذه الغريزة فيما مبحث أحد عن هذه الحجاب وسواء أكان هذا الاستنتاج من الانسان صادقا أم مشكوكا فيه قد فعل ما يوافق طبعه على مقدار طاقته ولا يكلف غير ذلك في فطرته هذا هو القرآن وهذا هو عالم اليوم

(علماء الهند)

ولما حلت هذه الآراء في عقول الأجيال القديمة بحثوها وعرفوا منها ما لم يبق لنا الأيام إلا قليلا منها . فانظر فيما سأقصه عليك . ذلك أنهم سمو المعبود (برهما) وهو يدبر العالم مع آخر يسمى (قشتو) وآخر يسمى (سيفا) فبرهما الخالق وقشتو الحافظ وسيفا الذي يفتي ويعيد . ويظهر أن هذه الصفات كلها الواحد تعدت صفاته فهو خالق وحافظ ويعيد بعد الفناء . ثم انهم وصفوا الخالق بوصف جعلوه أشبه بالروايات التي يقرؤها الناس لحكمها وهي هذه

(برهما وجد قبل الخلق ورفق الأرض من الماء وعمره مائة سنة وكل سنة من سنيه تكون أيامها ولياليها من أزمان طويلة بحيث يكون كل نهار وكل ليلة (٤٣٣٠) ألف ألف سنة من سنيها هذه وفي آخر كل نهار ينتهي عالم من عوالمنا ويستريح الرب ليلة ثم ينشئ عالما آخر وهكذا) ولست أقول لك ان هذا يناسب صفات الرب . كلا لأن ذكر الاستراحة وذكر عمره . كل ذلك تعظيم للجهال والافانته لا ينبغي حتى يستريح ولا أول له حتى يكون سنه مائة سنة . ولكن المهم أن القوم في أثناء خيالهم الذي هو في الحقيقة معبر عن الغريزة الانسانية للغرمة بالوقوف على الحقائق على مقدار طاقتها أدركوا اجالا ما في العلم الحديث وما أشاره القرآن . ان علماء العصر الحاضر جعلوا لنفس الأرض عمرا قدره مئات آلاف الآلاف فهو يناسب تصوير قدماء الهند . هكذا جعلوا أن العالم يتكون ويبقى آلاف آلاف الآلاف . وهذا يناسب ما يقوله علماء العصر الحاضر ثم تراهم يعبرون بمدة الرملة وهي التي سموها ليلا عن مدة بقاء العوالم في عالم الأثير بعد الخراب حتى تتكون ثانيا وتستحق أن تعود وتجري فهي أزمان متطاولة كأزمان دوراتها فانظر اذا كان في خيالهم أن سيرها مضت له مائة سنة والسنة الواحدة مركبة من ٣٦٥ يوما واليوم الواحد مئات آلاف آلاف من سنيها يعيش فيه عالم ثم ينطفئ في زمان يساوي الزمان الذي سموه نهرا فيا ليت شعري كم من عوالم انطوت وعوالم ستأتي بعد علنا . ان العقل ليقف مكتوفا أمام خيال الهند وأمام ظنون علماء العصر الحاضر الموافق له . كل ذلك فتح باب قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات - إن هذا يزهدنا في هذا الوجود إذ لا معنى لحب ما لا بقاء له . كواكب لا تدوم وأرض لا تدوم وشمس وأقمار لا تدوم بل هي تطوى كطوى السجل للكتب ولا يبقى إلا صانعها ومحركها ومنظمها ومبدعها . قال الشاعر

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفتي الزمان وفيه ما لم يوصف

(ثم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السابع من كتاب (الجواهر) في تفسير القرآن الكريم)
• وفيه الجزء الثامن وأوله تفسير سورة الحجر)

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح فئاتنا سقط وأشياء أخرى يدرکہا القارى بلاتحیہ . وهذا جدول عما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	صحيفة	سطر	صواب	خطأ	صحيفة	سطر
الذين	الذنان	١٣٢	٩	نمرة ١ (شكل ١٠)	نمرة ١	١٧	١١
هو لون نور	هو لونا نور	١٣٥	٢٩	نمرة ٢ (شكل ١٠)	نمرة ٢	١٧	١٥
الشمس	بالشمس			لا	إلا	٤٦	٦
فهل	القطب	١٤١	٣٤	(٧) آلاف	١٧ ألف	٥٢	٨
نجمت (بضم)	نجمت (بفتح)	١٤٥	٢٤	منهن	فيهن	٥٤	٦
التاء	التاء			الرؤيتان	الرؤيتان	٦١	٤
واهلاك	اهلاك	١٥٥	١٩	أواكثر	والأكثر	٦٢	١
نحتهما	نحتم	١٥٦	٩	يمن	يسمن	٦٤	٢١
خلق	خلقوا	١٦٠	٢٦	الثالثة	الثانية	٦٥	١٠
أضراسنا	أضراسا	١٦٣	٣٤	الرابعة	الثالثة	٦٩	٣٥
بجاية	بجاية	١٦٩	٢٤	معرضا	معرضا	٦٨	٣٢
الكروية	الكردية	١٧١	٢	لثلاثة	الرابعة	٦٩	٣٣
زله	سزله	١٧٢	٢٠	أوسياء	أوسياء	٧٠	٣٥
وأرباع	أوأرباع	١٨٢	٧	الأرض نظرة	الأرض	٧٢	٢١
وجدير	وجديرا	١٨٤	٧	واقيا	وشاحا	٧٣	٣٣
بجمل وزن صدم	بجمل	١٩٠	١٢	أقول لما كان	وقد يكون ثلما	٧٦	١٦
غردا	غرد	١٩٠	١٥	لمعرفة الله	فلما كان	٧٨	١٩
المردبون النصر	المرد	١٩١	٦	البحار	ومعرفة الله	٧٨	٢٥
وتبسم عن الى	تبسم عن لهما	١٩١	١١	البلور	البحاو	٨٢	٢٦
سر	سرا	١٩٢	٤	تحدثها	البلور	٨٧	١٩
ه	لها	١٩٣	٣٢	الساج عشر	تحدثها	٨٨	٢٢
فيتخرج	فتخرج	١٩٥	٣٥	خفيف	الساج	٩١	١٢
فتبين	ستتبينات	١٩٨	٢٩	١١٣	ضعيف	٩٥	١٢
سليكا	سليكا	٢٠٠	٥	عنه	١٠٥	١٠٥	
والتعليم الخاص	وتعليها خلاصا	٢٠١	١٠	في التساوى ونحوه	عن الثاني	١١٣	٢٠
نسلكتها	سلكتها	٢١٤	٩	من (أ)	عما قبله	١١٣	٢٠
تؤسها	تؤسس	٢١٨	١٥	نوبه	في التساوى	١١٨	٨
الفرق	الفرقون	٢١٩	١٣		من (٧)	١١٨	٣٠
					نوبه	١٢٨	٢١

﴿ فهرست الجزء السابع من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم ﴾

صحيحة

- ٢ ذكر مقدمة لتفسير سورة يوسف أن المؤلف بحمد الله إذ عاش إلى الآن حتى كتب ماسطره منذ ١٤ سنة لتحريم حيد بعض الطيور بالبلاد المصرية وهو ملخص سورة يوسف وذلك بمجلة الملايحي العباسية
- ٣ كيف تخلم مصر اذا فهمت هذه السورة . سورة يوسف فيها نصف الحكمة وهي الحكمة العملية تهذيب النفس وتدير المنزل وتدير المدينة
- ٤ في هذه السورة ﴿ خمس عبر ﴾ رؤيا يوسف . أنى اخوته له . قصته في بيت العزيز . قضيته في السجن . تنظيمه للخزائن المصرية
- ٥ أهم المطالب الاجتماعية ﴿ أربعة أمور ﴾ الامارة والزراعة والتجارة والصناعة . القلاح يعاونه الأنعام على الزرع والطيور الليلية والنهارية على حفظه يأكل الحشرات والأمة المصرية عرفت فضل الحلمين في الحياكم وجهت فضل أمثالهم في المزارع وهي الطيور المذكورة وهذا عار عليها
- ٦ مدح المؤلف لقنماء المصريين إذ حفظوا الزرع بالمحافظة على أبى قردان حتى قنصوه لأنه يأكل الحشرات الضارة بالزرع وضم المعاصرين له لجهلهم القطيع فقتلوه ويان أن أهم القاتلين له هم الأوروبيون وأيد ذلك الشيخ محمد عسكر وذكر أن الفراعة ربوا القلق لما كثرت الحيات في البلاد المصرية فطلب المؤلف أن يربى أبو قردان كذلك لأنه قد فنى . ﴿ الفصل الثانى ﴾ ايذاء اخوة يوسف
- ٩ ﴿ الفصل الثالث ﴾ قضية النبي الصديق في بيت العزيز . عبرة في ترك الخيانة
- ﴿ الفصل الرابع ﴾ سجن النبي الصديق وتفصيل التهذيب النفسى والأدب المنزلى والنظام السياسى العام فى الأم من قصة يوسف عليه السلام
- ١٠ ﴿ الفصل الخامس ﴾ في ذكر أنه نبأ عرش مصر ودير لملك وأكرم أبويه وأخوته وذكر أن الحكومة المصرية لبث نداء المؤلف وصدر ذلك في المجلة المذكورة بمشور عنوانه ﴿ حياية الطير المسعى بأقردان ﴾ صديق القلاح وتكليف عمد البلاد بالمحافظة عليه
- ١١ ذكر أن رجال الحكومة بحثوا عن الطيور القاتلة للحشرات ورسومها في كتاب مثل عصفور مسيكولا ورسم ذلك الطائر ورسم الصفور المغنى الأخضر وأبى ضاده وأبى زور أحر وأكل الثياب والقنبرة الأفريقية والوروار الأفريقى والمهدد الأفريقى وأبى قردان والسكران والزقراق البلدى فهذه (١١) صورة مرسومة في هذه الصفحات . وهناك طوائف أخرى من الطيور لم ترسم مثل الوروار المصرى والقنبرة أم الشوشة وهكذا
- ٢٠ ﴿ القسم الأول من السورة ﴾ من أوّلها إلى قوله - آيات للساثلين - مشكلة . التفسير للفظى
- ٢٢ ذكر ﴿ ثلاث لطائف ﴾ اللطيفة الأولى ذكر كتاب أميل القرن التاسع عشر الذى أوجب أن يدرس للأطفال الحكايات الخرافية مثل القنبرة التى طلب أبوها أن يتزوجها واقترحت عليه ثوبا كالشمس وآخر كالقمر الخ وهذه الخيالات الكاذبة موسحات للخيال والعلوم الطبيعية تهذبها بعد ذلك ذكر كتاب ﴿ كيلة ودمنة ﴾ وكتاب ﴿ أف لية ولية ﴾ وكل منهما فيه الخرافات
- ٢٣ قصة السندباد البحرى وحديث مع السندباد البرى . نبأ ينة الرخ التى هى كقبة وأنه هو بالنسبة لرخ كالبرغوث بالنسبة للإنسان وكيف ينال الإنسان اللبس بواسطة هذا الطير وسأله السفينة التى من شجر الصندل . وذكر أن الاقتصار على هذه الخرافات يجعل الإنسان مصدقا بالخرافات

كيف كانت قصة يوسف أحسن التمسك ذلك لأن فيها ما يوسع الخيال مع ان وقائعها صحيحة فقد حازت الشرفين مع الحكم والعلم

٢٤ كيف تربى أوروبا أبناء الشرق . منحهم العلم فأضفوا عقولهم

(الطيفة الثانية) إن الناس مغفلون على استطلاع النيب ولله أعطاهم ومنعهم فيأتى النيب صادقا وكاذبا يفكرؤا في حياتهم ومع ذلك لا يكون عندهم بأس من الحياة بمملوت . هل تصدق الأرواح في أخبارها عند استحضارها . العرافون في التوراة . ذكر الكاهن (ميخا بن بلة) الذى أخبر بالهزيمة مع ان جيع العرافين أخبروا بالتحصن في الحرب وقد صدق هو وكذبوا هم جميعا

بيان ترتيب يوسف وهود ويونس وما الحكمة في هذا الترتيب . الرؤيا الكاذبة تكون من غلبة الصفراء والسم والبلم والسوداء ومن محاكاة الخيلة ليلا للصور الواردة عليها نهارا أو ما غلب عليها من هوة أو غضب . وبيان الرؤى المناسبة لكل من هذه الأمزجة وأسباب حدوث كل مزاج كالاكثر من الأغنية الباردة الرطبة لاحداث البلم وكالاكثر من العنس والسخن ولحم البقر والبادنجان لاحداث السوداء التى تسبب الحرب والحكمة والصبر وأن يرى في المنام الأحوال والظلمة الخ

٢٧ ذكر أن الرؤيا الصادقة أن تكون النفس هادئة لم يظب عليها مزاج من تلك الأمزجة ولم تزدحم المعدة

بالطعام وهي نادرة الوجود . الأحلام في العلم الحديث . هل من علاقة بين الأحلام والحوادث

ذكر أن علماء القرن العشرين هم الذين عرفوا أن الأحلام مرتبطة بالحوادث مثل العلامة الدكتور (دى بسمين) إذ رأى ولده في الحلم محترقا بالنار فصدقت الرؤيا بحدوث التهاب للرئة الحادة ومات بعد أيام . وحلم سيده عجوز من أهل (فيلادلفيا) بأمرىكا أن ابنها سقط بين العجلات وقتل . ورؤيا خادمة (شوينبور) و (ادوين ريد) العالم الطبيعى رأى في منامه يوم موته فتم ذلك ومن الناس من استفاد من الأحلام . جوائز اليانصيب . (الطيفة الثالثة) في الحسد وأسبابه

(القسم الثانى من السورة) من قوله تعالى - إذ قالوا ليوسف وأخوه - الى - من الزاهدين - الآيات مشككة . التفسير القفلى لها . (والقسم الثالث) من قوله - وقال الذى اشتراه من مصر - الى

قوله - من الصاغرين - وتفسيره القفلى

٣٦ ذكر لطيفتين (الطيفة الأولى) في قوله تعالى - وقطعن أبيهين الخ -

ذكر ملاحظه المؤلف ذات يوم بجولان عند صديق له من حيوانات ونباتات غريبة في بركة ماء وماهى إلا

أقل من قطرة وضمت تحت المنظار للمظم

٣٧ رأى أفلاطون في العلم . (الطيفة الثانية) جال يوسف في علم الحديث وفي علم الموسيقى والجمال

ووصف نبينا ﷺ له بكونه كالقمر وأن ذلك داع يدعو للسلم الى أن يفكرى المشبه به وأمثاله لأنه أكل جالا فينظر في جمال هذا العالم البديع وما حسن يوسف إلا بسنه . ومن الجهل أن تقف عند البعض وترك الجميع وهو جمال الجسم الانسانى ونظامه البديع ومثله الجمال فى الموسيقى وفى الشعر وكيف اتحد علم الشعر وعلم الموسيقى في أنهما يربطان للتحركات والسواكن . وبيان أن النسب الفلكية كالنسب الشعرية والموسيقية كل منها حاصل ضرب الوسطين فيها يساوى حاصل ضرب الطرفين وهذا هو ميزان الجمال في علنا . رمز النبوة بحسن يوسف لجمال العالم وإعاقها الى ماقرآناه

٣٨ (القسم الرابع والخامس) قضية السجن من قوله - قال رب السجن أحب الى - الى قوله تعالى

- إن شاء الله آتينى - وتفسيره القفلى

- ٥٩ لطيفة في قوله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم -
- ٥٧ عجائب الصناعات في أمريكا . طرق المواصلات . تسهيل الأعمال في المطاعم . التلغراف النوى لاسلك له . الحركة الفكرية والتجارب العلمية . رقى المرأة عندهم . الحركة العلمية في أمريكا لها أغراض سبعة . التعليم المشترك بين الجنسين
- ٥٦ لطيفة في اعتراض لأحد العلماء وجوبه
- ٥٧ ابتكار أهل أمريكا أيضا في علم الزراعة وقوله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم -
- موازنة بين الهواء والسخن والصخور وبين الذهب والملوك والقدح من البيانات وهذا كله من قوله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم -
- ٥٩ (القسم السادس) - ورفع أبوبه على العرش - إلى آخر السورة وتفسيره اللفظي
- ٦٠ ذكر (خمس جواهر) (الجوهرة الأولى) رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الملك . فهاتان الرؤيان مطلعان من مطالع العلم مشرقان قد فتحنا بابين من العلم
- ٦١ بيان السبب في ذكر تلك الطيور في هذا التفسير وكيف جاز تصويرها فيها تقيم . وهما لطيفتان في أمر رجة الحيوان وفي جواز التصوير التام
- بيان كيف كانت هاتان الرؤيان قد فتحنا عوالم اليقظة وعوالم الأحلام في المنام
- ٦٢ أدنى الحيوان كالموت في لب الثمر وأعلامها الإنسان حكماؤه وأنبياءه النور من أهم أسباب الحياة في الأرض ورؤيا يوسف أحد عشر كوكبا انطلق من حبس الملاءة
- ٦٣ النوم نوع من حال الموت فيوسف والملك توفيا ويقظتهما بحث وما رأياه في حال موتهما ظهر لهما في حال بشفاهما وما مارا إلا ما يناسب أطوارهما قبل النوم . إذن هناك حياة وموت وبحث وحال الحياة ظهرت آثارها في الحالين بعدها . ما يصنع الناس لا يتم إلا بفكر يتقدم العمل
- لطيفة في ذكر حالي في مبدأ حياتي إذ كنت أظن كافي أبحت عن مجد قد ضاع وملك ذهب ولكن لا أثر فلك في قريتنا وكنت أقول لم لا يكون الناس أسرة واحدة . وقد ظهر أثر إحدى الفكرتين في كتاب (أين الإنسان) الذي طلبت فيه أن يكون العالم كله أسرة واحدة وثانيتها في كتاب (التاج المرصع) والكتب الأخرى وهذا التفسير وملخص ذلك ارتقاء المسلمين
- (الجوهرة الثانية) في البلاغة والاعتبار بالتصص عند العرب وموازنته بقوله تعالى - قال هل آمنكم عليه الخ - وبيان قصة الحياة التي قتلت الأعرابي وجعلت دينه لأخيه دينارا كل يوم ثم غدر بها فشنجها ثم طلبها فلم تعد له (الجوهرة الثالثة) في قوله تعالى - رب قد آتيتني من الملك - الخ - وألحقتي بالخاصين - . مقاصد النساء والثناء في دين الاسلام
- ٦٦ العبادة جسم روحها العلوم . ينشئ المسلم على ربه ويعمده لأنه هو الذي ربي العالمين ويقول في السجود سجد وجهي للذي خلقه وصوره الخ ويحمد ربه في الرفع والاعتدال من السموات والأرض وما بينهما الخ ولا معنى لهذا كله إلا أن يزداد علما في ذلك كله وهنا العلم هو الذي ملأ أوروبا والشرق بالمسلمون بترك هذه العلوم غافلون عما تضمنته الصلاة وتلك يقول الله - فويل للصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون - والمسلمون بترك العلوم ساهون عما تضمنته الصلاة فصاروا كثرهم خاضعين لأوروبا
- (الجوهرة الرابعة) في قوله تعالى - رب قد آتيتني من الملك - . الله والشمس الشمس لا يحظى بنورها إلا بما يقابلها من كرات السيارات ولا يحظى بنور الله والشمس إلا للستة له وكل يأخذ بقدر استعداده

فلما ضرب الشمس مثلاً لنوره

٦٨ (خطاب للمسلمين) • هل يجبكم أيها المسلمون أن يكون توجهكم بقولكم - وجهت وجهي الخ - توجهها مشوباً بالاعراض وهذا يوجب غضب الله • إذن نحن كالكاذبين أو كالمساخرين والمستهزئين بآيات الله • إذن الاتجاه لفظي فقط ولو كان معنوياً لقرأ المسلمون فظلم هذه الدنيا
٦٩ تذكرة بية في الخليل وقوله - إني وجهت وجهي الخ - وهذا المقام كالذي قبله
(الجوهرة الخامسة) في قوله تعالى - إن ربي لطف لما يشاء -

٧٠ الكلام على الذلوث وأنه طيب ومولد وصناعي كما تطف الله خلق من الكربون والخيبر جوهرة جيسة هكذا تطف فاشتق من بلوى يوسف وحسد أخوته وما بعد ذلك ملكاً عظيماً ونبوة وسعادة في الآخرة ومن اللطف الانساني تأليف الروايات الخيالية الخ

٧١ تطف الله مع الانسان فجعل عقله يسع الخلوقات تصوراً وتفكيراً وهو مشتق من الطين كاشتقاق الجوهرة من خم وجير وعلى قدر علم الانسان بجمال ربه في الدنيا تكون رؤيته ورؤيته لربه يوم القيامة والمحروم من المعرفة اليوم محروم هناك من الرؤية • (جوهرة السورة كلها) ليس في هذه السورة من العناية بالمجانب مثل ما في السور التي قبلها ولكن فيها سياحة الشخص والمزحل والمدينة وفيها قوله تعالى - وكأن من آية في السموات والأرض الخ - وهذه بقصد منها النظر في جميع العلوم

الكلام على الفترة وما فيها من الأشعة الكثيرة وهي تفتي إذا ظهر منها شعاع مئات من السنين بيان تقصير المسلمين في هذه السورة وأن هذه الآية بيت التصديق من سورة يوسف
٧٤ (سورة الرعد) قسماً (القسم الأول) من أول السورة مشكلاً الى قوله - يضرب الله الأمثال -
تفسير الكلمات

٧٨ بيان أن مجاء في هذه السورة من عجائب السموات والأرض تفصيل لما أجمل في قوله تعالى - وكأن من آية الخ - في آخر سورة يوسف وبيان جليل لهذه الآيات

٨٠ ذكر إحدى عشرة لطيفة (للطيفة الأولى) في قوله تعالى - الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها - وفيها جوهرتان (الأولى) موازنة بين وصف العرب ووصف القرآن من كتابي (مذكرات أدبيات اللغة العربية) وذلك من كلام الحارث بن حذرة في معلقته

(الجوهرة الثانية) أشراق النفس • بهجة السماء وجالها من كتابي (سوانح الجوهري)

(الطيفة الثانية) في قوله تعالى - ثم استوى على العرش -

(الطيفة الثالثة) - وفي الأرض قطع متجاورات -

٨٢ لماذا يقبس المسلمون الوجه طولاً وعرضاً لأنهم أمروا بفسله ولم يبحثوا في عجائب الأرض التي فيها قطع متجاورات وهم أمروا بالنظر فيها • الجبال إما صخرية أو نباتية أو تارية أو هوائية • الأنهار منها ما يجري من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال وبالعكس في الحالين

الكلام على تولد القيلة والازرافة والسمور والفقور والقطا والحمام والبط والصفور والنخل والوز والجرار والحلبة والتصب والذهب والفضة والكبريت والجص والزاج والزرنيخ والدر والبرجان وبيان أماكنها ومواقع تولدها مثل أن النيل يتولد في جزائر بحار خاضعة والازرافة في الحشمة والسمور في البراري والفقار والبط على شط النهر والدر في البحر والذهب في الرمل والجبال الصخرية وهكذا

عجائب هذه الدنيا • الضوء من الأشجار • النبل للضحك

٨٤ الزيت يستخرج من الجراد ويصلح لصعود العيارات
جوهرة في قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات - وفي قوله - ويشئ السحاب التقال - وفي
قوله - جعل فيها زوجين اثنين -

الأجسام امامضية وامامظلمة وشفاة وشبيهة بالشفاة وظليته وهذه كلها في الأرض والنور امامستطير وامامتكس
٨٥ الفحم الحجري والبلور الصخري والزجاج وهنا صورة أوراق بعض الأنواع التي تكوّن عنها الفحم الحجري

٨٦ ومن القطع للتجاورات المسمى عند العالمة بالزجاج والحصى وهو (الكورس) والرمل ويصنع منه الزجاج
ومنه الصوان وشظف البنادق والبلور الصخري التي رسمت صورته هنا وهكذا الكركبان ويقوت
بوهيم والياقوت الأصفر الهندى . الكلام على الزجاج

٨٧ تاريخ الزجاج وكيف يصنع الزجاج وتحضير الزجاج . البلور . في النبات زوجان وفي الكهرباء موجب
وسالب وهكذا هنا في العلمات البلورية للرسمه هنا وهي ستمنها (٣) تجمع النور (٣) تفرقه فمن
زوجان أيضا ما العنسات إلا من الرمل والجير والسودا أو نحو ذلك فهي من نتائج القطع للتجاورات
قصر النظر وطوله

٨٩ جال هذا العالم وفيه ذكر ملخص ملضى . وجوب درس هذه العلوم وذكر مافله الامام الغزالي أن
علماء زمانه شرّ من الشياطين لأنهم أظهروا للناس عدم الاكتراث بنظام الله في السموات والأرض .
الألوان السبعة لنوء الشمس وهذه الألوان تعرفها بأحدى حاليين إما بدخايل ضوء في قعر الخ ولما بأن
تنظر قوس قزح وفي هذا المقام رسم صورتين

٩١ نور الشمس . البخار . السحاب . ابتعاده ابتعادا وسطا . حكمة ذلك ثم هي التي ظهر ضوءها بيضاء
قوس قزح . الآلات البصرية (ثلاث) للكرسكوب . التلسكوب . وآلات شتى مكبرة أو مصغرة
لم خلق الله الصحراء والأرض القفر . رأى المؤلف قبل أن يؤلف هذا التفسير ورأيه الآن

٩٢ الصحراء كأنه تنور للأرض العامرة تنجف الهواء كما تنضج النار الخبز ولولاها لم يمض أهل البلاد التي
بجانها . نهر النيل ونهر الكنج للأول همراء نضت مصر وليس لثاني همراء فكفر الطاعون هناك
لعدم الجفاف

٩٣ لطيفة في قوله تعالى - يبقى ماء واحد وقضل بعضها على بعض في الأكل - لم يقل يتفدى لعله أن
من النبات ما لا يتفدى إلا من الحيوان فالغذاء ليس واحدا كغذاء . النبات إما أن يتغذى بالمواد الأرضية
ولما أن يتفدى نبات آخر ولما أن يتفدى من جسم الحيوان

٩٤ وصف النبات المسمى ندى الشمس ذى الورق الملتف له قرون تلف على اللبابة والتدرج ثم يتفدى بها
ثم ترجع إلى حلها الأولى . هذا إذا وقعت ذباية أما إذا وضعت قطعة من لحم مثلا فإن الانهماك يكون
أقل . وإذا وضعا شعرا مثلا يحصل انطاف ضعيفا وافرأ كذلك فإذا لسانه بآرة مثلا فانه لا يكون
هناك أثر البتة . مسألة الكيمياء في هذا المقام . عند تقريب مادة صالحة كذباية يفرز النبات مادة
حضية إذا غمست فيها الورقة الكيائية اجرت فإذا لم تكن مادة صالحة للأكل لم يلاون السائل تلك
الورقة إذن الحوض فيه كالحوض في اللعنة . تفصيل ما تقدم كله حربنا منظما بإيضاح

٩٥ عدد النباتات المقتربة تبلغ مائة وثمنا . (شكل ٧٥٩) وفي أحدها صورة النبات وقد افترس الحشرة
وهي منظورة معلقة به في نفس الصورة

٩ الشكل السابع وفيه ست نباتات وأولها النبات الجزار الذي يبلغ (٣٩) نوعا

٩٨ إيضاح الكلام على هذه الأنواع الست للرسمه وكيف كان بعض النبات للفترس قد أعطى عسلا ليفرى السباب على أكله وهكذا أعطى لونا جيلا فدخله النبات بهذا الاغراء فيجد داخله ناعما أملس فتزلق أرجله فلا يقدر على الرجوع ثم تصه للمادة الصلبة التي طمع فيها فتسد مسامه فيصير طمعا هنيئا وهكذا
٩٩ جوهرة فيها ذكر النجب من أن هذا النبات يحسن وينحصر وأن فيه (خسة أسرار) سر قوله تعالى - يسقى بماء واحد - وسر لطف الله في ذلك وسر تنوع الأرزاق وسر - ما من دابة إلا هو آخذ بما صيبتها - وسر أن تحريم اللحم لإبرهان عليه

١٠٠ منظر جبل في قصر منيف وذلك خيال نبئى للؤلف إذ تخيل قصرا جيلا بهجا أوصافه أشبه بقصور الجنة الموصوفة في القرآن والأحاديث وأن شخصا خاطبه قائلا هذا القصر لك ولأمثالك وفسره بأن كل حافظ من حوائطه مثال لمعرفة عالم من العوالم المحيطة بكم في الأرض والأركان بين المحيطان عبارة عن الصلات المعروفة بين النبات والحيوان الخ وهكذا . وذكر ما كان يعرفه القدماء من ذلك وزيادة المتأخرين عليهم فيه . وبيان أن هذا القصر مثال العلوم كلها . وبيان أن هذا القصر مذكور في سورة الواقعة حيطانه الأربعة إذ جاء فيها ذكر الانسان والحيوان والماء والنار وهذه هي أركان المعرفة كلها ثم زيادة إيضاح لهذه الصور المرسومة وبيان أن هذه العلوم مبادئ للجنات الحقة

١٠٥ أسبعت النعمات في الأشجار كما تسمعا من الأوتار . وذكر أوتار العود (البهم والمثلث والثني والزير) وهي ٦٤ طاقة ٤٨ و ٣٦ و ٢٧ على الترتيب باعتبار أن كل واحد مقدار مائه أقل منه ومقدار ثلثه وهذه نسبة فاضلة وهذه النسب النافذة بها طرب الناس يسبح العبيدان وهكذا يفرحون بالوجوه الجيلة لما فيها من نسب فاضلة وهكذا نظام جسم الانسان كله . النعمات يهيمها العلماء والعامة والحكمة خاصة بالعلماء ونفحاتها أشد طربا فهم يطربون لما يرون من ماء ألقف من الأرض نحو (٥) مرات وهواء ألقف من الماء (٨٠٠) مرة وبحار يصلها الهواء وهو ألقف من الماء (١٧٢٨) مرة فهو ترتيب كترتيب أوتار العود لاجالا لاتنصلا ويرون حجر الملح وحجر الجير والحجر الرمي والرخام والجرايت والصوان والزناد مرتبات كل أصلب مما قبله وأقل صلابة مما بعده ولها منافع في حياتنا كنخاف أوتار العود في آذاننا بل هذه أجل فائدة وأكثر طربا للحكماء لأنهم أعلم بهذا الوجود من علم الجاهل بالنعمات الموزونات . شجرة تأكل الناس . (اللطيفة الخامسة) - ولكل قوم هاد -

١١١ (اللطيفة السادسة) في قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار الخ - . للتقدير في الجسم الانساني . لحل الهندسي فيه . النظام في الأشجار الساقطة من أعلى . معرفة عمق الآبار . سقوط الأججار . مقدار ما يقطعه النور في الثانية . جنة العرفان في تفسير القرآن . نظام النور والصوت والحداثة وإضافتها جيما على قوتها بمقدار ما يزيد مربع البعد والكلام على الأجواس الأربعة التي يساويها في الصوت جرس واحد الخ . رقاصا الساعة إذا قصر أهدمها وطال الآخر الخ نظام الكواكب وتباعد السيارات عن الشمس على هيئة المتوالية الهندسية . وهكذا ترى النسب الهندسية في حساب السنين البسيطة والكيية ونظام الشعر العربي ونسب الهندسية ونظام الماء الهندسي في نسبة الاكسوجين إلى الادروجين وزنا ونظام النبات في تركيب عناصره . أشكال الثلج المستمة . رسم ١٢ شكلا من أشكال الثلج المستمة المرتبة ترتيبا كترتيب السلسلة الحيوانية الأدنى يليه الأعلى وهكذا وبيان نظام هذه المستمات والثلثات الباقية فيها وكيف كانت كل زاوية (٦٠) درجة وكيف رسمها الله في الجوف وكيف يستنتج منها مآرعة علماء العصر العشرين في أمر مذهب الفسوف والارتقاء والكلام على عدد ٦

وأنه يسمى عدداً تلاما وهو قليل جداً في الأعداد ولذلك أختير في التلج وفي عدد الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض إشارة إلى الكمال . وعدد (٦) قد ظهر في أبعاد الكواكب عن الشمس وأن المؤلف يشكره إذ وقف على هذه الحقائق القرينية . ذكر (ثلاث زهرات) تتضمن مباحث علمية ترجع إلى الجبال لمناسبة الأشكال الثلجية الستة توضح ما تقدم

١٢٤ الكلام على الجبال الخالص ومعنى التسبيح والتحميد يرجع لفهم العلوم في هذه الدنيا

١٢٥ فوائد وفكاهات كعرض الأرض وطولها وعمر الأرض وارتفاع الطيارات وعدد سكان الدنيا

(الطيف السابعة) في قوله - له معقبات من بين يديه ومن خلفه - وذكر الكرات الحمراء والكرات البيضاء القائمة للحيوانات النورية التي هي من أمر الله والأحاديث الواردة في ذلك (يتعاقبون فيكم ملائكة الخ) وكلام (السراويلرودج) أن هناك عوالم تحيط بنا كما جاء في الحديث فالعلم الحديث مثل الحديث النبوي الشريف

١٢٨ (الطيف الثامنة والتاسعة) في البرق والسحاب والرعد وقوله - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا بأنفسهم - (التفاضل والتشائم) للكاتب الأمريكي (أمرسون) وأن الإنسان هو الذي يسلط

الشوم على نفسه وهو قادر أن يدخل المسرة على نفسه ويفهم الحقائق وهذا للمقال يوافق معنى التوكل وهكذا مقالة عنوانها (مخاوفنا وأوهامنا . أسبابها وعلاجها) وهاتان المقالتان كافيتان لمن قرأهما وعمل بهما وهما يبينان على فهم التوكل على الله في الآية وفيهما أبهج آراء النوع الانساني اليوم في الأمم وترك الخوف والحزن وادخال السرور والفرح على النفس

١٣٢ الكلام على الرعد والبرق ونحوهما وشرح الكهرباء الموجبة والسالبة والموصل الجيد كالمادن والموصل

الرديء كالقواء وكالبخار الخ . كهربائية الجلد والهواء والغيوم

(الطيف العاشرة) في الساعة . (جوهرة) في قوله تعالى - ويرسل الصواعق الخ -

تخرج الحرارة إلى ضوء الحرارة وما بعدها إلى البنفسجية . الصوت والحرارة والنور تكون الحرارة بالاحتكاك أو الطرق أو الضغط أو بالتفاعل الكهربائي أو بالطبيعة . الحب نظام هذا العالم قديم الاكسوجين يهجم على الاودروجين وذكر الحيوان على الاناث . بهجة الحكمة في قوله تعالى - ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته - ولم سميت السورة بالرعد . تسبيح الرعد وتحميده . ثم يكون العلم ماذا يقول الرعد . ستة عشر مليون صاعقة . الرعود والبرق في العالم وانها مهلكة ونافعة وأن فنها أكثر من ضررها وهذا باب من أبواب التسبيح فانه منزّه عن الاضرار بل الضرر جاء غير مقصود لانه

(الطيف الحادية عشرة) - والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها الخ -

(حكاية مصرية في الظلال) وذكر (أرئوستنس) الفلكي الذي قاس الظل في الاسكندرية في وقت الانقلاب الصيفي لعمود مقام فيها وفي نفس الوقت كان العمود المقام في اسوان لا ظل له فاستنتج كروية الأرض بشرح يطول في هذا الكتاب وذكر مباحث الظلال من كتاب المؤلف (نظام العالم والأهم) أعجوبة الظلال وملح الهندسة وكيف كان الظل منسقة أضلاعه الثلاثة وبينها نسب صادقة لأي شجرة وأي شاخص في جميع الكرة الأرضية

١٤٤ (الطيف الثانية عشرة) في قوله تعالى - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها -

نظرة في الآية من جهة العلم الحديث ومسألة النشوء والارتقاء . حكاية صينية

- ١٤٥ باب التشبيهات في كلام العرب والقرآن
- ١٤٦ (القسم الثاني) من سورة الرعد - لذين استجابوا لربهم الحسن - الى آخر السورة . التفسير اللفظي
- ١٥١ وصف الجنة
- ١٥٣ - يحو الله ما يشاء ويثبت - ورجوع المعاني للنقولة الى معنى علم واحد
- الكلام على البرق والرعد والسحاب والصاعقة فوق ما تقدم
- ١٥١ انذار الرعد للمسلمين . قوى الانسان الثلاثة التى تمثل فى الرعد والبرق والسحاب . - لكل أجل كتاب - آجال الحيوان كالآرنب والكلب الخ
- ١٥٧ أطول الناس أمعرا كالأطباء والجزارين وهكذا وأن أطولهم عمرا رجال الدين وأقصرهم عمرا الشحاذون
- ١٥٨ سورة ابراهيم عليه السلام وانها قسمان (القسم الأول) من أول السورة الى قوله تعالى - عذاب غليظ - التفسير اللفظي
- ١٦٣ جوهرة في قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - . منزلة هذه الجنة من السورة كلها . كيف نذكر الناس بأيام الله . هذا تذكري للمسلمين بأيام الله . ذل الأم العربية بالافتراق قبل النبوة اجتماعهم بالاسلام وفتحهم البلاد انتشار اللغة الترجمة انحطاط العلم اضطهاد العلماء . انتقال العلم الى أوروبا .
- تفوق الاوربيين على المسلمين . ذكر الله المسلمين في واقعة بدر ينحو (١٤) نعمة
- ١٦٥ أضح النقطة المتقدمة كلها مثل هلاك الأم العربية والأم الاسلامية بمجهلهم أيام قطب أرسلان إذ هجم التتار على البلاد فاجتاحوها والناس سكارى
- ١٦٧ المترجون مثل علي بن يونس وسان بن ثابت وهكذا ونبوغ المسلمين في العلوم وضرب كتب علماء اليونان مثل اقليدس وأرسطيدس الخ وإغدلق المهندي والإرشيد النعم على النصارى للترجين الخ
- اثبت (سديو) الفرنسي أن أكثر ما اذهى الترجمة كشفه مأخوذ من كتب عربية وذلك بشعة أدلة
- مثل ان نصحيح أنرياج بطليموس كان على أيدي العرب الخ
- ١٦٨ ذكر بعض مانع فيه العرب من كلام (سديو) الفرنسي وهو ١٤ فنا مثل الهندسة والحساب والجبر وعلم النجوم والنظر الخ ومنها الآلة المفرغة للهواء والزافعة للياه الخ وهم الذين اخترعوا الأبجديات (الصديليات) ثم ذكر انحطاط التعليم في بلاد الاسلام واضطهاد العلماء
- ١٦٩ اضطهاد ابن رشد في الأندلس وذكر أن الخليفة الحكم بالأندلس جمع الكتب من الشرق فحصل عنده ٤٠٠ ألف كتاب ولها ٤٤ مجلدا فهارس ولكن حاج ابنه هشام بعد حين اضطهد العلماء وأحرق الكتب تقربا الى العاتية وهكذا دولة الموحدين فنصر العلم أولا عبد المؤمن ولكن يعقوب المنصور نفى ابن رشد وأمر بحرق الكتب فهي كائى قبلها نصر للعلم أولا واضطهاد آخر . وذكر صورة المنشور الذى نشره يعقوب لم الفلاسفة والفلاسفة لأجل ابن رشد وذكر الفعوع عن ابن رشد ثم موته ثم ذكر انتقال العلم الى أوروبا بعد أن هجره المسلمون على يد اليهود تلاميذ ابن رشد وكتابة الفلاسفة بالعبرية بدل العربية . ويان أول مترجم من مؤلفات ابن رشد لأوروبا وأن فردريك الثانى أمير بطور ألمانيا ينصرتك الفلاسفة وينصر آراء الاسلام وينطهد الاكيبوس وهذا الامبراطور أمر بترجمة فلسفة العرب الى العبرية واللاتينية وذكر أن ابن رشد بقى العاتية على وجهه عند السخول والخروج من الجامع في مدينة (فاس) وقد نصبه هناك لذلك وذكر ثم الشعراء له مثل قول بعضهم
- * لم تزلم الرشدا يا ابن رشدا الخ * وذكر ترجمة كتاب (تعامات التهامت) وأن فلسفة ابن رشد في

القرن الرابع عشر بلغت أوجها

١٧٤ ترجمة كتب العرب الى اللغات الأوروبية مثل كتاب الخازن في علم الضوء ومثل أن كتاب القوانين لابن سينا قد ترجم وطبع مرارا في أوروبا وبقي هو ومؤلفات الرازي تدرس في أوروبا ست قرون قريبا ثم ذكر ملخص ما تقدم

(الفصل التاسع) في تفوق أوروبا في العلوم جميعها بعد آياتنا العرب

١٧٢ علماء القرن السادس عشر والسابع عشر مثل وليم غبريت أنشأ علم الكهربية الحديثة ومثل (غليلي) بإيطاليا التي نسبوا له كشف وقص الساعة ومثل هرفي كاشف دورة الدم علماء القرن السابع عشر والثامن عشر مثل اسحق نيوتن أكبر علماء الفلك

١٧٣ علماء القرن الثامن عشر والتاسع عشر مثل لافوازييه في الكيمياء ومثل كولون الكهربي ومثل فلطاف ومثل لامارك . مصباح يشرق على العالم التي كشفها المسلمون والأوروبيون ومنها الكيمياء وتبين ذلك مثال حصد القمح ودرسه وخبره وهضمه في المعدة وقد عين في الجسم لكل عضو ما يناسب من العناصر الغذائية فلولا تحليل الغذاء الى عناصره في الجسم ما أمكن تركيبه ثانيا لتكوين الجسم وبقائه . هكذا كل العلوم لا تتم إلا بتحليل أصولها ثم السير في نظرياتها وتجميعها فهي كالكيمياء

١٧٥ ذكر جان شامبلون الذي كشف لغة المصريين القدماء وذكر أن مانيتون يقول ان عدد المؤلفات المنسوبة الى هرمس (٣٥٥٠٢٥) كتابا ومكافأة الملك لويس الثامن عشر شامبلون لكشفه اللغة الهيروغليفية . لوم المؤلف المسلمين على جهلهم بهذه العلوم

١٧٦ جورج ستفنسن الذي أنشأ السكك الحديدية في العالم وهو عالم إنكليزي وفراداي الإنجليزي أيضا كشف البزيرين باستقطاره من الفصح الجبزي . (أوربان لفرير) الفلكي الفرنسي وهو كشف السيلرنيون (تشارلس دارون) ومنهجه مكمل لمذهب لامارك الفرنسي وهو أن عالم الأحياء سلسلة واحدة

(بوسنفولت) الكيماوي الفرنسي كشف عناصر النباتات . (ماريه موشل) الفلكية الأمريكية كشفت نجما جديدا من ذوات الأذنان . (شليمن الأتري الألماني) كشف خراب زرواده الخ

١٧٨ بيان أن هذا كله صورة من قوله تعالى - وذكرهم بألهم الله- وقوله في آخر السورة - هذا بلاغ للناس - . (الفصل العاشر) في نتائج جهل المسلمين وغفلتهم والاعتصار على ثلاث حوادث وهي

سقوط الدولة العباسية وسقوط الأندلس واحتلال الفرنسيين أولا والانجليز ثانيا لبلادنا المصرية . وذكر أن الدولة العباسية جهلت جغرافية بلاد التتر وللقول فاقضوا عليهم كالجراد المنتشر وكانوا أولا بهم مستهزئين وقد تتخذه ملوك الأندلس في أواخر أيامهم وصار كل منهم يلجأ الى من جلوسهم من ملوك أسبانيا وانتهى ملك العرب سنة ١٤٩٢ ثم بعد ذلك أخذ أعيان النصارى ينصرون المسلمين ودفع المسلمون ثمانمائة ألف دينار الى الملك فيليب تخفف عنهم بعض العذاب وطردوا سنة ١٦٠٩ وأما

مصر فان الأمراء منهم لما سمعوا بمجيء الفرنسيين الى الاسكندرية سنة ١٧٩٣ هجرية اعتمدوا على قوتهم وقالوا لماذا جئت جميع الافرنج فانهم يوسونهم بخيلهم ثم ان الحرب لما دلت لم تزد على ثلاثة ارباع الساعة بجوار القاهرة ولما فشا الطاعون أراد الفرنسيون حصره بالبحر الصحي فهرب المسلمون من القاهرة لجهلهم بالأمور الصحية . عرابي باشا والشيخ أبوخطوة وقفال السويس والمستر (ابلات)

١٨١ الأساطيل الاسلامية وصلت الى مصاب نهر السند وأخذ عبد الله بن عامر بلاد كرمان وسجستان وهندوا ملك الصين فغمرهم بالعلايا وانتشرت اللغة العربية حتى زالت الديانة البوذية . هذا في الشرق

وأما القرب فانهم توغلا في فرنسا وأخذوا (طلوته) تحت تلك البلاد ثم ارتقوا الى شواطئ نهر الرون والسين . ذكر أن المأمون قاتل الملك (توفيل) ملك القسطنطينية لأنه أتى أن يرسل له العالم (ليون) فوزان بين المأمون وبين يعقوب المنصور التي طرد ابن رشد . مدينة العرب لم تحب بنحعب دولهم وذكر أن الأتراك والغول لما ملكوا البلاد حفظوا مدينة العرب وعلومهم مثل أن السلطان محمود الفزنوي جعل العلامة البيروني في ديوانه وهكذا (هلاكو) أغدق النعم على نصير الدين الطوسي ثم بعد ذلك رجع العرب الى جزيرتهم ولزم عرب الشام وتجد عوائد الأجلاف كأنهم نسوا ما تروا بهم ونشاط أهل حضرموت وعمان والبحرين في نشر الدين والمعاملات التجارية في شرق أفريقيا وجزائر بحر الهند الخ . انتهى عن عبادة الأصنام وأن كل محصر الفكر فهو أشبه بعبادة الأصنام من بعض الوجوه ١٨٣ التلق والمضطرب البال وأثرهما في الصحة والعمل وذكر أن أناسا بسبب القلق قضاوا في القرن الأخير فكانوا أكثر من القتل في ساحة الوضي . وأن الهم يتلف خلايا الدماغ فكأنه مطرقة تنزق أغشيت الاسراف في الأمل والرجاء ضد السعادة . الدنيا شبيهة بمرآة تعكس للإنسان صورته فان قلب قلبت له وان يش بشت له ١٨٤

١٨٥ (القسم الثاني) من قوله تعالى - مثل الذين كفروا بربهم - الى قوله - لظالم كفار - مشكل التفسير اللغوي

١٨٩ تفسير الكلمة الطيبة والكلمة الحية والشجرة الطيبة والشجرة الخيثة . وذكر تشبيه الرجل المسلم بالشجرة الطيبة التي هي التخله الخ وذكر حديث البخاري ومسلم أن العبد اذا وضع في قبره الخ موازنة بين كلام العرب وكلام القرآن التشبيه بالشجر والنبات وغيرها وأن هنتر البسي يشبه رائحة علة برائحة روضة أفت في قوله (أوروضة أفا الخ) وهذا موازن بقوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فنصب الأرض مخضرة إن لله لطيف خبير -

١٩١ أبيات أخرى من كلام الملقات وغيرها وموازته مع القرآن الخ بقية التفسير اللغوي - ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا -

١٩٣ جوهره في ذكر نعمة بهية وهي الحرير الصناعي للأخوذ من خشب اللوت وحطب القطن وشعر القطن وقد ارتقى الإنسان من لبس جلود الأنعام الى الاقتداء بجمود الحرير الغزلة له فالإقتداء بالنعكوت في صناعة النسيج ثم هو الآن يتخطى الحيوان كله فيستخرج الحرير من نفس الحشبة ولا يتشكل على الحيوان جدلول بأنواع النبات من غذاء وقاكة ودواء ولبس وأن هذه النباتات جعلت مواقة لسوق جنود الجوع ويجنود البرد وجنود المرض تلك الجنود الملحة للإنسان أن يستعمل تلك النباتات فيها ثلاث فوائد حفظ جسده من الجوع والبرد وتقوية عضلاته بالعمل وتقية قواه العقلية كما في هذا التفسير فهذا اقتصاد من الله في نظامه كاتصافه في خلق اللسان فهو يذوق الطعام ويمرجه ويقوم بتفهيم الكلام للسامع فالإقتصاد في نظام الموجودات للذكورة كالإقتصاد في عضو اللسان وما المرى ولا الجوع ولا المرض إلا لغات يهيم بها الإنسان بلا حروف ولا صوت وقد اشترك فيها الإنسان والحيوان جميعا وهي أبلغ من فلق للسان

١٩٦ الكلام على أن الاسلام كشجرة والشجرة لها أصل وفروع (قمان) أصل وأطراف ويان أن النبي ﷺ وأصحابه هم أصل الشجرة ولم يؤلفوا في فقه ولا في علوم السموات والأرض وأما للتأخرون في علوم الفقه وهي كفروع الشجرة التي ليست أصولا أما الفروع التي هي أصول كمل

السموات والأرض والنبات فلم يؤلفوا فيها وليس لهم حجة في أن الصحابة لم يؤلفوا فيها السقوطها بأنهم لم يؤلفوا في الفقه لأنهم أصل الشجرة وأصل جميع فروعها • اللوف والنخل وأن اللوف يطول سريرا ويعا على النخل ويذبل حالا والنخل طويل العمر بطيء الثمر فأشرفهما أدومهما • هكذا العلماء النافسون يقولون بأنهم والمتظاهرون بالعلم بلا حقيقة لابقاء لذكرهم ولا لأنارهم

عبر الله بكاف الخطاب في هذه الآيات ست مرات فجعل الماء لنا والقرات لنا الخ فهل كاف الخطاب استنتى منها للمسلمون وهل الله خاطب القرينة وحدهم فقال - وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره الخ - حتى رأينا أكثر السفن لهم • (تنبيهات • الأول) في قوله تعالى - ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء - وكيف ينم علينا وقد أضل الظالمين منا • الجواب عن ذلك في نفس الآية فالشجر يكون حنظلا مرأ ونمرا حلوا والقسمان يحتاج اليهما فإذا كان الحنظل وجيع النباتات الدينية لم تجعل عالم النبات غافلا للحكمة فهكذا هنا القول مزارع زرعها الله في أجسامنا وهي مختلفة اختلاف النباتات فما حسن هناك حسن هنا وما من يقفه في الحياة وما من لا يقفه إلا بعد الموت

٢٠٠ (التنبيه الثاني) - وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله - ويبان أن تحرير عبادة الأصنام بسبب حصرها الفكر والأفلة غنى عن المالمين

(التنبيه الثالث) كيف يدخل الضلال على أبواب الميانات وليس مقبولا أن الخليل يخاف من عبادة الأصنام ولا للمسلم كذلك وإنما الخوف هو حصر الفكر كما هو حاصل لأغلب المسلمين اليوم

٢٠١ (جوهرة في قوله تعالى - وجعلوا لله أندادا -) • إن علماء الهند ومصر وغيرهم قد أشركوا أمام العاتقة ووجدوا في قوسهم ويشهد بذلك رؤيا هرمس إذ سمع قائلا يقول إن النور الذي رأيته مثل لنور الله الخ

٢٠٢ التلث عند الأمم القديمة • إن العالم كله مادة وعقل ونفس الخ وأيضا يقول الأسقف اليوناني في عكا إن الروح السرى عند الأمم القديمة هو المرافعة للشعوب وأنا فيلسوف مع نفسى كاهن مع الشعب (القسم الثالث) - وإذ قال إبراهيم - إلى آخر السورة وهو مشكل • تفسره القفطي

٢٠٥ ملخص هذا القسم وفي هذا المقام لطائف (للطيفة الأولى) أن عبادة الأصنام في كلام الخليل ترجع للكلمة الخبيثة وإقامة الصلاة ترجع للكلمة الطيبة الخ (الطيفة الثالثة) - ربنا إني أسكنت من ذريتي

إبراهيم غير ذى زرع الخ - حديث أم اسماعيل وهي رضه ونزل جهم عليها وتربية اسماعيل بينهم الخ (الطيفة الرابعة) - يوم تبذل الأرض غير الأرض والسموات الخ - وهذه الآية هي نفس العلم

الحدث أن الأرض والشمس والسيارات كانت كلها كرة واحدة وأفضلت السيارات وبرهان ذلك بالتسكوب إذ رأوا ستين ألف كوكب نارية تتكون الآن وهذا يوافق حديث عائشة الذي أخرجه مسلم • هنا أربع جواهر (الجوهرة الأولى) - وإن تصنوا نعمة الله لا تحصوها - ومن النعم التي لم يشكرها المسلمون البحريات التي أخذ امتيازها الانجليز وفيه ثروة (٢٣٨) ألفاً ألف جنيه ويبان ما فيه من البوتاسا والبروم وللح الخ وشروط العقد ويبان أن الله حرم للمسلمين من هذا لجهلهم لأن الله لا يعطى النعمة إلا لمن يشكرها ولا يشكرها إلا من يستعملها ولا يستعملها إلا العالم بها والمسلمون ليسوا بطلين بها

٢١٠ حكمة إلهية ونور على نور وذكر عجائب عناصر البحريات وسر الحروف في أوائل السور في القرآن أول هذه السورة (الر) وهذه الحروف بترتيبها جاءت في البحر والأنهار والقمر والنهار الخ وهذه

من النعم التي يذكرنا الله بها ومن البحر المذكور البحار الميت وهذا سر جديد ظهر للقرآن في (الر) وإيضاح العناصر التي في البحر الميت

٢١٢ مات البحر لموت عقول المتأخرين في الاسلام كما ظن العامة المعمول على التشبيها وقال الطبيب موسى . وكما ظن جبرائيل بن بختيشوع أن ابراهيم بن صالح ابن عم هرون الرشيد سيموت وقت صلاة العتمة فقال صالح بن بهله الهندي انه لن يموت ثم ظهر الحق بانه كان غريميت وأنشئ بنفخ الكندس في أنفه فأرض الله ومنها البحار الميت عند المسلمين أشبه ابراهيم بن صالح عند ابن بختيشوع ولكنها عند العلماء في أوروبا أشبه ابراهيم بن صالح المذكور عند صالح بن بهله الهندي تبيان وجه الشبه بين حال هذه الحوادث وحال المسلمين الذين يجهلون هذه العلوم (المجهرة الثانية) في قوله تعالى - واجنبي وبنى أن نعبد الأصنام -

٢١٤ ذكر أن أكثر الناس على الأرض يفعل معهم شيوخهم فعل النورم (بالكسر) . وذكر الخطاب المرفوع الى أغاخان الذي يدعى الالوية . والشكوى تنحصر في أنه يأخذ مال الرعية في الهند بدل الفقراء ويقاسم الناس أموالهم فيأخذ نصفها وأتباعه لا يصومون ولا يحجون ومن رفع الشكوى منهم قتل الخ وأن هؤلاء من فرقة حسن بن الصباح وهم الباطنية

٢١٦ (جوهرة في أديان القضاة) وذكر أن الله عند الهنود غير مكشوف وكان دينهم الوحدانية في أول أمره ثم جاء التثليث وانحط الشعب بالأعمال الصبائية والطقوس والخرافات ثم جاء زريستان سنة ٤٨٠٠ قبل الميلاد فظهر الدين . ثم اختل الأمر ثانيا جاء (بودا) بعد نحو أر بعة آلاف سنة فرجع الى التوحيد أوتهدب الدين ثم جاءت الخرافات كذلك ثم جاء دين النصرانية فشوهته الخرافات ثم جاء دين الاسلام فقال بالوحدانية

٢١٩ أم الاسلام المتأخرة اعتراهم ما اعترى الأمم قبلهم . أنظر كتاب الملل والنحل للشهرستاني والفرق بين الفرق (يفتح الفاء الأولى وكسر الثانية) واللام على اضلال الأصنام واقامة الصلاة وكون المجرمين مقرنين في الأسفاد

٢٢٠ بيان أن ظهور النور في شجرة العليق لموسى بعد أن فارق شعبا تعلم السلم أن الفتوح له يأتي بعد أخذ علم شيخه كما جاء لموسى بعد ترك شعيب وعلم الأسلاف كابن الأم والفتوح الالهي ككسب المعاش وأن الانسان في أموره الدنيوية يطالع جمال ربه في شجره وحجره فينسل للدين بالدين كما كان موسى يريد النور ليدي زوجته ويعرف ربه فحصل الأسمان . وهذا هو سر قوله تعالى - لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - . ذكر أن للتكبريين يحشرون على صور الذر وأن جسم الانسان كتاب مفتوح فله عقل في الرأس وقلب في الصدر وبن وفرج في القسم الأسفل ولكل من هذه الثلاث رذائل ومضائل الخ

٢٢٢ (المجهرة الثالثة أيضا في قوله تعالى - واجنبي وبنى أن نعبد الأصنام الخ -) دعوة المؤلف الامامية والزيدية والشيعة والسنية يطلب منهم أن يكونوا جماعة يأمرهم بالمعروف الخ حكاية مع العلامة (دوراد براون) الانجليزي إذ ذكر المؤلف أنه سمع طالبا في بلاد ايران أيام السلطان عبد الحميد يقول إني حاربت مع الروس بسني هذا ضد أهل السنة الذين هم مكروهون عندها . وأن ذلك العالم الانجليزي عجب من جهل هؤلاء القوم إذ تدخل الروس في بلادهم ورجعوا الى حوادث مضى عليها ١٣٠٠ سنة وهم غافلون

نصيحة المؤلف لجميع المسلمين (أ) أن يتعلم الرجال والنساء جميعا (ب) و (ج) أن النبي ﷺ شوق
الناس للشمس والقمر والشجر الخ في (١٣) سنة ثم إن التخصصين في العلوم يكفيهم على ما يطلن
المؤلف (٢٣) سنة مكدة الرسالة

٢٢٤ (د) يدرس القرآن بطريق مشوق وسيرة النبي ﷺ الخ

(هـ) يخرج في بلاد الاسلام من الشيعة والسنية رجال متبحرون

(و) ينتخب من كل قطر جماعة من هؤلاء وهم المذكورون في الآية فهم الآمرون الناهون الخ

(ز) بهذا نكون - خیراته أخرجت للناس -

(ح) ان المتعلم على هذه الشريطة لا يتصب للمذهب بل للاسلام والعلم

(ط) يقول المؤلف إلى نصحت لأمتي وبذلك جهدي وما أنا من المتكلفين الخ

(تحت)

